

كتاب
الاعجاز

لأبي الفرج الأصفهاني

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكرة عباس

دار طائر
بيروت

كتاب الأمان

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الثاني عشر

دار طائر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

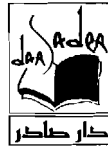
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(*Abu al-Faraj al-Isphahānī*)

ISBN 9953-13-045-0

[197] - أخبار الأعشى وبني عبد المدان وأخبارهم مع غيره¹

[كان الأعشى مثبناً وليد مجبراً]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثنا العُمريّ عن الهيثم بن عديّ عن حماد الراوية عن سيماء بن حرب عن يونس بن مَتَّى راوية الأعشى قال : كان لبيد مُجبراً² حيث يقول :

مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلَّ
وكان الأعشى مثبناً³ حيث يقول :

استأثر الله بالوفاء وبالألـ عدلٍ وولّى الملامةَ الرّجلاً
فقلت له : من أين [أخذ] هذا ؟ فقال : أخذه من أساقفة نجران . وكان يعود⁴ في كل سنة إلى بني عبد المدان ، فيمدحهم ويُقيم عندهم يشرب الخمر معهم وينادهم ، ويسمع من أساقفة نجران قولهم ؛ فكلُّ شيء في شعره منه هذا فمنهم أخذه .

خبر أساقفة نجران مع النبي ﷺ

فأما خبر مباہلتهم⁵ النبي ﷺ ، فأخبرني به عليّ بن العباس بن الوليد البجليّ المعروف باللقائعيّ الكوفيّ قال : أنبأنا بكّار بن أحمد بن اليّسع الهمدانيّ قال حدثنا عبد الله بن موسى عن أبي حمزة عن شهر بن حوشب . قال بكّار وحدثنا إسماعيل بن أبان العامريّ عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبيه عن جدّه عن عليّ عليه السلام ، وحديثه أتمّ الأحاديث . وحدثني [به] جماعة آخرون بأسانيد مختلفة وألفاظٍ تزيد وتنقص : فمنّ حدثني به عليّ بن أحمد بن حامد التميميّ قال حدثنا الحسن بن عبد الواحد قال حدثنا حسن بن حسين عن

1 انظر أخباره في الشعر والشعراء 257/1-266 والأغاني 9 : 80 والمرزباني 401-402 والمؤتلف 12 واللائلي 83 والخزانة 1 : 83-86 وشعراء الجاهلية 357-399 والتذكرة الحمدونية 8 : 356-360 .

2 المجبر : الذي يقول بالمجير . وتقول الجبرية : إنه لا قدرة للعبد أصلاً لا مؤثرة ولا كاسية ، بل هو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها .

3 مثبناً : من ثبت القدر .

4 ل : يفد .

5 المباہلة : الملاعة .

حَيَّانُ بْنُ عَلِيٍّ [عن] الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن الحسن بن الحسين عن محمد بن بكر عن محمد بن عبد الله بن علي بن أبي رافع عن أبيه عن جده عن أبي رافع . وأخبرني علي بن موسى الحميمي في كتابه قال حدثنا جندل بن واثق قال حدثنا محمد بن عمر عن عباد الكلبي عن كامل [أبي العلاء عن أبي صالح عن ابن عباس . وأخبرني أحمد بن الحسين بن سعد بن عثمان إجازة قال حدثنا أبي قال حدثنا حصين بن مخرق عن عبد الصمد بن علي عن أبيه عن ابن عباس . قال الحصين وحدثني أبو الجارود وأبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر ، قال : وحدثني حمد بن سالم وخليفة بن حسان عن زيد بن علي عليه السلام . قال حصين وحدثني سعيد بن طريف عن عكرمة عن ابن عباس . وممن حدثني [أيضاً] بهذا الحديث علي بن العباس عن بكر عن إسماعيل بن أبان عن أبي أويس المدني عن جعفر بن محمد وعبد الله والحسن ابني الحسن . وممن حدثني به أيضاً محمد بن الحسين الأشناني قال حدثنا إسماعيل بن إسحاق الراشدي قال حدثني يحيى بن سالم عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام . وممن أخبرني به أيضاً الحسين بن حمدان بن أيوب الكوفي عن محمد بن عمرو الخشاب عن حسين الأشقر عن شريك عن جابر عن أبي جعفر ، وعن شريك عن المغيرة عن الشعبي ، واللفظ للحديث الأول . قالوا : قديم وفد نصراني نجران وفيهم الأسقف ، والعاقب وأبو حبش ، والسيد ، وقيس ، وعبد المسيح ، وابن عبد المسيح الحارث وهو غلام ، وقال شهر بن حوشب في حديثه : وهم أربعون جبراً ، حتى وقفوا على اليهود في بيت المدراس ، فصاحوا بهم : يا ابن صوريا يا كعب بن الأشرف ، انزلوا يا إخوة القُرود والخنازير . فنزلوا إليهم ؛ فقالوا لهم : هذا الرجل عندكم منذ كذا وكذا سنة [قد غلبكم !] أحضروا الممتحنة [لنمتحنه] غداً . فلما صلى النبي ﷺ الصبح ، قاموا فبركوا بين يديه ، ثم تقدمهم الأسقف فقال : يا أبا القاسم ، موسى من أبوه ؟ قال : عمران . قال : فيوسف من أبوه ؟ قال : يعقوب . قال : فانت من أبوك ؟ قال : أبي عبد الله بن عبد المطلب . قال : فعيسى من أبوه ؟ فسكت رسول الله ﷺ وآله ؛ فانقضَّ عليه جبريل عليه السلام فقال : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ فتلأها رسول الله ﷺ ؛ فنزلاً الأسقف ثم دبر به معشياً عليه ، ثم رفع رأسه إلى النبي ﷺ فقال [له] : أتزعم أن الله جلَّ وعلا أوحى إليك أن عيسى خلق من تراب ! ما نجد هذا فيما أوحى إليك ، ولا نجد فيما أوحى إلينا ؛ ولا تجده هؤلاء اليهود فيما أوحى إليهم . فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ونساءنا ونساءكم وأنفسنا

وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبَّهْلُ فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿١﴾ . فقال : أنصفتنا يا أبا القاسم ، فمتى نَباهِلك ؟ فقال : بالعدة إن شاء الله تعالى . وانصرف النصارى ، وانصرفت اليهودُ وهي تقول : والله ما نُبالي أَيُّهما أَهْلَكَ اللهُ الْحَنيفِيَّةُ أَوْ النَّصْرَانِيَّةُ . فلَمَّا صارت النصارى إلى بيوتها قالوا : والله إنكم لتعلمون أَنَّهُ نبيُّ ، ولَمَن باهَلناه إِنَّا لنخشى أَن نَهْلَكَ ، ولكن استَقِيلُوهُ لَعَلَّه يُقِيلُنَا . وغدا النبيُّ ﷺ من الصُّبْحِ وغدا معه بعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين صلواتُ الله عليهم . فلَمَّا صَلَّى الصبح ، انصرف فاستقبل الناس بوجهه ، ثم برك باركاً ، وجاء بعليٌّ فأقامه بين يديه ، وجاء بفاطمة فأقامها بين كَتَفَيْهِ ، وجاء بحَسَنٍ فأقامه عن يمينه ، وجاء بحُسَيْنٍ فأقامه عن يساره . فأقبلوا يستترون بالخشب والمسجد فَرَقاً أَنْ يبدَأَهُم بِالْمُباَهلةِ إِذَا رَأَوْهُمْ ، حتى برَكوا بين يديه ، ثم صاحوا : يا أبا القاسم ، أَقِلْنَا أَقْلَكَ اللهُ عَثْرَتَكَ . فقال النبيُّ ﷺ : نعم ، قال : ولم يُسأل النبيُّ ﷺ شيئاً قطُّ إِلَّا أعطاه ، فقال : قد أَقَلْتُكُمْ [فَوَلُّوا] . فلَمَّا وَلُّوا قال النبيُّ ﷺ : «أَمَّا والذي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لو باهَلْتُهُمْ ما بَقِيَ على وجه الأرض نَصْرَانِيٌّ ولا نَصْرَانِيَّةٌ إِلَّا أَهْلَكَهُمُ اللهُ تعالى» . وفي حديث شهر بن حَوْشَب أَنَّ الْعَاقِبَ وَثَبَ فقال : أَذْكُرْكُمْ اللهُ أَن نُلَاعِنَ هَذَا الرَّجُلَ ! فوالله لئن كان كاذباً ما لَكُم في مُلَاعِنَتِهِ خَيْرٌ ، ولئن كان صادقاً لا يَحُولُ الْحَوْلُ وَمِنْكُمْ نَافِعُ ضَرْمَةِ¹ . فصالحوه ورجعوا .

[خبر قبة نجران]

وَأَمَّا خَبَرُ الْقَبَةِ الْأَدَمِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْأَعْشَى فَأَخْبِرُنِي بِخَبَرِهَا عَمِّي وَحَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيِّ قَالَا حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيُّ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنُ دَارِسٍ بْنُ عَرَبِيِّ بْنِ مُعَيْقِرٍ² مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ ، وَكَانَتْ لَهُ قُبَّةٌ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ جِلْدٍ أَدِيمٍ ، وَكَانَ عَلَى نَهْرِ بَنَجْرَانَ يُقَالُ التَّحْيِرْدَانُ . قَالَ : وَلَمْ يَأْتِ الْقَبَةَ خَائِفٌ إِلَّا أَمِنَ ، وَلَا جَائِعٌ إِلَّا شَبِعَ ؛ وَكَانَ يَسْتَغِلُّ مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ عَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ ، [وَكَانَتْ الْقَبَةُ تَسْتَغْرِقُ ذَلِكَ كُلَّهُ] . وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ نَزَلَ نَجْرَانَ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَانِ [ابْنُ الدِّيَّانِ] . وَذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ الْمَسِيحِ بْنَ دَارِسٍ زَوَّجَ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَدَانِ ابْنَتَهُ رُهَيْمَةَ ، فَوُلِدَتْ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ ؛ فَهَمَّ بِالْكُوفَةِ . وَمَاتَ عَبْدُ الْمَسِيحِ ، فَانْتَقَلَ مَالُهُ إِلَى يَزِيدَ ؛ فَكَانَ أَوَّلَ حَارِثِيٍّ حَلَّ فِي نَجْرَانَ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَعْشَى قَيْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ : [مِنَ الْمُتَقَارِبِ]

فَكَعْبَةُ نَجْرَانَ حَتَمٌ عَلَيَّ لِكِ حَتَّى تُنَاخِي أَبْوَابَهَا

1 الضرمه : الجمرة ؛ يقال : ما في الدار نافع ضرمه ، أي ما فيها أحد وهنا مثل ورد في مجمع الأمثال للميداني 269/3 «ما بها نافع ضرمه» يعني بالمثل ما في الدار من أحد .

2 ل : معيفر .

نزورُ يزيدَ وعبدَ المسيحَ وقيساً هُم خيرُ أربابِها

[خطب يزيد بن عبد المدان وعامر بن المصطلق بنت أمية بن الأسكر فزوجها ليزيد]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حَدَّثني عَمِّي عن العباس بن هشام [عن أبيه قال حَدَّثني بعضُ بني الحارث بن كعب ، [و] أخبرني عَمِّي قال حَدَّثني عبد الله بن أبي سعد] قال حَدَّثني عبد الله بن الصَّبَّاح عن ابن الكلبي عن أبيه قال : اجتمع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطفيل بمؤسِّم عكاظ ، وقَدِمَ أمية بن الأسكر الكِنَاني ومعه ابنة له من أجمل أهل زمانها ، فخطبها يزيد وعامر . فقالت أمّ كلاب امرأة أمية بن الأسكر : مَنْ هذان الرجلان ؟ فقال : هذا يزيد بن عبد المدان بن الديان ، وهذا عامر بن الطفيل . فقالت : أعرف بني الديان ولا أعرف عامراً . فقال : هل سَمِعْتَ بملاعب الأُسنة¹ ؟ فقالت نعم . قال فهذا ابنُ أخيه . وأقبل يزيد فقال : يا أمية ، أنا ابن الديان صاحبُ الكَثيب ، ورئيس مدحج ، ومُكَلِّم العقاب ، وَمَنْ كان يُصَوِّبُ أصابعه فتَنطِفُ² دماً ، وَيَدُلُّكَ راحتيه فتُخرجان ذَهَباً ، فقال أمية : بَخْ بَخْ . [فقال عامر : جَدِّي الأَخْرَم ، وعَمِّي مُلاعبُ الأُسنة ، وأبي فارسُ قُرْزُل . فقال أمية : بَخْ بَخْ] مرعى ولا كالسعدان³ . فأرسلها مثلاً . فقال يزيد : يا عامر ، هل تعلم شاعراً من قزمي رَحَلَ بمدحية إلى رجلٍ من قومك ؟ قال : اللهم لا . قال : فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدائحهم إلى قومي ؟ قال : اللهم نعم . قال : فهل لكم نجمٌ يمانٍ أو بُردٌ يمانٍ أو سيفٌ يمانٍ أو رُكنٌ يمانٍ ؟ قال لا . قال : فهل ملكناكم ولم تَمْلِكُونَا ؟ قال نعم . فنهض يزيد وأنشأ يقول :

أُمِّي يَا ابْنَ الْأَسْكَرِ بْنِ مُدَلِّجٍ لَا تَجْعَلَنَّ هَوَازِنَا كَمَدَحِجٍ
إِنَّكَ إِنْ تَلَهَجَ بِأَمْرِ تَلَجَجٍ مَا النِّبْعُ فِي مَغْرَسِهِ كَالْعَوْسَجِ⁴
وَلَا الصَّرِيعُ الْمَحْضُ كَالْمَزَجِ⁵

1 هو أبو البراء عامر بن مالك ؛ سَمِيَ بملاعب الأُسنة لقول أوس بن حجر فيه :

فلاعب أطراف الأُسنة عامر فراح له حظ الكتيبة أجمع

2 تنطف : تقطر .

3 مرعى ولا كالسعدان مثلٌ يضرب للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله ، وقد روى المفضل أن هذا المثل لامرأة من طيء وكان تزوجها امرؤ القيس بن حجر الكندي وكان مفرّكاً ، فقال لها : أين أنا من زوجك الأول فقالت : «مرعى ولا كالسعدان ، فصل المقال للبكري 199 .

4 النبع : ضرب من الشجر تتخذ منه القسي ومن أغصانه السهام ، ينبت في قُلل الجبال . والعوسج : ضرب من الشوك .

5 الصريع : الخالص من كل شيء .

قال : فقال مرة بن دودان الطفيلي وكان عدواً لعامر : [من الرجز]

يا ليت شعري عنك يا يزيد ماذا الذي من عامر تريد
لكل قوم فخركم عبيد أمطلقون نحن أم عبيد
لا بل عبيد زادنا الهبيد¹

قال : فروج أمية يزيد بن عبد المدان ابنه . فقال يزيد في ذلك : [من الكامل]

يا للرجال لطارق الأحران ولعامر بن طفيل الوسنان
كانت إتاوة قومه لمحرقي زماناً وصارت بعداً للنعمان²
عدّ الفوارس من هوازن كلها فخرأ علي وجئت بالديان
فاذا لي الشرف المتين بوالد ضخم الدسيعة زانني ونماني³
يا عام إنك فارس ذو ميعه غص الشباب أخو ندى وقيان⁴
واعلم بأنك ببن فارس قرزل دون الذي تسعى له وتداني
ليست فوارس عامر بمقرة لك بالفضيلة في بني عيلان
فاذا لقيت بني الحماس ومالك وبني الضباب وحي آل قنان⁵
فاسأل عن الرجل المنوة باسمه والدافع الأعداء عن نجران
يُعطي المقادة في فوارس قومه كرمأ لعمرك والكريم يمان

فقال عامر بن الطفيل : [من الكامل]

عجباً لواصف طارق الأحران ولما يجيء به بنو الديان
فخروا علي بحبوة لمحرقي وإتاوة سيقت إلى النعمان⁶
ما أنت وابن محرقي وقبيله وإتاوة اللخمي في عيلان
فاقصِد بفخرِك قصِد قومك قصرة ودع القبائل من بني قحطان

1 الهبيد : حب الخنظل .

2 محرق ، لقب به من ملوك لخم بالحيرة امرؤ القيس بن عمرو بن عدي ويقال له المحرق الأكبر ، وعمرو بن هند يقال له المحرق الثاني . ولقب به أيضاً الحارث بن عمرو من ملوك غسان بالشام .

3 الدسيعة هنا : العطية .

4 ميعه كل شيء : أوله .

5 الحماس ، والضباب ، وقنان : قبائل من مذحج .

6 الحبوة (مثلثة الحاء) : العطية .

إِنْ كَانَ سَالِفَةُ الْإِتَاوَةِ فِيكُمْ أَوْلَا فَفَخْرُكَ فَخْرُ كُلِّ يَمَانِي
وَأَفْخَرُ بَرَهْطِ بَنِي الْحِمَاسِ وَمَالِكِ وَبَنِي الضُّبَابِ وَزَعْبَلِ وَقَنَانِ
فَأَنَا الْمُعْظَمُ وَابْنُ فَارِسِ قُرْزُلِ وَأَبُو بَرَاءِ زَانَنِي وَنَمَانِي
وَأَبُو جَزْيٍ ذُو الْفَعَالِ وَمَالِكِ مَنَعَا الدُّمَارَ صَبَاحَ كُلِّ طِعَانِ
وَإِذَا تَعَاظَمَتِ الْأُمُورَ هَوَازِنُ كُنْتُ الْمُنَوَّةَ بِاسْمِهِ وَالْبَانِي

[طلب بنو عامر إلى مرة بن دودان أن يهجو بني الديان فأبى]

فَلَمَّا رَجَعَ الْقَوْمُ إِلَى بَنِي عَامِرَ ، وَثَبُّوا عَلَى مُرَّةَ بْنِ دُودَانَ وَقَالُوا لَهُ : أَنْتَ مِنْ بَنِي عَامِرَ ،
وَأَنْتَ شَاعِرٌ ، وَلَمْ تَهْجُ بَنِي الدِّيَّانِ ؛ فَقَالَ مُرَّةُ :
[من الوافر]

تُكَلِّفُنِي هَوَازِنُ فَخْرَ قَوْمِ يَقُولُونَ : الْأَنَامُ لَنَا عَبِيدُ
أَبُونَا مَذْجِجٌ وَبَنُو أَبِيهِ إِذَا مَا عُدَّتِ الْآبَاءُ هُودُ¹
وَهَلْ لِي إِنْ فَخَرْتُ بِغَيْرِ حَقٍّ مَقَالٌ وَالْأَنَامُ لَهُمْ شُهُودُ
فَأَنْتِ تَضْرِبُ الْأَعْلَامَ صَفْحًا عَنِ الْعَلِيَاءِ أَمْ مَنْ ذَا يَكِيدُ
فَقُولُوا يَا بَنِي عَيْلَانَ كُنَّا لَهُمْ قِنًا ، فَمَا عَنْهَا مَحِيدُ

[معاودة في مجلس ابن جفنة]

وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ : قَدِيمُ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَّانِ وَعَمَرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرُبُ وَمَكْشُوحُ
الْمُرَادِيِّ عَلَى ابْنِ جَفْنَةَ زَوَّارًا ، وَعِنْدَهُ وَجْهٌ قَيِّسٌ : مُلَاعِبُ الْأُسَيْنَةِ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ ، وَيَزِيدُ بْنُ
عَمْرُو بْنِ الصَّعِقِ ، وَدُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ . فَقَالَ ابْنُ جَفْنَةَ لِيَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَدَّانِ : مَاذَا كَانَ يَقُولُ الدِّيَّانُ
إِذَا أَصْبَحَ فَإِنَّهُ كَانَ دِيَّانًا² . فَقَالَ : كَانَ يَقُولُ : آمَنْتُ بِالَّذِي رَفَعَ هَذِهِ (يَعْنِي السَّمَاءَ) ، وَوَضَعَ
هَذِهِ (يَعْنِي الْأَرْضَ) ، وَشَقَّ هَذِهِ (يَعْنِي أَصَابِعَهُ) ، ثُمَّ يَخِرُّ سَاجِدًا وَيَقُولُ : سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي
خَلَقَهُ وَهُوَ عَاشِمٌ³ ، وَمَا جَشَمَنِي مِنْ شَيْءٍ فَإِنِّي جَاشِمٌ . فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَالَ : [من الرجز]

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلَمَّا

فَقَالَ ابْنُ جَفْنَةَ : إِنَّ هَذَا لَذُو دِينٍ ، ثُمَّ مَالَ عَلَى الْقَيْسِيِّينَ وَقَالَ : أَلَا تَحَدِّثُونِي عَنْ هَذِهِ
الرِّيَاحِ : الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ وَالذُّبُورِ وَالصَّبَا وَالتَّكْبَاءِ ، لِمَ سُمِّيتَ بِهِذِهِ الْأَسْمَاءُ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ أَعْيَانِي
عِلْمُهَا ؟ فَقَالَ الْقَوْمُ : هَذِهِ أَسْمَاءٌ وَجَدْنَا الْعَرَبَ عَلَيْهَا لَا نَعْلَمُ غَيْرَ هَذَا فِيهَا . فَضَحِكَ يَزِيدُ بْنُ

1 هود : جمع هائد ، وهو الراجع إلى الحق .

2 الدِّيَّانُ هُنَا : الْحَاكِمُ وَالسَّائِسُ وَالْقَاضِي .

3 العَاشِمُ : الطَّامِعُ .

عبد المدان ثم قال : يا خيرَ الفتيان ، ما كنتُ أَحْسِبُ أن هذا يسقط علمه على هؤلاء وهم أهل الوبر . إنَّ العرب تضرب أبياتها في القيلة مطَّلَع الشمس ، لتُدْفِئَهُمْ في الشتاء وتزولَ عنهم في الصيف . فما هَبَّ من الرياح عن يمين البيت فهي الجنوب ، وما هَبَّ عن شماله فهي الشمال ، وما هَبَّ من أمامه فهي الصِّبا ، وما هَبَّ من خلفه فهي الدُّبور ، وما استدار من الرياح بين هذه الجهات فهي النَّكباء . فقال ابن جفنة : إنَّ هذا لِلْعِلْمِ يا ابن عبد المدان .

[سأل ابن جفنة القيسيين عن النعمان بن المنذر فعابوه]

وأقبل على القيسيين يسألهم عن النعمان بن المنذر . فعابوه وصغروه . فنظر ابن جفنة إلى يزيد فقال له : ما تقول يا ابن عبد المدان ؟ فقال يزيد : يا خيرَ الفتيان . ليس صغيراً مَنْ منعك العراق ، وشركك في الشام ، وقيل له : أبيتَ اللعن ، وقيل لك : يا خيرَ الفتيان ، وألقى أباه ملكاً كما ألفتَ أباك ملكاً ؛ فلا يسرك مَنْ يغرِّك ، فإنَّ هؤلاء لو سألهم عنك النعمان لقالوا فيك مثل ما قالوا فيه . وإيمُ الله ما فيهم رجلٌ إلَّا ونعمةُ النعمان عنده عظيمة ! فغضبَ عامرُ بن مالك وقال له : يا ابن الديان ، أما والله لتحتلبنَّ بها دماً ! فقال له : ولم ؟ أزيد في هوازن من لا أعرفه ؟ فقال : لا ، بل هم الذين تعرَّف . فضحك يزيد ثم قال : ما لهم جمرة بني الحارث ، ولا فتك مُراد . ولا بأسُ زبيد ، ولا كيدُ جعفي ، ولا مغارُ طيء . وما هم ونحن يا خيرَ الفتيان بسواء ، ما قتلنا أسيراً قط ، ولا اشتهدنا حرَّةً قط ، ولا بكينا قتيلاً [حتى] نبيء¹ به . وإنَّ هؤلاء ليَعَجْزُونَ عن ثأرهم ، حتى يُقتلَ السَّميُّ بالسَّميِّ . والكنيُّ بالكنيِّ ، والجارُّ بالجارِ . وقال يزيد بن عبد المدان فيما كان بينه وبين القيسيين شعراً غدا به على ابن جفنة :

[من الطويل]

تَمالاً على النعمانِ قومٌ إليهم	مَوَارِدُهُ في مُلْكِهِ ومَصَادِرُهُ
على غيرِ ذنبٍ كان منه إليهم	سيوى أَنَّهُ جادتْ عليهم مَوَاطِرُهُ
فباعَدَهُمْ من كلِّ شرٍّ يخافُهُ	وقَرَّبَهُمْ من كلِّ خيرٍ يُيَادِرُهُ
فظنُّوا ، وأعراضُ الظنون كثيرة ،	بأنَّ الذي قالوا من الأمر ضائرة ²
فلم يَنْقُصوه بالذي قيلَ شَعْرَةٌ	ولا فُلِّلَتْ أُنْيَابُهُ وأُظَافِرُهُ
وللحارثُ الجعفيُّ أعلمُ بالذي	ينوءُ به النُّعمانُ إن خَفَّ طائِرُهُ ³
فيا حارٍ كم فيهم لِنُعمانِ نِعْمَةٌ	من الفضلِ والمنِّ الذي أنا ذاكِرُهُ

1 أباء القاتل بالقتيل : قتله به .

2 الظنون في ل : المنون .

3 خَفَّ طائر فلان إذا استخف واستفز ، ويقال عكس ذلك سكن طائر فلان أو وقع إذا كان وقوراً .

ذُنُوباً عَفَا عَنْهَا وَمَالاً أَفَادَهُ وَعَظْماً كَسِيراً قَوَّمْتَهُ جَوَابِرُهُ
ولو سألَ عنكَ العائِبِينَ ابنُ مُنْذِرٍ لَقَالُوا لَهُ الْقَوْلَ الَّذِي لَا يُحَاوِرُهُ

قال : فلمّا سمعَ ابنُ جَفَنَةَ هذا القولَ عَظُمَ يَزِيدُ فِي عَيْنِهِ ، وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ ، وَسَقَاهُ بِيَدِهِ ، وَأَعْطَاهُ عَطِيَّةً لَمْ يُعْطِهَا أَحَدًا مِّنْ وَفَدَ عَلَيْهِ قَطُّ .

[استشفع رجل إلى يزيد عند ابن جفنة فوهبه له]

فَلَمَّا قَرَّبَ يَزِيدُ رَكَائِبَهُ لِيَرْتَحَلَ سَمِعَ صَوْتًا إِلَى جَانِبِهِ ، وَإِذَا هُوَ رَجُلٌ يَقُولُ : [من المتقارب]

أَمَّا مِنْ شَفِيعٍ مِنَ الزَّائِرِينَ يُحِبُّ الشَّا زَنْدَهُ ثَاقِبٌ¹
يُرِيدُ ابْنَ جَفَنَةَ إِكْرَامَهُ وَقَدْ يَمْسَحُ الضَّرَّةَ الْحَالِبُ
فَيُنْقِذُنِي مِنْ أَظَافِيرِهِ وَإِلَّا فَاثِي غَدًا ذَاهِبُ
فَقَدْ قَلْتُ يَوْمًا عَلَى كُرْبِيَّةٍ وَفِي الشَّرْبِ فِي يَثْرِبٍ غَالِبُ
أَلَا لَيْتَ غَسَّانَ فِي مُلْكِهَا كَلْخَمٍ ، وَقَدْ يُخْطِئُ الشَّارِبُ
وَمَا فِي ابْنِ جَفَنَةَ مِنْ سُبَّةٍ وَقَدْ خَفَّ حِلْمِي بِهَا الْعَازِبُ
كَأَنِّي غَرِيبٌ مِنَ الْأَبْعَدِينَ وَفِي الْحَلْقِ مِنِّي شَجًّا نَاشِبُ

فَقَالَ يَزِيدُ : عَلَيَّ بِالرَّجُلِ ، فَاثِي بِهِ . فَقَالَ : مَا خَطْبُكَ ؟ أَنْتَ تَقُولُ هَذَا الشَّعْرَ ؟
قَالَ : لَا ! بَلْ قَالَهُ رَجُلٌ مِنْ جُذَامَ جَفَاهُ ابْنُ جَفَنَةَ ، وَكَانَتْ لَهُ عِنْدَ النُّعْمَانِ مَنَزَلَةٌ ،
فَشَرِبَ فَقَالَ عَلَى شَرَابِهِ شَيْئًا أَنْكَرَهُ عَلَيْهِ ابْنُ جَفَنَةَ فَحَبَسَهُ ، وَهُوَ مُخْرَجُهُ غَدًا فَقَاتِلَهُ .
فَقَالَ [لَهُ] يَزِيدُ : أَنَا أُغْنِيكَ . فَقَالَ لَهُ : وَمَنْ أَنْتَ حَتَّى أَعْرِفَكَ ؟ فَقَالَ : أَنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ
الْمَدَانِ . فَقَالَ : أَنْتَ لَهَا وَأَبِيكَ ؟ قَالَ : أَجَلُ ! قَدْ كَفَيْتُكَ أَمْرَ صَاحِبِكَ ، فَلَا يَسْمَعَنَّكَ
أَحَدٌ تُنْشِدُ هَذَا الشَّعْرَ . وَغَدَا يَزِيدُ عَلَى ابْنِ جَفَنَةَ لِيُودِّعَهُ ؛ فَقَالَ لَهُ : حَيَّاكَ اللَّهُ يَا ابْنَ
الدِّيَّانِ ! حَاجَتَكَ . قَالَ : تُلْحِقُ قُضَاعَةَ الشَّامِ [بَغَسَّانَ] ، وَتُوَثِّرُ مَنْ أَتَاكَ مِنْ وَفُودِ
مَذْحِجٍ ، وَتَهَبُ لِي الْجُذَامِيَّ الَّذِي لَا شَفِيعَ لَهُ إِلَّا كَرْمُكَ ، قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ . أَمَّا إِنِّي
حَبَسْتُهُ لِأَهْبَهُ لِسَيِّدِ أَهْلِ نَاحِيَتِكَ ، فَكَنْتُ ذَلِكَ السَيِّدَ ، وَوَهَبَهُ لَهُ . فَاحْتَمَلَهُ يَزِيدُ مَعَهُ ، وَلَمْ
يَزَلْ مُجَاوِرًا لَهُ بَنَجْرَانَ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ . وَقَالَ ابْنُ جَفَنَةَ لِأَصْحَابِهِ : مَا كَانَتْ
يَمِينِي لَتَفِي إِلَّا بِقَتْلِهِ أَوْ هَبْتَهُ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي الدِّيَّانِ ؛ فَإِنَّ يَمِينِي كَانَتْ عَلَى هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ .
فَعَظُمَ بِذَلِكَ يَزِيدُ فِي عَيْنِ أَهْلِ الشَّامِ وَبِهِ ذَكَرُهُ وَشُرْفُ .

[استغاث هوازني يزيد في فك أسر أخيه فأغاثه]

وقال ابن الكلبي في هذه الرواية عن أبيه : جاور رجلا من هوازن ، يقال لهما عمرو وعامر ، في بني مرة بن عوف بن ذبيان ، وكانا قد أصابا دما في قومهما . ثم إن قيس بن عاصم المنقرّي أغار على بني مرة بن عوف بن ذبيان ، فأصاب عامرا أسيرا في عدة أسارى كانوا عند بني مرة ، ففدى كل قوم أسيرهم من قيس بن عاصم وتركوا الهوازني ، فاستغاث أخوه بوجوه بني مرة : سنان بن أبي حارثة والحارث بن عوف والحارث بن ظالم وهاشم بن حرملة والحصين بن الحمام فلم يُغيثوه ، فركب إلى موسم عكاظ ، فأتى منازل مذحج ليلا فنادى : [من الطويل]

دعوتُ سنانا وابنَ عوفٍ وحارثا	وعاليتُ دَعْوَى بالحصينِ وهاشمِ
أغيّرهم في كلِّ يومٍ وليلةٍ	بتركِ أسيرٍ عند قيسِ بنِ عاصمِ
خليفهمُ الأدنى وجارِ بيوتهم	ومنَ كانَ عما سرّهم غيرَ نائمِ
فصمّوا وأحدثُ الزمانِ كثيرةٌ	وكمَ في بني العلاتِ من متصامِمِ ¹
فيا ليتَ شعري منَ لإطلاقِ غلّه	ومنَ ذا الذي يحظى به في المواسِمِ

قال : فسمع صوتاً من الوادي ينادي بهذه الأبيات : [من المتقارب]

ألا أيهذا الذي لم يُجب	عليك بحَيٍّ يُجلّي الكرب
عليك بهذا الحيّ من مذحج	فإنهم للرضا والغضب
فنادِ يزيدَ بنَ عبدِ المدانِ	وقيساً وعمرو بنَ معديكرب
يفكّوا أخاك بأموالهم	وأقللَ بمثلهم في العرب
أولاك الرؤوسُ فلا تغدّهم	ومنَ يجعلُ الرأسَ مثلَ الذنب

قال : فاتبع الصوت فلم يرَ أحداً ، فغدا على المكشوح ، واسمه قيس بن عبد يغوث المرادي ، فقال له : إني وأخي رجلا من بني جشم بن معاوية أصبنا دماً في قومنا ، وإن قيس بن عاصم أغار على بني مرة وأخي فيهم مجاور فأخذة أسيراً ، فاستغثت بسنان بن أبي حارثة والحارث بن عوف والحارث بن ظالم وهاشم بن حرملة فلم يُغيثوني . فأتيت الموسم لأصيب به من يَفك أخِي ، فانتهيت إلى منازل مذحج ، فناديت بكذا وكذا ، فسمعت من الوادي صوتاً أجنبي بكذا وكذا ، وقد بدأت بك لِفك أخِي . فقال له المكشوح : والله إن قيس بن عاصم لرجل ما قارضته معروفاً قط ولا هو لي بجار ، ولكن اشترِ أخاك منه وعليّ

1 بنو العلات : بنو أمهات شتى من أب واحد .

الثلث ، ولا يَمْنَعُكَ غَلَاؤُهُ . ثم أتى عمرو بن مَعْدِيكَرْب فقال له مثْلَ ذلك ؛ فقال : هل بدأت بأحدٍ قبلي ؟ قال : نعم ؛ بقيس المكشوح . قال : عليك بمن بدأت به . فتركه ، وأتى يزيد بن عبد المَدان فقال له : يا أبا النَّضْر ، إنَّ من قصَّتي كذا وكذا . فقال له : مرحباً بك وأهلاً ، أبعثُ إلى قيس بن عاصم ؛ فإنَّ هو وهَب لي أخاك شكرته ، وإلاَّ أغرتُ عليه حتى يَتَّقيني بأخيكَ ، فإنَّ نِلْتُهَا وإلاَّ دفعتُ إليك كلَّ أسير من بني تميم بنَجْران فاشتريتُ بهم أخاك . قال : هذا الرضا . فأرسلَ يزيد إلى قيس بن عاصم بهذه الأبيات :

يا قَيْسُ أَرْسِلْ أَسِيراً من بني جُشَمٍ إِنِّي بكلِّ الذي تأتي به جازي
لا تَأْمَنِ الدَّهْرَ أن تَشْجِي بَغْصَتِهِ فاختَرْتُ لِنَفْسِكَ إِحْمَادِي وإِعْزَازِي
فافكُكْ أَخَا مَنَقَرٍ عنه وَقُلْ حَسَنًا فيما سُئِلْتَ وَعَقْبُهُ بِإِنْجَازِ

قال : وبعث بالأبيات رسولاً إلى قيس بن عاصم ؛ فأنشده إياها ، ثم قال [له] : يا أبا عليّ ، إنَّ يزيد بن عبد المَدان يقرأ عليك السلام ويقول لك ، إنَّ المعروف قروض ، ومع اليوم غدٌ . فأطلق لي هذا الجُشَمِي ؛ فإنَّ أخاه قد استغاث بأشراف بني مُرة وبعمرو بن مَعْدِيكَرْب وبمكشوح مُرادٍ فلم يُصِيبْ عندهم حاجته فاستجار بي . ولو أرسلتُ إليَّ في جميع أسارى مُضَرَّ بنَجْران لقضيتُ حقَّك . فقال قيس بن عاصم لِمَنْ حضره من بني تميم : هذا رسولُ يزيد بن عبد المَدان سيّد مدحيج وابن سيّدها ومَنْ لا يزال له فيكم يدٌ ، وهذه فرصةٌ لكم ، فما تَرَوْنَ ؟ قالوا : نرى أن نُعْلِبَهُ عليه ونَحْكُمَ فيه شَطَطاً ؛ فإنَّه لن يخذله أبداً ولو أتى ثمنه على ماله . فقال قيس : بئس ما رأيتم ! أما تخافون سِجَالَ الحروب ودَوَلَ الأيام ومجازاةَ القروض ! فلما أبوا عليه قال : يَبْعُونِيهِ ، فأغلَوْهُ عليه ، فتركه في أيديهم ، وكان أسيراً في يد رجل من بني سعد ، وبعث إلى يزيد فأعلمه بما جرى ، وأعلمه أنَّ الأسير لو كان في يده أو في بني مَنَقَرٍ لأخذه وبعث به ، ولكنَّه في يد رجل من بني سعد . فأرسل يزيد إلى السعديّ أن سِرَّ إليَّ بأسيرك ولك فيه حُكْمُكَ . فأتى به السعديُّ يزيد بن عبد المَدان ؛ فقال له : احْتَكِم . فقال : مائةُ ناقةٍ ورِعاؤها . فقال له يزيد : إنَّك لقصيرُ الهِمَّةِ قريبُ الغنى جاهلٌ بأخطار بني الحارث . أمّا والله لقد غبتك يا أخا بني سعد ، ولقد كنتُ أخاف أن يأتي ثمنه على جُلِّ أموالنا ، ولكنكم يا بني تميم قومٌ قصارُ الهِمَم . وأعطاه ما احتكم . فجاوره الأسير وأخوه حتى ماتا عنده بنَجْران .

[أغار عبد المَدان على هوازن في جماعة من بني الحارث فهزموا بني عامر]

وقال ابن الكلبي : أغار عبدُ المَدان على هوازن يوم السِّلَف¹ في جماعةٍ من بني الحارث بن

كعب ، وكانت حُمته¹ على بني عامر خاصة . فلما التقى القوم حمل على وبر بن معاوية النُميريّ فصرّعه ، وثنى بطفيل بن مالك فأجره² الرمح ، وطار به فرسه قُرْزُلُ فنجأ ، واستحرّ القتلُ في بني عامر ، وتبعَت خيلُ بني الحارث من انهزم من بني عامر ، وفي هذه الخيل عُميرٌ ومَعْقِلٌ وكنا من فُرسان بني الحارث بن كعب ، فلم يزلوا بقيّة يومهم لا يُبقون على شيء أصابوه . فقال في ذلك عبد المدان :

عفا من سُلَيْمى بطنُ غُولٍ فَيَذْبُلُ فَعَمْرُةُ فَيَفِرُ الرِّيحُ فَاَلْمُتَنَخِّلُ³
ديارُ التي صاد الفؤادُ ذُلَّالُها وأغرَّت بها يوم النوى حين تَرَحَّلُ
فإن تَكُ صَدَّتْ عن هَوَايَ وراعاها نَوَازِلُ أَحْدَاثٍ وشيبٌ مُجَلَّلُ
فيا رَبَّ خيلٍ قد هَدَيْتُ بِشَطْبَةٍ يُعَارِضُهَا عَبلُ الْجَزَارَةِ هَيْكَلُ⁴
سَبُوحٌ إذا جالَ الحِزَامُ كَأَنَّهُ إذا انجَابَ عنه النَّقْعُ في الخيلِ أَجْدَلُ
يُواغِلُ جُرْدًا كَالْقَنَا حَارِثِيَّةً عليها قَنَانٌ والحِماسُ وزَعْبِلُ⁵
مَعَاقِلُهُمْ في كلِّ يومٍ كَرِيهَةٍ صدورُ العوالي والصَّفِيحُ المَصْقَلُ
وزَغَفٌ من الماضي بِيضٌ كَأَنَّها نِهَاةٌ مَرَّتْهَا بِالْعَشِيَّاتِ شَمَالُ⁶
فما ذَرَّ قَرْنَ الشمسِ حتى تلاحقتُ فَوَارِسُ يَهْدِيهَا عُمَيْرٌ ومَعْقِلُ
فجالتُ على الحيِّ الكِلَابِيَّ جَوْلَةً فبَاكَرَهُمْ وَرَدٌ من الموتِ مُعْجَلُ
فَغَادَرْنَ وَبَرًّا تَحْجُلُ الطيرُ حَوْلَهُ ونَجَّى طُفَيْلًا في العَجَاجَةِ قُرْزُلُ
فَلَمْ يَنْجُ إِلَّا فَارِسٌ من رِجالِهِمْ يُخَفِّفُ رَكْضًا خَشِيَةَ الموتِ أَعْزَلُ

وليزيد بن عبد المدان أخبارٌ مع دُرَيْدِ بن الصَّمَّةِ قد ذكرتُ مع أخبار دُرَيْدِ في صنعة المعتضدِ مع أغاني الخلفاء ، فاستغني عن إعادتها في هذا الموضع .

1 الحمة : الشدة .

2 أجره الرمح : طعنه به وتركه فيه بجره .

3 غول : موضع ، جبل أو واد أو ماء ، فيه أقوال ، ولعله اسم لعدة مواضع . ويذبل : جبل بنجد . غمرة ، وفيه الرمح ، والمتنخل : مواضع .

4 الشطبة (بالكسر والفتح) من الخيل : الطويلة السبطة اللحم . عبل الجزيرة : ضخم الأطراف .

5 يواغل جرداً : يداخلها . الحِماس ، وقنان ، وزعبل : قبائل .

6 الزَغَف : الدروع اللينة الواسعة المحكمة أو الرقيقة حسنة للسلاسل والمادي هنا : السلاح من الحديد . ونهاء جمع نهى : غدران .

[أنعم يزيد بن عبد المدان على ملاعب الأستة وأخيه فلماً مات رثته أختهما]

أخبرني علي بن سليمان قال أخبرني أبو سعيد السُّكْرِيّ قال حدَّثني محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عُبَيْدَةَ وابن الكلبي ، قالوا : أغار يزيد بن عبد المدان ومعه بنو الحارث بن كَعْبٍ على بني عامر ، فأسر عامر بن مالك مُلَاعِبَ الأَسِنَّةِ إِبْرَاءَ وأخاه عُبَيْدَةَ بن مالك ثم أنعم عليهما . فلماً مات يزيد بن عبد المدان ، واسمُ عبدِ المدانِ عمرو ، وكنيته أبو يزيد ، وهو ابن الديان بن قَطَنَ بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو ، قالت زينب بنت مالك بن جعفر بن كلاب أخت مُلَاعِبِ الأستة ترثي يزيد بن عبد المدان :

بكيتُ يزيدَ بن عبد المدا نِ حَلَّتْ به الأرضُ أثقالها
شريكُ الملوكِ ومنَ فضله يَفْضُلُ في المجدِ أفضالها
فَكَكَّتْ أُسارى بني جَعْفَرٍ وَكِنْدَةَ إِذْ نِلْتَ أقوالها¹
ورَهْطُ المُجَالِدِ قد جَلَّتْ فواضلُ نِعْماكُ أَجبالها

وقالت أيضاً ترثيه :

سأبكي يزيدَ بنَ عبد المدان على أَنّه الأَحْلَمُ الأَكْرَمُ
رِماحُ من العَزمِ مركوزة مُلوكُ إِذا بَرَزَتْ تحكُمُ

قال : فلامها قومها في ذلك وعيروها بأن بكتُ يزيد ؛ فقالت زينب :

ألا أَيُّها الزاري عليَّ بأنني زارِيَةٌ أَبْكي كَريماً يَمَانِيا
وما لي لا أَبْكي يزيدَ ورَدَّني أَجرُ جَدِيداً مِدرَعي وِردائِيا

صوت

[من الطويل]

أَطلُ حَمَلَ الشَّئْءِ لي وبُغْضي وَعِشْ ما شِئْتَ فَانْظُرْ مَنْ تَضييرُ
إِذا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي كَأَنَّ الشَّمْسَ من قَبْلي تَدُورُ

الشعر لعبد الله بن الحَشْرَجِ الجَعْدِيّ . والغناء لابن سريج ثقيلٌ أولٌ بالبِئسر عن الهشاميّ .

1 أقوال : جمع قِيلَ ، وهو الملك عند أهل اليمن .

[198] - أخبار عبد الله بن الحشرج

[نسبه]

هو عبدُ الله بن الحَشْرَج بن الأشْهَب بن وَرْد بن عَمْرُو بن ربيعة بن جَعْدَة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن مُعاوية بن بكر بن هوازِن . وكان عبد الله بن الحشرج سيِّداً من ساداتِ قيس وأميراً من أمرائها ، وَلِي أكثر أعمالِ خُرَاسان ، ومن أعمال فارس ، وكرِّمان . وكان جواداً مُمدِّحاً . وفيه يقول زيادُ الأعجم :

[إِنَّ السَّمَاةَ وَالشَّجَاعَةَ وَالنَّدَى فِي قُبَّةِ ضُرَيْتٍ عَلَى ابْنِ الْحَشْرَجِ
وله يقول أيضاً] :

إِذَا كُنْتَ مُرْتَادَ السَّمَاةِ وَالنَّدَى فَسَائِلُ تُخَبِّرُ عَنْ دِيَارِ الْأَشَاهِبِ
نسبه إلى الأشْهَب جدّه . وفي بني الأشهب يقول نابغة بني جعدة :

[بعض أخبار أبيه وعمّه زياد]

وكان أبوه الحشرج بن الأشهب سيِّداً شاعراً وأميراً كبيراً . وكان غلب على قُهِسْتَان² في زمن عبد الله بن خازم ، فبعث إليه عبد الله بن خازم المُسَيَّب بن أَوْفَى القُشَيْرِيّ ، فقتل الحَشْرَجَ وأخذ قُهِسْتَان . وكان عمُّه زياد بن الأشهب أيضاً شريفاً سيِّداً ، وكان قد سار إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، عليه السلام ، يُصلح بينه وبين معاوية على أن يُؤلِّيه الشام فلم يُجِبْهِ . وفي ذلك يقول نابغة بني جعدة يعتدّ على معاوية :

وقام زيادٌ عند بابِ ابنِ هاشمٍ يُريد صلاحاً بينكم ويُقَرِّبُ

[مدحه قدامة بن الأحرز فوصله واعتذر]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حَدَّثَنِي أحمد بن الهيثم بن فِراسٍ قال : حَدَّثَنَا العُمَرِيُّ عن عطاء بن مُصْعَب عن عاصم بن الحَدَّثَان قال : جاء إلى عبد الله بن الحَشْرَج وهو بِقُهِسْتَان رجلٌ من قُشَيْرٍ يقالُ له قُدَامَةُ بنُ الأَحْرَز ، فدخل عليه وأنشأ يقول : [من الطويل]

1 الشريف : ماء لبني نعيم . ويوم الشريف من أيامهم .

2 قهستان : موضع ببلاد العجم ، وأكثر ما تستعمل : قوهستان .

أَخْ وابْنُ عَمٍّ جَاءَ كَمْ مُتَحَرِّمًا بِكُمْ فَارَابُوا خَلَائِثَهُ يَا ابْنَ حَشْرَجٍ
فَأَنْتَ ابْنُ وَرْدٍ سُدَّتْ غَيْرَ مُدَافِعٍ مَعَدًّا عَلَى رَغَمِ الْمُنُوطِ الْمُعْلَهَجِ¹
فَبَرَزْتَ عَفْوًا إِذْ جَرَيْتَ ابْنَ حَشْرَجٍ وَجَاءَ سُكَيْتًا كُلُّ أَعْقَدٍ أَفْحَجٍ²
سَبَقْتَ ابْنَ وَرْدٍ كُلَّ حَافٍ وَنَاعِلٍ بِجَدٍّ إِذَا حَارَ الْأَضَامِيمُ مِمَّعَجٍ³
بِوَرْدٍ بَنَ عَمْرٍ فَتُهُمْ إِنَّ مِثْلَهُ قَلِيلٌ وَمَنْ يَشِرَ الْمَحَامِدَ يَقْلُعُ⁴
هُوَ الْوَاهِبُ الْأَمْوَالِ وَالْمُشْتَرِي اللَّهَى وَضَرَّابُ رَأْسِ الْمُسْتَمِيتِ الْمُدْجِعِ⁵

قال : فأعطاه أربعة آلاف درهم ، وقال : اعذرني يا ابن عمي ؛ فإنني في حالة الله بها عليهم من كثرة الطلاب ، وأنت أحق من عذرني . قال : والله لو لم تُعطني شيئاً مع ما أعلمه من جميل رأيك في عشيرتك ومن انقطع إليك لعذرتك ، فكيف وقد أجزلت العطاء ، وأرغمت الأعداء ! .

[قال في ابن عم له ناله بمساءة]

وكان لابن الحشرج ابن عم يقول للقشيري : ويحك ؛ ليس عنده خير ، وهو يكذبك ويملئك⁶ . فبلغ ذلك عبد الله بن الحشرج فقال :

[من الوافر]

أَطْلُ حَمَلِ الشَّائَةِ لِي وَبُغْضِي وَعِشْ مَا شِئْتَ فَاَنْظُرْ مَنْ تَضِيرُ
فَمَا بِيَدَيْكَ خَيْرٌ أَرْتَجِيهِ وَغَيْرُ صُدُودِكَ الْحَرْبُ الْكَبِيرُ
إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قَلْبِي تَدُورُ
وَكَيْفَ تَعِيبُ مَنْ تُمْسِي فَقِيرًا إِلَيْهِ حِينَ تَحْزُبُكَ الْأُمُورُ
وَمَنْ إِنْ بَعْتَ مَنَزَلَةً بِأُخْرَى حَلَلْتَ بِأَمْرِهِ وَبِهِ تَسِيرُ
أَتَزْعُمُ أَنَّنِي مَلِذٌّ كَذُوبٌ وَأَنَّ الْمَكْرُمَاتِ لَدَيَّ بُورُ
وَكَيْفَ أَكُونُ كَذَّابًا مَلُودًا وَعِنْدِي يَطْلُبُ الْفَرَجَ الضَّرِيرُ

1 المنوط : الدعي الذي ينتمي إلى قوم ليس هو من أصلهم ، والمعلهج : الأحمق الهذر اللئيم والدعي ، والهجين الذي ولد من جنسين مختلفين .

2 السكيت : آخر خيل الحلبة . والأعقد : الملتوي الذنب . والأفحج : ذو الفحج .

3 الأضاميم : الجماعات ، والممعج : الكثير المعج ، وهو السرعة في المر .

4 يفلج : يظفر .

5 اللهى : جمع لهة .

6 ملذه : أرضاه بكلام لطيف وأسمعه ما يسر من غير فعل .

أواسي في النوائب من أتاني ويَجْبُرُ بي أخو الضَّرَّ الفقيرُ

[كان يعطى كثيراً فلامته زوجته وأيدها صديق له]

أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أحمد بن الهيثم عن العمري عن عطاء بن مُصْعَب عن عاصم بن الحَدَثَان قال : أعطى عبدُ الله بن الحَشْرَج بخراسان حتى أعطى مِنْشَقَةً [كانت] عليه وأعطى فراشه ولحافه . فقالت له امرأته : لَشَدَّ ما تَلَاعَبَ بك الشيطان ، وصيرتَ من إخوانه مُبَذَّراً ؛ كما قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ . فقال عبد الله بن الحشرج لرفاعة بن زويِّ النَّهْدِيِّ وكان أخاً له وصديقاً : يا رفاعة ، ألا تسمع إلى ما قالت هذه الورهاء¹ وما تتكلم به ؟ فقال : صدقت والله وبررت ! إنك لمبذّر ، وإن المبذّرين لإخوان الشياطين . فقال ابن الحشرج في ذلك :

مَتَى يَأْتِنَا الْغَيْثُ الْمُغِيثُ تَجِدْ لَنَا مَكَارِمَ مَا تَعْيَا بِأَمْوَالِنَا التُّلْدُ²
مَكَارِمَ مَا جُدْنَا بِهِ إِذْ تَمَنَعْتُ رِجَالٌ وَضُنْتُ فِي الرَّخَاءِ وَفِي الْجَهْدِ
أَرَدْنَا بِمَا جُدْنَا بِهِ مِنْ تِلَادِنَا خِلَافَ الَّذِي يَأْتِي خِيَارُ بَنِي نَهْدٍ
تَلَوُّمٌ عَلَى اتِّلَافِي الْمَالِ طَلَّتِي وَيُسْعِدُهَا نَهْدُ بْنُ زَيْدٍ عَلَى الزُّهْدِ³
أَنَهْدُ بْنُ زَيْدٍ لَسْتُ مِنْكُمْ فَتُشْفِقُوا عَلَيَّ وَلَا مِنْكُمْ غَوَاتِي وَلَا رُشْدِي⁴
أَرَادَ « غَوَاتِي » فحذف الياء ضرورة .

أَبَيْتُ صَغِيرًا نَاشِئًا مَا أَرَدْتُ وَكَهْلًا وَحَتَّى تُبْصِرُونِي فِي اللَّحْدِ
سَأْبِذُلُ مَالِي إِنْ مَالِي ذَخِيرَةٌ لِعَقْبِي وَمَا أُجْنِي بِهِ ثَمَرُ الْخُلْدِ
وَلَسْتُ بِمَيْكَاءٍ عَلَى الزَّادِ بِاسِلٍ يَهْرُ عَلَى الْأَزْوَادِ كَالْأَسَدِ الْوَرْدِ⁵
وَلَكِنِّي سَمَحْتُ بِمَا حَزْتُ بِإِذْلٍ لِمَا كُفَلْتُ كَفَائِي فِي الزَّمَنِ الْجَحْدِ
بِذَلِكَ أَوْصَانِي الرُّقَادُ وَقَبْلَهُ أَبَوْهُ بَأْنُ أُعْطِي وَأَوْفِي بِالْعَهْدِ

الرُّقَادُ : ابن عمرو بن ربيعة بن جعدة بن كعب وهو من عمومته ، وكان شجاعاً سيِّداً جَوَاداً .
قال عطاء بن مُصْعَبٍ : وقال عبد الله بن الحَشْرَج أيضاً في [ذلك] هذه القصيدة .

1 الورهاء : الحمقاء .

2 التلد : المال القديم .

3 طلة الرجل : زوجته .

4 نهدي بن زيد : القبيلة التي ينتسب إليها رفاعة بن زوي .

5 باسل هنا : بمعنى غاضب .

وقد ذكر ابن الكلبي وأبو اليقظان شيئاً من هذه القصيد في كتابيهما المصنفين ونسبا [ها] إليه :

سأجعل مالي دون عِرْضِي وقايةً
ويُقي لي الجودُ اصطناعَ عَشِيرَتِي
ومتُخِذَ ذنباً عليّ سَمَاحَتِي
يَبِيدُ الفتى والحمدُ ليس ببائدٍ
ولا شيءٌ يقي للفتى غيرُ جُودِهِ
ولائمةٍ في الجودِ نَهْنَهْتُ غَرَبَهَا
فلَمَّا أَلَحَّتْ في الملامةِ واعتَرْتُ
[عرضتُ عليها خَصَلَتَيْنِ سَمَاحَتِي
فلَجَجْتُ وقالتِ أنتَ غاوي مُبْدِرُ
فقلتُ لها بيني فما فيكِ رغبةٌ
وعيشٌ أُنِيقُ والنِّسَاءُ مَعَادِنُ
لها كلُّ يومٍ فوق رأسي عَارِضُ
وأخرى يَلْدُ العيشُ منها ، ضَجِيعُهَا
فيا رجلاً حُرّاً خُذِ الْقَصْدَ واتْرُكِ الدَّ
فِعْشُ نَاعِماً واتْرُكِ مَقَالَهَ عاذِلِ
وجُدْ باللهِ إِنَّ السَّمَاحَةَ والنَّدَى
وحَسْبُ الفتى مجداً سَمَاحَةً كَفَهُ

من الذَّمِّ ؛ إن المالَ يَفْنَى وَيُنْفَدُ
وغيرِهِمُ والجودُ عِزٌّ مُوَبَّدُ
بمالي ، ونارُ البُخْلِ بالذَّمِّ تُوقَدُ
ولكنَّه للمرءِ فضلٌ مُوَكَّدُ
بما مَلَكَتْ كَفَاهُ والقومُ شُهَدُ
وقلتُ لها بَنِي المَكَارِمِ أَحْمَدُ¹
بذلك غَيِظِي واعتراها التَّبَلُّدُ
وتَطْلِقَهَا والكَفُّ عَنِّي أَرشُدُ
قَرِينُكَ شَيْطَانٌ مَرِيدٌ مُقَنَّدُ
ولي عنكِ في النُّسْوَانِ ظِلٌّ وَمَقْعَدُ
فَمِنْهُنَّ غُلٌّ شَرُّهَا يَتَمَرَّدُ²
من الشَّرِّ بَرَّاقٌ يَدُ الدَّهْرِ يُرْعَدُ
كَرِيمٌ يُغَادِيهِ مِنَ الطَّيْرِ أُسْعَدُ
بَلَايَا فَإِنَّ المَوْتَ للنَّاسِ مَوْعِدُ
يلومُكَ في بَذْلِ النَّدَى وَيُفْنَدُ
هي الغَايَةُ الْقُصْوَى وفيها التَّمَجُّدُ³
وذُو المَجْدِ مُحَمَّدُ الفِعَالِ مُحَسَّدُ

[طلق امرأته لعلها إياه فلامه حنظلة بن الأشهب]

قال فقالت له امرأته : والله ما وَقَفَكَ اللهُ لِحِظِّكَ ! أَنْهَيْتَ مَالَكَ وبَذَرْتَهُ وَأَعْطَيْتَهُ هَيَّانَ بن بَيَّان⁴ ، وَمَنْ لَا تَدْرِي مِنْ أَيِّ هَافِيَةٍ⁵ هُوَ ! قال : فغَضِبَ فطَلَّقَهَا ، وكان لها محباً وبها مُعْجَباً .

1 نهنت غربها : كفكت حديثها وزجرتها .

2 يتمرد : يتجاوز الحد .

3 اللها : العطايا مفردا لهوة .

4 هيان بن بيان : يقال لمن لا يعرف هو ولا يعرف أبوه .

5 هفت هافية من الناس : طرأت .

فَعَنَّفَهُ فِيهَا ابْنُ عَمٍّ لَهَا يُقَالُ لَهُ حَنْظَلَةٌ بِنُ الْأَشْهَبِ بْنِ رُمَيْلَةَ ، وَقَالَ لَهُ : نَصَحْتُكَ فَكَافَأَتْهَا بِالطَّلَاقِ ! فَوَاللَّهِ مَا وَفَّقْتَ لِرُشْدِكَ ، وَلَا نِلْتَ حَظَّكَ ، وَلَقَدْ خَابَ سَعْيُكَ بَعْدَهَا عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ . فَهَلَاءَ مَضَيَّتْ لَطِيفَتُكَ ، وَجَرَيْتَ عَلَى مِيدَانِكَ ، وَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَى امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِ الْجَهَالَةِ وَالطَّيْشِ لَمْ تُخَلِّقْ لِلْمَشُورَةِ وَلَا مِثْلَ رَأْيِهَا يُقْتَدَى بِهِ . فَقَالَ ابْنُ الْحَشْرِجِ لِحَنْظَلَةَ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

أَحْظَلْ دَغْ عَنْكَ الَّذِي نَالَ مَالَهُ
فَكَمْ مِنْ فَقِيرٍ بَائِسٍ قَدْ جَبَرْتُهُ
وَمِنْ مُتَرَفٍ عَنِ مَنَهْجِ الْحَقِّ جَائِرٍ
وَزَارٍ عَلَيَّ الْجُودَ وَالْجُودُ شِمْتِي
فَمِثْلُكَ قَدْ عَاصَيْتُ دَهْرًا وَلَمْ أَكُنْ
أَبَى لِيَّ جَدِّي الْبُخْلَ مَذْكَ كُنْتُ يَافِعًا
وَيَسْتَعْنِ عَنْهُ النَّاسُ ، فَارَكَبْ مَحَجَّةَ الْ
فَانِّي امْرُؤٌ لَا أَصْحَبُ الدَّهْرَ بَاخِلًا
وَمُسْتَحْمَقٍ غَاوٍ أَتَتْهُ نَذِيرَتِي
نَفَحْتُ بَيْتِي يَمْلَأُ الْفَمَ شَارِدٍ
فَكَفَّ ، وَلَوْ لَمْ أَرْمِهِ شَاعَ قَوْلُهُ ،
وَلَيْلٍ دَجُوجِيٍّ سَرَيْتُ ظِلَامَهُ
إِلَى مَلِكٍ مِنْ آلِ مَرْوَانَ مَاجِدٍ
يَجُودُ إِذَا ضَنْتُ قَرِيشَ بَرَفْدَهَا
أَبُوهُ أَبُو الْعَاصِي إِذَا الْحَرْبُ شَمَّرَتْ
وَقُورٌ إِذَا هَاجَتْ بِهِ الْحَرْبُ مَرْجَمٌ

لِيَحْمَدَهُ الْأَقْوَامُ فِي كُلِّ مَحْفِلٍ
وَمِنْ عَائِلٍ أَغْنَيْتُ بَعْدَ التَّعْيِلِ
عَلَوْتُ بَعْضُ بَنِي غَرَارَيْنِ مِقْصَلٍ¹
فَقُلْتُ لَهُ دَعْنِي وَكُنْ غَيْرَ مُفْضِلٍ
لَأَسْمَعَ أَقْوَالَ اللَّيْمِ الْمُبْخَلِ
صَغِيرًا وَمَنْ يَبْخُلُ يُلْمُ وَيُضَلَّلُ
كِرَامٍ وَدَغْ مَا أَنْتَ عَنْهُ بِمَعَزِلٍ
لَعِيمًا وَخَيْرُ النَّاسِ كُلِّ مُعَذِّلٍ
فَلَجَّ وَلَمْ يَعْرِفْ مَعَرَّةَ مِقْوَلِي²
لَهُ حَبْرٌ كَأَنَّهُ حَبْرُ مِغُولٍ³
وَصَارَ كَدِرْيَاقٍ الدُّعَافِ الْمُثْمَلِ⁴
بَنَاجِيَةٍ كَالْبُرْجِ وَجَنَاءٍ عَيْهَلٍ⁵
كَرِيمٍ الْمُحْيَا سَيِّدٍ مُتَفَضِّلٍ
وَيَسْقِيهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ تَفَضُّلٍ
مَرَاهَا بِمَسْنُونِ الْغَرَارَيْنِ مِنْجَلٍ⁶
صَبُورٌ عَلَيْهَا غَيْرُ نِكْسٍ مُهْلَلٍ⁷

1 السيف المفضل : القطاع .

2 النذيرة : طليعة الجيش التي تنذره .

3 مغول : شبه سيف قصير يشتمل به المرء تحت ثيابه أو هو سوط في جوفه سيف دقيق .

4 المثل : السم الناقع .

5 البرج : الحصن . الناجية : النافعة السريعة ، والوجناء : الشديدة ، والعيهل : السريعة .

6 مسنون الغرارين : الرمح . والمنجل : الواسع الجرح من الأسنة .

7 المرجم من الرجال : الشديد . والمهلل : الجبان .

أقامَ لأهل الأرضِ دينَ محمدٍ وقد أدبرُوا وارتابَ كلُّ مُضَلَّلٍ
فما زالَ حتَّى قَوْمَ الدِّينِ سَيْفُهُ وعَزَّ بِحَزْمٍ كُلِّ قَرْمٍ مُحَجَّلٍ
وغادرَ أهلَ الشَّكِّ شَتَّى ، فمِنْهُمْ قَبِيلٌ وناجٍ فوقَ أَجْرَدَ هَيْكَلٍ
نَجَا من رماحِ القومِ قُدْماً وقد بَدَا تَبَاشِيرُهُ في العارِضِ الْمُتَهَلِّلِ

قال عاصم : يعني بهذا المَذْح محمد بن مروان لما قَتَلَ مُصْعَب بن الزُّبَيْر بِذِي الْجَائِلِيَّ¹ .
وكان محمد بن مروان يقوم بأمره ، ويؤكِّيه الأعمال ، ويشفَع له إلى أخيه عبد الملك .

[لامه ابن عم له في تبذيره]

أخبرني محمد بن خلفٍ قال حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بن الهيثم قال حَدَّثَنَا العُمَرِيُّ عن عطاء بن مُصْعَب
عن عاصم بن الحَدَّثَان قال : قال عبد الله بن الحَشْرَج لابن عمٍّ له لامه في إتهاب ماله وتبذيره
إِيَّاه ، وقال له فيما يقول : امرأتك كانت أعلم بك ، نصحتك فكافأتها بالطلاق . فقال له : يا
ابن عمٍّ ، إن المرأة لم تَخْلُقْ للمَشُورَةِ ، وإنما خُلِقَتْ وِثْراً للباءة² . ووالله إن الرُّشْدَ واليُمْنَ لفي
خِلافِ المرأة . يا ابن عمٍّ ، إِيَّاكَ واستماعَ كلامِ النساءِ والأخذَ به ؛ فإنك إن أخذتَ به
نَدِمْتَ . فقال له ابن عمّه : والله لَيُوشِكَنَّ أن تحتاج يوماً إلى بعض ما ألفتَ فلا تَقْدِرَ عليه ولا
يُخْلِفُهُ عليك هُنَّ وهُنَّ³ . فقال ابن الحَشْرَج :

[من الطويل]

وعاذِلِي هَبَّتْ بَلِيلٌ تَلُومُنِي وتَعَذَّلْنِي فيما أُفِيدُ وأُتْلَفُ
تَلُومَتُهَا حتَّى إذا هي أَكْثَرُ أُنَيْتُ الذي كانت لَدَيَّ تَوَكَّفُ⁴
وقلتُ عليكِ الفَجَّ أَكْثَرُ في النَّدَى ومِثْلِي تَحَامَاهُ الأَلَدُ المُغْطَرُ⁵
أَبِي لِي ما قد سَمَّيْتَنِي غيرُ واحدٍ أبٌ وجُدودٌ مَجْدُها ليس يُوصَفُ
كُهولٌ وشَبَّانٌ مَضُونا لِسَبِيلِهِمْ إذا ذَكِرُوا فالعينُ مِنِّي تَذْرِفُ
هُمُ الغَيْثُ إن ضَنْتُ سماءَ بَقَطْرِها وعندهمُ يرجو الحَيَا مُتَلَهِّفُ
وحَرْبٍ يخافُ النَّاسُ شِدَّةَ عَرِّها تَظَلُّ بأنواعِ المَيِّتَةِ تَصْرِفُ⁶

1 دير الجائليق : كان قرب بغداد ، غربي دجلة بين السَّواد وأرض تكريت .

2 الوِثْر : الفراش الوطِيء .

3 هن : كناية عن اسم الإنسان ، أي فلان وفلان .

4 تلومتها : أمهلتها . توكَّف : توقَّع .

5 المغطرف : المتكبر المختال .

6 العر : الشر والأذى . تصرف : تصوَّت .

حَمَوْهَا وَقَامُوا بِالسُّيُوفِ لِحَمِيهَا
فَلَمَّا أَبَتْ إِلَّا طِمَاحاً تَنَمَّرُوا
فَذَلَّتْ وَأَعْطَتْ بِالْقِيَادِ وَأَذَعَتْ
وَكَانَتْ طَمُوحَ الرَّأْسِ يَصْرِفُ نَابُهَا
[فَلَمَّا امْتَرَيْنَا بِالسُّيُوفِ خُلُوفَهَا
فَذَرَّتْ طِبَاقاً وَارَعَتْ بَعْدَ جَهْلِهَا

[ولامه ابن زوي في تبذيره]

قال : وقال عبد الله بن الحشرج لرفاعة بن زوي النهدي فيما كان يلومُه فيه من التبذير والجود :

[من الطويل]

أَلَا أَمْ عَلَى جُودِي وَمَا خِلْتُ أَنَّنِي
فِيَا لَأَيْمِي فِي الْجُودِ أَقْصِرُ فَإِنِّي
وَجَدْتُ الْفَتَى يَفْنَى وَتَبْقَى فَعَالُهُ
وَأَنِّي وَبِاللَّهِ احْتِيَالِي وَحِرْفَتِي
أَرَى حَقَّهُ فِي النَّاسِ مَا عِشْتُ وَاجِباً
وَصَاحِبِ صِدْقٍ كَانَ لِي فَفَقَدْتُهُ
يَلُومُ فَعَالِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
يُخَالِفُنِي فِي كُلِّ حَقٍّ وَبَاطِلٍ
فَلَمَّا تَمَادَى قُلْتُ غَيْرَ مُسَامِحٍ

[مدحه زياد الأعجم فوصله]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكي قال حدثنا ابن عائشة قال : وقد زياد الأعجم على عبد الله بن الحشرج الجعدي وهو بسابور⁶ أمير عليها ،

1 التعجرف : ركوب الأمر لا تروى فيه .

2 قفقف : ارتعد .

3 طباقاً : دفعات متوالية . الرمام : جمع رمة وهي قطعة يشد بها الأسير ويقلد بها البعير .

4 المائق : الأحمق .

5 العسيف : الأجير ، والعبد المستهان به .

6 سابور : كورة مشهورة بأرض فارس .

فَأَمْرُ بِإِنْزَالِهِ وَالطَّفَهُ وَبَعَثَ إِلَيْهِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ زِيَادٌ فَأَنْشَدَهُ : [من الكامل]

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرْوَةَ وَالنَّدَى فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشْرِجِ
مَلِكٌ أَغْرُ مُتَوَجِّحٌ ذُو نَائِلٍ لِلْمُعْتَفِينَ يَمِينُهُ لَمْ تَشْنَجِ¹
يَا خَيْرَ مَنْ صَعِدَ الْمُنَابِرَ بِالتُّقَى بَعْدَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الْمُتَحَرِّجِ
لَمَّا أَتَيْتُكَ رَاجِعاً لِنَوَالِكُمْ أَلْفَيْتُ بَابَ نَوَالِكُمْ لَمْ يُرْتَجِ

قال : فَأَمْرُ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ .

وقد قيل : إِنَّ الْأَبْيَاتَ الَّتِي ذَكَرْتُهَا فِيهَا الْغِنَاءُ وَنَسَبْتُهَا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَشْرِجِ لَغَيْرِهِ . وَالْقَوْلُ الْأَصَحُّ هُوَ الْأَوَّلُ . أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْبِزْزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْخَلِيلُ بْنُ أَسَدٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْكَلْبِيِّ : أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا بَاسِلٍ الطَّائِيَّ يُنْشِدُ هَذَا الشَّعْرَ ، فَقُلْتُ : مَنْ هُوَ ؟ فَقَالَ : لِعُمِّي عَنْتَرَةُ بْنُ الْأَخْرَسِ ؟ قَالَ : وَكَانَ جَدِّي أَخْرَسَ ، فَوُلِدَ لَهُ سَبْعَةٌ أَوْ ثَمَانِيَةٌ كُلُّهُمْ شَاعِرٌ أَوْ خَطِيبٌ . وَلَعَلَّ هَذَا مِنْ أَكَاذِيبِ ابْنِ الْكَلْبِيِّ ، أَوْ حَكَاهُ عَنْ رَجُلٍ ادَّعَى فِيهِ مَا لَا يَعْلَمُ .

صوت

[من الطويل]

أَصَاحَ أَلَا هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى نَجْدٍ وَرِيحِ الْخُرَامِيِّ غَضَّةً مِنْ ثَرَى جَعْدٍ
وَهَلْ لِّلْيَالِينَا بِذِي الرَّمْثِ مَرْجِعٌ فَتَشْفِي جَوَى الْأَحْزَانِ مِنْ لَاعِجِ الْوَجْدِ²
عَرُوضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . الشَّعْرُ لِلطَّرِمَاحِ بْنِ حَكِيمٍ . وَالْغِنَاءُ لِيَحْيَى الْمَكِّيِّ ، ثَقِيلٌ أَوَّلٌ
بِالْبَنْصَرِ مِنْ كِتَابِهِ .

1 شَنَجَتْ يَدَهُ : تَقَبَّضَتْ ، كُنَايَةٌ عَنِ الْبَخْلِ .

2 ذُو الرَّمْثِ : وَادٍ لِبَنِي أَسَدٍ .

[199] - أخبار الطرمّاح ونسبه¹

[نسبه]

هو الطرمّاح بن حكيم بن الحَكَم بن نَفَر بن قَيْس بن جَحْدَر بن ثعلبة بن عبد رضا بن مالك بن أمان بن عمرو بن ربيعة بن جَرُول بن ثَعْلَ بن عمرو بن الغوث بن طييء . ويُكنى أبا نَفَر ، وأبا ضَبِينَة . والطرمّاح : الطويل القامة . وقيل : إنه [كان] يُلقَّب الطَّرّاح . أخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه قال : كان الطرمّاح بن حكيم يُلقَّب الطَّرّاح لقوله : [من الطويل]

[صوت]

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا ارتحِ بصُبحٍ وما الإصباحُ منك بأرواح²
بلى إنَّ للعَيْنين في الصُّبحِ راحةً بطَرْحِهما طَرْفِهما كلَّ مَطْرَح³

في هذين البيتين لأحمد بن المكيّ ثَقِيلُ أولُ بالوسطى من كتابه .

والطرمّاح من فُحول الشعراء الإسلاميين وفُصحائهم . ومنشؤه بالشام ، وانتقل إلى الكوفة بعد ذلك مع مَنْ وَرَدَها من جيوش أهل الشام ، واعتقد مذهب الشُّرّة الأزارقة . [كيف دخل في مذهب الشُّرّة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شُبّة عن المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ قال : قدِم الطرمّاح بن حكيم الكوفة ، فنزل في تيم اللات بن ثعلبة ، وكان فيهم شيخ من الشُّرّة له سَمَتٌ وهَيْعة ، وكان الطرمّاح يُجالسه ويسمع منه ، فرسخ كلامه في قلبه ، ودعاه الشيخ إلى مذهبه ، فقبله واعتقده أشدَّ اعتقادٍ وأصحَّه ، حتى مات عليه .

أخبرني ابن دُرَيْد قال حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال قال رؤبة : كان الطرمّاح والكُميت بصيرانٍ إليّ فيسألاني عن الغريب فأخبرهما به ، فأراه بعدُ في أشعارهما . [غريب شعره]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال سمعت محمد بن حبيب يقول : سألت ابن الأعرابيّ

1 انظر أخباره في الاشتقاق : 234 والمؤتلف : 148 والعيني 2 : 276-278 وفي مقدمة ديوانه تحقيق عزة حسن : 7-12 ، وجمهرة أنساب العرب : 402-403 .

2 ألا ارتح في الديوان 96 : ألا اصبحي . وبصبح في الديوان 96 : بيم ، ويم : مدينة بكرمان .

3 بلى إن في الديوان 96 : على أن .

عن ثمانين عشرة مسألة كلها من غريب شعر الطرمّاح ، فلم يعرف منها واحدة ، يقول في جميعها : لا أدري ، لا أدري .

[صدقة الطرمّاح والكميت]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب قال حدثنا ابن قتيبة ، قالا : كان الكميت بن زيد صديقاً للطرمّاح ، لا يكادان يفترقان في حال من أحوالهما . فقيل للكميت : لا شيء أعجب من صفاء ما بينك وبين الطرمّاح على تباعد ما يجمعكما من النسب والمذهب والبلد : هو شاميّ فحطاني شاريّ ، وأنت كوفيّ زاربيّ شيعيّ ، فكيف اتّفقتما مع تباين المذهب وشدة العصبية ؟ فقال : اتّفقتما على بغض العامة .

قال : وأنشد الكميت قول الطرمّاح :

إذا قُبِضَتْ نفسُ الطرمّاحِ أخلقتُ عرى المجدِ واسترختي عنانُ القصائدِ

فقال : إي والله ، وعنان الخطابة والرواية والفصاحة والشجاعة . وقال عمر بن شبة : «والسماحة» مكان «الشجاعة» .

[وفد على مخلد بن زياد ومعه الكميت]

نسختُ من كتاب جدّي لأمي يحيى بن محمد بن ثوبة ، رحمه الله تعالى ، بخطه قال حدثني الحسن بن سعيد عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال : وقد الطرمّاح بن حكيم والكميت بن زيد على مخلد بن يزيد المهلبيّ ، فجلس لهما ودعاهما . فتقدم الطرمّاح لينشد ؛ فقال له : أنشدنا قائماً . فقال : كلاً والله ، ما قدرُ الشعر أن أقوم له فيحطّ مني ببقامي وأخطّ منه بضراعتي ، وهو عمود الفخر وبيت الذكر لآثر العرب . قيل له : فتَنحّ . ودُعِيَ بالكميت فأنشد قائماً ، فأمر له بخمسين ألف درهم . فلما خرج الكميت شاطرهما الطرمّاح ، وقال له : أنت أبا ضبيّنة أبعدُ همةً وأنا ألطفُ حيلةً . وكان الطرمّاح يُكنى أبا نفرٍ وأبا ضبيّنة .

[هو والكميت وذو الرمة في مسجد الكوفة]

ونسختُ من كتابه رضي الله عنه : أخبرني الحسن بن سعيد قال أخبرني ابن علاّق قال أخبرني شيخُ لنا أن خالد بن كلثوم أخبره قال : بينا أنا في مسجد الكوفة أريد الطرمّاح والكميت وهما جالسان بقرب باب¹ الفيل ، إذ رأيتُ أعرابياً قد جاء يسحب أهداماً² له ، حتى إذا توسّط المسجد خرّ ساجداً ، ثم رمى بيصره فرأى الكميت والطرمّاح فقصدتهما .

1 باب الفيل : موضع بالكوفة .

2 الأهدام : جمع هدم وهو الثوب البالي المرقع .

فقلتُ : مَنْ هذا الحائن¹ الذي وقع بين هذين الأسدين ! وعَجِبْتُ من سجدته في غير موضع سُجود وغير وقت صلاة . فقصدته ، ثم سلّمت عليهم ثم جلست أمامهم . فالتفت إلى الكُميت فقال : أسمعني شيئاً يا أبا المُستهلّ ؛ فأنشده قوله : [من المتقارب]

أبت هذه النفسُ إلّا أدّكاراً

حتى أتى على آخرها . فقال له : أحسنت والله يا أبا المستهلّ في ترقيص هذه القوافي ونظم عَقْدِها . ثم التفت إلى الطرمّاح فقال : أسمعني شيئاً يا أبا ضَبِينَة ، فأنشده كلمته التي يقول فيها :

أساءك تقويضُ الخليطِ المبينِ نعم والنوى قطّاعةً للقرائن²

فقال : لله درُّ هذا الكلام ! ما أحسنَ إجابته لِرَوَيْتِكَ ! إِنْ كِدْتُ لأُطِيلُ لك حسداً . ثم قال الأعرابي : والله لقد قلتُ بعدك ثلثة أشعار ، أمّا أحدها فكِدْتُ أُطيرُ به في السماء فرحاً . وأمّا الثاني فكِدْتُ أدّعي به الخلافة . وأمّا الثالث فرأيت رقصاناً استقرّني به الجدَلُ حتى أتيتُ عليه . قالوا : فهات ؛ فأنشدهم [قوله] :

إِنْ تَوَهَّمْتَ مِنْ خِرْقَاءِ مَنْزِلَةٍ ماء الصَّبَابَةِ من عينيك مسجون³

حتى إذا بلغ قوله :

تَنْجُو إِذَا جَعَلْتَ تَدْمَى أُحِشْتُهَا وَابْتَلَّ بِالزَّبْدِ الْجَعْدِ الْخَرَّاطِيمُ⁴

قال : أعلمتم أنّي في طلب هذا البيت منذ سنة ، فما ظفّرتُ به إلّا آتِفاً ، وأُحْسِيكم قد رأيتم السجدة له . ثم أسمعهم قوله :

ما بالُ عينك منها الماءُ يَنْسَكِبُ

ثم أنشدهم كلمته الأخرى التي يقول فيها :

إِذَا اللَّيْلُ عَنْ نَشْرِ تَجَلَّى رَمَيْنُهُ بِأَمْثَالِ أَبْصَارِ النِّسَاءِ الْفَوَارِكِ

قال : فضرب الكُميت بيده على صدر الطرمّاح ، ثم قال : هذه والله الدِّبَاجُ لا نَسْجِي ونسجك الكرابيس⁵ . فقال الطرمّاح : لن أقول ذلك وإن أقررتُ بجودته . فغضب ذو الرُّمة

1 الحائن : الهالك ، وكل ما لم يوفق للرشاد فهو حائن .

2 التقويض : نزع القوم أعواد خيامهم وأطنابها . والخليط هنا : القوم الذين أمرهم واحد .

3 مسجون : مصبوب .

4 تنجو : تسرع . والأخشة : جمه خيشاش وهو الحلقة التي توضع في أنف البعير ليجذب بها . والجعد من الزبد : الثخين الغليظ .

5 الكرابيس : جمع كرباس وهو ثوب غليظ من القطن .

وقال : يا طرِمَاح ! أَأَنْتَ تُحَسِّنُ أَنْ تَقُولَ :

وَكَاثِنٌ تَخَطَّطَتْ نَاقَتِي مِنْ مَفَازَةٍ إِلَيْكَ وَمِنْ أَحْوَاضِ مَاءٍ مُسَدَّمٍ¹
بِأَعْقَارِهِ الْقِرْدَانُ هَزَلَى كَانَتْهَا نَوَادِرُ صَيْصَاءِ الْمُهَيْدِ الْمُحَطَّمِ²

فَأَصْغَى الطَّرِمَاحُ إِلَى الْكَمِيتِ وَقَالَ لَهُ : فَانْظُرْ مَا أَخَذَ مِنْ ثَوَابِ هَذَا الشَّعْرِ ؛ قَالَ : وَهَذِهِ قَصِيدَةٌ مَدَحَ بِهَا ذُو الرُّمَّةَ عَبْدَ الْمَلِكِ ، فَلَمْ يَمْدَحْهُ فِيهَا وَلَا ذَكَرَهُ إِلَّا بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، وَسَائِرُهَا فِي نَاقَتِهِ . فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِهَا أَنْشَدَهُ إِيَّاهَا . فَقَالَ لَهُ : مَا مَدَحْتَ بِهِذِهِ الْقَصِيدَةَ إِلَّا نَاقَتَكَ ، فَخُذْ مِنْهَا الثَّوَابَ . وَكَانَ ذُو الرُّمَّةَ غَيْرَ مُحْظُوظٍ مِنَ الْمَدِيحِ ، قَالَ : فَلَمْ يَفْهَمْ ذُو الرُّمَّةَ قَوْلَ الطَّرِمَاحِ لِلْكَمِيتِ . فَقَالَ لَهُ الْكَمِيتُ : إِنَّهُ ذُو الرُّمَّةَ وَلَهُ فَضْلُهُ ، فَأَعْتَبْتِهِ³ . فَقَالَ لَهُ الطَّرِمَاحُ : مَعْدَرَةٌ إِلَيْكَ ؛ إِنَّ عَيْنَانَ الشَّعْرِ لَفِي كَفِّكَ ، فَارْجِعْ مُعْتَبَأً ، وَأَقُولُ فِيكَ كَمَا قَالَ أَبُو الْمُسْتَهْلِ .

[مَرَّ الطَّرِمَاحُ بِمَسْجِدِ الْبَصْرَةِ فَسَأَلَ عَنْهُ رَجُلٌ فَأَنْشَدَ هُوَ شِعْرًا]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيلٍ الْعَنْزِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبَّادٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِيُّ قَالَ : مَرَّ الطَّرِمَاحُ بِحَكِيمٍ فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ وَهُوَ يَخْطُرُ فِي مَشْيَيْهِ . فَقَالَ رَجُلٌ : مَنْ هَذَا الْخَطَّارُ ؟ فَسَمِعَهُ فَقَالَ : أَنَا الَّذِي أَقُولُ :

صوت

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنْتَنِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلٍ⁴
وَأَنْتَنِي شَقِيًّا بِاللُّثَامِ وَلَا تَرَى شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ
إِذَا مَا رَأَيْتُ قَطَعَ اللَّحْظَ بَيْنَهُ وَبَيْنِي فَعَلَ الْعَارِفُ الْمُتَجَاهِلِ
مَلَأْتُ عَلَيْهِ الْأَرْضَ حَتَّى كَانَتْهَا مِنَ الضِّيقِ فِي عَيْنَيْهِ كِفَّةٌ حَابِلٍ⁵

فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ لِأَبِي الْعَنْبَسِ بْنِ حَمْدُونَ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْبَنْصَرِ .

[قَصَّتْهُ مَعَ خَالِدِ الْقَسْرِيِّ حِينَ وَفَدَ عَلَيْهِ بِمَدَحٍ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَعْبٌ قَالَ أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُجَمِّعٍ قَالَ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ

- 1 الماء المسدَّم : المتغير لطول العهد .
- 2 الأعقار : جمع عقر . وعقر الحوض : مؤخره حيث تقف الإبل إذا وردت . والأعطان : مبارك الإبل . والهبيد : حب الحنظل . والصيصاء : الضاوي الهزيل منه .
- 3 أعتبه : أرضاه وأزال عتبه .
- 4 رجل غير طائل : أي دون خسيس .
- 5 كفة الصائد : حبالته ، أي مصيدته .

أخبرنا ابن أبي العَمَرَةَ الكِنْدِيّ قال : مدح الطرمّاح خالد بن عبد الله القسريّ ، فأقبل على العُريان¹ بن الهيثم فقال : إني قد مدحتُ الأمير فأحبّ أن تُدخِلَنِي عليه . قال : فدخِلَ إليه فقال له : إنّ الطرمّاح قد مدحك وقال فيك قولاً حسناً . فقال : ما لي في الشعر من حاجة . فقال العُريان للطرمّاح : تراء له . فخرج معه ، فلمّا جاوز دار زيادٍ وصعد المُسنّة² إذا شيء قد ارتفع له ، فقال : يا عُريان انظر ، ما هذا ؟ فنظر ثم رجع فقال : أصلح الله الأمير ، هذا شيء بعث به إليك عبد الله بن أبي موسى من سجستان ؛ فإذا حُمُرٌ وبغالٌ ورجالٌ وصبيانٌ ونساء . فقال : يا عريان ، أين طرمّاحك هذا ؟ قال : هاهنا . قال : أعطه كلّ ما قدّم به . فرجع إلى الكوفة بما شاء ولم يُنشِده . قال هشام : والطرمّاح : الطويل .

[سمع بيتاً لكثير في عبد الملك فقال لم يمدحه بل موّه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا أبو حاتم قال حدّثني الحَجَّاجِيّ قال : بلغني أنّ الطرمّاح جلس في حلقةٍ فيها رجلٌ من بني عَبَس ، فأنشد العَبْسِيّ قول كثيرٍ في عبد الملك رحمه الله :

فَكَنتَ الْمُعَلَّى إِذْ أُجِيلَتْ قِداحُهُمْ وَجَالِ الْمَنِيعُ وَسَطَهَا يَتَقَلَّلُ³
فقال الطرمّاح : أما إنّ ما أراد به أنّه أعلامهم كعباً ، ولكنّه موّه عليه في الظاهر وعنى في الباطن أنّه السابع من الخلفاء الذين كان كثيرٌ لا يقول بإمامتهم ؛ لأنّه أخرج عليّاً عليه السلام منهم ، فإذا أخرجه كان عبد الملك السابع ، وكذلك المُعلّى السابع من القِداح ؛ فلذلك قال ما قاله . وقد ذكر ذلك في موضع آخر فقال :

وَكَانَ الْخَلَائِفُ بَعْدَ الرَّسُو لِ اللَّهِ كُلُّهُمْ تَابِعَا
شَهِيدَانِ مِنْ بَعْدِ صِدِّيقِهِمْ وَكَانَ ابْنُ حَرْبٍ لَهُمْ رَابِعَا
وَكَانَ ابْنُهُ بَعْدَهُ خَامِسَا مُطِيعَا لِمَنْ قَبْلَهُ سَامِعَا
وَمَرْوَانُ سَادِسُ مَنْ قَدْ مَضَى وَكَانَ ابْنُهُ بَعْدَهُ سَابِعَا

قال : فعجّنا من تنبّه الطرمّاح لمعنى قول كثيرٍ ، وقد ذهب على عبد الملك فظنّه مدحاً .

[فضله أبو عبيدة والأصمعيّ بيتين له]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غَسَّان دَمَاز قال : كان أبو عبيدة والأصمعيّ

- 1 كان العريان بن الهيثم بن الأسود النخعيّ أحد أشراف العراق المقدمين حين كان خالد القسريّ أميراً على العراق .
- 2 المسنة : الأحباس تبنى في وجه السيل .
- 3 المعلّى من القداح ، له أكبر نصيب من أنصبة قداح الميسر ، وهي عشرة . والمنيع : قدح منها لا نصيب له .

يفضِّلَان الطَّرِمَاحَ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، وَيَزْعُمَانِ أَنَّهُ فِيهِمَا أَشْعَرُ الْخَلْقِ : [من الكامل]

مُجْتَابُ حُلَّةٍ بُرْجَدٍ لِسَرَاتِهِ قَدَدَا وَأَخْلَفَ مَا سِوَاهِ الْبُرْجَدِ¹
يَبْدُو وَتُضْمِرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ سَيْفٌ عَلَى شَرْفٍ يُسَلُّ وَيُغْمَدُ

[أثنى أبو نواس على بيت له]

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُرَاعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا دَمَازُ قَالَ قَالَ أَبُو نَوَاسٍ : أَشْعَرُ بَيْتٍ قِيلَ بَيْتُ
الطَّرِمَاحِ : [من الطويل]

إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُ الطَّرِمَاحِ أَخْلَقَتْ عُرَى الْمَجْدِ وَاسْتَرْخَى عِنَانُ الْقَصَائِدِ
[مناقضة بينه وبين حميد الشكري]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : فَضَّلَ الطَّرِمَاحُ بَنِي شَمْخٍ²
فِي شَعْرِهِ عَلَى بَنِي يَشْكُرَ ؛ فَقَالَ حُمَيْدُ الْيَشْكِرِيِّ : [من الوافر]

أَتَجْعَلُنَا إِلَى شَمْخٍ بَنِ جَرْمٍ وَنَبْهَانٍ فَأَفْ لَذَا زَمَانَا
وَيَوْمَ الطَّالِقَانِ حَمَاكَ قَوْمِي وَلَمْ تَخْضِبْ بِهَا طِيَّ سِنَانَا³
فَقَالَ الطَّرِمَاحُ يُجِيبُهُ :

لَقَدْ عَلِمَ الْمُعَذَّلُ يَوْمَ يَدْعُو بِرِمَّةٍ يَوْمَ رِمَّةٍ إِذْ دَعَانَا⁴
فَوَارِسُ طِيٍّ مَنَعُوهُ لَمَّا بَكَى جَزَعًا وَلَوْلَاهُمْ لَحَانَا⁵
فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي يَشْكُرَ :

لَأَقْضِيَنَّ قَضَاءَ غَيْرِ ذِي جَنْفٍ بِالْحَقِّ بَيْنَ حُمَيْدٍ وَالطَّرِمَاحِ
جَرَى الطَّرِمَاحُ حَتَّى دَقَّ مِسْحَلُهُ وَغَوَدَرَ الْعَبْدُ مَقْرُونًا بَوْضَاحٍ⁶
يَعْنِي رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ كَانَ يُهَاجِي الْيَشْكِرِيَّ .

[شعر له في الشراة]

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ قَالَ حَدَّثَنَا الرَّيَاشِيُّ قَالَ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ خَلَفٌ : كَانَ

- 1 مجتاب حلة : لابسها . والسراة : الظهر . والبرجد : كساء من صوف أحمر وقيل كساء مخطط ضخم .
والقدد جمع قدة وهي القطعة من الشيء .
- 2 شمش ابن جرم ونبهان : بطنان من طيء .
- 3 الطالقان : اسم بلدين ، إحداهما بخراسان بين مرو والروذ وبلخ ، والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأبهر .
- 4 رمة : ماء ونخل لبني ربيعة باليمامة .
- 5 حان : هلك .
- 6 المسحل : اللجام .

الطَّرْمَاح يَرى رَأْيَ الشُّرَاةِ ، ثُمَّ أَنشَدَ لَهُ : [من المنسرح]

لِلّهِ دُرُّ الشُّرَاةِ إِنْتَهُمُ إِذَا الْكَرَى مَالَ بِالطَّلَى أَرْقُوا¹
يُرْجَعُونَ الْحَزِينَ آوِنَةً وَإِنْ عَلَا سَاعَةً بِهِمْ شَهَقُوا
خَوْفًا تَبَيَّتْ الْقُلُوبُ وَاجِفَةً تَكَادُ عَنْهَا الصُّدُورُ تَنْفَلِقُ
كَيْفَ أَرْجِي الْحَيَاةَ بَعْدَهُمْ وَقَدْ مَضَى مُؤْنَسِيٌّ فَاَنْطَلَقُوا
قَوْمٌ شِيحَاحٌ عَلَى اعْتِقَادِهِمْ بِالْفَوْزِ مِمَّا يُخَافُ قَدْ وَثَقُوا

[أنشد خالدًا القسريَّ شعراً في الشكوى فأجازه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو عثمان عن التَّوْزِيَّ عن أبي عبيدة عن
يونس قال : دخل الطَّرْمَاح على عبد الله الْقَسْرِيِّ فأنشده قوله : [من الطويل]

وَشَيَّبَنِي مَا لَا أَرَا مُنَاهِضًا بَغِيرَ غِنَى أَسْمُو بِهِ وَأَبُوعُ²
وَأَنَّ رَجَالَ الْمَالِ أَضْحَوْا وَمَالَهُمْ لَهُمْ عِنْدَ أَبْوَابِ الْمُلُوكِ شَفِيعُ
أُمُخْتَرَمِي رَبِّبُ الْمُنُونِ وَلَمْ أَنْلُ مِنْ الْمَالِ مَا أُعْصِي بِهِ وَأُطِيعُ
فَأَمَرَ لَهُ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَقَالَ : امْضِ الْآنَ فَاعْصِرْ بِهَا وَأَطِيعْ .

[قال المفضل : كأنه يوحى إليه ، في الهجاء]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حَدَّثَنَا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حَدَّثَنَا حُذَيْفَةُ بن
محمد الكوفيّ قال قال الْمُفَضَّلُ : إِذَا رَكِبَ الطَّرْمَاحُ الْهَجَاءَ فَكَأَنَّمَا يُوحَى إِلَيْهِ ، ثُمَّ أَنشَدَ لَهُ
قوله : [من البسيط]

لَوْ حَانَ وَرْدُ تَمِيمٍ ثُمَّ قِيلَ لَهَا حَوْضُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الْأَزْدُ لَمْ تَرِدِ
أَوْ أُنْزِلَ اللَّهُ وَحِيًّا أَنْ يُعَذِّبَهَا إِنْ لَمْ تَعُدْ لِقِتَالِ الْأَزْدِ لَمْ تَعُدِ
لَا عَزَّ نَصْرُ امْرِئٍ أَضْحَى لَهُ فَرَسٌ عَلَى تَمِيمٍ يُرِيدُ النَّصْرَ مِنْ أَحَدٍ
لَوْ كَانَ يَخْفَى عَلَى الرَّحْمَنِ خَافِيَةٌ مِنْ خَلْقِهِ خَفِيتَ عَنْهُ بَنُو أَسَدٍ

[افتقده بعض صحبه فلم يرعههم إلا نعه]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال أخبرنا عُمَرُ بن شُبَّة قال حَدَّثَنِي المِدَائِنِيُّ قال حَدَّثَنِي ابْنُ
دَأْبٍ عن ابن شُبْرَمَةَ ، وَأَخْبَرَنِي محمد بن القاسم الأَنْبَارِيُّ قال أَخْبَرَنِي أَبِي قال حَدَّثَنِي

1 الطَّلَى : الأعناق ، واحد طَلِيَّة .

2 في الديوان 314 : «أَنْ لَا أَرَا» . أَبُوع : يَوع : يَمْدَ بَاعَه .

الحسن بن عبد الرحمن الرُّبَيعي قال حَدَّثَنِي محمد بن عمران قال حَدَّثَنِي إبراهيم بن سَوَّار الضَّبِّي قال حَدَّثَنِي محمد بن زياد القُرشي عن ابن شُبْرُمَةَ قال : كان الطَّرِمَاح لنا جليساً فَفَقَدْنَاهُ أَيَّاماً كَثِيرَةً ، فَقُمْنَا بِأَجْمَعِنَا لِنَنْظُرَ مَا فَعَلَ وما دَهاهُ . فَلَمَّا كُنَّا قَرِيباً مِنْ مَنْزِلِهِ إِذَا نَحْنُ بِنَعَشٍ عَلَيْهِ مُطَرَفٌ أَخْضَرٌ ، فَقُلْنَا : لِمَنْ هَذَا النَعَش ؟ فَقِيلَ : هَذَا نَعَشُ الطَّرِمَاح . فَقُلْنَا : وَاللَّهِ مَا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ حَيْثُ يَقُول :

[من الطويل]

وَأَنِّي لَمُقْتَادٌ جَوَادِي وَقَاذِفٌ	به وَبَنَفْسِي الْعَامَ إِحْدَى الْمَقَاذِفِ
لَأَكْسِبَ مَالاً أَوْ أَوُولَ إِلَى غَنَى	مَنْ اللَّهُ يَكْفِينِي عِدَاتِ الْخَلَائِفِ
فَيَا رَبِّ إِنِّ حَانَتْ وَفَاتِي فَلَا تَكُنْ	عَلَى شَرْجَعٍ يُعْلَى بِخُضْرِ الْمَطَارِفِ ¹
وَلَكِنْ قَبْرِي بَطْنُ نَسْرِ مَقِيلُهُ	بِجَوِّ السَّمَاءِ فِي نُسُورٍ عَوَاكِفِ ²
وَأَمْسِي شَهِيداً ثَاوِيّاً فِي عِصَابَةِ	يُصَابُونَ فِي فَجٍّ مِنَ الْأَرْضِ خَائِفِ ³
فَوَارِسُ مَنْ شَيْبَانَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ	تَقَى اللَّهُ نَزَالُونَ عِنْدَ التَّرَاخِفِ
إِذَا فَارَقُوا دُنْيَاهُمْ فَارَقُوا الْأَذَى	وَصَارُوا إِلَى مِيعَادِ مَا فِي الْمَصَاحِفِ ⁴

صوت

[من البسيط]

هل بالذيَّارِ التي بالقاع منْ أَحَدٍ باقٍ فَيَسْمَعُ صَوْتَ الْمُدْلِجِ السَّارِي

تلك المنازلِ من صفراءِ ليس بها حيٌّ يُجِيبُ وَلَا أَصَوَاتُ سُمَارٍ

الشعر لبيَّهَسِ الجَرْمِيِّ . والغناء لابن محرز ثاني ثَقِيلٍ بِالْبِنْصَرِ ، عن عمرو وقال : ذكر ذلك يحيى المكي ، وأظنه من المنحول . وفيه لطِيبٌ بن إبراهيم الموصلي خفيفٌ ثَقِيلٌ ، وهو مأخوذ من لحن ابن صاحبِ الوُضُوءِ :

ارْفَعْ ضَعِيفَكَ لَا يَحْزُبْ بِكَ ضَعْفُهُ

1 شرح : النعش . بخضر في الديوان 333 : بدكن .

2 ولكن قبري في الديوان 336 : ويصبح قبري .

3 الشطر الأول من البيت في الديوان 334 : «ولكن أجن يومي شهيداً وعصبته» .

4 في الديوان 334 : موعود .

[200] - أخبار يهس ونسبه

[نسبه]

هو يهس بن صُهَيْب بن عامر بن عبد الله بن ناتل بن مالك بن عُبَيْد بن عُلْقَمَة بن سَعْد بن كَثِير بن غَالِب بن عَدِيّ بن سُمَيْس بن طُرُود بن قُدَامَة بن جَرْم بن رَبَّان بن حُلُوان بن عِمْران بن إلخاف بن قُضَاعَة ، شاعرٌ فارسٌ من شعراء الدولة الأموية . وكان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جرْم وكَلْب وعُدْرَة ، ويحضر إذا حضرُوا فيكون بأجناد الشام .

[أثم يقتل غلام من قيس فاستجار بمحمد بن مروان]

قال أبو عمرو الشيباني : لما هدأت الفتنة بعد وقعة مرج [راهط] وسكن الناس ، مرَّ غلامٌ من قيس بطوائف من جرْم وعُدْرَة وكَلْب ، وكانوا متجاوزين على ماء هناك لهم . فيقال : إن بعض أحداثهم نخس به ناقتة فألقته ، فاندقت عنقه فمات . واستعدى قومه عبد الملك بن مروان ، فبعث إلى تلك البطون من جاءه بوجوههم وذوي الأخطار منهم ، فهرَّب يهس بن صُهَيْب الجرْمِي ، وكان قد اتهم بأنّه هو الذي نخس به ، فنزل بمحمد بن مروان واستجار به ، فأجاره إلّا من حدّ توجبه عليه شهادة ، فرضي بذلك .

صوت

[من الطويل]

فإنسي إلى أصواتكُنَّ حَرِينُ	ألا يا حمامات اللوى عُدْنَ عودَة
وكذتُ بأسراري لهنَّ أَيْنُ	فعدنَ فلما عدنَ كِدْنَ يُمتنني
شربنَ حُميّا أو بهنَّ جُنُونُ	دَعَوْنَ بأصواتِ الهديلِ كأنما
بَكَيْنَ ولم تَدْمَعْ لهنَّ شوُونُ	فلَمْ تَرَ عيني مثلهنَّ حماماً

الشعر لأعرابي ، هكذا أنشدناه جعفر بن قدامة عن أحمد بن حمدون عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل . والغناء لمحمد بن الحارث بن بُسَخْر خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشامي . وقد قيل : إن الشعر لابن الدُمينة .

[201] - أخبار محمد بن الحارث بن بسخر

[نسبه وبعض أخباره]

هو محمد بن الحارث بن بسخر ، ويكنى أبا جعفر . وهم ، فيما يزعمون ، موالى المنصور . وأحسبه ولاء خذمة لا ولاء عتق . وأصلهم من الرّي . وكان محمد يزعم أنه من ولد بهرام جوين¹ . وولد محمد بالحيرة . وكان يغني مرتجلاً ، إلا أن أصل ما غنى عليه المعزفة ، وكانت تحمّل معه إلى دار الخليفة . فمرّ غلامه بها يوماً ، فقال قوم كانوا جلوساً على الطريق : مع هذا الغلام مصيدة الفأر ، وقال بعضهم : لا ، بل هي معزفة محمد بن الحارث . فحلف يومئذ بالطلاق والعِتاق ألا يغني بمعزفة أبداً أنفة من أن تشبه آلة يغني بها بمصيدة الفأر . وكان محمد أحسن خلق الله تعالى أداءً وأسرعهم أخذاً للغناء . وكان لأبيه الحارث بن بسخر جوار مُحسِنات . وكان إسحاق يرضاهنّ ويأمرهنّ أن يطرحن على جواريه . وقال يوماً للمأمون وقد غنى مخارق بين يديه صوتاً فالتأت² غناؤه فيه وجاء به مضطرباً ، فقال إسحاق للمأمون : يا أمير المؤمنين ، إن مخارقاً قد أعجبه صوته وساء اداؤه في غنائه ، فمرّه بملازمة جوّاري الحارث بن بسخر حتى يعود إلى ما تريد .

[هو أفضل من أخذ عن إسحاق أصواتاً]

أخبرني جحظة قال حدثني أبو عبد الله الهشامي قال : سمعتُ إسحاق³ بن إبراهيم بن مُصعب يقول للوائق : قال لي إسحاق بن إبراهيم الموصلي : ما قدر أحد قط أن يأخذ مني صوتاً مستويّاً إلا محمد بن الحارث بن بسخر ؛ فإنه أخذ مني عدّة أصوات كما أغنيها . ثم لم نلبث أن دخل علينا محمد بن الحارث . فقال له الواثق : حدثني إسحاق بن إبراهيم عن إسحاق الموصلي فيك بكذا وكذا . فقال : قد قال إسحاق ذاك لي مرّات . فقال له الواثق : فأيّ شيء أخذت من صنعته أحسن عندك ؟ فقال : هو يزعم أنه لم يأخذ منه أحد قط هذا الصوت كما أخذته منه :

[من الطويل]

1 من ملوك الفرس في أواخر القرن السادس الميلادي .

2 التأت هنا : اختلط .

3 كان إسحاق حاكم بغداد في عهد المأمون والمعتصم والوائق .

صوت

إذا المرء قاسى الدهرَ وابيضَ رأسه وثُلِمَ تَلْيِمَ الإناءِ جَوَانِبُهُ
فليس له في العيش خيرٌ وإن بكى على العيشِ أو رَجَى الذي هو كاذِبُهُ

الشعر والغناء لإسحاق ، ولحنه فيه رَمَلٌ بالوسطى ، فأمره الواصل بأن يُغنيَه ، فغناه [إياه] وأحسنَ ما شاء وأجاد . واستحسنه الواصل وأمره بأن يُردِّده ، فردَّده مراراً كثيرةً ، حتى أخذه الواصل وأخذه جَوَارِيه والمُغَنُّون . قال جحظة قال الهشاميّ فحدثتُ بهذا الحديث عمرو بن بانه فقال : ما خلَقَ الله تعالى أحداً يُغني هذا الصوت كما يُغنيَه هبة الله بن إبراهيم بن المهدي . فقلت له : قد سمعتَ ابن إبراهيم يُغنيَه ، فاسمعه من محمد ثم احْكُم . فلَقَّيْنِي بعد ذلك فقال : الأمرُ كما قلت ، قد سمعته من محمد فسمعتُ منه الإحسان كله .

[ردد صوتاً لجارية كان يحبها]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال : كنت يوماً في منزلي ، فجاءني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَر مُسَلِّماً وعائداً من عِلَّةٍ كنتُ وجدتُها ؛ فسألته أن يُقيم عندي ففعل ، ودعوتُ بما حَضَرَ فأكلنا وشربنا ، وغنى محمد بن الحارث هذا الصوت : [من الطويل]

صوت

أمنَ ذِكْرِ خَوْدِ عَيْنِكَ اليومَ تَدْمَعُ وقلْبِكَ مشغولٌ بخَوْدِكَ مُوَلَعُ
وقائِلِي لي يومَ وَلَّيْتُ مُعْرِصاً أهذا فِرَاقُ الحُبِّ أم كيف تَصْنَعُ
فقلتُ كذاكِ الدهرُ يا خَوْدُ فاعلمي يُفَرِّقُ بين الناسِ طُرّاً وَيَجْمَعُ

أصل هذا الصوت يمانٍ هزج بالوسطى . قال الهشامي : وفيه لَفْلُيْحٌ ثاني ثَقِيلٌ ، ولإسحاق خفيف رملٍ . قال علي بن يحيى : فقلتُ له وقد ردَّد هذا الصوت مراراً وغناه أَشْجَى غِناءٍ : إنَّ لك في هذا الصوت معنى ، وقد كرَّرْتَه من غير أن يقترحه عليك أحد . فقال : نعم هذا صوتي على جارية من القيانِ كنتُ أُحِبُّها وأخذته منها . فقلت له : فلمَ لا تُواصلها ؟ فقال : [من السريع]

لو لمَ أَتُكَّها دام لي حُبُّها لكِنِّي نَكْتُ فلا نِكْتُ

فأجبتُه فقلت :

أكثرَ من نِكِّها والنِّيكُ مَقْطَعَةٌ فارُقْ بِنِكَكَ إنَّ الرُّفُقَ محمودُ

[أخذ جوارِي الواصل منه غناء أخذه من إسحاق]

وأخبرني جعفر بن قدامة عن علي بن يحيى أن إسحاق غنى بحضرة الواصل لحنه : [من الطويل]

ذَكَرْتُكَ إِذْ مَرَّتْ بِنَا أُمُّ شَادِنٍ أُمَامَ الْمَطَايَا تَشْرُبُ وَتَسْنَحُ¹
 مِنَ الْمُؤَلِّفَاتِ الرَّمْلَ أَدْمَاءُ حُرَّةً شَعَاعُ الضُّحَى فِي مَتْنِهَا يَتَوَضَّحُ²

والشعر لذي الرُّمة . ولحن إسحاق فيه ثقیلاً أَوَّلُ ، فأمره الوائق أن يُعيدَه على الجوّاري ، وأحلفَه بحياته أن ينصَح فيه . فقال : لا يستطيع الجوّاري أن يأخذَه مِنِّي ، ولكن يحضُر محمد بن الحارث فيأخذَه مِنِّي وتأخذَه الجوّاري منه ؛ [فأحضِر وألقاه عليه ، فأخذَه منه ، وأخذَه الجوّاري منه] .

أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل المعروف بوسوسة الموصلي قال حدثني حماد بن إسحاق قال : قال لي محمد بن الحارث بن بُسْخَر : أخذت جاريةً للوائق مِنِّي صوتاً أخذته من أبيك ، وهو :

صوت

أَصْبَحَ الشَّيْبُ فِي الْمَفَارِقِ شَاعَا وَاكْتَسَى الرَّأْسُ مِنْ مَشْيِبٍ قِنَاعَا
 وَتَوَلَّى الشَّبَابُ إِلَّا قَلِيلاً ثُمَّ يَأْبَى الْقَلِيلُ إِلَّا وَدَاعَا

الشعر والغناء لإسحاق ثقیلاً أَوَّلُ . قال : فسَمِعَه اللوائق منها ، فاستحسنه وقال لعلّويه ومُخَارِق : أتعرفانه ؟ فقال مخارق : أظنه لمحمد بن الحارث . فقال علّويه : هيهات ؛ ليس هذا ممّا يدخل في صنعة محمد ، هو يُشبه صنعة ذلك الشيطان إسحاق . فقال له اللوائق : ما أبعدت . ثم بعث إليّ فأخبرني بالقصة ؛ فقلت : صدّق علّويه يا أمير المؤمنين ، هذا لإسحاق ومنه أخذته .

[غَنَّت جارية صوتاً أخذته عنه فأكرمها]

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني عبد الله بن المعتز قال قال لي أحمد بن الحسين بن هشام : جاءني محمد بن الحارث بن بُسْخَر يوماً فقال لي : قُمْ حَتَّى أَطْفُلَ بِكَ عَلَى صَدِيقٍ لِي حُرٌّ ، وله جارية أحسنُ خلق الله تعالى وجهاً وغناءً . فقلتُ له : أنت طُفْلِي وتُطْفِلُ بي ؟ هذه والله أخسُّ حال . فقال لي : دَعِ المَجُونِ وقم بنا ؛ فهو مكانٌ لا يستحي حُرٌّ أن يتطفّل عليه . فقمتُ معه ، فقصد بي دار رجل من فتيان أهل «سُرٍّ مَنْ رَأَى» كان لي صديقاً يُكْنَى أبا صالح ، وقد غُيِّرَت كنيته على سبيل اللقب فكُنِيَ أبا الصالحات ، وكان ظريفاً حسنَ المروءة ، [يضرب بالعود على مذهب الفُرس ضرباً حسناً] ، وله رِزْقٌ سَنِيٌّ فِي المَوَالِي ، وكان من أولادهم ، ولم يكن منزله يخلو من طعامٍ كثيرٍ نظيفٍ لكثرة قَصْدِ أخواته منزله . فلَمَّا طَرَقَ بابُه قلتُ له : فَرَجَّتْ عَنِّي ،

1 أم شادن : طيبة . تسنح : تعرض لك أو تأتي عن شمالك . والمعنى الأول أولى هاهنا .

2 الأدم من الظباء : البيض تعلوهم جدد فيها غبرة .

[هذا صديقي] وأنا طُفَيْلٌ بنفسِي لا أحتاج أن أكون في شفاعة طفيلي¹. فدخلنا ، وقُدِّم إلينا طعامٌ عَتِيدٌ طَيِّبٌ نظيف فأكلنا ، واحضرنا النبيذ ، وخرجتْ جاريته إلينا من غير سِتارة ، فغَنَّتْ غناءً حسناً شَكِلاً ظريفاً ، ثم غَنَّتْ من صنعة محمد بن الحارث هذا الصوت وكانت قد أخذته عنه - وفيه أيضاً لحنٌ لإبراهيم ، والشعر لابن أبي عُيَيْنَةَ :

صوت

صَيَّعَتْ عَهْدَ قَتَى لِعَهْدِكَ حَافِظٍ فِي حَفْظِهِ عَجَبٌ وَفِي تَضْيِيعِكَ
إِنْ تَقْتُلِيهِ وَتَذْهَبِي بِفَوَائِدِهِ فَبِحُسْنِ وَجْهِكَ لَا بِحُسْنِ صَنِيعِكَ

فَطَرِبَ محمد بن الحارث ونَقَطَها بدنانير مُسَيِّفَةً¹ كانت معه في خريطته ، ووجَّه غلامه فجاءه بِبَرِّيَّةٍ غالية كبيرة ، فغَلَفَهَا² منها ووهَبَ لها الباقي . وكان لمحمد بن الحارث أخٌ طَيِّبٌ ظريف يُكنى أبا هارون ، فَطَرِبَ ونَعَرَ ونَحَرَ ، وقال لأخيه : أريد أن أقول لك شيئاً في السِّرِّ . قال : قُلْهُ عَلَانِيَةً . قال : لا يصلح . قال : والله ما بيني وبينك شيءٌ أبالي أن تقولَه جهراً ، فقله . فقال : أَشْتَهِي عِلْمَ اللَّهِ أَنْ تَسْأَلَ أبا الصَّالِحَاتِ أَنْ يَبَيِّنَ لِي ، فعسى صوتي أن يَنْفَتِحَ وَيَطِيبَ غِنَائِي . فضجِكَ أبو الصالحات وخجَلَتِ الجارية وغطَّتْ وجهها وقالت : سَخَنَتْ عَيْنُكَ ! فَإِنْ حَدِيثُكَ يَشْبِهُ وَجْهَكَ .

صوت

[من الطويل]

وَأَيُّ أَخٍ تَبْلُو فَتَحَمَدَ أَمْرَهُ إِذَا لَجَّ خَصَمٌ أَوْ نَبَا بِكَ مَنَزِلُ³
إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ
سَقَطَ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي يَمِينُكَ فَانْظُرْ أَيَّ كَفٍّ تَبَدِّلُ
إِذَا انصرفتْ نفسِي عن الشَّيْءِ لَمْ تَكْذُ إِلَيْهِ بِوَجْهِهِ آخِرَ الدَّهْرِ تُقِيلُ
الشعر لِمَعْنِ بْنِ أَوْسِ الْمُزَنِيِّ . والغناء لِعَرِيبٍ [خفيف] رمل بالوسطى .

1 دينار مسيَّف : إذا كانت جوانبه نقية من النقش .

2 غَلَفَهَا : ضمخها وطيبها .

3 البيت في ديوان الحماسة لأبي تمام رقم 8 ص 326 :

وَأَيُّ أَخَوِكَ الدَّائِمُ الْعَهْدُ لَمْ أَخُنْ إِنْ أَبْرَكَ خَصَمٌ أَوْ نَبَا بِكَ مَنَزِلُ

[202] - أخبار معن بن أوس ونسبه

[نسبه]

هو مَعْنُ بْنُ أُوسٍ بن نصر بن زياد بن أُسْحَمِ بن زياد بن أُسْعَدِ بن أُسْحَمِ بن ربيعة بن عَدِيٍّ بن ثعلبة بن ذُوَيْبِ بن عَدَاءِ بن عثمان بن مُزَيْنَةَ بن أَدَّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَرِّ بن نَزَارٍ . ونُسِبُوا إلى مُزَيْنَةَ وهي امرأة : مُزَيْنَةُ بنتُ كَلْبِ بن وَبَرَةَ ، وأبوهام عمرو بن أَدَّ بن طابخة .

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي وهاشم بن محمد الخُزَاعِيّ وعِمِّي قالوا : حَدَّثَنَا أحمد بن الحارث الخُرَّاز عن المدائني قال : مُزَيْنَةُ بنتُ كَلْبِ بن وَبَرَةَ ، تزوجها عمرو بن أَدَّ بن طابخة ، فولدت له عثمان وأوساً ، فغلبتُ أمهما على نسبهما . فعلى هذا القول عَدَاءُ هو ابن عثمان بن عمرو بن أَدَّ بن طابخة .

[شاعر فحل مخضرم له مدائح في الصحابة]

ومَعْنُ شاعرٌ مُجِيدٌ فحل ، من مخضرمي الجاهلية والإسلام وله مدائح في جماعة من أصحاب النبي ﷺ ورحمهم ، منهم عبد الله بن جَحْشٍ ، وعُمَرُ بن أبي سلمة المخزومي . ووفد إلى عُمَرَ بن الخطَّاب رضي الله تعالى عنه مُستعيناً به على بعض أمره ، وخاطبه بقصيدته التي أولها :

تَأَوَّبَهُ طَيْفٌ بذاتِ الجَرَاثِمِ فنامَ رَفِيقَاهُ وليس بنائمٍ¹
وعُمِّرَ بعد ذلك إلى أيامِ الفِتْنَةِ بين عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم .
[رأي معاوية في شعر مزينة]

أخبرني محمد بن خَلْفٍ وكيع قال حَدَّثَنَا عبد الله بن أبي سعد قال حَدَّثَنِي إبراهيم بن المنذر الحِزَامِيُّ قال حَدَّثَنَا عبد الملك بن عبد العزيز عن يحيى بن عبد الله بن ثوبان عن علقمة بن مِخْجَنٍ الخُزَاعِيِّ عن أبيه قال : كان معاوية يُفَضِّلُ مُزَيْنَةَ في الشعر ، ويقول : كان أشعر أهل الجاهلية منهم وهو زهير ، وكان أشعر أهل الإسلام منهم وهو ابنه كَعْبٌ ، ومعْنُ بن أوس .
[هو مثنث وله شعر في تفضيل البنات]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعِيّ قال حَدَّثَنَا عيسى بن إسماعيل تينة قال حَدَّثَنِي العُتْبِيُّ قال : كان مَعْنُ بن أوس مِثْنَثًا² ، وكان يُحْسِنُ صُحْبَةَ بناته وتربيتهن ؛ فولد لبعض عشيرته بنت

1 ذات الجراثيم : موضع .

2 رجل مثنث : الذي يلد الإناث ، وكذلك المرأة .

فَكَرِهَهَا وَأَظْهَرَ جَزَعًا مِنْ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ مَعْنٌ :

[من الطويل]

رَأَيْتُ رَجَالًا يَكْرَهُونَ بَنَاتِهِمْ وَفِيهِنَّ ، لَا تُكْذَبُ ، نِسَاءُ صَوَالِحُ
وَفِيهِنَّ ، وَالْأَيَّامُ تَعْتُرُ بِالْفَتَى ، نَوَادِبُ لَا يَمْلِكُنَّهْ وَنَوَائِحُ

[مر به عبید الله بن العباس ، وقد كف بصره]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الصَّمِيرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْعَنْزِيُّ (يعني الحسن بن عَلِيل) قَالَ حَدَّثَنِي
أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ سُؤَيْدِ بْنِ مَنَجُوفٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : مَرَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنُ عَبْدِ
الْمُطَّلِبِ بِمَعْنِ بْنِ أَوْسِ الْمُزَنِيِّ وَقَدْ كَفَّ بَصْرَهُ فَقَالَ لَهُ : يَا مَعْنُ ، كَيْفَ حَالُكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : ضَعُفَ
بَصَرِي وَكَثُرَ عِيَالِي وَغَلَبَنِي الدَّيْنُ . قَالَ : وَكَمْ دَيْنُكَ ؟ قَالَ عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ . فَبَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ
ثُمَّ مَرَّ بِهِ مِنَ الْغَدِّ فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا مَعْنُ ؟ فَقَالَ :

[من الطويل]

أَخَذْتُ بَعِيْنَ الْمَالِ حَتَّى نَهَكْتُهُ وَبِالدَّيْنِ حَتَّى مَا أَكَادُ أَدَانُ
وَحَتَّى سَأَلْتُ الْقَرَضَ عِنْدَ ذَوِي الْغِنَى وَرَدَّ فُلَانٌ حَاجَتِي وَفُلَانُ

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ، إِنَّا بَعَثْنَا إِلَيْكَ بِالْأَمْسِ لُقْمَةً فَمَا لُكْنَهَا حَتَّى انْتَرَعْتَ مِنْ
يَدِكَ ، فَأَيُّ شَيْءٍ لِلْأَهْلِ وَالْقَرَابَةِ وَالْجِيرَانِ ؛ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ أُخْرَى . فَقَالَ مَعْنٌ
يَمْدَحُهُ :

[من الطويل]

إِنَّكَ فَرَعٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَإِنَّمَا تَمُجُّ النَّدى مِنْهَا الْبَحُورُ الْفَوَارِغُ
ثَوْرًا قَادَةً لِلنَّاسِ بِطُحَاءِ مَكَّةَ لَهُمْ وَسِقَايَاتُ الْحَجِيجِ الدَّوَامُغُ
فَلَمَّا دُعُوا لِلْمَوْتِ لَمْ تَبْكُ مِنْهُمْ عَلَى حَادِثِ الدَّهْرِ الْعَيُونُ الدَّوَامُغُ

[أعرابي زوجته حضرة]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ قَالَ حَدَّثَنِي الْعَنْزِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْقُرَشِيُّ عَنْ
سَعِيدِ بْنِ عَمْرِو الزُّبَيْرِيِّ قَالَ : كَانَ لِمَعْنِ بْنِ أَوْسٍ امْرَأَةٌ يُقَالُ لَهَا ثَوْرٌ وَكَانَ لَهَا مُجَبًّا ، وَكَانَتْ حَضْرِيَّةً
نَشَأَتْ بِالشَّامِ ، وَكَانَتْ فِي مَعْنٍ أَعْرَابِيَّةً وَلَوْثَةً ، فَكَانَتْ تَضْحَكُ مِنْ عَجْفَرِيَّتِهِ . فَسَافَرَ إِلَى الشَّامِ فِي
بَعْضِ أَعْوَامِهِ ، فَضَلَّتْ الرُّفْقَةَ عَنِ الطَّرِيقِ وَعَدَلُوا عَنِ الْمَاءِ ، فَطَوَوْا مَنْزِلَهُمْ وَسَارُوا يَوْمَهُمْ
وَلَيْلَتَهُمْ ، فَسَقَطَ فَرَسُ مَعْنٍ فِي وَجَارٍ ضَبَّ دَخَلَتْ يَدُهُ فِيهِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْفَرَسُ أَنْ يَقُومَ مِنْ شِدَّةِ
الْعَطَشِ حَتَّى حَمَلَهُ أَهْلُ الرُّفْقَةِ حَمْلًا فَأَنْهَضُوهُ ، وَجَعَلَ مَعْنٌ يَقُودُهُ وَيَقُولُ :

[من الرجز]

لَوْ شَهِدْتَنِي وَجَوَادِي نَوْرُ وَالرَّأْسُ فِيهِ مَيْلٌ وَمَوْرُ¹

لَضَحِكْتُ حَتَّى يَمِيلَ الْكَوْزُ¹

[قدومه على ابن الزبير بمكة فلم يحسن ضيافته ، وأكرمه غيره]

أخبرني عمِّي قال حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ الْكُرَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ عَنِ الْعُتْبِيِّ قَالَ :
 قَدِيمٌ مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ مَكَّةَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ فَأَنْزَلَهُ دَارَ الضُّيْفَانِ ، وَكَانَ يَنْزِلُهَا الْغُرَبَاءُ وَأَبْنَاءُ
 السَّبِيلِ وَالضُّيْفَانِ ، فَأَقَامَ يَوْمَهُ لَمْ يُطْعَمَ شَيْئاً ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ جَاءَهُ مَعْنُ بْنُ الزُّبَيْرِ بَتِّيْسٍ
 هَرِمٍ هَزِيلٍ فَقَالَ : كُلُّوْا مِنْ هَذَا ، وَهُمْ نَيْفٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا ؛ فَغَضِبَ مَعْنٌ وَخَرَجَ مِنْ
 عِنْدِهِ ، فَأَتَى عَبِيدَ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، فَقَرَأَهُ وَحَمَلَهُ وَكَسَاهُ ، ثُمَّ أَتَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ وَحَدَّثَهُ
 حَدِيثَهُ ، فَأَعْطَاهُ حَتَّى أَرْضَاهُ ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ ثَلَاثًا ثُمَّ رَحَلَ . فَقَالَ يَهْجُو ابْنَ الزُّبَيْرِ وَيَمْدَحُ
 ابْنَ جَعْفَرٍ وَابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ : [من الطويل]

ظَلَّلْنَا بِمُسْتَنَّ الرِّيَّاحِ غُدِيَّةً	إِلَى أَنْ تَعَالَى الْيَوْمُ فِي شَرِّ مَحْضَرٍ ²
لَدَى ابْنِ الزُّبَيْرِ حَابِسِينَ بِمَنْزِلٍ	مِنْ الْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ وَالرُّفْدِ مُقْفَرٍ ³
رَمَانَا أَبُو بَكْرٍ وَقَدْ طَالَ يَوْمُنَا	بَتِّيْسٍ مِنَ الشَّاءِ الْحِجَازِيِّ أَغْفَرٍ ⁴
وَقَالَ اطْعَمُوا مِنْهُ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ	وَسَبْعُونَ إِنْسَانًا فَيَالِ يَوْمٍ مَخْبَرٍ
فَقُلْتُ لَهُ لَا تَقْرِنَا فَأَمَامَنَا	جِفَانُ ابْنِ عَبَّاسٍ الْعُلَا وَابْنُ جَعْفَرٍ
وَكُنْ آمِنًا وَأَنْعَقْ بَتِّيْسِكَ إِنَّهُ	لَهُ أَعَزُّ يَنْزُو عَلَيْهَا وَأَبْشَرُ ⁵

[أنشده الفرزدق بيتاً في هجاء مزينة فرد عليه]

أخبرني مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الصَّيْرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيلٍ الْعَنْزِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
 مُحَمَّدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ الْأَسَدِيُّ قَالَ : قَدِيمٌ مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ الْمَزْنِيُّ الْبَصْرِيُّ ، فَقَعَدَ يُنْشِدُ فِي الْمَرْبَدِ ، فَوَقَفَ
 عَلَيْهِ الْفَرَزْدَقُ فَقَالَ : يَا مَعْنُ مَنْ الَّذِي يَقُولُ : [من الوافر]

لَعَمْرُكَ مَا مُزِينَةٌ رَهْطُ مَعْنٍ بِأَخْفَافٍ يَطَّانَ وَلَا سَبَامٍ

فَقَالَ مَعْنٌ : أَتَعْرِفُ يَا فَرَزْدَقُ الَّذِي يَقُولُ : [من الوافر]

1 الكوز هنا : الدور من العمامة . يريد الدور مما تلف به رأسها .

2 مستن الرياح : مضطربها حيث تهب وتجري .

3 حابسين : أي محبوسون هنا .

4 أبو بكر : كنية عبد الله بن الزبير .

5 النعيق هنا : دعاء الراعي الشاء .

لَعَمْرُكَ مَا تَمِيمٌ أَهْلُ فَلَجٍ بِأَرْدَافِ الْمُلُوكِ وَلَا كِرَامٍ¹

فقال الفرزدق : حَسْبُكَ ؛ إِنَّمَا جَرَّبْتُكَ . قال : قد جَرَّبْتَ وَأَنْتَ أَعْلَمُ . فانصرف وتركه .

[تمثل أحد أبناء روح بشعر له وهو على فاحشة]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيُّ أَبُو ذُلْفَ قال حَدَّثَنَا الرِّياشِيُّ قال حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قال : دَخَلْتُ خَضْرَاءَ رَوْحٍ ، فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ مِنْ وَلَدِهِ عَلَى فاحِشَةٍ يَوْمًا ، فَقُلْتُ : قَبْحَكَ اللَّهُ ! هَذَا مَوْضِعٌ كَانَ أَبُوكَ يَضْرِبُ فِيهِ الْأَعْنَاقَ وَيُعْطِي اللَّهْيَ وَأَنْتَ تَفْعَلُ [فيه] مَا أَرَى ! فَالْتَفَتَ إِلَيَّ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزُولَ عَنْهَا وَقَالَ :

وَرِثْنَا الْمَجْدَ عَنْ آبَاءِ صِدْقٍ أَسَأْنَا فِي دِيَارِهِمُ الصَّنِيعَا
إِذَا الْحَسَبُ الرَّفِيعُ تَوَاكَلَتْهُ بُنَاةُ السَّوْءِ أَوْشَكَ أَنْ يَضِيعَا
قال : وَالشَّعْرَ لِمَعْنِ بْنِ أَوْسِ الْمَزْنِيِّ .

[سافر إلى الشام وخلف ابنته في جوار ابن أبي سلمة وابن عمر بن الخطاب]

أخبرني محمد بن جعفر النحويُّ صهر المُبَرَّد قال حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ أَبُو عَصِيدَةَ عَنْ الْحِرْمَازِيِّ قال : سَافَرَ مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ إِلَى الشَّامِ وَخَلَّفَ ابْنَتَهُ لَيْلَى فِي جِوَارِ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ ، وَأُمُّهُ أُمُّ سَلَمَةَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا ، وَفِي جِوَارِ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ عَشِيرَتِهِ : عَلَى مَنْ خَلَفْتَ ابْنَتَكَ لَيْلَى بِالْحِجَازِ وَهِيَ صَبِيَّةٌ لَيْسَ لَهَا مَنْ يَكْفُلُهَا ؟ فَقَالَ مَعْنٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

لَعَمْرُكَ مَا لَيْلَى بِدَارٍ مَضِيعَةٍ وَمَا شَيْخُهَا أَنْ غَابَ عَنْهَا بِخَائِفٍ
وَإِنَّ لَهَا جَارَيْنِ لَنْ يَغْدُرَا بِهَا رَبِيبَ النَّبِيِّ وَابْنَ خَيْرِ الْخَلَائِفِ

[رأي عبد الملك في شعر معن]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيُّ قال حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَتَرِيُّ قال حَدَّثَنِي مَسْعُودُ بْنُ بِشْرٍ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ هِشَامٍ قال : قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده عِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَوَلَدِهِ : لِيَقُلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَحْسَنَ شَيْعَرٍ سَمِعَ بِهِ ؛ فَذَكَرُوا لَامِرِيَّ الْقَيْسَ وَالْأَعَشَى وَطَرْفَةَ فَأَكْثَرُوا حَتَّى أَتَوْا عَلَى مَحَاسِنِ مَا قَالُوا . فقال عبد الملك : أَشْعَرُهُمُ وَاللَّهِ الَّذِي يَقُولُ :

1 فليج هنا : واد بين البصرة وحى ضربة من منازل عدي بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم . الأرداف : جمع ردف وهو هنا : جليس الملك عن يمينه يشرب بعده ويخلفه إذا غرا .

وَذِي رَجَمٍ قَلَمْتُ أَظْفَارَ ضِغْنِهِ بِحِلْمِي عَنْهُ وَهُوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمٌ
إِذَا سُمْتُهِ وَصَلَ الْقَرَابَةَ سَامِنِي قَطِيعَتَهَا ، تِلْكَ السَّفَاهَةُ وَالظُّلْمُ
فَأَسْعَى لِكَيْ أَتْنِي وَيَهْدِمُ صَالِحِي وَلَيْسَ الَّذِي يَنْبِي كَمَنْ شَأْنُهُ الْمَدْمُ
يُحَاوِلُ رَغْمِي لَا يُحَاوِلُ غَيْرَهُ وَكَالْمَوْتِ عِنْدِي أَنْ يَنَالَ لَهُ رَغْمُ
فَمَا زِلْتُ فِي لَيْنٍ لَهُ وَتَعَطُّفٍ عَلَيْهِ كَمَا تَحْنُو عَلَى الْوَلَدِ الْأُمُّ
لَأَسْتَلَّ مِنْهُ الضُّغْنَ حَتَّى سَلَّتْهُ وَإِنْ كَانَ ذَا ضِغْنٍ يَضِيقُ بِهِ الْحِلْمُ

قالوا : وَمَنْ قَائِلُهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ الْمُزْنِيَّ .

[خروجه إلى البصرة وزواجه من ليلي ثم عودته إلى زوجته الأولى]

أخبرني عيسى بن حسين الوراق قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني سليمان ابن عبيد الله السعدي عن أبيه قال : خرج معن بن أوس المزني إلى البصرة ليمتار منها ويبيع إبلاً له ؛ فلما قدمها نزل بقوم من عشيرته ، فتولت ضيافته امرأة منهم يقال لها ليلي ، وكانت ذات جمال ويسار ، فخطبها فأجابته فتزوجها ، وأقام عندها حولاً في أنعم عيش . فقال لها بعد حول : يا ابنة عم ، إني قد تركت ضيعة لي ضائعة ، فلو أذنبت لي فاطلعت¹ [طلع] أهلي ورمت² من مالي ! فقالت : كم تقيم ؟ قال : سنة ، فأذنت له . فأتى أهله فأقام فيهم وأزمن عنها (أي طال مقامه) . فلما أبطأ عليها رحلت إلى المدينة فسألت عنه ، فقيل لها : إنه بعمق (وهو ماء لمزينة) . فخرجت ، حتى إذا كانت قرية من عمق نزلت منزلاً كريماً . وأقبل معن في طلب ذؤيد له قد أضلها وعليه مدرعة من صوف وبت من صوف أخضر ، قال : والبت : الطيلسان ، وعمامة غليظة . فلما رفع³ له القوم مال إليهم ليستسقي ، ومع ليلي ابن أخ لها ومولى من موالها جالس أمام خيابه . فقال له معن : هل من ماء ؟ قال : نعم ، وإن شئت سويقاً ، وإن شئت لبناً ؛ فأناخ . وصاح مولى ليلي : يا منهلة ، وكانت منهلة الوصيفة التي تقوم على معن عندهم بالبصرة ، فلما آتته بالقدح وعرفها وحسر عن وجهه ليشرب عرفته وأثبتته ، فتركت القدح في يده وأقبلت مسرعة إلى مولاتها فقالت : يا مولاتي ، هذا والله معن إلا أنه في جبة صوف وبت صوف . فقالت : هو والله عيشهم ، الحقي مولاي فقولي له : هذا معن ، فاحسبه . فخرجت الوصيفة مسرعة فأخبرت . فوضع معن القدح وقال له : دعني حتى ألقاها في غير هذا الزي . فقال :

1 اطلع طلعته : عرف أمره .

2 رمت من مالي : أصلحت .

3 رفع له الشيء : أبصره عن بُعد .

لستَ بارحاً حتى تدخل عليها . فلما رآته قالت : أهذا العيش الذي نزعتَ إليه يا معن ؟ ! قال : إي والله يا ابنة عمٍّ ! أما إنك لو أقمتِ إلى أيام الربيع حتى يُنبتَ البلد الخزامى والرُخامى¹ والسَّخْبَر² والكمأة³ ، لأصببتَ عيشاً طيباً . فغسلتُ رأسه وجسده ، وألبسته ثياباً ليّنة ، وطيبته ، وأقام معها ليلته أجمع يهرجها⁴ ، ثم غدا متقدماً إلى عمّي حتى أعدّ لها طعاماً ونحر ناقه وغنماً ، وقدمتُ على الحيّ ، فلم تبق [فيهم] امرأة إلا أتتها وسلمتُ عليها ، فلم تدعْ منهن امرأة حتى وصلتُها . وكانت لمعن امرأة بعَمّي يقال لها أم حَقَّة . فقالت لمعن : هذه والله خير لك مني ، فطلّقني ، وكانت قد حملتُ فدخله من ذلك وقام . ثم إن ليلى رحلتُ إلى مكة حاجّةً ومعن معها . فلما فرغا من حجّهما انصرفا ، فلما حاذيا مُنْعَرَجَ الطريق إلى عمّي قال معن : يا ليلى ، كأن فؤادي ينعرجُ إلى ما هاهنا . فلو أقمتِ سنتنا هذه حتى نَحْجَ من قَابِلٍ ثم نَرْحَلَ إلى البصرة ؛ فقالت : ما أنا بيارحية مكاني حتى تَرْحَلَ معي إلى البصرة أو تطلّقني . فقال : أما إذ ذكرتِ الطلاق فانت طالق . فمضت إلى البصرة ، ومضى إلى عمّي . فلما فارقه ندِمَ وتبعتها نفسه ؛ فقال في ذلك :

تَوَهَّمْتُ رُبْعاً بِالْمُعْبَرِ وَاضِحاً أَبْتُ قَرَّتَاهُ الْيَوْمَ إِلَّا تَرَاوِحاً⁴
أُرَيْتُ عَلَيْهِ رَادَّةً حَضْرَمِيَّةً وَمُرْتَجِزٌ كَأَنَّ فِيهِ الْمَصَابِحَا⁵
إِذَا هِيَ حَلَّتْ كَرْبَلَاءَ فَلَعْلَعاً فَجَوَزَ الْعُذَيْبِ بَعْدَهَا فَالْذَوَابِحَا⁶
وَبَانَتْ نَوَاهَا مِنْ نَوَاكٍ وَطَاوَعْتُ مَعَ الشَّائِئِينَ الشَّامِتَاتِ الْكَوَاشِحَا
فَقُولَا لِلَّيْلِ هَلْ تُعَوِّضُ نَادِماً لَهُ رَجْعَةٌ قَالَ الطَّلَاقَ مُمَارِحَا
فَإِنْ هِيَ قَالَتْ لَا فَقُولَا لَهَا بَلَى أَلَا تَتَّقِينَ الْجَارِيَاتِ الذَّوَابِحَا

وهي قصيدة طويلة . فلما انصرف وليست ليلى معه قالت له امرأته أم حَقَّة : ما فعلتُ ليلى ؟ قال : طَلَّقْتُهَا . قالت : والله لو كان فيك خيرٌ ما فعلتُ ذلك ، فطلّقني أنا أيضاً . فقال لها معن :

[من الوافر]

- 1 الرُخَامِي : نبتة غبراء الخضرة لها زهرة بيضاء نقية ولها عرق أبيض تخفّره الحمر بحوافرها .
- 2 السَّخْبَر : يشبه الثمام له جرثومه وعيدانه كالكراث في الكثرة ، كأن ثمره مكاسح القصب أو أرق منها ، وإذا طال تدلت رؤوسه وانحنت .
- 3 يهرجها : يُجامعها .
- 4 المعْبَر : موضع تلقاء التودات من البقيع . قَرَّتَاه : الغداة والعشي .
- 5 أُرَيْتُ : أَقَامْتُ .
- 6 لعلع والعديب والنوايح مواضع متقاربة بظاهر الكوفة .

أَعَاذِلُ أَقْصِرِي وَدَعِي بِيَاثِي
فَإِنَّ الصُّبْحَ مُتَنَظِّرٌ قَرِيبٌ
نَأْتُ لَيْلِي فَلَيْلِي لَا تُوَاتِي
وَحَلَّتْ دَارُهَا سَفَوَانٌ بَعْدِي
تُرَاعِي الرِّيفَ دَانِيَةً عَلَيْهَا
فَدَعَهَا أَوْ تَنَاوَلَهَا بَعْسٌ
فَإِنَّكَ ذَاتُ لَوْمَاتٍ حُمَاتٍ¹
وَأَنَّكَ بِالْمَلَامَةِ لَنْ تُفَاتِي
وَضَنْتُ بِالْمَوَدَّةِ وَالْبَتَاتِ
فَذَا قَارَ فَمُنْخَرَقَ الْفُرَاتِ²
ظِلَالُ أَلْفٍ مُخْتَلِطِ النَّبَاتِ
مِنَ الْعِيدِي فِي قُلُوصِ شِخَاتِ³

وهي قصيدة طويلة . قال : وقال لَأَمْ حَقَّةً فِي مُطَالَبَتِهَا إِنِّي بِالطَّلَاقِ : [من الطويل]

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ يَا أُمَّ حَقَّةً قَبْلَ ذَا
وَإِذْ نَحْنُ فِي غُصْنِ الشَّبَابِ وَقَدْ عَسَا
فَقَدْ أَنْكَرْتَهُ أُمَّ حَقَّةً حَادِثًا
وَلَوْ آذَنْتُنَا أُمَّ حَقَّةً إِذْ بَنَا
لَقُلْنَا لَهَا بَيْنِي بَلِيلٌ حَمِيدٌ
بِمِطْطَانٍ مُصْطَافٍ لَنَا وَمَرَابِعٍ⁴
بِنَا الْآنَ إِلَّا أَنْ يُعَوِّضَ جَارِعٌ⁵
وَأَنْكَرَهَا مَا شِئْتَ وَالْوُدَّ خَادِعٌ
شَبَابٌ وَإِذْ لَمَّا تَرَعْنَا الرِّوَائِعُ
كَذَاكَ بَلَا ذَمٍّ تُودَى الصَّنَائِعُ

صوت

[من الطويل]

أَعَابِدُ حَيِّتُمْ عَلَى النَّأْيِ عَابِدَا
أَعَابِدَ مَا شَمْسُ النَّهَارِ إِذَا بَدَتْ
سَقَاكَ إِلَهُ الْمُنْشَاتِ الرِّوَاعِدَا
بِأَحْسَنَ مِمَّا بَيْنَ عَيْنَيْكَ عَابِدَا

وَيُرَوَى :

أَعَابِدَ مَا شَمْسُ النَّهَارِ بَدَتْ لَنَا

ويروى :

أَعَابِدُ مَا الشَّمْسُ الَّتِي بَرَزَتْ لَنَا
بِأَحْسَنَ مِمَّا بَيْنَ ثَوْبَيْكَ عَابِدَا

الشعر للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب . والغناء لِعَطْرَدَ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْبِنْصَرِ . وفيه ليونس لحنٌ من كتابه غير مُجَنَّسٍ .

1 دعي لومي في البيات . حمات : جمع حمة ، وهي السم .

2 سفوان الآن بلدة قريبة من البصرة .

3 العيدي : نسبة إلى عيد : فحل معروف تنسب إليه النجائب العبيدة ، أو هو نسبة إلى رجل . الشخات : جمع شخنة وشخت ، وهو الدقيق الضامر لا هزالاً .

4 ميطان : من جبال المدينة .

5 عسا النبات : غلظ ويس .

[203] - أخبار الحسين بن عبد الله

[شعره في عابدة قبل زواجه بها]

قد تقدّم نسبُه ، وهو أشهر من أن يُعاد . ويُكنى أبا عبد الله . وكان من فتيان بني هاشم
وظرفائهم وشُعرائهم . وقد روى الحديث وحُمِلَ عنه ، وله شعرٌ صالح . وهذه الأبيات يقولها
في زوجته عابدة بنت شُعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهي أخت عمرو بن
شُعيب الذي يُروى عنه الحديث . وفيها يقول قبل أن يتزوجها : [من الطويل]

صوت

أعابدُ إنّ الحبَّ لا شكَّ قاتلي لئن لم تُقارِضني هوى النفسِ عابدةُ
أعابدُ خافي الله في قتلِ مُسلمٍ وجُودي عليه مرّةً قطُّ واجدةُ
فإنّ لم تُريدي في أجراً ولا هوى لكم غيرَ قتلي يا عبيدةُ فراشدةُ
فكمّ ليلةٍ قد بتُ أرعى نُجومها وعبدةُ لا تدري بذلك راقدةُ
الغناء لحكم الوادي ، رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى البُنصر ، عن إسحاق .

[لا حرج إن شاء الله]

فمِمّا حُمِلَ عنه من الحديث ما حدّثني به أحمد بن سعيد قال حدّثني محمد بن عبيد الله
[ابن] المنادي قال حدّثني يونس بن محمد قال حدّثنا أبو أُويس عن حُسَيْن بن عبد الله بن
عبيد الله بن عباس عن عِكْرَمَةَ عن ابن عباس قال : مرّ النبي ﷺ على حَسَن بن ثابت وهو
في ظلِّ فارِع¹ وحوله أصحابه وجاريتُه سيرين تُغنيهِ بمزهرِها : [من مجزوء الخفيف]

هَلْ عَلِيٌّ وَيَحْكُمَا إنّ لَهَوْتُ من حَرَجٍ

فضحك النبي ﷺ ثم قال : « لا حَرَجَ إن شاء الله » .

وكانت أمّ عابدة هذه عمّة حسين بن عبد الله بن عبيد الله ، أمّها عمرة بنت عبيد الله بن
العبّاس ، تزوّجها شُعيب فولدت له محمداً وشُعيباً ابني شُعيب وعابدة ، وكان يقال لها عابدة
الحُسْن ، وعابدة الحسناء .

[عابدة تزوجت الحسين بن عبد الله ، والتعريف به]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء والطّوسيّ قالَا حدّثنا الزبير بن بَكَار قال حدّثني محمد بن

يحيى قال : خَطَبَ عابدة بنتَ شُعَيْبَ بَكَارَ بن عبد الملك وَحُسَيْنَ بن عبد الله ، فامتنت على بَكَارَ وتزوَّجت الحسين . فقال له بَكَارُ : كيف تزوَّجتك العابدة واختارتك مع فَقْرِكَ ؟ فقال له الحسين : «تُعَيِّرُنَا بالفَقْرِ وقد نَحَلْنَا الله تعالى الكَوْنُثْرَ !

أخبرني الحرَمِيُّ والطُّوسِيُّ قالا حَدَّثَنَا الزبير بن بَكَارَ عن عَمِّه قال : كان حسين بن عبد الله أُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ ، وكان يقول شيئاً من الشعر ، وتزوَّج عابدة بنت شُعَيْبَ وولدت منه ، وبسببها رُدَّتْ على وَلَدِ عمرو بن العاص أموالهم في دولة بني العباس . وكان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر صديقاً له ، ثم تعكَّرَ ما بينهما ؛ فقال فيه ابن معاوية : [من مجزوء الكامل]

إِنَّ ابْنَ عَمِّكَ وَابْنَ أُمِّ	كَ مُعَلِّمٌ شَاكِي السَّلَاحِ
يَقْصُ الْعَدُوَّ وَلَيْسَ يَرُ	ضَى حِينَ يَبْطِشُ بِالْجِرَاحِ ¹
لَا تَحْسَبَنَّ أَذَى ابْنَ عَمِّ	كَ شَرْبَ أَلْبَانِ اللَّقَاحِ
بَلْ كَالشَّجَاعَةِ وَرَا اللَّهَ	ة إِذَا تُسَوَّغُ بِالْقَرَّاحِ
فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مَنْ يُجِي	بُكَ تَحْتَ أَطْرَافِ الرَّمَّاحِ
مَنْ لَا يَزَالُ يَسُوؤُهُ	بِالْغَيْبِ أَنْ يَلْحَاكَ لَاحِي

فقال حسين له :

أَبْرَقَ لِمَنْ يَخْشَى وَأَوْ	عِذْ غَيْرَ قَوْمِكَ بِالسَّلَاحِ
لَسْنَا نَقْرُ لِقَائِي	إِلَّا الْمُقَرَّطَ بِالصَّلَاحِ ²

قال : ولحسين يقول ابن معاوية :

قُلْ لِذِي الْوُدِّ وَالصَّفَاءِ حُسَيْنٍ	أَقْدِرُ الْوُدَّ بَيْنَنَا قَدَرَهُ
لَيْسَ لِلدَّابِغِ الْمُحَلَّمِ بُدٌّ	مِنْ عِتَابِ الْأَدِيمِ ذِي الْبَشَرَةِ ³
لَسْتُ إِنْ رَاغَ ذُو إِخَاءٍ وَوُدٌّ	عَنْ طَرِيقِي بِتَابِعِ أَثَرِهِ
بَلْ أَقِيمُ الْقَنَاءَ وَالْوُدَّ حَتَّى	يَتَّبَعَ الْحَقُّ بَعْدُ أَوْ يَذَرَهُ

[كان صديقاً لابن أبي السمع ومدحه]

أخبرني محمد بن مَزِيدُ قال حَدَّثَنَا حَمَّادُ بن إِسْحَاقَ عن أبيه عن محمد بن سلام قال :

1 وقص : كسر .

2 المقرط بالصلاح : الموسوم به .

3 المحلَّم : الذي ينزع الحلم (وهو دود) عن الجلد . إشارة إلى المثل «إِذَا يَمَاتُ الْعَدِيمُ ذُو الْبَشَرَةِ» .

كان مالك بن أبي السَّمَح الطائي المَغْنِي صديقاً للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس ونديماً له ، وكان يتغنى في أشعاره . وله يقول الحسين رحمه الله تعالى : [من المنسرح]

لا عَيْشَ إِلَّا بِمَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمَدِ حَ فلا تَلَحْنِي ولا تَلَمِ
أَبْيَضُ كالسيفِ أو كما يَلْمَعُ الـ بَارِقُ في حِنْدَسٍ مِنَ الظُّلَمِ
يُصِيبُ مِنْ لَذَّةِ الكَرِيمِ ولا يَهْتِكُ حَقَّ الإسلامِ والحُرَمِ
يا رَبِّ لَيْلٍ لَنَا كحاشيةِ الـ بُرْدٍ ويومٍ كذاك لم يَدْمِ
قد كنتُ فيه ومالكُ بْنُ أَبِي السَمِ ح الكَرِيمِ الأخلاقِ والشِّيمِ
مَنْ ليس يَعْصِيكَ إنْ رَشَدْتَ ولا يَجْهَلُ آيَ التَّرْخِيصِ في اللَّيَمِ

قال : فقال له مالك : ولا إنْ غَوَيْتَ والله بأبي [أنت] وأمي أعصيك . قال وغنى مالك بهذه الأبيات بحضرة الوليد بن يزيد ، فقال له : أخطأ حسين في صِفَتِكَ ، إنما كان ينبغي أن يقول :

أَحْوَلُ كالقِرْدِ أو كما يخرُجُ الـ سَّارِقُ في حالِكِ مِنَ الظُّلَمِ

[الحسين بن يحيى وجهٌ للغناء]

[أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : كان الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس إذا صلى العصر دخل منزله وسمع الغناء عشيته . فأتاه قومٌ ذات عشية في حاجة لهم فقضاها ، ثم جلسوا يحدثونه . فلما أطالوا قال لهم : أتأذنون ؟ فقالوا نعم . فقام في أصحاب له وهو يقول :

قَوْمُوا بنا نُذَرِكُ مِنَ العَيْشِ لَذَّةً ولا إثمَ فيها لِلتَّقْيِ ولا عارا]

صوت

[من الخفيف]

إنْ حَرْباً وإنْ صَخْراً أبا سُفْ بيانَ حازا مَجْداً وعِزّاً تليدا
فهُما وارثا العُلا عن جُدودِ ورثوها آباءهم والجُدودا

الشعر لفضالة بن شريك الأسدي من قصيدة يمدح بها يزيد بن معاوية . وبعد هذين البيتين يقول :

وحوى إرثها مُعاويةَ القَرِّ مُ وأعطى صَفوَ التَّراثِ يزيدا
والغناء لإبراهيم بن خالد المَعِيطِي ثَقِيلٌ أوَّلُ بالبِصرِ عن الهشامي . والله أعلم .

[204] - أخبار فضالة بن شريك ونسبه

[نسبه]

هو فضالة بن شريك بن سلمان¹ بن خويلد بن سلمة بن عامر موقد النار بن الحريش بن نمير بن والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دودان [بن أسد] بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار . وكان شاعراً فاتكاً صعلوكاً مخضرمًا أدرك الجاهلية والإسلام . وكان له ابنان شاعران ، أحدهما عبد الله بن فضالة الوافد على عبد الله بن الزبير والقائل له : إن ناقتي قد نَقَيْتَ² ودَبَّرْتَ ؛ فقال له : ارقعها بجلدٍ واخصفها بهُلْبٍ³ وسِر بها البردَيْنِ⁴ .

[ابن فضالة يقول لابن الزبير : لعن الله ناقة حملتني إليك]

فقال له : إني قد جئتُكَ مُسْتَحِملاً لا مُسْتَشِيراً ، فَلَعَنَ اللهُ ناقةَ حملتني إليك . فقال له ابن الزبير : إن وراكبها . فانصرف من عنده وهو يقول :

[من الوافر]

أَجَاوَزَ بَطْنَ مَكَّةَ فِي سَوَادٍ	أَقُولُ لِعِلْمَتِي شُدُّوا رِكَابِي
إِلَى ابْنِ الْكَاهِلِيَّةِ مِنْ مَعَادٍ ⁵	فَمَا لِي حِينَ أَقْطَعُ ذَاتَ عِرْقٍ
وَتَغْلِيْقُ الْأَدَاوِي وَالْمَزَادِ ⁶	سَيَّعِدُ بَيْنَنَا نَصُّ الْمَطَايَا
مَنَاسِمُهُنَّ طَلَّاعِ النَّجَادِ	وَكُلُّ مُعْبَدٍ قَدْ أَعْلَمْتُهُ
نَكِدْنَ وَلَا أُمِيَّةً بِالْبِلَادِ ⁷	أَرَى الْحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي خُبَيْبٍ
أَغْرُ كَغُرَّةِ الْفَرَسِ الْجَوَادِ	مِنَ الْأَعْيَاصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ

[ابنه فاتك ومدح الأقيشر له]

حدثنا بذلك محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني .
فأمَّا فاتكُ ابن فضالة فكان سيِّداً جَوَاداً . وله يقول الأقيشر يمدحه :

[من الكامل]

1 ل : سليمان .

2 يقال : نقب البعير ، إذا حفي ورقت أخفافه ، والدَّيْر : جرح يكون في ظهر الدابة .

3 الهلب : الشعر .

4 البردان : الغداة والعشي .

5 ذات عرق : موضع وهو الحد بين نجد وتهامة . ابن الكاهلية : يريد ابن الزبير .

6 نص المطايا : سيرها الشديد ، الأدوية جمع إداوة وهي المطهرة . والمزاد : الأسقية ، واحدها مزادة .

7 أبو خبيب : كنية لعبد الله بن الزبير . نكدن : تعسرن .

وَقَدْ الْوَفُودُ فَكُنْتَ أَوَّلَ وَافِدٍ يَا فَاتِكُ بْنُ فَضَالَةَ بْنِ شَرِيكِ

[مرّ فضالة بعاصم بن عمر بن الخطاب فلم يقره فهجاه]

أخبرني بما أذكر من أخباره ها هنا مجموعاً عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السُّكْرِيُّ عن محمد بن حبيب ، وما ذكرته متفرقاً فأنا ذاكرٌ إسناده عمن أخذته . قال ابن حبيب : مرّ فضالة بن شريك بعاصم بن عمر بن الخطاب ، رضي الله تعالى عنهما ، وهو متبذّر بناحية المدينة ، فنزل به فلم يقره شيئاً ولم يبعث إليه ولا إلى أصحابه بشيءٍ وقد عرفوه مكانهم ، فارتحلوا عنه . والتفت فضالة إلى مولى لعاصم فقال له : قلْ له : أما والله لأطوّقنك طوقاً لا يبلى . وقال يهجوهُ :

[من الطويل]

قِرَاكَ إِذَا مَا بَتَّ فِي دَارِ عَاصِمٍ
بَطِيناً وَأَمْسَى ضَيْفُهُ غَيْرَ نَائِمٍ
إِذَا حُصِّلَ الْأَقْوَامُ أَهْلُ الْمَكَارِمِ
وَيَحْسَبُ أَنَّ الْبُخْلَ ضَرْبُهُ لَازِمٍ
مُطَوَّقَةً يُحْدِي بِهَا فِي الْمَوَاسِمِ
فُقَيْمٍ أَوْ التَّوَكُّسِ أَبَانَ بْنِ دَارِمٍ
غَدَا جَائِعاً عَيْمَانُ لَيْسَ بِغَانِمٍ¹

أَلَا أَيُّهَا الْبَاغِي الْقَرَى لَسْتَ وَاحِدًا
إِذَا جِئْتَهُ تَبْعِي الْقَرَى بَاتَ نَائِمًا
فَدَعُ عَاصِمًا أَفْ لَأَفْعَالِ عَاصِمٍ
فَتَى مِنْ قَرِيشٍ لَا يَجُودُ بِنَائِلٍ
وَلَوْلَا يَدُ الْفَارُوقِ قَلَّدْتُ عَاصِمًا
فَلَيْتَكَ مِنْ جَرَمِ بْنِ زَبَّانٍ أَوْ بَنِي
أُنَاسٍ إِذَا مَا الضَّيْفُ لَيْسَ يُبَوِّتُهُمْ

[قال] : فلما بلغت أبياته عاصماً استعدى عليه عمرو بن سعيد بن العاص وهو يومئذ

بالمدينة أميرٌ ، فهرب فضالة بن شريك فلاحق بالشام ، وعاذ بيزيد بن معاوية وعرفه ذنبه وما تخوّف من عاصم ؛ فأعاده ، وكتب إلى عاصم يخبره أنّ فضالة أتاه مستجيراً به ، وأنه يحبّ أن يهبه له . ولا يذكر لمعاوية شيئاً من أمره ، ويضمّن له ألا يعود لهجائه ؛ فقبل ذلك عاصم وشقّع يزيد بن معاوية . فقال فضالة يمدح يزيد بن معاوية :

[من الطويل]

فَخَرْتُ بِمَجْدٍ يَا زَيْدُ تَلِيدٍ
أَبُوكَ أَمِينُ اللَّهِ غَيْرَ بَلِيدٍ
وَأَدْرَكَ تَبْلًا مِنْ مَعَاشِيرِ صَبِيدٍ²
وَحَرْبٍ وَمَا حَرْبُ الْعُلَا بَرْهِيدٍ


إِذَا مَا قُرَيْشٌ فَاخَرْتُ بِقَدِيمِهَا
بِمَجْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ يَزَلْ
بِهِ عَصَمَ اللَّهُ الْأَنَامَ مِنَ الرَّدَى
وَمَجْدِ أَبِي سُفْيَانَ ذِي الْبَاعِ وَالنَّدَى

1 عيمان : عطشان .

2 التبل : الثار .

فَمَنْ ذَا الَّذِي إِنَّ عَدَدَ النَّاسِ مَجْدَهُمْ يَجِيءُ بِمَجْدٍ مِثْلَ مَجْدِ يَزِيدٍ
وقال فيه القصيدة المذكور فيها الغناء في هذه القصّة بعينها .

[هجا ابن مطيع حين طرده المختار عن ولاية الكوفة]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني السُّكْرِيُّ عن ابن حبيب قال : كان عبد الله بن
الزُّبَيْرِ قد وَلَّى عبد الله بن مُطِيع بن الأَسود بن نَضْلَةَ بن عبيد بن عَويج بن عَدِيّ بن كَعْبٍ  الكوفة ، فطَرَدَهُ عنها المختارُ بن أبي عَبيد حين ظَهَرَ ؛ فقال فضالة بن شَرِيكٍ يهجو ابن
مُطِيع :

دعا ابنُ مُطِيعٍ لِلْبِيعِ فَجَنَّتُهُ إلى بَيْعَةٍ قَلْبِي بِهَا غَيْرُ عَارِفٍ
فَقَرَّبَ لِي خَشَنَاءَ لَمَّا لَمَسْتُهَا بِكَفِّي لَمْ تُشْبِهْ أَكْفَ الْخَلَائِفِ
مَعُودَةٌ حَمَلَ الْهَرَاوِي لِقَوْمِهَا فَرُورًا إِذَا مَا كَانَ يَوْمُ التَّسَايِفِ¹
من الشُّنَاتِ الْكُزْمِ أَنْكَرْتُ لَمَسَهَا وليستُ من الْبَيْضِ السَّيَاطِرِ اللَّطَائِفِ
وَلَمْ يُسَمِّرْ إِذْ بَايَعْتُهُ مِنْ خَلِيفَتِي ولم يَشْتَرِطْ إِلَّا اشْتَرَاطَ الْمُجَازِفِ
مَتَى تَلَقَّ أَهْلَ الشَّامِ فِي الْخَيْلِ تَلَقَّنِي على مُقَرَّبٍ لَا يُزْدَهِي بِالْمَجَازِفِ²
مُمَرَّ كُبْنَانِ الْعِبَادِي مُخْطَفٍ من الضَّارِيَاتِ بِالْذَمَاءِ الْخَوَاطِفِ³

[هجا عامر بن مسعود لأنه تسول في جمع صداق زوجته]

وقال ابن حبيب في هذا الإسناد : تزوج عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الجُمَحِيِّ امرأةً
من بني نصر بن معاوية ، وسأل في صداقها بالكوفة ، فكان يأخذ من كل رجلٍ سألَهُ دِرْهَمَيْنِ
درهمين . فقال له فضالة بن شريك يهجو بقوله :

أَنْكَحْتُمْ يَا بَنِي نَصْرٍ فَنَاتَكُمُ وَجْهًا يَشِينُ وَجْهَ الرَّبِّ الْعَيْنِ
أَنْكَحْتُمْ لَا فَتَى دُنْيَا يُعَاشُ بِهِ وَلَا شُجَاعًا إِذَا انْشَقَّتْ عَصَا الدِّينِ
قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَبَا حَفْصٍ وَسُنَّتُهُ حَتَّى نَكَحْتُ بِأَرْزَاقِ الْمَسَاكِينِ

[هجا رجلاً من بني سليم خان الأمانة]

وقال ابن حبيب في هذا الإسناد : أودع فضالة بن شريك رجلاً من بني سُليمٍ
يقال له قيس ناقةً ، فخرج في سفرٍ ، فلما عاد طلبها منه ، فذكر أنها سُرِقت . فقال

1 التَّسَايِف : التضارب بالسيوف .

2 الْمُقَرَّب من الخيل : الذي يقرب مربطه ومعلفه لكرامته . ولا يزدهى : لا يستخف .

3 مُمَرَّ : موقت الخلق . العباديون : نصارى الحيرة . ضرى بالشيء : لهج به وأغرم .

[فيه] :

[من المتقارب]

وَلَوْ أَنَّنِي يَوْمَ بَطْنِ الْعَقِيقِ ذَكَرْتُ وَذُو اللَّبِّ يَنْسَى كَثِيرًا
 مُصَابَ سُلَيْمٍ لِقَاحَ النَّبِيِّ لَمْ أُودِعِ الدَّهْرَ فِيهِمْ بَعِيرًا¹
 وَقَدْ فَاتَ قَيْسٌ بَعِيرَانِي إِذَا الظِّلُّ كَانَ مَدَاهُ قَصِيرًا
 مِنَ اللَّاعِيَاتِ بِفَضْلِ الزَّمَامِ إِذَا أَقْلَقَ السَّيْرُ فِيهِ الضُّفُورًا²
 وَمَنْ يَبْلُكُ مِنْكُمْ بَنِي مُوقِدٍ وَلَمْ يَرَهُمْ يَبْلُكُ شَجَرًا كَبِيرًا
 هُمْ الْعَاسِفُونَ صِلَابُ الْقَنَا إِذَا الْخَيْلُ كَانَتْ مِنَ الطَّعْنِ زُورًا³
 وَأَيْسَارُ لُقْمَانَ إِذْ أُمِجِّلُوا وَعِزٌّ لِمَنْ جَاءَهُمْ مُسْتَجِيرًا⁴
 فَإِنَّا لَمْ يُقْضَ لِي الْقَهْمُ قَرَأْتُ السَّلَامَ عَلَيْهِمْ كَثِيرًا

[عود إلى شعر في ذم ابن الزبير قيل إنه لفضالة]

وذكر ابن حبيب في هذه الرواية أن القصيدة التي ذكرتها عن المدائني في خبر عبد الله بن فضالة بن شريك مع ابن الزبير كانت مع فضالة وابن الزبير لا مع ابنه ، وذكر الأبيات وزاد فيها :

[من الوافر]

شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنْ نَقِيتُ قُلُوصِي فَرَدَّ جَوَابَ مَشْدُودِ الصَّفَادِ⁵
 يَضِينُ بِنَاقَةٍ وَيَرُومُ مُلْكًا مُحَالٌ ذَلِكَمُ غَيْرُ السَّدَادِ
 وَلَيْتَ إِمَارَةً فَبَخِلْتَ لِمَا وَلَيْتَهُمْ بِمُلْكٍ مُسْتَفَادِ
 فَإِنْ وَلَيْتَ أُمِّيَّةً أَبْدَلُوكُمُ بِكُلِّ سَمِيدَعٍ وَارِي الزُّنَادِ
 مِنَ الْأَغْيَاصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ أَغَرَّ كُفْرَةَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ
 إِذَا لَمْ الْقَهْمُ بِمَنْى فَإِنِّي بَيْتٌ لَا يَهْتَشُّ لَهُ فَوَادِي
 سَيِّدِنِي لَهُمْ نَصُّ الْمَطَايَا وَتَعْلِيْقُ الْأَدَاوِي وَالْمَزَادِ
 وَظَهَرُ مُعَبَّدٍ قَدْ أَعْمَلْتَهُ مَنَاسِمُهُنَّ طَلَاعَ النَّجَادِ

1 اللقاح : ذوات الألبان من النوق ، واحداثها لقوح ولقحة .

2 الضفور : جمع ضَفَر ما يشد به البعير من الشعر المضافور .


3 زور : مائلات ، واحدها أزور وزوراء .

4 أيسار : أصحاب القداح المجتمعون على الميسر ، الواحد يسر .

5 الصفاد : ما يوثق به الأسير من قَدَأ أو قيد .

رَعَيْنَ الحَمَضَ حَمَضَ خُنَاصِرَاتٍ وما بالعَرَقِ من سَبَلِ الغَوَادِي¹
 فَهِنَّ خَوَاضِعُ الأَبْدَانِ قُودٌ كَأَنَّ رَوُوسَهُنَّ قَبُورُ عَادٍ²
 كَأَنَّ مَوَاقِعَ الغُرَبَانِ مِنْهَا مَنَارَاتٌ يُنِينَ عَلَى عِمَادٍ³

[طلب عبد الملك فضالة فوجده قد مات فأكرم أهله]

[قال] : فلمَّا وَلِيَ عبدُ الملك بعث إلى فَضَالَةَ يطلبُه ، فوجده قد مات ، فأمر لورثته بمائة ناقةٍ تحمل وِقْرَهَا بُرًّا وتَمْرًا . [قال] : والكاهلية التي ذكرها زُهْرَةُ بنتُ  امرأةٌ من بني كاهِلِ بنِ أُسَدٍ ، وهي أُمُّ خُوَيْلِدِ بنِ أُسَدِ بنِ عبدِ العزَّى .

صوت

[من الطويل]

لَقَدْ طَالَ عَهْدِي بِالْإِمَامِ مُحَمَّدٍ وما كُنْتُ أُخْشَى أَنْ يَطُولَ بِهِ عَهْدِي
 فَأَصْبَحْتُ ذَا بُعْدٍ وَدَارِي قَرِيبَةً فَوَاعَجَبًا مِنْ قُرْبِ دَارِي وَمِنْ بُعْدِي
 فَيَا لَيْتَ أَنَّ الْعَيْدَ لِي عَادَ يَوْمُهُ فَإِنِّي رَأَيْتُ الْعَيْدَ وَجْهَكَ لِي يُبْدِي
 رَأْيُكَ فِي بُرْدِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ كَبَدَرِ الدُّجَى بَيْنَ الْعِمَامَةِ وَالْبُرْدِ
 الشعر لأبي السَّمُطِ مروان الأصغر بن أبي الجنوب بن مروان الأكبر بن أبي حفصة .
 والغناء لِيُنَانٍ خَفِيفُ رَمَلٍ مَطْلُوقٌ ابْتِدَاؤُهُ نَشِيدٌ . وذكر الصُّوْلِيُّ أَنَّ هَذَا الشعرَ لِيَحْيَى بنِ مروان . وهذا غلطٌ قبيحٌ .

1 خناصرات : خناصرة من أعمال حلب تحاذي قنسرين .

2 قود : جمع أقود وقوداء . والقود : طول الظهر والعنق .

3 الغرابان من الفرس والبعير : حرفا الوركين الأيسر والأيمن اللذان فوق الذنب . والغراب أيضاً : فذال الرأس .

[205] - أخبار مروان الأصغر

[كان أهله شعراء]

قد مرّ نسبه في نسب أبيه وأهله وأخبارهم مُتَقَدِّمًا . وكان مروان هذا آخِرَ مَنْ بَقِيَ منهم يُعَدُّ في الشعراء ، وبقي بعده منهم مُتَوَجِّحٌ . وكان ساقطاً بارد الشعر . فذُكِرَ لي عن أبي هِفَانٍ أَنَّهُ قَالَ : شِعْرُ آلِ أَبِي حَفْصَةَ بِمَنْزِلَةِ الْمَاءِ الْحَارِّ . ابتدأوه في نهاية الحرارة ثم تَلَيْنَ حرارته ، ثم يَفْتُرُ ثم يَبْرُدُ ، وكذا كانت أشعارهم ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ الْمَاءَ لَمَّا انْتَهَى إِلَى مُتَوَجِّحٍ جَمَدَ .

وهذا الشعر يقوله مروان في المنتصر ، وكان قد أقصاه وجفاه ، وأظهر خِلَافاً لأبيه في سائر مَذهابه حتى في التشيع ، فَطَرَدَ مروانَ لِنَصْبِهِ ، وأخرجَه عن جُلُسه . فقال هذه الأبيات وسأل بُنَانَ بنَ عمرو فغَنَّى فيها المنتصرَ ليستعطفه . وخبره في ذلك يُذَكِّرُ في هذا الموضع من الكتاب . إن شاء الله .

[مدح المتوكل وولاة عهده فأكرمه وأقطعه ضيعة]

أخبرني عمِّي وحبيبُ بن نصر المهلبِيّ قَالَا حَدَّثَنَا عبد الله بن أبي سعد قال حَدَّثَنِي حمادُ بن أحمد بن سليمان الكلبيّ قال حَدَّثَنِي أَبُو السَّمُطِ مروان الأصغر قال : لَمَّا دَخَلْتُ إِلَى المتوكل مدحته ومدحتُ وِلَاةَ العُهود الثلاثة ، وأنشدته :

سَقَى اللَّهُ نَجْدًا وَالسَّلَامُ عَلَى نَجْدٍ وَيَا حَبِّدَا نَجْدٌ عَلَى النَّأْيِ وَالْبُعْدِ
نَظَرْتُ إِلَى نَجْدٍ وَبَغْدَادُ دُونَهَا لَعَلِّي أَرَى نَجْدًا وَهِيَهَاتَ مِنْ نَجْدٍ
وَنَجْدٌ بِهَا قَوْمٌ هَوَاهُمْ زِيَارَتِي وَلَا شَيْءَ أَحَلَّى مِنْ زِيَارَتِهِمْ عِنْدِي
قال : فَلَمَّا فَرَّغْتُ مِنْهَا أَمَرَ لِي بِمِائَةِ عَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَخَمْسِينَ ثَوْبًا وَثَلَاثَةَ مِنَ الظَّهْرِ
فَرَسٍ وَبَغْلَةٍ وَحِمَارٍ ، وَلَمْ أَبْرَحْ حَتَّى قُلْتُ قَصِيدَتِي الَّتِي أَشْكُرُهُ فِيهَا وَأَقُولُ : [من الطويل]

تَخَيَّرَ رَبُّ النَّاسِ لِلنَّاسِ جَعْفَرًا وَمَلَكَهَ أَمْرَ الْعِبَادِ تَخَيَّرًا
فَلَمَّا صَرْتُ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ : [من الطويل]

فَأَمْسِكْ نَدَى كَفِّكَ عَنِّي وَلَا تَزِدْ فَقَدْ كِدْتُ أَنْ أَطْغَى وَأَنْ أَتَجَبَّرَا
قال لي : لَا وَاللَّهِ لَا أُمْسِكُ حَتَّى أُغَرِّقَكَ بِجُودِي .

وحدثني عمي بهذا الخبر قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني حماد بن أحمد بن يحيى قال حدثني مروان بن أبي الجنوب ، فذكر مثل هذا الخبر سواء ، وقال بعد قوله : « لا والله لا أمسك حتى أغرقك » : سألني حاجتك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، الضيعة التي أمرت أن أقطعها باليمامة ، ذكر ابن المدبر أنها وقف المعتصم على ولده ، فقال : قد قبلتك¹ إياها مائة سنة بمائة درهم . فقلت : لا يحسن أن تضمن ضيعة بدرهم في السنة . فقال ابن المدبر : فبالف درهم في كل سنة . فقلت نعم . فأمر ابن المدبر أن يُفقد ذلك لي ، وقال : ليست هذه حاجة ، هذه قبالة ، فسألني حاجتك . فقلت : ضيعة يقال لها السيوح أمر الواثق بإقطاعي إياها ، فمَنَعْنِهَا ابن الزيات ؛ فأمر بامضاء الإقطاع لي .

[هجاء علي بن الجهم في حضرة المتوكل فغلبه]

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال : كان علي بن الجهم يطعن على مروان بن أبي الجنوب ويثلبه حسداً له على موضعه من المتوكل . فقال له المتوكل [يوماً] : يا علي ، أيما أشعر أنت أو مروان ؟ فقال : أنا يا أمير المؤمنين . فأقبل على مروان فقال له : قد سمعت ، فما عندك ؟ قال : كلُّ أحدٍ أشعر مني يا أمير المؤمنين ، وما أصِفُ نفسي ولا أزكيها . وإذا رَضِيتُ أمير المؤمنين فما أبالي من زَيْفِي . فقال له : قد صدقتك ، علي يزعم سراً وجهراً أنه أشعر منك . فالتفت إليه مروان فقال له : يا علي ! أنت أشعر مني ؟ فقال : أو تشك في ذاك ؟ قال : نعم ؛ أشك وأشك ، وهذا أمير المؤمنين بيننا . فقال له علي : إن أمير المؤمنين يُحايبك . فقال المتوكل : هذا عيٌّ منك يا علي ؛ ثم قال لابن حمدون : احكم بينهما . فقال : طرحتني والله يا أمير المؤمنين بين أنياب ومخالب أسدين . قال : والله لتحكم بينهما . فقال له : أمّا إذ حلفت يا أمير المؤمنين فأشعرهما عندي أعرفهما في الشعر . فقال له المتوكل : قد سمعت يا علي . قال : قد عَرَفَ مَيْلَكَ إليه فما لمعه . فقال : دَعْنَا منك ، هذا كله عيٌّ ، فإن كنت صادقاً فاهج مروان . قال : [قد] سكرت ولا فضل في . فقال المتوكل لمروان : اهجه أنت ، وبحياتي لا تُبقي غاية . فقال مروان : [من الطويل]

وَيَقُولُ لِي حَسَنًا إِذَا لَاقَانِي	إِنَّ ابْنَ جَهْمٍ فِي الْمَغِيبِ يَعِينِي
فَكَأَنَّمَا فِي بَطْنِهِ وَلَدَانِ	صَغُرَتْ مَهَابَتُهُ وَعُظُمَ بَطْنُهُ
لَوْ كَانَ يَرْحَمُهَا لَمَا عَادَانِي	وَيَحِ ابْنُ جَهْمٍ لَيْسَ يَرْحَمُ أُمَّهُ
وَنَزَا عَلَى شَيْطَانِهِ شَيْطَانِي	فَإِذَا التَّقِينَا نَاكَ شِعْرِي شِعْرَهُ

1 قبلتك إياها أي ضمنتها لك والتمت بذلك .

قال : فضحك المتوكل والجلساء منه ، وانخزل¹ ابن الجهم ، فلم يكن عنده أكثر من أن قال : جَمَعَ حِيلَةَ الرَّجَالِ وَحِيلَةَ النِّسَاءِ . فقال له المتوكل : هذا أيضاً من عَيْكَ وَبِرْدِكَ ، إن كان عندك شيءٌ فهُاتِه ؛ فلم يأت بشيء . فقال لمروان : بحياتي إن حَضَرَكَ شيءٌ فهُاتِه ، ولا تُقَصِّرْ في شَتْمِكَ . فقال مروان :

لَعَمْرُكَ مَا الْجَهْمُ بْنُ بَذْرٍ بِشَاعِرٍ وهذا عليٌ بعده يدعي الشعر
ولكن أبي قد كان جاراً لأُمِّه فلما ادعى الأشعار أوهمني أمراً

قال : فضحك [المتوكل] وقال : زدْه بحياتي . فقال فيه : [من مجزوء الرمل]

يا ابنَ بَذْرٍ يا عَلِيَّةُ قُلْتُ إِنِّي قُرَشِيَّةٌ
قلتُ ما ليس بحقٍّ فاسْكُنِي يا نَبْطِيَّةُ
أَسْكُنِي يا بِنْتَ جَهْمٍ أَسْكُنِي يا حَلَقِيَّةُ²

فأخذ عبادة هذه الأبيات فغناها على الطبل وجاوبه من كان يغني ، والمتوكل يضحك ويضرب بيديه ورجليه ، وعليٌ مُطْرَقٌ كأنه ميّت ، ثم قال : عليٌ بالدواة فأتى بها ، فكتب :

بَلاءٌ ليس يُشَبِّهُهُ بَلاءٌ عداوةٌ غيرُ ذي حَسَبٍ ودينٍ
يُبيحُكَ منه عِرْضاً لم يصنُهُ ويرتَعُ منك في عِرْضٍ مَصُونٍ

[قال علي بن الجهم شعراً في حبسه ، فعارضه فلم يطلقه]

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني جعفر بن هارون بن زياد قال حدثني محمد بن السري قال : لما مدح علي بن الجهم وهو محبوس المتوكل بقوله : [من الوافر]

تَوَكَّلْنَا عَلَى رَبِّ السَّمَاءِ وسلمنا لأسباب القضاء

وذكر فيها جميع الندماء وسبَّعهم³ وهجاهم ، انتدب له مروان بن أبي الجنوب فعارضه فيها ، وقد كان المتوكل رقيقاً له ، فلما أنشده مروان هذه القصيدة اعتورت ألسنة الجلساء فثلبوه واعتابوه وضربوا عليه ، فتركه في محبسه . والقصيدة : [من الوافر]

أَلَمْ تَعْلَمْ بَأَنَّكَ يَا ابْنَ جَهْمٍ دَعِيٌّ فِي أَنْاسٍ أَدْعِيَاءِ

1 انخزل في كلامه : انقطع .

2 نسبة إلى داء الحلاق وهي ألا تشيع الأتان من السَّفَادِ .

3 سبَّعَه : شتمه ووقع فيه .

أَعْبَدَ اللَّهُ تَهْجُوَ ابْنِ عَمْرٍ وَبَخْتِيشُوعَ أَصْحَابِ الْوَفَاءِ
هَجَوْتَ الْأَكْرَمِينَ وَأَنْتَ كَلْبٌ حَقِيقٌ بِالسَّيِّئَةِ وَالْهَجَاءِ
أُتْرَمِي بِالزَّنَاءِ بَنِي حَلَالٍ وَأَنْتَ زَيْنُمُ أَوْلَادِ الزَّنَاءِ
أَسْأَلُكَ مِنْ جُدُودِكَ يَا ابْنَ جَهَنَّمَ! كَذَبْتَ وَمَا بِذَلِكَ مِنْ خَفَاءِ

[قال في المعتصم شعراً بعدما كان من أمر العباس بن المأمون وعجيف]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوْلِيُّ قال حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى قال حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَسَنِ
قال : لَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْمَأْمُونِ وَعُجَيْفٌ مَا كَانَ ، أَنَشَدَ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي الْجَنْوَبِ
المعتصم قصيدةً أَوْهَا :

أَلَا يَا دَوْلَةَ الْمَعْصُومِ دُومِي فَإِنَّكَ قُلْتَ لِلدُّنْيَا اسْتَقِمْ
فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ :

هَوَى الْعَبَّاسُ حِينَ أَرَادَ غَدْرًا فَوَافِي إِذْ هَوَى قَعَرَ الْجَحِيمِ
كَذَاكَ هَوَى كَمَهْوَاهُ عُجَيْفٌ فَأَصْبَحَ فِي سَوَاءٍ لَظَى الْحَمِيمِ

[قال المعتصم : أبعده الله !]

[مدح أشناس فطرب له وأجازه من غير أن يفهمه]

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْعِينَاءِ قَالَ : دَخَلَ مَرْوَانُ الْأَصْغَرُ بْنُ أَبِي الْجَنْوَبِ عَلَى
أَشْناسٍ وَقَدْ مَدَحَهُ بِقَصِيدَةٍ فَأَنشَدَهُ إِيَّاهَا ، فَجَعَلَ أَشْناسٌ يُحَرِّكُ رَأْسَهُ وَيَوْمِيءُ بِيَدَيْهِ وَيُظْهِرُ طَرِبًا
وَسُرُورًا ، وَأَمَرَ لَهُ بِصَلَةِ . فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ لَهُ كَاتِبُهُ : رَأَيْتُ الْأَمِيرَ قَدْ طَرِبَ وَحَرَّكَ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ لِمَا
كَانَ يَسْمَعُهُ ، فَقَدْ فَهَمَهُ ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ : فَأَيُّ شَيْءٍ كَانَ يَقُولُ ؟ قَالَ : مَا زَالَ يَقُولُ عَلَيَّ رُقِيَّةَ
الْخُبْزِ حَتَّى حَصَلَ مَا أَرَادَ وَانْصَرَفَ .

[هجا علي بن يحيى المنجم فردّ عليه]

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْمُنْجَمُ قَالَ : كَانَ الْمُتَوَكِّلُ يُعَاشِي كَثِيرًا ،
فَقَالَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ لِمَرْوَانَ بْنِ أَبِي الْجَنْوَبِ : أَهْجُ عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى ؛ فَقَالَ مَرْوَانُ : [من الطويل]

أَلَا إِنَّ يَحْيَى لَا يُقَاسُ إِلَى أَبِي وَعَرِضُ ابْنِ يَحْيَى لَا يُقَاسُ إِلَى عَرِضِي
وَهِيَ آيَاتُ تَرَكْتُ ذِكْرَهَا صِبَاةً لِعَلِّي بْنِ يَحْيَى . قَالَ : فَأَجَبْتُهُ عَنْهَا فَقُلْتُ : [من الطويل]

صَدَقْتَ لَعَمْرِي مَا يُقَاسُ إِلَى أَبِي أَبُوكَ ، وَمَنْ قَاسَ الشَّوَاهِقَ بِالْخَفْضِ
وَهَلْ لَكَ عَرِضٌ طَاهِرٌ فَتَقِيسُهُ إِذَا قِيسَتِ الْأَعْرَاضُ يَوْمًا إِلَى عَرِضِي

أَلَسْتُمْ مَوَالِي لِلْعَيْنِ وَرَهْطِهِ أَعَادِي بَنِي الْعَبَّاسِ ذِي الْحَسْبِ الْمَحْضِ
تَوَالُونَ مَنْ عَادَى النَّبِيَّ وَرَهْطَهُ فَتَرْمُونَ مَنْ وَالى أُولَى الْفَضْلِ بِالرَّقْضِ
وَلَيْسَ عَجِيباً أَنْ أَرَى لَكَ مُبْغِضاً لِأَنَّكَ أَهْلٌ لِلْعَدَاوَةِ وَالْبُغْضِ

[نقد أبو العنيس الصيمري شعراً له فتهاجراً]

حدَّثني جحظة قال حدَّثني عليّ بن يحيى قال : أنشد مروان بن أبي الجنوب المتوكل ذات يوم :

إِنِّي نَزَلْتُ بِسَاحَةِ الْمُتَوَكِّلِ وَنَزَلْتُ فِي أَقْصَى دِيَارِ الْمُوَصِّلِ
فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ : فَكَيْفَ الْإِتِّصَالُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَالْمُرَاسِلَةِ ؟ فَقَالَ أَبُو الْعَنْبَسِ
الصَّيْمَرِيُّ : كَانَ لَهُ حَمَامٌ¹ هَدَى يَبْعَثُ بِهَا إِلَيْهِ مِنَ الْمَوْصِلِ حَتَّى يُكَاتِبَهُ عَلَى أَجْنَحَتِهَا .
فَضَحِكَ الْمُتَوَكِّلُ حَتَّى اسْتَلْقَى ، وَخَجَلَ مَرْوَانُ وَخَلَفَ بِالطَّلَاقِ لَا يَكْلُمُ أَبَا الْعَنْبَسِ أَبَداً ،
فَمَاتَا مَتَهَاجِرَيْنِ . كَذَا أَكْبَرُ حَفْظِي أَنَّ جَحْظَةَ حَدَّثَنِي بِهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى ؛ فَإِنِّي كَتَبْتُهُ عَنْ
حَفْظِي .

[أنشد المتوكل في مرضه بالحمى قصيدة ، فقال عليّ بن الجهم إن بعضها منتحل]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُؤَيْهِ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُدَبِّرِ
قَالَ قَرَأْتُ فِي كِتَابٍ قَدِيمٍ : قَالَ عَوْفُ بْنُ مُحَلَّمٍ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فِي عِلَّةِ اعْتَلَّهَا : [من الطويل]

فَإِنْ تَكُ حُمَّى الرَّبْعِ شَفَكَ وَرَدُّهَا فَعُقْبَاكَ مِنْهَا أَنْ يَطُولَ لَكَ الْعُمُرُ²
وَقَيْنَاكَ لَوْ نُعْطِيَ الْمُنَى فِيكَ وَالْهَوَى لَكَانَ بَنَى الشُّكُوى وَكَانَ لَكَ الْأَجْرُ

قال : ثُمَّ حُمَّ الْمُتَوَكِّلُ حُمَّى الرَّبْعِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي الْجَنُوبِ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي
حَفْصَةَ ، فَأَنَشَدَهُ قَصِيدَةً لَهُ عَلَى هَذَا الرَّوْيِ ، وَأَدْخَلَ الْبَيْتَيْنِ فِيهَا ، فَسَرَّ بِهَا الْمُتَوَكِّلُ . فَقَالَ لَهُ
عَلِيٌّ بْنُ الْجَهْمِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا شَعْرٌ مَقُولٌ ، وَالتَفْتُ إِلَيْهِ وَقَالَ : هَذَا يَعْلَمُ . فَالتَفْتُ إِلَيْهِ
[المتوكل] وَقَالَ : أَتَعْرِفُهُ ؟ فَقُلْتُ : مَا سَمِعْتُهُ قَبْلُ الْيَوْمِ . فَشَتَّمَ عَلِيٌّ بْنُ الْجَهْمِ وَقَالَ لَهُ : هَذَا
مِنْ حَسَدِكَ وَشَرِّكَ وَكَذْبِكَ . فَلَمَّا خَرَجْنَا قَالَ عَلِيٌّ بْنُ الْجَهْمِ : وَيْحَكَ ؟ مَا لَكَ قَدْ جُنِنْتَ ؟ أَمَا
تَعْرِفُ هَذَا الشَّعْرَ ؟ قُلْتُ : بَلَى ؛ وَأَنَشَدْتُهُ إِيَّاهُ . فَلَمَّا عُدْتُ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ مِنْ غَدٍ قَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ اعْتَرَفَ لِي بِالشَّعْرِ وَأَنَشَدَنِيهِ . فَقَالَ لِي : أَكْذَاكَ هُوَ ؟ فَقُلْتُ : كَذَبٌ [يا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ] ! مَا سَمِعْتُ بِهِ قَطُّ ، فَازْدَادَ عَلَيْهِ غِيظاً وَلَهُ شَتْمٌ . فَلَمَّا خَرَجْنَا قَالَ لِي : مَا فِي الْأَرْضِ

1 الحمام الهداء : ضرب من الحمام يدرّب على السفر من مكان إلى مكان .

2 حمى الربيع : التي تنوب في اليوم ثم تدع المريض يومين ثم ترده في اليوم الرابع .

شَرُّ مَنْكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ أَحَقُّ ، تَرِيدُ مِنِّي أَنْ أَجِيءَ إِلَى شِعْرِ قَدْ قَالَ فِيهِ شَاعِرٌ يُحِبُّهُ وَيُعْجِبُهُ
شَعْرُهُ فَأَقُولُ لَهُ : إِنِّي أَعْرِفُهُ فَأَوْقِعْ نَفْسِي وَعِرْضِي فِي لِسَانِ الشَّاعِرِ لَتَرْتَفِعَ أَنْتَ عِنْدَهُ ، وَيَسْقُطَ
ذَلِكَ وَيُغْضِنِي أَنَا !

صوت

[من مجزوء الرمل]

ما لإبراهيمَ في العِدْ	م بِهَذَا الشَّانِ ثَانِ
إِنَّمَا عُمَرُ أَبِي إِسْ	حَاقَ زَيْنٌ لِلزَّمانِ
فَإِذَا غَنَّى أَبُو آسَحَا	قَ أَجَابَتْهُ الْمَثَانِ
مِنْهُ يُجْنَى ثَمَرُ اللَّهِ	وِ وَرَيْحَانُ الْجِنَانِ
جَنَّةُ الدُّنْيَا أَبُو إِسْ	حَاقَ فِي كُلِّ مَكَانِ

عَرَوْضُهُ مِنَ الرَّمْلِ . الشُّعْرُ لِابْنِ سَيَّابَةَ . وَالْغَنَاءُ لِإِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِإِطْلَاقِ
الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ ابْنِهِ .

[206] - أخبار إبراهيم بن سيابة ونسبه

[جده حجام وهو لا نباهة له ولا شعر]

إبراهيم بن سيابة مولى بني هاشم . وكان يقال : إِنَّ جَدَّهُ حَجَّامٌ أَعْتَقَهُ بَعْضُ الْهَاشِمِيِّينَ . وهو من مُقَارِبِي شُعْرَاءِ وَقْتِهِ ، ليست له نباهة ولا شعرٌ شريف ، وإنما كان يميل بمودته ومدحه إلى إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق ، فغنياً في شعره ورفعا منه ، وكانا يذكُرانه للخلفاء والوزراء ويذكُرانهم به إذا غنياً في شعره ، فينفَعانِه بذلك . وكان خليعاً ماجناً . طيب النادرة ، وكان يُرمى بالأُبنة .

[يعشق جارية سوداء فلامه أهلها]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثني أبو زائدة عن جعفر بن زياد قال : عَشِقَ ابْنُ سَيَابَةَ جَارِيَةً سَوْدَاءَ ، فلامه أهلُه على ذلك وعاتبوه ؛ فقال :

يَكُونُ الْخَالُ فِي وَجْهِ قَبِيحٍ فَيَكْسُوهُ الْمَلَا حَةَ وَالْجَمَالَ
فَكَيْفَ يُلَامُ مَعشُوقٌ عَلَى مَنْ يَرَاهَا كُلُّهَا فِي الْعَيْنِ خَالَا

[قصته مع ابن سوار القاضي ودأبه رُحاص]

أخبرني محمد بن مَزِيدٍ وعيسى بن الحسين والحسين بن يحيى قالوا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : لَقِيَ¹ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَيَابَةَ وهو سكرانُ ابْنِ لِسَوَّارِ بن عبد الله القاضي أُمَرَدَ ، فعانقه وقبله ، وكانت معه دابة يقال لها رُحاص ، فقبل لها : إِنَّهُ لَمْ يُقْبَلْهُ تَقْبِيلَ السَّلامِ ، إِنَّمَا قَبَّلَهُ قُبْلَةَ شَهْوَةٍ . فَلَحِقَتْهُ الدَّابَّةُ فَشْتَمَتْهُ وَأَسْمَعَتْهُ كُلَّ مَا يَكْرَهُ ، وَهَجَرَهُ الْغَلَامُ بعد ذلك . فقال له :

قُلْ لِلَّذِي لَيْسَ لِي مِنْ يَدَيَّ هَوَاهُ خَلَاصُ
أَنَّ لَثْمُكَ سِرّاً فَأَبْصَرْتَنِي رُحَاصُ
وَقَالَ فِي ذَاكَ قَوْمٌ عَلَى انْتِقَاصِي حِرَاصُ
هَجَرْتَنِي وَأَتْنَنِي شَتِيمَةٌ وَانْتِقَاصُ
فَهَاكَ فَاقْتَصْ مِنِّْي إِنَّ الْجُرُوحَ قِصَاصُ

وَيُرَوَّى أَنَّ رُحَاصَ هَذِهِ مَغْنِيَّةَ كَانَ الْغَلَامُ يُحِبُّهَا ، وَأَنَّهُ سَكِرَ وَنَامَ ؛ فَقَبَّلَهُ ابْنُ سَيَابَةَ . فَلَمَّا انْتَبَهَ قَالَ لِلْجَارِيَةِ : لَيْتَ شِعْرِي مَا كَانَ خَبْرُكَ مَعَ ابْنِ سَيَابَةَ ؟ فَقَالَتْ لَهُ : سَلْ عَنْ خَبْرِكَ أَنتَ مَعَهُ ، وَحَدَّثْتَهُ بِالْقِصَّةِ ؛ فَهَجَرَهُ الْغَلَامُ ؛ فَقَالَ هَذَا الشَّعْرُ .
[جوابه لمن عاتبه على مجونه]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُؤَيْهِ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الصَّبَّاحِ قَالَ : عَاتَبَنَا ابْنُ سَيَابَةَ عَلَى مَجُونِهِ ، فَقَالَ : وَلَيْكُم ؛ لِأَنَّ الْقَىَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِذَلِكَ الْمَعَاصِي فَيَرْحَمُنِي ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَاهُ أَتَبَخَّرَ إِدْلَالاً بِحَسَنَاتِي فَيَمَقُّنِي .

قَالَ : وَرَأَيْتُ ابْنَ سَيَابَةَ يَوْمًا وَهُوَ سَكِرَانٌ وَقَدْ حُمِلَ فِي طَبَقٍ يَعْثُرُونَ بِهِ عَلَى الْجَسْرِ ، فَسَأَلُهُمْ إِنْسَانٌ مَا هَذَا ؟ فَرَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الطَّبَقِ وَقَالَ : هَذَا بَقِيَّةُ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ يَا كِشْخَانُ¹ .

[ولع به أبو الحارث جُمَيْنَ حتى أخجله فهجاه]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنُ مَهْرُؤَيْهِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الشَّيْبَلِ الْبُرْجُمِيُّ قَالَ : وَلِعَ [يَوْمًا] أَبُو الْحَارِثِ جُمَيْنَ بِابْنِ سَيَابَةَ حَتَّى أَخْجَلَهُ . فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ ابْنُ سَيَابَةَ يَهْجُوهُ :

بَنَى أَبُو الْحَارِثِ الْجُمَيْنَ فِي وَسْطِ	مَنْ ظَهَرَهُ وَقَرِيبًا مِنْ ذِرَاعَيْنِ
دَيْسَرًا لِقَسٍّ إِذَا مَا جَاءَ يَدْخُلُهُ	أَلْقَى عَلَى بَابِ دَيْرِ الْقَسِّ خُرْجَيْنِ
يَعْدُو عَلَى بَطْنِهِ شَدًّا عَلَى عَجَلٍ	لَا ذُو يَدَيْنِ وَلَا يَمْشِي بِرَجْلَيْنِ

[جوابه لمن اقترض منه فاعتذر]

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَاعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ تَبْنَةَ قَالَ : كَتَبَ ابْنُ سَيَابَةَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ يَقْتَرِضُ مِنْهُ شَيْئًا ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَعْتَذِرُ لَهُ وَيُحْلِفُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ مَا سَأَلَهُ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : «إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَجَعَلَكَ اللَّهُ صَادِقًا ، وَإِنْ كُنْتَ مَلُومًا فَجَعَلَكَ اللَّهُ مَعذُورًا» .
[ضرب في جماعة فكلهم استه]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْأَزْهَرِ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ ابْنُ سَيَابَةَ الشَّاعِرَ عِنْدَنَا يَوْمًا مَعَ جَمَاعَةٍ تَتَحَدَّثُ وَتَتَنَاشَدُ وَهُوَ يُنْشِدُنَا شَيْئًا مِنْ شِعْرِهِ ، فَتَحَرَّكَ فَضَرَطَ ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى اسْتِهِ غَيْرَ مَكْتَرِثٍ ، ثُمَّ قَالَ : إِمَّا أَنْ تَسْكُنِي حَتَّى أَتُكَلِّمَ ، وَإِمَّا أَنْ تَتَكَلَّمِي حَتَّى أُسْكُتَ .

[غلام يريد أن يتعلم الزندقة]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب قال حدثني أبو هفان قال : غمز ابن سيابة غلاماً أمرّد ذات يوم فأجابته ، ومضى به إلى منزله ، فأكلا وجلسا يشربان . فقال له الغلام : أنت ابن سيابة الزنديق ؟ قال نعم . قال : أحبُّ أن تُعلّمني الزندقة . قال : أفعلُ وكرامةً . ثم بطّحه على وجهه ، فلما تمكّن منه أدخل عليه ؛ فصاح الغلام أوة ! أيش هذا ويحك ! قال سألتني أن أعلمك الزندقة ، وهذا أول بابٍ من شرائعها .

[المصيبة العظمى في فقد الدقيق]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني مُحَرِّز بن جعفر الكاتب قال : قال لي إبراهيم بن سيابة الشاعر : إذا كانت في جيرانك جنازة وليس في بيتك دقيقٌ فلا تحضرُ الجنازة ، فإن المصيبة عندك أكبرُ منها عند القوم ، وبيتك أولى بالمأتم من بيتهم .

[سخط عليه الفضل بن الربيع ، فاستعطفه فرضي عنه ووصله]

أخبرني جعفر بن قدامة ومحمد بن مزيد قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : سخط الفضل بن الربيع على ابن سيابة ، فسأله أن يرضى عنه فامتنع . فكتب إليه ابن سيابة بهذه الأبيات وسألني إيصالها :

فأحطُ بِجُرْمي عَفْوِكَ المأمولا	إن كان جُرْمي قد أحاطَ بِجُرْمتي
في مثْلِها أحدٌ فِلتُ السُّولا ¹	فكم ارتجيتُك في التي لا يُرتجى
ووجدتُ حِلْمَكَ لي عليك دليلا	وضللتُ عنك فلم أجِدْ لي مذهباً
يزدادُ عَفْوُكَ بعد طَوْلِكَ طولا ²	هَبْنِي أسأتُ وما أسأتُ أَقْرُ كَي
لم يَعْدِمِ الرَّاجون منه جميلا	فالعفو أجْمَلُ والتَّفضُّلُ بامرىء

فلما قرأها الفضلُ دَمَعَتْ عيناه ورضي عن ابن سيابة ، وأوصَلَه إليه وأمر له بعشرة آلاف درهم .

[حواراه المقذع مع بشار]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَّة قال حدثنا الحسن بن الفضل قال سمعتُ ابنَ عائشة يقول : جاء إبراهيم بن سيابة إلى بشار فقال له : ما رأيتُ أعمى قطُ إلا وقد عُوِّضَ من بصره إمّا الحِفْظَ والدُّكَاءَ وإمّا حُسْنَ الصوت ، فأَيُّ شيء

1 السؤل والسؤلة : ما سأله ويترك همرها .

2 الطؤل : الفضل .

عَوَّضْتَ [أنت] ؟ قال : أَلَا أرى ثَقِيلاً مِثْلَكَ ، ثم قال له : مَنْ أَنْتَ وَيْحَكَ ؟ قال :
إبراهيم بن سيابة . فَضَاخَكَ ثُمَّ قال : لو نُكِّحَ الْأَسَدُ فِي اسْتِهِ لَذَلَّ . وكان إبراهيم يُرمى
بذلك . ثم تَمَثَّلَ بِشَّار : [من مجزوء البسيط]

لو نُكِّحَ اللَّيْثُ فِي اسْتِهِ خَضَعَا ومات جوعاً وَلَمْ يَنْلُ شَيْعَا
كذلك السيفُ عند هَزَّتِهِ لو بَصَقَ النَّاسُ فِيهِ مَا قَطَعَا

[نزل على سليمان بن يحيى بن معاذ بنيسابور]

أَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
أَبِي نَصْرِ الْمُرُوزِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الطَّلْحِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ يَحْيَى بْنُ
مُعَاذٍ قَالَ : قَدِيمُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سِيَابَةَ نَيْسَابُورَ فَانْزَلَتْهُ عَلَيَّ ؛ فَجَاءَنِي لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي وَهُوَ
مُهْرَبٌ¹ ، فَجَعَلَ يَصِيحُ بِي : يَا أَبَا أَيُّوبَ . فَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ غَشِيَهُ شَيْءٌ يُوْذِيهِ ،
فَقُلْتُ : مَا تَشَاءُ ؟ فَقَالَ : [من مخلع البسيط]

أُعْيَانِي الشَّادِنُ الرَّبِيبُ

فَقُلْتُ بِمَاذَا ؟ فَقَالَ :

أَكْتُبُ أَشْكَو فَلَاحُ يُجِيبُ

قال فَقُلْتُ لَهُ : دَارُهُ وَدَاوَهُ ؛ فَقَالَ :

مَنْ أَيْنَ أُبْغِي شِفَاءَ مَا بِي وَإِنَّمَا دَائِي الطَّيِّبُ

فَقُلْتُ : لَا دَوَاءَ إِذَا إِلَّا أَنْ يُفَرِّجَ اللَّهُ تَعَالَى . فَقَالَ :

يَا رَبِّ فَرِّجْ إِذَا وَعَجَلُ فَإِنَّكَ السَّامِعُ الْمُجِيبُ

ثم انصرف .

في هذا الشعر رَمْلٌ طَنْبُورِيٌّ لِحِظَّةٍ .

[من قصيدة أخت الوليد بن طريف في رثائه]

صوت

[من الطويل]

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالِكَ مُورِقاً كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ

1 أهرَبَ فهو مهْرَبٌ : جَدَّ في السير مذعوراً .

فَتَى لَا يُحِبُّ الزَّادَ إِلَّا مِنَ التُّقَى وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنَا وَسُيُوفِ

الشعر لأخت الوليد بن طريف الشاري . والغناء لعبد الله بن طاهر ثقل أول بالوسطى ، من رواية ابنه عبيد الله عنه . وأول هذه الأبيات كما أنشدنا محمد بن العباس البيهقي عن أحمد بن يحيى ثعلب :

بَلِّ بُنَاثَا رَسْمُ قَبْرِ كَأَنَّهُ	عَلَى عَلمٍ فَوْقَ الْجِبَالِ مُنِيفِ
تَضَمَّنَ جُوداً حَاتِماً وَنَائِلاً	وَسُورَةَ مِقْدَامٍ وَقَلْبَ حَصِيفِ
أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الْجُثَا حَيْثُ أَضْمَرْتُ	فَتَى كَانَ بِالْمَعْرُوفِ غَيْرَ عَفِيفِ
فَإِنْ يَكُ أَرْدَاهُ يَزِيدُ بْنُ مَزِيدِ	فِيَا رَبَّ خَيْلٍ فَضَّهَا وَصُفُوفِ
أَلَا يَا لَقَوْمٍ لِلنَّوَابِ وَالرَّدَى	وَدَهْرٍ مِلْحٍ بِالْكَرَامِ عَنِيفِ
وَلِلْبَدْرِ مِنْ بَيْنِ الْكَوَاكِبِ إِذْ هَوَى	وَلِلشَّمْسِ هَمَّتْ بَعْدَهُ بِكُسُوفِ
أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقاً	كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ
فَتَى لَا يُحِبُّ الزَّادَ إِلَّا مِنَ التُّقَى	وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنَا وَسُيُوفِ
وَلَا الْخَيْلَ إِلَّا كُلَّ جَزْدَاءِ شَطْبَةِ	وَكُلَّ حِصَانٍ بِالْيَدَيْنِ غُرُوفِ ¹
فَلَا تَعْزَعَا يَا ابْنِي طَرِيفِ فَإِنِّي	أَرَى الْمَوْتَ نَزَّالاً بِكُلِّ شَرِيفِ
فَقَدْ نَاكَ فَقْدَانُ الرَّبِيعِ وَلَيْتَنَا	فَدَيْنَاكَ مِنْ دَهْمَائِنَا بِالْوُفِ

وهذه الأبيات تقولها أخت الوليد بن طريف ترثيه ، وكان يزيد بن مزيد قتله .

1 الغروف من الخيل : التي تغرف الجري غرقاً فتذهب الأرض نهياً في سرعتها .

207 - [خبر مقتل الوليد بن طريف]

[ذكر الخبر في ذلك]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد عن عمه عن جماعة من الرواة قال : كان الوليد بن طريف الشيباني رأس الخوارج وأشدّهم بأساً وصولّةً وأشجعهم ؛ فكان من الشماسيّة¹ لا يأمن طروقَه [إياه] ، واشتدّت شوْكُهُ وطالت أيامه . فوجّه إليه الرشيد يزيد بن مزيّد الشيباني ، فجعل يُخاتِلُه ويُمَاكِرُه . وكانت البرامكة منحرفةً عن يزيد بن مزيّد ، فأغروا به أمير المؤمنين ، وقالوا : إنّما يتجافى عنه للرّجم ، وإلّا فشوكة الوليد يسيرة ، وهو يُواعِده ويتنظر ما يكون من أمره . فوجّه إليه الرشيد كتاباً مُغْضَبٌ يقول فيه : «لو وَجَّهْتُ بأحد الخدم لقام بأكثر ممّا تقوم به ، ولكنك مُدَاهِنٌ مُتَعَصِّبٌ . وأمير المؤمنين يُقسِم بالله لئن أُخِرْتَ مُنَاجَزَةُ الوليد لَيُوجَّهَنَّ إِلَيْكَ مَنْ يَحْمِلُ رَأْسَكَ إِلَى أمير المؤمنين» . فلقِيَ الوليد عَشِيَّةَ خميسٍ في شهر رمضان . فيقال : إنّ يزيدَ جُهِدَ عَطَشاً حتى رمى بخاتمه في فيه ، فجعل يَلُوكه ويقول : اللهمّ إنّها شدّةٌ شديدةٌ فاستُرْها . وقال لأصحابه : فداكم أبي وأُمِّي ، إنّما هي الخوارج ولهم حَمَلَةٌ ، فاثبتوا لهم تحت التراس² ، فإذا انقضت حملتهم فاحملوا ؛ فإنهم إذا انهزموا لم يرجعوا . فكان كما قال ، حَمَلُوا حَمَلَةً وثبت يزيد ومن معه من عشيرته وأصحابه ، ثم حَمَلَ عليهم فانكشفوا . ويقال : إنّ أسد بن يزيد كان شبيهاً بأبيه جدّاً ؛ وكان لا يَفْصِلُ بينهما إلّا المتأمل ، وكان أكثر ما يُباعده منه ضربةٌ في وجهه يزيد تأخذ من قصاصِ شَعْرِهِ ومنحرفةٌ على جبهته ؛ فكان أسدٌ يتمنى مثلها . فهَوَتْ له ضربةٌ فأخرج وجهه من الترس فأصابته في ذلك الموضع . فيقال : إنّهُ لو خُطَّتْ على مثالِ ضربةِ أبيه ما عدا ، كأنها هي . واتّبع يزيد الوليد بن طريف فلحقه بعد مسافةٍ بعيدةٍ فأخذ رأسه . وكان الوليد خرج إليهم حيث خرج وهو يقول :

أنا الوليدُ بنُ طَريفَ الشَّاري قَسُورَةٌ لا يُصْطَلَى بِناري
جَوْرُكُمْ أخرجني من داري

1 الشماسية : حلة كانت قرية من بغداد .

2 التراس : جمع ترس .

[خرجت أخته لتأثر له فزجرها يزيد بن يزيد]

فلما وقع فيهم السيفُ وأخذ رأسُ الوليدِ ، صَبَحَتْهُمْ أخته ليلي بنت طريفٍ مستعدةً عليها
الدُّرْعُ والجَوْشَنُ ، فجعلتْ تحملُ على الناسِ فعُرِفَتْ . فقال يزيد : دَعُوهَا ، ثم خرج إليها
فَضْرَبَ بالرَّمْحِ قِطَاةً¹ فرسها ، ثم قال اغْرُبِي غَرْبَ اللَّهِ عليك ! فقد فَضَحَتْ العَشِيرَةَ ؛
فاسْتَحْيَتْ وانصرفت وهي تقول :

أيا شجرَ الخابورِ ما لكَ مورقاً كأنَّكَ لم تَحْزَنْ على ابنِ طريفٍ
فَتَى لا يُحِبُّ الزَّادَ إِلَّا مِنَ التَّقَى ولا المالَ إِلَّا من قَناءٍ وسُيوفٍ
[ولا الذُّخْرَ إِلَّا كُلَّ جَرْدَاءٍ صِلْدِمٍ وكلُّ رقيقِ الشَّفَرَتَيْنِ خفيفٍ²]

فلما انصرف يزيدُ بالظَّفَرِ حُجِبَ بِرَأْيِ البرامكةِ ، وأظهر الرشيد السخَطَ عليه . فقال :
وَحَقُّ أُمير المؤمنين لأصيفنَّ وأشتونَ على ظهرِ فَرَسِي أو أدخل . فارتفع الخبر بذلك فأذن له
فدخل . فلما رآه أُمير المؤمنين ضَحِكَ وَسُرَّ وأقبل يصيح : مَرْحَباً بالأعرابي ! حتى دخل
وأجلسَ وأكْرَمَ وعُرفَ بِلَاوِهِ ونقاءِ صَدْرِهِ .

[من قصيدة مسلم بن الوليد في يزيد بن يزيد]

ومدحه الشعراء بذلك . فكان أحسنهم مدحاً مُسلمُ بن الوليد ؛ فقال فيه قصيدته التي
أولها :

أَجْرَرْتُ حَبْلَ خَلِيعٍ فِي الصُّبَا غَزَلٍ وَشَمَرْتُ هِمَمُ الْعُدَالِ فِي عَذَلِي
هَاجَ الْبُكَاءُ عَلَى الْعَيْنِ الطَّمُوحِ هَوَى مُفَرَّقٌ بَيْنَ تَوْدِيعٍ وَمُحْتَمَلٍ³
كَيْفَ السُّلُو لِقَلْبٍ بَاتَ مُخْتَبِلاً يَهْدِي بِصَاحِبِ قَلْبٍ غَيْرِ مُخْتَبِلٍ
وفيها يقول :

يَقْتَرُّ عِنْدَ افْتِرَارِ الْحَرْبِ مَبْتَسِماً إِذَا تَغَيَّرَ وَجْهُ الْفَارِسِ الْبَطَلِ
مُوفٍ عَلَى مُهَجٍ فِي يَوْمِ ذِي رَهَجٍ كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ
يَنَالُ بِالرَّفَقِ مَا يَغِيَا الرُّجَالُ بِهِ كَالْمَوْتِ مُسْتَعِجِلاً يَأْتِي عَلَى مَهَلٍ
لَا يَرْحَلُ النَّاسُ إِلَّا نَحْوَ حُجْرَتِهِ كَالْبَيْتِ يُفْضِي إِلَيْهِ مُلْتَقَى السَّبَلِ

1 قِطَاةُ الْفَرَسِ : عَجَزُهَا أو مقعد الرديف منها .

2 الصلدم من الخيل : الشديدة الحافر . ورقيق الشفرتين : السيف .

3 العين الطَّمُوح : المرتفعة في النظر إلى الأُحْبَةِ وهم سائرون .

يَقْرِي الْمَيِّتَةَ أَرْوَاحَ الْعُدَاةِ كَمَا
يَكْسُو السُّيُوفَ رُؤُوسَ النَّاكِثِينَ بِهِ
إِذَا انْتَضَى سَيْفَهُ كَانَتْ مَسَالِكُهُ
لَا تُكْذِبَنَّ فَإِنَّ الْمَجْدَ مَعْدِنُهُ
إِذَا الشَّرِيكِيُّ لَمْ يَفْخَرْ عَلَى أَحَدٍ
الرَّائِدِيُّونَ قَوْمٌ فِي رِمَاجِهِمْ
كَبِيرُهُمْ لَا تَقُومُ الرَّاسِيَّاتُ لَهُ
اسْلَمَ يَزِيدُ فَمَا فِي الْمُلْكِ مِنْ أَوْدٍ
لَوْلَا دِفَاعُكَ بَأْسَ الرُّومِ إِذْ مَكَرْتُ
وَالْمَارِقُ ابْنُ طَرِيفٍ قَدْ ذَلَفَتْ لَهُ
لَوْ أَنَّ غَيْرَ شَرِيكِيَّ أَطَافَ بِهِ
مَا كَانَ جَمْعُهُمْ ذَلَفَتْ لَهُمْ
كَمْ آمَنَ لَكَ لَنَّا الدَّارِ مُمْتَنِعٍ
تَرَاهُ فِي الْأَمْنِ فِي دِرْعٍ مُضَاعَفَةٍ
لَا يَعْْبَقُ الطَّيْبُ خَدَّيْهِ وَمَفْرَقَهُ
يَأْبَى لَكَ الدَّمُّ فِي يَوْمَيْكَ إِنْ ذُكِرَا
فَافْخَرْ فَمَالِكَ فِي شَيْبَانَ مِنْ مَثَلٍ

[كان معن يقدمه على بنيه فعاتبته امرأته فأراها حالهم وحاله]

وقال محمد بن يزيد : يعني بقوله :

تراه في الأمن في دِرْعٍ مُضَاعَفَةٍ

خبرَ يزيدَ بنَ مَزِيدٍ . وذلك أَنَّ امرأةَ مَعْنِ بنِ زائدةَ عاتبتَ مَعْنًا في يزيدَ وقالت : إِنَّكَ لَتُقَدِّمُهُ
وَتُوَخِّرُ بَنِيكَ ، وتشيدَ بذكره وتُخَمِّلُ ذِكْرَهُمْ ، ولو نَبَّهْتَهُمْ لانتَبَهوا ، ولو رفعتَهُمْ لارتفعوا .

1 الكوم : النوق العظام الأسنمة واحدها كوما .

2 الشريكي : نسبة إلى «شريك» جد من أجداد يزيد بن مزيد .

3 الزائديون : نسبة إلى «زائدة» أحد الأجداد .

4 الناضل : المصيب ومثله الخصيل .

فقال معن: إن يزيد قريب لم تبعد رحمه، وله علي حكم الولد إذ كنت عمه. وبعد فإنهم ألوط¹ بقلبي وأدنى من نفسي على ما توجهه واجبة الولادة للأبوة من تقديمهم، ولكني لا أجِدُ عندهم ما أجده عنده. ولو كان ما يضطلع به يزيد في بعيد لصار قريباً، وفي عدو صار حبيباً. وسأريك في ليلتي هذه ما يفسح به اللوم عني ويتبين به عذري. يا غلام اذهب فادعُ جَسَّاساً وزائدة وعبد الله وفلاناً وفلاناً، حتى أتى على أسماء ولده؛ فلم يلبث أن جاءوا في الغلائل المطيئة والنعال السندية، وذلك بعد هدأة من الليل، فسلموا وجلسوا. ثم قال: يا غلام ادعُ لي يزيد وقد أسبل ستراً بينه وبين المرأة، وإذا به قد دخل عَجْلاً وعليه السلاح كله، فوضع رُمحه بباب المجلس ثم أتى يُحضِر². فلما رآه معه قال: ما هذه الهيئة أبا الزبير؟، وكان يزيد يُكنى أبا الزبير وأبا خالد، فقال: جاءني رسول الأمير فسبق إلى نفسي أنه يُريدني لوجه، فقلت: إن كان مضيت ولم أعرج، وإن يكن الأمر على خلاف ذلك فترعُ هذه الآلة أيسرُ الخطب. فقال لهم: انصرفوا في حفظ الله. فقالت المرأة: قد تبين عذرك. فأنشد معن متمثلاً: [من الرجز]

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَامَا وَعَوْدَتُهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا³
وَصَيَّرَتْهُ مَلِكاً هُمَامَا

[من شعر أخته في رثائه]

وأخبرني محمد بن الحسن الكندي قال حدثنا الرياشي قال: أنشدني الأصمعي لأخت الوليد بن طريف ترثيه:

ذَكَرْتُ الْوَلِيدَ وَأَيَّامَهُ	إِذِ الْأَرْضُ مِنْ شَخْصِهِ بَلَقَتْ
فَأَقْبَلْتُ أَطْلَبُهُ فِي السَّمَاءِ	كَمَا يَتَغَيُّ أَنْفَهُ الْأَجْدَعُ
أَضَاعَكَ قَوْمُكَ فليطلبوا	إِفَادَةً مِثْلَ الَّذِي ضَيَّعُوا
لَوْ أَنَّ السَّيْفَ التَّيَّ حَذَّهَا	يُصَيِّبُكَ تَعْلَمُ مَا تَصْنَعُ
نَبَتْ عَنْكَ أَوْ جَعَلَتْ هَيْبَةً	وَخَوْفًا لَصَوْلِكَ لَا تَقْطَعُ

1 ألوط بقلبي: ألصق به.

2 يُحضِر: يعدو ويسرع.

3 مثل يقال في نباهة الذكر من غير قديم، وعصام بن شهر حاجب النعمان، فكل من كان ليس له قديم فشرف بنفسه قيل له عصامي. فصل المقال: 137.

208 - [بعض أخبار عبد الله بن طاهر]

[بعض أخلاق عبد الله بن طاهر]

فأما خبرُ عبد الله بن طاهر في صنعته هذا الصوت ، فإنَّ عبد الله كان بمحلٍّ من علوِّ المنزلة وعِظَم القَدَر ولُطف مكانٍ من الخلفاء ، يَسْتغني به عن التقرُّظ له والدلالة عليه . وأمره في ذلك مشهورٌ عند الخاصة والعامة ، وله في الأدب مع ذلك المحلِّ الذي لا يُدفع ، وفي السماحة والشجاعة مالا يقاربه فيه كبيرٌ أحدٍ .

[فرَّق خراج مصر وقال أبياتاً أَرْضَى بها المأمون]

أخبرني عليُّ بن سليمان الأُخفش عن محمد بن يزيد المُبرِّد أن المأمون أعطى عبد الله بن طاهر مال مصر لسنةٍ خراجها وضياعها ، فوهبه كُلَّهُ وفرَّقه في الناس ، ورجع صِفْراً من ذلك ؛ فغاض المأمون فعله . فدخل إليه يوم مَقْدَمِهِ فأنشده أبياتاً قالها في هذا المعنى ، وهي : [من البسيط]

نَفْسِي فداؤُكَ والأَعناقُ خاضعةٌ	لِلنَّائِبَاتِ أَيْباً غيرَ مُهْتَضَمٍ
إِلَيْكَ أَقْبَلْتُ مِنْ أَرْضٍ أَقْمَتُ بِهَا	حَوَئِثِي بَعْدَكَ فِي شَوْقٍ وَفِي أَلَمٍ
أَقْفُو مَسَاعِيكَ اللَّاتِي خُصِّصَتْ بِهَا	حَذَوُ الشُّرَاكِ عَلَى مِثْلِ مَنْ الْأَدَمِ
فَكَانَ فَضْلِي فِيهَا أَتْنِي تَبَعٌ	لَمَّا سَنَنْتَ مِنَ الْإِنْعَامِ وَالنَّعَمِ
وَلَوْ وَكَلْتُ إِلَى نَفْسِي غَنِيْتُ بِهَا	لَكِنْ بَدَأْتُ فَلَمْ أُعْجِزْ وَلَمْ أَلَمِ

فَضَحِكَ المأمون وقال : وَاللَّهِ مَا نَفِسْتُ عَلَيْكَ مَكْرَمَةً يَنْتَهَا وَلَا أُحْدِثُ حَسَنَ عَنكَ ذِكْرُهَا ، وَلَكِنْ هَذَا شَيْءٌ إِذَا عَوَّدْتَهُ نَفْسُكَ افْتَقَرْتَ وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى لَمِّ شَعْنِكَ ، وَإِصْلَاحِ حَالِكَ . وَزَالَ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ .

[سوغه المأمون خراج مصر وأتاه معلى الطائي ومدحه فأجازه بكل ما لديه]

أخبرني وكيعٌ قال حَدَّثَنَا عبد الله بن أبي سَعْدٍ قال حَدَّثَنِي عبد الله بن فَرْقَدٍ قال أَخْبَرَنِي محمد بن الفضل بن محمد بن منصور قال : لَمَّا افْتَتَحَ عبد الله بن طاهر مِصرَ وَنَحْنُ مَعَهُ ، سَوَّغَهُ المأمون خَرَاجَهَا . فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى أَجَازَ بِهَا كُلَّهَا ثَلَاثَةَ آلَافِ أَلْفِ دِينَارٍ أَوْ نَحْوَهَا . فَأَتَاهُ مُعَلَّى الطَّائِي وَقَدْ أَعْلَمُوهُ مَا قَدْ صَنَعَ عبد الله بن طاهر بِالنَّاسِ فِي الْجَوَائِزِ ، وَكَانَ عَلَيْهِ وَاحِداً ، فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ تَحْتَ الْمِنْبَرِ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! أَنَا مُعَلَّى الطَّائِي ، وَقَدْ بَلَغَ مِنِّي مَا كَانَ مِنْكَ [إِلَيَّ] مِنْ جَفَاءٍ وَغِلَظٍ ، فَلَا يَغْلِظُنَّ عَلَيَّ قَلْبُكَ . وَلَا يَسْتَحْفَنُكَ الَّذِي بَلَغَكَ ، أَنَا الَّذِي أَقُولُ :

[من البسيط]

يا أعظمَ النَّاسِ عَفْوَاً عندَ مَقْدَرَةٍ وأَظْلَمَ النَّاسِ عندَ الجُودِ للمالِ
لو أَصْبَحَ النِّيلُ يَجري ماؤُهُ ذَهَباً لَمَا أَشْرَتَ إلى خَزَنِ بِمِثْقَالِ
تُعْلي بما فيه رِقِّ الحَمْدِ تَمَلِّكُهُ وليس شيءٌ أَعاضَ الحَمْدَ بالغالي¹
تَفَكُّ بِالْيَسْرِ كَفَّ العُسْرَ من زَمَنِ إذا استَطَالَ على قومٍ بإِقْلالِ
لم تَحُلْ كَفْكَ من جُودٍ لِمُخْتَبِطِ [أ] وَ مُرْهَفِ قاتِلٍ في رَأْسِ قَتالِ²
وما بَثَّتْ رَعِيلَ الخيلِ في بَلَدِ إِلَّا عَصَفْنَ بِأَرْزاقِ وآجالِ
إن كنتُ مِنْكَ على بالٍ مَنَنْتَ به فإنَّ شُكْرَكَ من قَلْبِي على بالي
ما زِلْتُ مُنْقَضِياً لولا مُجاهرةً من السُّنِّ خُضْنَ في صَدْرِي بِأَقوالِ
قال فضحك عبد الله وسرَّ بما كان منه ، وقال : يا أبا السَّمراءِ أَقْرِضْني عشرة آلاف دينار ،
فما أَمْسَيْتُ أَمْلِكُها ؛ فأقرضه فدفعها إليه .

[أحسن إلى موسى بن خاقان ثم جفاه ، فمدح موسى المأمون بشعر غنته «ضعف» جاريته]

أخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خُرْداذبه قال : كان موسى بن خاقان مع عبد الله بن طاهر بمصر ، وكان نديمه وجليسه ، وكان له مُؤَثِّراً مُقَدِّماً ؛ فأصاب منه معروفاً كثيراً وأجازه بجوائز سنِّية هناك وقبل ذلك . ثم إنَّه وَجَدَ عليه في بعض الأمر ، فجفاه وظَّهَرَ له منه بعضٌ ما لم يُحِبِّه ، فرجع حينئذٍ إلى بغداد وقال :

صوت

إن كان عبدُ اللَّهِ خَلانَا لا مُبْدِئاً عُرْفاً وإحسانا
فحَسْبُنَا اللَّهُ رَضِينا به ثمَّ بعبدَ اللَّهِ مولانا

يعني بعبد الله الثاني المأمون ، وغنَّتْ فيه جاريته ضَعْفُ لَحْنًا من الثَّقيلِ الأوَّل ، وسَمِعَهُ المأمون فاستحسنه ووصله وإيَّاهَا . فبلغَ ذلك عبدَ اللَّهِ بن طاهر ، فغاضه ذلك وقال : أَجَل ؛ صَنَعْنَا المَعْرُوفَ إلى غيرِ أَهلِهِ فضاغ .

وكانتْ ضَعْفُ إحدى المُحْسِناتِ . ومن أوائلِ صَنَعَتِها وصدورِ أَغانِيها وما بَرَزَتْ فيه وَقَدِّمَتْ فاختيرت ، صَنَعَتِها في شعرِ جَمِيلٍ :

أَمِنْكَ سَرَى يا بَشْنُ طَيْفٍ تَأَوَّبا هُدُوءاً فهاجَ القلبُ شَوْقاً وأنصبا

1 تغلي بالشيء : تجعله غالياً .

2 اختبطه وتخططه : سأله المعروف بلا وسيلة من آصرة قربي أو مودة أو معرفة .

عَجِبْتُ لَهُ أَنْ زَارَ فِي النَّوْمِ مَضْجَعِي وَلَوْ زَارَنِي مُسْتَقِظًا كَانَ أَعْجَبَا
الشعر لجميل ، والغناء لضعفَ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالبصرة .

[قصته مع محمد بن يزيد الأموي الحصني]

أخبرني عمِّي قال حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ الدَّهْقَانَةِ النَّدِيمُ قَالَ حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ الْخُرَّاسَانِيُّ ، وَكَانَ مِنْ وَجْهِهِ قُوَادِهِ طَاهِرٌ وَابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ ، وَكَانَ أَدِيبًا عَاقِلًا فَاضِلًا ، قَالَ : لَمَّا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَفْخَرُ فِيهَا بِمَآثِرِ أَبِيهِ وَأَهْلِهِ وَيَفْخَرُ بِقَتْلِهِمُ الْمَخْلُوعَ ، عَارِضَهُ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْأُمَوِيِّ الْحِصْنِيِّ ، وَكَانَ رَجُلًا مِنْ وَلَدِ مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَفْرَطَ فِي السَّبِّ وَتَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي قُبْحِ الرَّدِّ ، وَتَوَسَّطَ بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ بَنِي هَاشِمٍ فَأَرَبَى فِي التَّوَسُّطِ وَالتَّعَصُّبِ . فَكَانَ مِمَّا قَالَ فِيهِ :

يَا ابْنَ بَيْتِ النَّارِ مُوقِدُهَا مَا لِحَاذِيهِ سَرَاوِيلُ¹
مَنْ حُسَيْنٌ مَنْ أَبُوكَ وَمَنْ مُضْعَبٌ ؟ غَالَتْكُمْ غُولُ
نَسَبٌ فِي الْفَخْرِ مُؤْتَشَبُ² وَأَبَوَاتُ أَرَاذِيلُ²
قَاتِلُ الْمَخْلُوعِ مَقْتُولُ وَدَمُ الْمَقْتُولِ مَطْلُولُ

وهي قصيدة طويلة . فلَمَّا وَلَّى عَبْدُ اللَّهِ مِصْرَ وَرَدَّ إِلَيْهِ تَدْبِيرُ أَمْرِ الشَّامِ ، عَلِمَ الْحِصْنِيُّ أَنَّهُ لَا يُفْلِتُ مِنْهُ إِنْ هَرَبَ ، وَلَا يَنْجُو مِنْ يَدِهِ حَيْثُ حَلَّ ؛ فَتَبَّتْ فِي مَوْضِعِهِ ، وَأَحْرَزَ حُرْمَهُ ، وَتَرَكَ أَمْوَالَهُ وَدَوَابَّهُ وَكُلَّ مَا كَانَ يَمْلِكُهُ فِي مَوْضِعِهِ ، وَفَتَحَ بَابَ حِصْنِهِ وَجَلَسَ عَلَيْهِ ، وَنَحْنُ نَتَوَقَّعُ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ أَنْ يُوقِعَ بِهِ . فَلَمَّا شَارَفْنَا بَلَدَهُ وَكُنَّا عَلَى أَنْ نُصَبِّحَهُ ، دَعَانِي عَبْدُ اللَّهِ فِي اللَّيْلِ فَقَالَ لِي : بَيْتٌ عِنْدِي اللَّيْلَةَ ، وَلِيَكُنْ فَرَسُكَ مُعَدًّا عِنْدَكَ لَا يُرَدُّ ، فَفَعَلْتُ . فَلَمَّا كَانَ فِي السَّحَرِ أَمَرَ غِلْمَانَهُ وَأَصْحَابَهُ أَلَّا يَرْحَلُوا حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، وَرَكِبَ فِي السَّحَرِ وَأَنَا وَخَمْسَةٌ مِنْ خَوَاصِّ غِلْمَانِهِ [مَعَهُ] ، فَسَارَ حَتَّى صَبَحَ الْحِصْنِيَّ ، فَرَأَى بَابَهُ مَفْتُوحًا وَرَأَاهُ جَالِسًا مُسْتَرْسِلًا ، فَقَصَدَهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَنَزَلَ عِنْدَهُ وَقَالَ لَهُ : مَا أَجَلَسَكَ هَاهُنَا وَحَمَلَكَ عَلَى أَنْ فَتَحْتَ بَابَكَ وَلَمْ تَحْصَنْ مِنْ هَذَا الْجَيْشِ الْمُقْبِلِ وَلَمْ تَتَنَحَّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ مَعَ مَا فِي نَفْسِهِ عَلَيْكَ وَمَا بَلَغَهُ عَنْكَ ؟ فَقَالَ : إِنَّ مَا قُلْتَ لَمْ يَذْهَبْ عَلَيَّ ، وَلَكِنِّي تَأَمَّلْتُ أَمْرِي وَعَلِمْتُ أَنِّي أَخْطَأْتُ خَطِيئَةً حَمَلَنِي عَلَيْهَا نَزَقُ الشَّبَابِ وَغَرَّةُ الْحِدَاثَةِ ، وَأَنِّي إِنْ هَرَبْتُ مِنْهُ لَمْ أَقْتَهُ ، فَبَاعَدْتُ الْبَنَاتِ وَالْحُرَمَ ، وَاسْتَسَلَمْتُ بِنَفْسِي وَكُلِّ مَا أَمْلِكُ ؛ فَإِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ قَدْ أُسْرِعَ الْقَتْلُ فِينَا ، وَلِي بَمَنْ مَضَى أَسْوَةٌ ؛ فَإِنِّي أَتَّقِي بَأْنَ الرَّجُلِ إِذَا

1 الحاذان من الدابة : ما وقع عليه الذئب من أديار الفخذين . يريد الفخذين .

2 نسب مؤتشب : غير صريح .

قتلني وأخذ مالي شفى غيظه ولم يتجاوز ذلك إلى الحرم ولا له فيهن أرب ، ولا يُوجب جرّمي إليه أكثر ممّا بذلته . قال : فوالله ما اتّقاءه عبد الله إلّا بدّموعه تجري على لحيته . ثم قال له : أتعرفني ؟ قال : لا والله ! قال : أنا عبد الله بن طاهر ، وقد آمن الله تعالى روعتك ، وحقّ ذمك ، وصان حرمك ، وحرس نعمتك ، وعفا عن ذنبك . وما تعجّلت إليك وحدي إلّا لتأمن من قبل هجوم الجيش ، ولئلاّ يُخالط عَفْوِي عنك روعة تلحقك . فبكى الحصنيّ وقام فقبل رأسه ؛ وضّمّه [إليه] عبد الله وأدناه ، ثم قال له : إمّا [لا] فلا بدّ من عتاب . يا أخي جعلني الله فداك ! قلتُ شعراً في قومي أفخر بهم لم أظعن فيه على حسبك ولا ادّعت فضلاً عليك . وفخرتُ بقتل رجلٍ هو وإن كان من قومك ، فهم القوم الذين ثأرك عندهم ؛ فكان يسعك السكوت ، أو إن لم تسكُت لا تُفرّق ولا تُسرف . فقال : أيّها الأمير ، قد عفوت ، فاجعله العفو الذي لا يخلطه تريب ، ولا يكدر صفوه تأنيب . قال : قد فعلتُ ، فقم بنا ندخل إلى منزلك حتّى نوجِبَ عليك حقّاً بالضيافة . فقام مسروراً فأدخلنا ، فأتى بطعام كان قد أعدّه ، فأكلنا وجلسنا نشرب في مُستشرفٍ له . وأقبل الجيش ، فأمرني عبد الله أن ألقاهم فأرحلهم ، ولا ينزل أحدٌ منهم إلّا في المنزل ، وهو على ثلاثة فراسخ ؛ [فتزلتُ فرحتهم . وأقام عنده إلى العصر] . ثم دعا بدواة فكتب له بتسويغه خراجَه ثلاث سنين ، وقال له : إن نشيطت لنا فالحق بنا ، وإلّا فأقم بمكانك . فقال : فأنا أجهز والحق بالأمر . ففعل فلحق بنا بمصر . ولم يزل مع عبد الله لا يفارقه حتّى رحل إلى العراق ، فودّعه وأقام ببلده .

[بعض الأشعار التي غنى فيها وأخبارها]

فأمّا الأصوات التي غنى فيها عبد الله بن طاهر فكثيرة . وكان عبيد الله بن عبد الله إذا ذكر شيئاً منها قال : الغناء للدار الكبيرة ، وإذا ذكر شيئاً من صنعته قال : الغناء للدار الصغيرة . فمنها ومن مختارها وصُدورها ومقدّمها لحنه في شعر أخت [عمرو بن] عاصية ، وقيل : إنه لأخت مسعود بن شدّاد . فإنه صوت نادر جيد . قال أبو العَبَس بن حمدون وقد ذكره فضّله : جاء به عبدُ الله بن طاهر صحيح العمل مُزدوج النغم بين لينٍ وشدةٍ على رسم الحذاق من القدماء ، وهو :

صوت

هَلَّا سَقَيْتُمُ بَنِي سَهْمٍ أُسِيرَكُمْ نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ذِي غُلَّةٍ صَادِي
الطَّاعِنُ الطُّعْنَةَ النَّجْلَاءُ يَتَّبِعُهَا مُضَرَّجٌ بَعْدَ مَا جَادَتْ بِإِزَادِ

الشعر لأخت عمرو بن عاصية السُّلَمِيّ [ترثيه] . وكان بنو سَهْمٍ ، وهم بطنٌ من هُذَيْل ، أسروه في حربٍ كانت بينهم ولم يعرفوه ، فلما عَرَفُوهُ قتلوه . وكان قد عطش

فاستسقاهاهم ، فمنعوه وقتلوه على عَطَشِهِ . وقيل : إنَّ هذا الشعر للفارعة أخت مسعود بن شدَّاد . ولحنُ عبد الله بن طاهر خفيف ثقيل أول بالوسطى ابتداءً استهلال .
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلبيّ قالَا حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال : قتلْتُ بنو سَهْمٍ ، وهم بطن من هُذَيْل ، عمرو بن عاصية السُّلَمِيّ ، وكان رجلاً منهم أخذاه أخذاً ، فاستسقاها ماءً فمنعاه ذلك ، ثم قتلاه . فقالت أخته تَرثيه ، وتذكر ما صنعوا به :

شَبَّتْ هُذَيْلٌ وَبَهَزُ بَيْنَهَا إِرَّةٌ فلا تَبُوحُ ولا يَرْتَدُّ صَالِيهَا¹
[ويروى : «شبت هذيل وسهم» ، وهو الصحيح ، ولكن كذا قال عمر بن شَبَّة] :
[من البسيط]

إنَّ ابنَ عاصيةَ المقتولَ بينكما خلَّى عليَّ فجاجاً كان يَحْمِيها
وقالت أيضاً تَرثيه :
يا لَهْفَ نَفْسِي لَهْفاً دائماً أبداً على ابن عاصيةَ المقتول بالوادي
هلاً سَقَيْتُمُ بني سَهْمٍ أُسِيرَكُمُ نَفْسِي فِدَاؤُك من ذي غُلَّةٍ صادي
قال : فغزا عَرْعَرَةُ بن عاصية هُذَيْلاً يطلبهم بدم أخيه ، فقتل منهم نَفْراً وسبى امرأةً فجردها ، ثم ساقها معه عاريةً إلى بلاد بني سُلَيْمٍ ؛ فقالت عند ذلك :
[من الطويل]

أَلَامَتْ سُلَيْمٌ فِي السِّيَاقِ وَأَفْحَشَتْ وَأَفْرَطَ فِي السَّوْقِ الْعَنيفُ إِسَارُهَا²
لَعَلَّ فِتَاةَ مِنْهُمْ أَنْ يَسَوْقَهَا فَوَارِسُ مَنْ وَهْيَ بَادٍ شَوَارُهَا³
فَإِنْ سَبَقَتْ عَلِيَا سُلَيْمٌ بِذَحْلِهَا هُذَيْلاً فَقَدْ بَاءَتْ فَكَيْفَ اعْتِدَارُهَا
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى الْخَيْلَ شُرْباً تُثِيرُ عَجَاجاً مُسْتَطِيراً غُبَارُهَا⁴
فَتَرَقَّا عِوْنَ بَعْدَ طُولِ بُكَائِهَا وَيُغَسِّلُ مَا قَدْ كَانَ بِالْأَمْسِ عَارُهَا⁵

هذه رواية عمر بن شَبَّة . فأما أبو عبيدة فإنه خالفه في ذلك ، وذكر في مقتله ، فيما أخبرني به محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ إجازةً عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال : خرج عمرو بن عاصية

1 أصل الإرة : الحفرة والمقصود هنا : الحرب .

2 ألامت : فعلت ما تستحق عليه اللوم .

3 الشوار : الحسن والهيئة والزينة واللباس .

4 شرب : ضوامر ، الواحد شازب .

5 ترقا : في الأصل ترقأ أي تجف .

السُّلَمِيُّ ثُمَّ الْبَهْزِيُّ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ ، فَأَغَارُوا عَلَى هُذَيْلَ بْنِ مُدْرِكَةَ ، فَصَادَفُوا حَيًّا مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو سَهْمٍ بْنِ مَعَاوِيَةَ . وَكَانَتْ امْرَأَةٌ مِنْ هُذَيْلٍ تَحْتَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي بَهْزٍ ، فَقَالَتْ لِابْنِهَا مَعَهُ : أَيُّ بُنَيٍّ انْطَلِقَ إِلَى أُخُوَالِكَ فَأَنْذِرْهُمْ بِأَنَّ ابْنَ عَاصِيَةَ السُّلَمِيِّ قَدْ أَمْسَى يَرِيدُهُمْ ، وَذَلِكَ حِينَ عَزَمَ ابْنُ عَاصِيَةَ عَلَى غَزْوِهِمْ وَأَرَادَ الْمَسِيرَ إِلَيْهِمْ . فَاَنْطَلَقَ الْغَلَامُ مِنْ تَحْتِ لَيْلَتِهِ حَتَّى أَتَا أُخُوَالَهِ فَأَنْذَرَهُمْ ، فَقَالَ : ابْنُ عَاصِيَةَ السُّلَمِيِّ يَرِيدُكُمْ ، فَخَذُوا حِذْرَكُمْ ؛ فَبَدَرَ الْقَوْمُ وَاسْتَعَدُّوا . وَأَصْبَحَ عَمْرُو بْنُ عَاصِيَةَ قَرِيبًا مِنَ الْحَيِّ ، فَنَزَلَ قَرِيبًا لِأَصْحَابِهِ عَلَى جَبَلٍ [مَشْرِفٍ عَلَى الْقَوْمِ] ، فَإِذَا هُمْ حَازِرُونَ . فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : أَرَى الْقَوْمَ حَازِرِينَ ، إِنَّ لَهُمْ لَشَأْنًا ، وَلَقَدْ أَنْذَرُوا عَلَيْنَا . فَكَمَنَّ فِي الْجَبَلِ يَطْلُبُ غَفْلَتَهُمْ ، فَأَصَابَهُ وَأَصْحَابُهُ عَطَشٌ شَدِيدٌ ، فَقَالَ ابْنُ عَاصِيَةَ لِأَصْحَابِهِ : هَلْ فِيكُمْ مَنْ يَرْتَوِي لِأَصْحَابِهِ ؟ فَقَالَ أَصْحَابُهُ : نَخَافُ الْقَوْمَ ، وَأَبَى أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يُجِيبَهُ إِلَى ذَلِكَ . قَالَ : فَخَرَجَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ وَمَعَهُ قَرْبَتُهُ . وَقَدْ وَضَعَتْ هُذَيْلٌ عَلَى الْمَاءِ رَجُلًا مِنْهُمْ رَصَدًا ، وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ أَنْ يَرِدُوا الْمَاءَ . فَمَرَّبَهُمْ عَمْرُو بْنُ عَاصِيَةَ وَقَدْ كَمَنَّ لَهُ شَيْخٌ وَفَتْيَانٌ مِنْ هُذَيْلٍ ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ هُمُ الْفَتْيَانِ أَنْ يُثَاوَرَاهُ¹ . فَقَالَ الشَّيْخُ : مَهْلًا ! فَإِنَّهُ لَمْ يَرَكَ ، فَكَفَّا . فَانْتَهَى ابْنُ عَاصِيَةَ إِلَى الْبُئْرِ ، فَنَظَرَ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَمْ يَرَ أَحَدًا وَالْآخَرُونَ يَرْمُقُونَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَاهُمْ . فَوَثَبَ نَحْوَ قَرْبَتِهِ فَأَخَذَهَا ثُمَّ دَخَلَ الْبُئْرَ فَطَفَّقَ يَمْلَأُ الْقَرْيَةَ وَيَشْرَبُ . وَأَقْبَلَ الْفَتْيَانِ وَالشَّيْخُ مَعَهُمَا حَتَّى أَشْرَفُوا عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْبُئْرِ ، [فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَأَبْصَرَ الْقَوْمَ] ؛ فَقَالُوا : [قَدْ أَخْزَاكَ اللَّهُ يَا ابْنَ عَاصِيَةَ وَأَمَكَنَّ مِنْكَ] ؛ قَالَ : وَرَمَى الشَّيْخُ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ أَحْمَصَهُ فَأَنْفَذَهُ فَصْرَعَهُ ، وَشَغَلَ الْفَتْيَانِ بِنَزْعِ السَّهْمِ مِنْ قَدَمِ الشَّيْخِ ، وَوَثَبَ ابْنُ عَاصِيَةَ مِنَ الْبُئْرِ شَدًّا نَحْوَ أَصْحَابِهِ ، وَأَدْرَكَ الْفَتْيَانِ قَبْلَ وَصُولِهِ فَأَسْرَاهُ . فَقَالَ لَهَا حِينَ أَخَذَهَا : أَرُوَانِي مِنَ الْمَاءِ ثُمَّ اصْنَعَا مَا بَدَأَ لَكُمَا . فَلَمْ يَسْقِيَاهُ وَتَعَاوَرَاهُ بِأَسْيَافِهِمَا حَتَّى قَتَلَاهُ . فَقَالَتْ أُخْتُ عَمْرُو بْنِ عَاصِيَةَ تَرْتِي أَخَاهَا : [مِنْ الْبَسِيطِ]

يَا لَهْفَ نَفْسِي يَوْمًا ضَلَّهَ جَزَعًا عَلَى ابْنِ عَاصِيَةَ الْمَقْتُولِ بِالْوَادِي

إِذَا جَاءَ يَنْفُضُ عَنْ أَصْحَابِهِ طِفْلًا مَشْيَ السَّبْتِيِّ أَمَامَ الْأَيْكَةِ الْعَادِي²

هَلَّا سَقَيْتُمْ بَنِي سَهْمٍ أُسِيرَكُمْ نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ذِي غَلَّةٍ صَادِي

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَأَبُ غَزِي³ بَنِي سُلَيْمٍ بَعْدَ مَقْتَلِ ابْنِ عَاصِيَةَ . قَالَ : فَبَلَغَ أَخَاهُ عَرْعَرَةَ بْنُ عَاصِيَةَ قَتْلُ هُذَيْلٍ أَخَاهُ وَكَيْفَ صُنِعَ بِهِ ، فَجَمَعَ لَهُمْ جَمْعًا مِنْ قَوْمِهِ فِيهِمْ فَوَارِسُ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ مِنْهُمْ عُبَيْدَةُ بْنُ حَكِيمِ الشَّرِيدِيِّ وَعَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ الشَّرِيدِيِّ وَأَبُو مَالِكِ الْبَهْزِيُّ وَقَيْسُ بْنُ

1 ثَاوَرَهُ : وَابَّهَ .

2 يَنْفُضُ : يَكْشِفُ الطَّرِيقَ وَيَتَجَسَّسُ . الطِّفْلُ طِفْلَانِ : طِفْلُ الْغَدَاةِ وَطِفْلُ الْعَشِيِّ . السَّبْتِيُّ : النَّمْرُ أَوْ الْأَسَدُ .

3 الْغَزْيُ : اسْمُ جَمْعٍ لِغَازٍ .

عمرو أحد بني مطرود من بني سُلَيْم وفوارس من بني رِغْلٍ . قال : فسرى إليهم عرعة ، فالتقوا بموضع يقال له الجُرف فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فظفرت بهم بنو سُلَيْم فأوجعوا فيهم وقتلوا منهم قتلى عظيمةً ، وأسروا أسرى ، وأصابوا امرأةً من هذيل فعروها من ثيابها واستاقوها مجردةً فأفحشوا في ذلك . وقال عرعة بن عاصية في ذلك يذكر من قتل :

أَلَا أُبْلِغُ هُذَيْلًا حَيْثُ حَلَّتْ مُغْلَغَلَةً تَخُبُ مَعَ الشَّفِيقِ
مُقَامَكُمْ غَدَاةَ الْجُرْفِ لَمَّا تَوَاقَفَتِ الْفَوَارِسُ بِالْمَضِيقِ
غَدَاةَ رَأَيْتُمْ فُرْسَانَ يَهْزِ وَرِغْلٌ أَلْبَدْتُ فَوْقَ الطَّرِيقِ¹
تَرَامَيْتُمْ قَلِيلًا ثُمَّ وَلَّتْ فَوَارِسُكُمْ تَوَقَّلُ كُلُّ نَيْقٍ²
بِضَرْبٍ تَسْقُطُ الْهَامَاتُ مِنْهُ وَطَعْنٍ مِثْلَ إِشْعَالِ الْحَرِيقِ

وقال لي : إنَّ هذا الشعر الذي فيه صنعة عبد الله بن طاهر لمسعود بن شداد يرثي أخاه ، وزعم أنَّ جرماً كانت قتلته وهو عطشان ، فقال :

يَا عَيْنُ جُودِي لِمَسْعُودِ بْنِ شَدَادٍ بِكَلِّ ذِي عِبْرَاتٍ شَجُوهُ بَادِي
هَلَّا سَقَيْتُمْ بَنِي جَرْمٍ أَسِيرَكُمْ نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ذِي غُلَّةٍ صَادِي

فأنشدنيها بعض أصحابنا قال أنشدني أبو بكر محمد بن [الحسن بن] دريد قال أنشدني أبو حاتم عن أبي عبيدة لعارعة المريّة أخت مسعود بن شداد ترثيه ، فذكر من الأبيات البيت الأول ، وبعده :

يَا مَنْ رَأَى يَارِقًا قَدْ بَتَّ أَرْمَقُهُ جَوْدًا عَلَى الْحَرَّةِ السُّودَاءِ بِالْوَادِي³
أَسْقِي بِهِ قَبْرٍ مَنْ أَعْنَى وَحُبَّ بِهِ قَبْرًا إِلَيَّ وَلَوْ لَمْ يَفْذِهِ فَادِي
شَهَادُ أُنْدِيَةِ رَفَّاعُ أُنْبِيَةِ شَدَادُ أَلْوِيَةِ فَتَّاحُ أُسْدَادِ
نَحَّارُ رَاغِيَةِ قَتَّالُ طَاغِيَةِ حَلَّالُ رَابِيَةِ فَكَّاكُ أَفْيَادِ⁴
قَوَالُ مُحْكَمَةِ نَقَّاضُ مُبْرَمَةِ فَرَّاجُ مُبْهَمَةِ حَبَّاسُ أَوْرَادِ⁵

1 ألبد بالمكان : أقام به ولزمه .

2 توقل : تتصعد . والنيق : أعلى الجبال .

3 البارق : هنا السحاب .

4 الراغية : الناقة .

5 أوراود : جمع ورد وهو الجماعة الوردون للماء ، والقطيع من الطير والإبل ، والجيش .

حَلَّالٌ مُمْرِغِي حَمَالٍ مُضْلِعَةٍ قَرَّاعٌ مُفْطِعِي طَلَّاعٍ أَنْجَادٍ¹
جَمَاعٌ كُلُّ خِصَالِ الْخَيْرِ قَدْ عَلِمُوا زَيْنُ الْقَرِينِ وَخَطْمُ الظَّالِمِ الْعَادِي²
أَبَا زُرَّارَةَ لَا تَبْعُدْ فَكُلُّ فَتَى يَوْمًا رَهِينُ صَفِيحَاتٍ وَأَعْوَادٍ

والغناء في هذا الشعر لعبد الله بن طاهر خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالبنصر . قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : لما صنع أبي هذا الصوت لم يُحِبَّ أَنْ يَشِيعَ عنه شيءٌ من هذا ولا يُنسَبَ إليه ؛ لأنه كان يترفع عن الغناء ، وما جَسَّ بيده وَتَرَأَ قَطُّ ولا تعاطاه ، ولكنه كان يعلم من هذا الشأن بطول الدُّرْبَةِ [وحُسْنِ الثَّقَافَةِ] ما لا يعرفه كبيرٌ أحدٍ . وبلغ من عِلْمِ ذلك إلى أن صَنَعَ أصواتاً كثيرة ، فألقاها على جواريه ، فأخذنها عنه وغَنَّى بها ، وَسَمِعَهَا النَّاسُ مِنْهُمْ وَمَنْ أَخَذَ عَنْهُمْ . فلَمَّا أن صنع هذا الصوت :

هَلَّا سَقَيْتُمْ بَنِي جَرْمٍ أَسِيرَكُمْ نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ذِي غُلَّةٍ صَادِي

نسبه إلى مالك بن أبي السَّمْح . وكان لآل الفضل بن الربيع جاريةٌ يقال لها داحية ، فكانت ترغب إلى عبد الله بن طاهر لما نَدَبَهُ المأمون إلى مصر [في أن يأخذها معه] ، وكانت تغنيه ، وأخذت هذا الصوت عن جواريه ، وأخذته المغنُّون عنها وَرَوَّوْهُ لِمَالِكِ مَدَّةً . ثم قَلِمَ عبد الله العراق فحضر مجلس المأمون ، وغَنَّى الصوتُ بحضرته ونُسِبَ إلى مالك ؛ فَضَحِكَ عبدُ الله ضَحْكًا كَثِيرًا . فسُئِلَ عن القِصَّةِ فَصَدَّقَ فيها واعترف بصنعة الصوت . فكشَفَ المأمون عن ذلك ، فلم يَزَلْ كُلُّ مَنْ سُئِلَ عنه يُخْبِرُ عَمَّنْ أَخَذَهُ [عنه] ، فتنتهي القِصَّةُ إلى داحية ثم تقف ولا تعدوها . فأحضرت داحية وسئلت فأخبرت بقصته ؛ فعِلِمَ أَنَّهُ مِنْ صِنْعَتِهِ حينئذ بعد أن جاز على إسحاق وطبقته أنه لِمَالِكِ . ويقال : إنَّ إسحاق لم يَعَجَبْ مِنْ شَيْءٍ عَجَبَهُ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ وَحِذْقِهِ بِمَذَاهِبِ الْأَوَائِلِ وَحِكَايَاتِهِمْ . قال : ومن غنائه أيضاً :

[من الخفيف]

صوت

راح صَحْبِي وَعَاوَدَ الْقَلْبَ دَاءً مِنْ حَبِيبِ طِلَّابِهِ لِي عَنَاءُ
حَسَنُ الرَّأْيِ وَالْمَوَاعِيدِ لَا يُدْ فَيَ لَشَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ وَفَاءُ
مَنْ تَعَزَّى عَمَّنْ يُحِبُّ فَإِنِّي لَيْسَ لِي مَا حَيَّيْتُ عَنْهُ عَزَاءُ

الغناء لابن طنبورة خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالسبابة في مجرى الوسطى . ولحن عبد الله بن طاهر

ثاني ثقيلٌ بالبنصر .

1 المضلعة : المثقلة للأضلاع .

2 خطمه : إذا ضرب مخطمه وهو الأنف .

209 - [أخبار متفرقة]

ومنها :

فَمَنْ يَفْرَحُ بَيْنَهُمْ فغَيْرِي إِذْ غَدَوْا فَرِحَا

[شعر لعمر بن أبي ربيعة وسببه]

صوت

[من الخفيف]

يَا خَلِيلِيَّ قَدْ مَلِلْتُ ثَوَائِي بِالْمُصَلَّى وَقَدْ شَيْتُ الْبَقِيعَا
بَلْغَانِي دِيَارَ هِنْدٍ وَسَلَّمِي وَارْجِعَا بِي فَقَدْ هَوَيْتُ الرُّجُوعَا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء للغريض خفيف ثقيل بالوسطى في مجراها [عن إسحاق] ، وذكر الهشامي أنه لابن سريج . وذكر حبش أن فيه رملاً بالنصر لإبراهيم . وفيه لحن لمبعد ذكره حماد بن إسحاق عن أبيه ولم يجنسه .

أخبرني بخبر عمر بن أبي ربيعة في هذا الشعر وقوله إياه الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا سليمان بن عياش السعدي قال [أخبرني السائب بن ذكوان راوية كثير قال] : قدم عمر بن أبي ربيعة المدينة ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص قال ، وأخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن عثمان بن حفص والزبير والمسيبي ، وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز [الجوهري] قال حدثنا عمر بن شبة موقوفاً عليه . وجمعت رواياتهم ، وأكثر اللفظ للزبير [بن بكار] وخبره أتم : أن عمر بن أبي ربيعة قدم المدينة ؛ فزعموا أنه قدمها من أجل امرأة من أهلها ، فأقام بها شهراً ؛ فذلك قوله :

يَا خَلِيلِيَّ قَدْ مَلِلْتُ ثَوَائِي بِالْمُصَلَّى وَقَدْ شَيْتُ الْبَقِيعَا

[خرج عمر هو والأحوص إلى مكة فمرّا بنصيب وكثير ونحاوروا]

قال : ثم خرج إلى مكة ، فخرج معه الأحوص واعتمرا .

قال الزبير في خبره عن سائب راوية كثير إنه قال : لما مرّا بالروحاء¹ استلباني² فخرجت

1 الروحاء : قرية كانت لمزينة بينها وبين المدينة واحد وأربعون ميلاً .

2 استتلاه : طلب إليه أن يتلوه .

أَتْلُوهُمَا ، حَتَّى لَحَقْتُهُمَا بِالْعَرَجِ¹ عِنْد رَوَاحِهِمَا . فَخَرَجْنَا جَمِيعاً حَتَّى وَرَدْنَا وَدَّانَ² ، فَجَبَسَهُمَا النُّصَيْبُ وَذَبَحَ لهما وَأَكْرَمَهُمَا ، وَخَرَجْنَا وَخَرَجَ مَعَنَا النُّصَيْبُ . فَلَمَّا جِئْنَا كُلِّيَّةَ³ عَدَلْنَا جَمِيعاً إِلَى مَنْزَلٍ كَثِيرٍ ، فَقِيلَ لَنَا : هَبْطُ قُدَيْدًا⁴ ، فَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ فِي خِيَمَةٍ مِنْ خِيَامِهَا . فَقَالَ لِي ابْنُ أَبِي رَيْبَعَةَ : اذْهَبْ فَادْعُهُ لِي . فَقَالَ النُّصَيْبُ : هُوَ أَحَقُّ وَأَشَدُّ كِبَرًا مِنْ أَنْ يَأْتِيكَ . فَقَالَ لِي عُمَرُ : اذْهَبْ كَمَا أَقُولُ [لَكَ] فَادْعُهُ لِي : فَجِئْتُهُ ، فَهَشَّ لِي وَقَالَ : «اذْكُرْ غَائِبًا تَرَاهُ⁵ ، لَقَدْ جِئْتُ وَأَنَا أَذْكُرُكَ . فَأَبْلَغْتُهُ رِسَالَةَ عُمَرَ ؛ فَحَدَّدَ إِلَيَّ نَظْرَةً وَقَالَ : أَمَا كَانَ عِنْدَكَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ مَا تَرَدَّعُكَ عَنْ إِيْتَائِي بِمِثْلِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ ! قُلْتَ : بَلَى وَاللَّهِ ؛ وَلَكِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَهْتِكَ سِتْرَكَ . فَقَالَ لِي : إِنَّكَ وَاللَّهِ يَا بَنَ ذَكْوَانَ مَا أَنْتَ مِنْ شَكْلِي ؛ فَقُلْ لابْنِ أَبِي رَيْبَعَةَ : إِنْ كُنْتَ قَرَشِيًّا فَأَنَا قَرَشِيٌّ . فَقُلْتَ لَهُ : لَا تَتْرَكَ هَذَا التَّلَصُّقَ وَأَنْتَ تُقَرِّفُ عَنْهُمْ كَمَا تُقَرِّفُ الصَّمْعَةَ ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَأَنَا أَثَبْتُ فِيهِمْ مِنْكَ فِي سَدُوسٍ . ثُمَّ قَالَ : وَقُلْ لَهُ : إِنْ كُنْتَ شَاعِرًا فَأَنَا أَشْعَرُ مِنْكَ . فَقُلْتَ لَهُ : هَذَا إِذَا كَانَ الْحُكْمُ إِلَيْكَ . فَقَالَ : وَإِلَى مَنْ هُوَ وَمَنْ أَوَّلَى بِالْحُكْمِ مِنِّي ؟ [وَبَعْدَ هَذَا يَا ابْنَ ذَكْوَانَ فَاحْمَدِ اللَّهَ عَلَى لَوْمِكَ ؛ فَقَدْ مَنَعَكَ مِنِّي] الْيَوْمَ ؟ فَرَجَعْتُ إِلَى عُمَرَ ، فَقَالَ : مَا وَرَاءَكَ ؟ فَقُلْتُ : مَا قَالَ نَصَيْبٌ . فَقَالَ : وَإِنْ . فَأَخْبِرْتُهُ فَضَحِكَ وَضَحِكَ صَاحِبَاهُ ظَهْرًا لِبَطْنِي ، ثُمَّ نَهَضُوا مَعِيَ إِلَيْهِ . فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فِي خِيَمَةٍ ، فَوَجَدْنَاهُ جَالِسًا عَلَى جِلْدٍ كَبَشٍ ، فَوَاللَّهِ مَا أَوْسَعَ لِلْقُرَشِيِّ . فَلَمَّا تَحَدَّثُوا مَلِيًّا فَأَفَاضُوا فِي ذِكْرِ الشَّعْرِ ، أَقْبَلَ عَلَى عُمَرَ فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ تَنْعَتَ الْمَرْأَةَ فَتَنْسَبُ بِهَا ثُمَّ تَدَعُهَا وَتَنْسَبُ بِنَفْسِكَ . أَخْبِرْنِي يَا هَذَا عَنْ قَوْلِكَ :

قَالَتْ تَصَدَّقِي لِي لِيَعْرِفَنَا ثُمَّ اغْمِزِيهِ يَا أُخْتَ فِي خَفَرٍ
قَالَتْ لَهَا قَدْ غَمَزْتَهُ فَأَبَى ثُمَّ اسْبَطَرْتُ تَشْتَدُّ فِي أَثَرِي⁶
وَقَوْلُهَا وَالْذُّمُّوعُ تَسْبِقُهَا لِنَفْسِدَنَّ الطَّوْافَ فِي عُمَرِ

أَتَرَكَ لَوْ وَصَفْتَ بِهَذَا هِرَّةً أَهْلِكَ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ قَبَّحْتَ وَأَسَاءْتَ وَقُلْتَ الْهَجْرَ : إِنَّمَا تُوصَفُ الْحَرَّةُ بِالْحَيَاءِ وَالْإِبَاءِ وَالْأَلْيَاءِ وَالْبُخْلِ وَالْامْتِنَاعِ ، كَمَا قَالَ هَذَا ، وَأَشَارَ إِلَى الْأَحْوَصِ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

1 العرج : قرية كانت جامعة في واد من نواحي الطائف .

2 ودان : قرية جامعة من نواحي الفرع بين مكة والمدينة .

3 كلية : قرية بين مكة والمدينة .

4 قديد : موضع قرب مكة .

5 مثل ، ويروى «اذكر غائباً يقترب» ، هذا المثل يروى عن عبد الله بن الزبير أنه ذكر المختار يوماً وسأل عنه ، والمختار يومئذ بمكة قبل أن يقدم العراق ، فبينما هو في ذكره إذ طلع المختار فقال ابن الزبير هذا المثل . مجمع الأمثال للميداني 11/2 .

6 اسبطرت : أسرعت .

أدورُ ولولا أن أرى أمَّ جَعْفَرٍ بأبياتِكُمْ ما دُرْتُ حيثُ أدورُ
وما كُنْتُ زَوَّاراً ولكنَّ ذا الهوى إذا لم يَزُرْ لا بُدَّ أن سيزورُ
لقد مَنَعْتُ معروفها أمَّ جَعْفَرٍ وإنِّي إلى معروفها لَفَقِيرُ
قال : فدخلتِ الأحوصُ أبهةً وعُرِفَتْ الخِلاءُ فيه . فلما استبانَ كثيرُ ذلك فيه قال :
أبطل آخِرُك أولَك . أَخْبِرْنِي عن قولك :

فإن تصلي أصيلك وإن تبيني بصُرمِك بعد وصيلك لا أبالي
ولا ألفى كَمَنْ إن سيمَ صرماً تعرَّضَ كي يُردَّ إلى الوصالِ
أما والله لو كنتَ فحلاً لباليَتْ ولو كَسَرْتَ أنفك . ألا قلتَ كما قال هذا الأسود ، وأشار
إلى نصيب :

بِزَيْنَبِ أَلِمَ قبل أن يَرْحَلَ الرَّكْبُ وقُلْ إن تَمَلَّينا فما مَلِكُ القَلْبِ
قال : فانكسر الأحوصُ ، ودخلتِ النصيبُ أبهةً . فلما نَظَرَ أن الكبرياءَ قد دخلته ، قال
له : يا ابنَ السوداء ، فأخبرني عن قولك :

أهيمُ بِدَعْدٍ ما حَيِّتُ فإنَّ أُمْتُ قوا كَبِدِي مَنْ ذا يَهيمُ بها بَعْدِي
أَهْمَكَ مَنْ يَنِيكُها بعدَكَ ؟ فقال نصيب : استوتِ القِوَقُ¹ ، قال : وهي لُعبةٌ مثلُ المنقلة .
ومن هذا الموضع ينفرد الزبير بروايته دون الباقيين . قال سائب : فلما أُمسك كثيرُ أقبل عليه
عُمَرُ فقال له : قد أنصتْنَا لك فاسمع يا مَذْبُوبُ² [إليَّ] ! أَخْبِرْنِي عن تخييرك لنفسك وتخييرك
لَمَنْ تُحِبُّ حيثَ تقول :

ألا لیتنا يا عَزَّ كُنَّا لِذِي غِنًى بَعِيرَيْنِ نَرعى في الخِلاءِ وَنَعُزُّ
كِلَانَا به عَرَّ فَمَنْ يَرَنَا يَقُلْ على حُسْنِها جِرباءُ تُعْدِي وَأَجْرُبُ
إذا ما وَرَدْنَا مِنْهَلاً صاحَ أَهْلُهُ علينا فما نَنفَكُ نُرْمَى وَنُضْرَبُ
وَدِدْتُ وَبَيْتِ اللَّهِ أَنَّكَ بَكْرَةٌ هِجَانٌ وَأَنِّي مُصْعَبٌ ثَمَ نَهْرُبُ³
نكون بَعِيرِي ذِي غِنًى فَيُضِيعُنَا فلا هُوَ يَرعانا ولا نحن نُطَلِّبُ

وقال : تَمَنَّيْتُ لها ولنفسك الرِّقَّ والجرب والرَّمْيَ والطَّرْدَ والمَسْخَ ، فَأَيَّ مَكْرُوهِ لم تَمَنَّ لها

1 في نسخة : الفبق وهو هدف يوضع لرمي السهام وإصابته .

2 المذبوب : المجنون .

3 بكرة هجان : بيضاء . والمصعب : الفحل .

ولنفسك ؟ لقد أصابها منك قولُ القائل : «معادةُ عاقلٍ خيرٌ من مودةِ أحمقٍ» . قال : فجعل
يختلج جسده كله . ثم أقبل عليه الأحوص فقال : إليَّ يا ابن استها¹ أخبرك بخبرك وتعرضك
للشر وعجزك عنه واهدافك لمن² رماك . أخبرني عن قولك : [من الطويل]

وقلن ، وقد يكذبن ، فيك تعيفُ وشومٌ إذا ما لم تطعُ صاح ناعقةُ
وأعيتنا لا راضياً بكرامةٍ ولا تاركاً شكوى الذي أنت صادقُه
فأدركت صفو الودِّ منّا فلمتنا وليس لنا ذنبٌ فنحن مواذقةُ³
والفيتنا سلماً فصدعت بيننا كما صدعت بين الأديم خوالقةُ⁴

والله لو احتفل عليك هاجيك ما زاد على ما بُوت به على نفسك . قال : فحقق كما يخفق
الطائرُ . ثم أقبل عليه النصيبُ فقال : «أقبلُ عليَّ يا زبُّ الذباب ! فقد تمتت معرفة غائبٍ
عندي علمه فيك حيث تقول :

وددتُ ، وما تُغني الودادةُ ، أنني بما في ضمير الحاجية عالمُ
فإن كان خيراً سرّني وعلمته وإن كان شراً لم تلمني اللوأمُ

انظر في مرأتك واطلع في جيبك واغرف صورة وجهك ، تعرف ما عندها [لك] .
فاضطرب اضطراب العصفور ، وقام القوم يضحكون . وجلست عنده ؛ فلما هدا شأوه قال
لي : أرضيتك فيهم ؟ فقلت له : أما في نفسك فنعم ! فقد نجس يومك معهم ، وقد بقيت أنا
عليك . فما عذرك ، ولا عذر لك ، في قولك : [من الطويل]

سقى ديمتين لم نجد لهما أهلاً يحفل لكم يا عزّ قد رابنا حقلاً
نجاء الثريا كلّ آخر ليلةٍ يجودهما جوداً ويتبعه وبلاً

[ثم قلت في آخرها :

وما حسبت ضمريّة حذريّة سوى التيس ذي القرنين أن لها بغلاً

أهكذا يقول الناس ويحك ! ثم تظن أن ذلك قد خفي ولم يعلم به أحدٌ ، فتسبب الرجال
وتعييهم ؟ فقال : وما أنت وهذا ؟ وما علمك بمعنى ما أردت ؟ فقلت : هذا أعجب من ذاك .
أتذكر امرأة تنسب بها في شعرك وتستعزّز لها الغيث في أول شعرك ، وتحمل عليها التيس في

1 يقال لابن الأمة عند تحقيره : «يا ابن استها» يعنون أنها ولدته من استها .

2 أهدف لكذا : تعرض له .

3 مواذق : جمع ماذقة . يقال مذاق الود إذا لم يخلصه .

4 البين هنا : الوصل . خوالق الأديم : اللاتي قدرنه قبل أن يقطعنه .

آخره ! قال : فَأُطْرَقَ وَذَلَّ وَسَكَنَ . فَعُدْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَأَعْلَمْتُهُمْ مَا كَانَ مِنْ خَبَرِهِ بَعْدَهُمْ . فقالوا : مَا أَنْتَ بِأَهْوَنَ حِجَارَتِهِ الَّتِي رُمِيَ بِهَا الْيَوْمَ مِنَّا . قَالَ فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنَّهُ لَمْ يَتَرْنِي فَأُطْلِبْهُ بِذَخْلٍ ، وَلَكِنِّي نَصَحْتُهُ لئَلَّا يُخْلَ هذا الإخلال الشديد ، ويركب هذه العروض¹ الَّتِي رَكِبَ فِي الطَّعْنِ عَلَى الْأَحْرَارِ وَالْعَيْبِ لَهُمْ .

[شدد والي مكة في الغناء ، فخرج فتية إلى وادي عسمر وبعثوا لابن سريج فغناهم]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيِّ وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ قَالَا حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ جَامِعٍ عَنِ السَّعِيدِيِّ عَنْ سَهْلِ بْنِ بَرَكَةَ وَكَانَ يَحْمِلُ عُودَ ابْنِ سُرَيْجٍ قَالَ : كَانَ عَلَى مَكَّةَ نَافِعُ بْنُ عُلْقَمَةَ الْكِنَانِيُّ ، فَشَدَّدَ فِي الْغِنَاءِ وَالْمَغْنَنِ وَالنَّبِيدِ ، وَنَادَى فِي الْمُخَنَّثِينَ . فَخَرَجَ فِتْيَةٌ مِنْ قَرِيشٍ إِلَى بَطْنِ مُحَسَّرٍ² وَبَعَثُوا بِرَسُولٍ لَهُمْ فَأَتَاهُمْ بِرَاوِيَةٍ مِنَ الشَّرَابِ الطَّائِفِي . فَلَمَّا شَرَبُوا وَطَرَبُوا قَالُوا : لَوْ كَانَ مَعَنَا ابْنُ سُرَيْجَ تَمَّ سُرُورُنَا . فَقُلْتُ : هُوَ عَلَيَّ لَكُمْ . فَقَالَ لِي بَعْضُهُمْ : دُونَكَ تِلْكَ الْبَغْلَةُ فَارْكَبْهَا وَامْضِ إِلَيْهِ . فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَكَانِ الْقَوْمِ وَطَلِبِهِمْ إِيَّاهُ . فَقَالَ لِي : وَنَحْكَ ؟ وَكَيْفَ لِي بِذَلِكَ مَعَ شِدَّةِ السُّلْطَانِ فِي الْغِنَاءِ وَنَدَائِهِ فِيهِ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : أَفْتَرَدْتُهُمْ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ! فَكَيْفَ لِي بِالْعُودِ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : أَنَا أُخْبِئُهُ لَكَ فَشَانَكَ . فَركب واسترت العود وأردفني . فَلَمَّا كُنَّا بِيَعُضِ الطَّرِيقِ إِذَا أَنَا بِنَافِعِ بْنِ عُلْقَمَةَ قَدْ أَقْبَلَ ، فَقَالَ لِي : يَا ابْنَ بَرَكَةَ هَذَا الْأَمِيرُ ؟ فَقُلْتُ : لَا بِأَسْ عَلَيْكَ ، أُرْسِلْ عِنَانَ الْبَغْلَةِ وَامْضِ وَلَا تَخَفْ ، ففعل . فَلَمَّا حَازِبْنَاهُ عَرَفَنِي وَلَمْ يَعْرِفْ ابْنُ سُرَيْجَ ، فَقَالَ لِي يَا ابْنَ بَرَكَةَ : مَنْ هَذَا أَمَامَكَ ؟ فَقُلْتُ : وَمَنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ! هَذَا ابْنُ سُرَيْجَ . فَنَبَسُّمُ [ابن] عُلْقَمَةَ ثُمَّ تَمَثَّلَ :

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا يَا أَبَانُ مُسْلِمًا فَقَدْ أَفْلَتَ الْحَجَّاجُ خَيْلَ شَيْبِيبِ
ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا . فَلَمَّا كُنَّا قَرِيبًا مِنَ الْقَوْمِ نَزَلْنَا إِلَى شَجَرَةٍ نَسْتَرِيحُ ، فَقُلْتُ لَهُ : غَنِّ³
مَرْتَجِلًا ؛ فَرَفَعَ صَوْتَهُ فَخَيَّلَ إِلَيَّ أَنَّ الشَّجَرَةَ تَنْطِقُ مَعَهُ ، فَغَنَّى :

صوت

كَيْفَ التَّوَاءُ يَبْطُنُ مَكَّةَ بَعْدَ مَا هَمُّ الَّذِينَ تُحِبُّ بِالْإِنْجَادِ
أَمْ كَيْفَ قَلْبُكَ إِذْ تَوَيْتَ مُحَمَّرًا سَقَمًا خِلَافَهُمْ وَكَرَّكَ بَادِي³
هَلْ أَنْتَ إِنْ ظَعَنَ الْأَحْيَةُ غَادِي أَمْ قَبْلَ ذَلِكَ مُدْلِجٌ بِسَوَادِ

1 العَروض : الطريق في عرض الجبل .

2 بطن محسّر : وادي المزدلفة بالقرب من مكة .

3 المخمر : أصله المصدع من الخمر .

الشعر للعرجي . وذكر إسحاق في مُجرّده أنّ الغناء فيه لابن عائشة ثاني ثقلٍ مطلق في مجرى الوسطى . وحكى حماد ابنه عنه أنّ اللحن لابن سريج . قال سهل : فقلت : أحسنت والذي فلقَ الحبة وبرأ النسمة ، ولو أنّ كنانة كلّها سمعتك لاستحسنتك فكيف بنافع بن علقمة ! المغرور من غرّه نافع . ثم قلت : زدني وإن كان القوم متعلّقة قلوبهم بك . فعنّي وتناول عُوداً من الشجرة فأوقع به على الشجرة ؛ فكان صوتُ الشجرة أحسنَ من خفق بطنون¹ الضّأن على العيدان إذا أخذتها قُضبان الدّفلى . قال : والصوت الذي غنّى : [من الكامل]

صوت

لا تَجْمَعِي هَجْراً عَلَيَّ وَغُرْبَةً فالهَجْرُ في تَلَفِ الغريبِ سريعُ
مَنْ ذا ، فديتُك ، يستطيع لِحْبِهِ دَفْعاً إذا اشتملتُ عليه ضُلُوعُ
فقلت : بنفسِي أنتَ واللهِ مَنْ لا يُمَلُّ ولا يُكَدُّ ، والله ما جَهَلُ مَنْ فهِمَك ؛ اركَبْ ، فدتك نفسِي ، بنا . فقال : أمهلني كما أمهلتك أقضِ بعض شأني . فقلت : وهل عما تُريد مَدْفَعُ ! فقام فصلّي ركعتين ، ثم ضرب بيده على الشجرة وقال : أشهدُ أنّ لا إله إلا الله وأشهدُ أنّ محمداً عبده ورسوله ، ثم قال : يا حبيبتِي إذا شَهِدْتَ بِذاك الشيء فاشْهَدِي بهذا . ثم مضينا والقوم متشوّقون . فلما دَنَوْنَا أَحَسَّتِ الدوابُّ بالبعلة فصَهَلَتْ ، وشَحَجَتِ البعلة ، وإذا الغريص يُغْنِيهم لحنه :

مِنْ خَيْلٍ حَيٍّ ما تَزَالُ مُغِيرَةً سَمِعْتُ على شَرَفِ صَهِيلِ حِصَانِ
فبكى ابن سُرَيْجٍ حتّى ظننتُ أنّ نفسه قد خرجتُ ، فقلت : ما يُيكِك يا أبا يحيى ؟
[جُعِلَتْ فداكَ !] لا يسوءك الله ولا يُريك سوءاً ! قال : أبكاني هذا المخنث بحسن غنائه وشجَا صوته ؛ والله ما ينبغي لأحدٍ أن يُغْنِيَّ وهذا الصبيُّ حيٌّ . ثم نزل فاستراح وركب . فلما سار هنيهةً اندفع الغريص فغنّاهم لحنه :

يا خَلِيلِي قد مَلَلْتُ ثَوَائِي بالمُصَلَّى وقد شَنِيتُ البَقِيعَا

قال : ولصوته دَوِيٌّ في تلك الجبال . فقال ابن سريج : ويلك يا ابن بركة ! أَسَمِعْتَ أحسنَ من هذا الغناء والشعر قطّ ؟ قال : ونظروا إلينا فأقبلوا نشاوى يسحبون أعطافهم ، وجعلوا يُقبِلون وجه ابن سُرَيْجٍ . فنزل فأقام عندهم ثلاثاً والغريص لا ينطق بحرف [واحد] ، وأخذوا في شرايبهم وقالوا : يا حبيبَ النفس وشقيقها أعطها بعض منها ؛ فضرب بيده إلى جيبه فأخرج منه مضرباً ، ثم أخذ به ووضعه العود في حِجره ، فما رأيتُ يداً أحسنَ من يده ، ولا خشبةً

1 يريد بيطون الضّأن الأوتار التي تتخذ من المعى .

تَخَيَّلْتُ إِلَيَّ أَنَّهَا جَوْهَرَةٌ إِلَّا هِيَ ، ثم ضرب فلقد سَبَّحَ القَوْمُ جميعاً ، ثم غَنَّى فُكْلٌ قال : لَبَّيْكَ
لَبَّيْكَ ! فكان مِمَّا غَنَّى فِيهِ ، واللحن له هزج : [من مجزوء الرجز]

صوت

لَبَّيْكَ يَا سَيِّدَتِي لَبَّيْكَ أَلْفَا عَدَا
لَبَّيْكَ مِنْ ظَالِمَةٍ أَحْبَبْتُهَا مُجْتَهِدَا
قُومُوا إِلَى مَلْعَبِنَا نَحْكُ الْجَوَارِي الْخُرْدَا
وَضَعْ يَدَ فَوْقَ يَدٍ تَرْفَعُهَا يَدَا

فُكْلٌ قال : نفعل ذاك . فلقد رأيتنا نستيقُّ أُنثَى تَقَعُ يَدُهُ عَلَى يَدِهِ . ثم غَنَّى : [من مَخْلَع البسيط]

مَا هَاجَ شَوْقُكَ بِالصَّرَائِمِ رُبَّ أَحَالٍ لِأُمِّ عَاصِمٍ¹
رُبَّ تَقَادَمَ عَهْدِهِ هَاجَ الْمُحِبُّ عَلَى التَّقَادُمِ
فِيهِ النَّوَاعِمُ وَالشَّبَابُ بُ النَّاعِمُونَ مَعَ النَّوَاعِمِ
مِنْ كُلِّ نَاعِمَةِ الْجَبِيَّةِ مِنْ عَمِيمَةٍ رَيَّا الْمَعَاصِمِ²

ثم إِنَّهُ غَنَّى : [من الطويل]

صوت

شَجَانِي مَغَانِي الْحَيِّ وَأَنْشَقَّتِ الْعَصَا وَصَاحَ غُرَابُ الْبَيْنِ أَنْتَ مَرِيضُ
فَفَاضَتْ دُمُوعِي عِنْدَ ذَلِكَ صَبَابَةً وَفِيهِنَّ خَوْدٌ كَالْمُهَاقَةِ غَضِيضُ
وَوَلَّيْتُ مَخْزُونًا الْفَوَادِ مُرَوَّعًا كَتَبْتُهَا وَدَمْعِي فِي الرَّدَاءِ يَفِيضُ

الغناء لابن مُحَرَّرٍ خفيف ثَقِيلٍ مطلق في مجرى البنصر ، وفيه خفيف ثَقِيلٍ آخر لابن جُنْدَب . قال : فلقد رأيت جماعة طيرٍ وقعن بِقُرْبِنَا وما نُحِسُّ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْهَا شَيْئاً ؛ فقالت الجماعة : يَا تَمَامَ السُّرُورِ وَكَمَالَ الْمَجْلِسِ ! لَقَدْ سَعِدَ مَنْ أَخَذَ بِحُظَّهِ مِنْكَ ، وَخَابَ مَنْ حُرِمَكَ ، يَا حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَنَسِيمَ النُّفُوسِ جَعَلْنَا [الله] فِدَاكَ ! غَنَّا ؛ فغَنَّى واللحن له : [من مجزوء الكامل]

صوت

يَا هِنْدُ إِنَّكَ لَوْ عَلِمْتَ تَبَاعِذَ لَيْلٍ تَتَابَعَا

1 أحال الشيء : مرَّ عليه حول ، مثل أحول الشيء .

2 امرأة عميمة : نائمة القوام والخلق طويلة .

وهذا الصوت يأتي خبره مفرداً لأنّ فيه طُولاً ، فبدرتُ من بينهم فقبّلت بين عينيه ،
فتهافت القوم عليه يقبلونه ؛ فلقد رأيتني وأنا أرفعهم عنه شفقةً عليه .
[ما في الأشعار التي تناشدها عمر وأصحابه من أغاني]

وفي هذه الأشعار التي تناشدها كثيرٌ وعمرٌ ونصيبٌ والأحوصُ أغاني .
منها :

صوت

أبصرتها ليلةً ونسوتها يمشين بين المقام والحجر
ما إن طمعنا بها ولا طمعت حتى التقينا ليلاً على قدر
بيضاً حسناً خرائداً قطفاً يمشين هوناً كمشيّة البقر
الشعر لعمر . والغناء لابن سريج رملٌ بالوسطى عن الهشاميّ وحَبَش . وذكر عمرو أنّ
فيه لابن سُرّيج خفيف ثَقِيلٍ أوّلٌ بالبصر . ولأبي سعيدٍ مولى فائد ثَقِيلٌ أوّل ، وقيل : إنه
لسنانٍ الكاتب . ومن هذه القصيدة أيضاً ، وهذا أولها :

صوت

يا مَنْ لِقَلْبٍ مُتَمِّمٍ كَمِدٍ يَهْذِي بِخَوْدٍ مَرِيضَةٍ النَّظَرِ
تمشي رُوَيْدًا إِذَا مَشَتْ قَطْفًا وهي كمثل العُسلُوجِ مِ الْبُسْرِ¹
ما زال طَرْفِي يَحَارُ إِذْ بَرَزْتُ حتى عرفتُ النُّقْصَانَ فِي بَصَرِي
غناه ابن محرز ، ولحنه من خفيف الثَقِيلِ الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى .
ومنها :

صوت

قالتْ لِيَتْرَبْ لها تُحَدِّثُها لِنُفْسِدَنَّ الطَّوْفَ فِي عَمْرِ
قالتْ تَصَدِّقِيْ له لِيَعْرِفَنَا ثمَّ اغْمِزِيْه يا أُخْتِ فِي خَفَرِ
قالتْ لها قد غمزته فأبى ثمَّ اسْتَطِيرْتُ تَشْتَدُّ فِي أَثَرِي²
غناء يونس خفيف ثَقِيلٍ أوّلٌ بالبصر عن حَبَش . وقيل : إنّ فيه لعبد الله بن العباس لحنًا
جَيِّدًا .
ومنها ما لم يَمُضْ ذكرُه في الكتاب :

[من الطويل]

1 قطفاً : بطيان السير : الواحدة قطوف . العسلوج : ما لان واخضر من القضبان ، والبسر : الثمر قبل إرطابه .

2 استطيرت : دُعرت .

صوت

ألا ليتنا يا عَزَّ من غيرِ بَغْضَةٍ بَعِيرَيْنِ نَرَعِي في الخَلَاءِ وَنَعْرُبُ
كلانا بِهِ عَرٌّ فَمَنْ يَرَنَا يَقُلْ على حُسْنِهَا جَرَاءُ تُعْدِي وَأَجْرُبُ
إذا ما وَرَدْنَا مِنْهَلًا صَاحَ أَهْلُهُ علينا فما نَنْفَكُ نُرْمَى وَنُضْرَبُ

الغناء لإبراهيم ، رملٌ بالوسطى عن حَبَشٍ .

[فضلت عَزَّةُ الأحوص في الشعر على كَثِيرٍ ، فققدته وأوردت نماذج من شعر الأحوص]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكَيْعٌ قال حَدَّثَنَا حَمَادُ بن إِسْحَاقَ عن أَبِيهِ عن أَبِي عبيدة عن عَوَانَةَ
وعيسى بن يزيد : أَنَّ كَثِيرًا دَخَلَ على عَزَّةَ ذات يومٍ ، فقالت له : ما يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَأْذَنَ لَكَ في
الجلوس . قال : ولم ؟ قالت : لَأَنِّي رَأَيْتُ الأَحْوَصَ أَلَيْنَ جَانِبًا [في شِعْرِهِ] مِنْكَ في شِعْرِكَ
وَأَضْرَعَ خَدًّا للنساء ، وَإِنَّهُ لَأَشْعُرُ مِنْكَ حين يقول :

يا أَيُّهَا اللّائِمِي فيها لأَصْرِمَها أَكْثَرْتَ لو كان يُغْنِي مِنْكَ إِكْثَارُ
ارْجِعْ فَلَسْتَ مُطَاعًا إِذْ وَشَيْتَ بها لا القَلْبُ سَالٍ ولا في حُبِّها عَارُ
وَإِنِّي اسْتَرْقَقْتُ قَوْلَهُ :

[من الطويل]

وما كُنْتُ زَوَّارًا وَلَكِنَّ ذَا الهوى إِذَا لم يُزَرَ لا بُدَّ أَنْ سَيُزُورُ
وَأَعْجَبَنِي قَوْلُهُ :

[من البسيط]

كَمْ مِنْ دَنِيٍّ لَهَا قَدْ صِرْتُ أَتْبَعُهُ ولو صَحَا القَلْبُ عَنْهَا كان لي تَبَعًا¹
وزادني كَلَفًا بِالْحُبِّ أَنْ مَنَعْتُ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الإنسانِ ما مُنِعًا²
وقوله أَيْضًا :

[من الطويل]

وما العَيْشُ إِلَّا ما تَلَذَّذَ وَتَشْتَهَى وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ ذُو الشَّانِ وَفَنَدًا³
فقال كَثِيرٌ : قَدْ وَاللَّهِ أَجَادَ ؛ فما الَّذِي اسْتَجَفَيْتَ مِنْ قَوْلِي ؟ قالت : أَخْزَاكَ اللَّهُ ! أَمَا
اسْتَحْيَيْتَ حين تقول :

[من الطويل]

يُحَاذِرُنْ مُنِي غَيْرَةً قَدْ عَرَفْنَهَا لَدَيَّ فما يَضْحَكُنْ إِلَّا تَبَسُّمًا
فقال كَثِيرٌ :

[من الطويل]

1 صحا في ل : سلا .

2 مثل .

3 الشنان : البغض من الشنان .

وَدِدْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ أَنْتَ بَكْرَةٌ هِجَانٌ وَأَنْتِ مُصْعَبٌ ثُمَّ نَهْرُبُ
كِلَانَا بِهِ عَرٌّ فَمَنْ يَرَنَا يَقُلْ عَلَى حُسْنِهَا جَرِيَاءُ تُعْذِي وَأَجْرِبُ
نَكُونُ لِذِي مَالٍ كَثِيرٍ مُغْفَلٍ فَلَا هُوَ يَرَعَانَا وَلَا نَحْنُ نُطَلَّبُ

[أبيات من شعر أبي زيد وبيان ألحانها]

فَقَالَتْ لِي : وَيَحْك ! لَقَدْ أَرَدْتَ بِي الشَّقَاءَ الطَوِيلَ ، وَمِنَ الْمُنَى مَا هُوَ أَغْفَى مِنْ هَذَا
وَاطْيَبُ : [من المنسرح]

صوت

قَدْ كُنْتَ فِي مَنْظَرٍ وَمُسْتَمْعٍ عَنْ نَصْرِ بَهْرَاءَ غَيْرِ ذِي فَرَسٍ
لَا تَرَّةَ عِنْدَهُمْ فَتَطْلُبُهَا وَلَا هُمْ نُهْرَةٌ لُمُخْتَلِسٍ
بَكْفٌ حَرَانٌ تَائِرٌ بِدَمٍ طَلَّابٌ وَتَرٍ فِي الْمَوْتِ مُنْعِمِسٍ
إِمَّا تَقَارِشُ بِكَ الرَّمَاحُ فَلَا أَبْكِيكَ إِلَّا لِلدَّلْوِ وَالْمَرَسِ
تَذُبُّ عَنْهُ كَفٌّ بِهَا رَمَقٌ طَيْرًا عُكُوفًا كَزُورِ الْعُرْسِ
عَمَّا قَلِيلٍ يَصْبَحُنَ مُهْجَتَهُ فَهِنَّ مِنْ وَالْغِ وَنُتْهِسِ

الشعر لأبي زَيْد الطائِي . والغناء لابن مُحَرِّزٍ في الأوَّل والثاني خفيفٌ ثَقِيلُ الأوَّل بالسبابة
في مجرى البَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاق . وذكر عمرو بن بَانَةَ أَنَّ فِي الْأَرْبَعَةِ الأوَّلِ خَفِيفِي ثَقِيلٍ كِلَاهُمَا
بِالْبَنْصَرِ لِمُعَبَّدٍ وَابْنِ مُحَرِّزٍ ، وَوَافَقَهُ الْهَشَامِيُّ فِي لَحْنِ مَعْبَدٍ فِي الأوَّلِ والثاني وذكر أَنَّهُ
بِالْوَسْطَى . وفي كتاب ابنِ مِسْجَحٍ عَنْ حَمَّادٍ لَهُ ؛ فِيهِ لَحْنٌ يُقَالُ إِنَّهُ لِابْنِ مُحَرِّزٍ . وَابْنِ سُرَيْجٍ
فِي الأوَّلِ والخامس والسادس والسابع رَمَلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عمرو . وذكر لنا حبشٌ أَنَّ الرَّمْلَ
لِمُعَبَّدٍ ، وَذَكَرَ إِسْحَاقُ أَنَّهُ لِابْنِ سُرَيْجٍ أَيْضًا ، وَأَوَّلُهُ :

تَذُبُّ عَنْهُ كَفٌّ بِهَا رَمَقٌ

وفيه لِمَالِكٍ فِي السَّادِسِ والسابع خفيفٌ ثَقِيلٌ آخِرٌ . وفيه لِابْنِ عَائِشَةَ رَمَلٌ . وفيه
لِحَنَيْنٍ ثَانِي ثَقِيلٌ . هذه الْحِكَايَاتُ الثَّلَاثُ عَنْ يُونُسَ ، وَطَرَأَتْهَا عَنْ الْهَشَامِيِّ . وَلِمُخَارِقٍ
فِي الرَّابِعِ وَالأوَّلِ خَفِيفٌ رَمَلٌ . وَلِمُتَيْمٍ فِي الأوَّلِ والثاني خفيفٌ رَمَلٌ آخِرٌ . وذكر حبشٌ
أَنَّ لِإِبْرَاهِيمَ فِي الأوَّلِ والثاني ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى ، وَابْنِ مِسْجَحٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى .

[210] - أخبار أبي زيد ونسبه

[نسبه]

هو حَرَمَلَةُ بن المُنْذِر ، وقيل المنذر بن حرملة . والصحيح حرملة بن المنذر بن مَعْدِيكَرِبَ بن حَنْظَلَةَ بن النُّعْمَان بن حَيَّة بن سَعْنَةَ بن الحارث بن ربيعة بن مالك بن سكر بن هَنِيء بن عمرو بن العَوَث بن طَيِّيء بن أَدَد بن زيد بن يَشْجُبَ بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلَان .

[نصراني مخضرم في الطبقة الخامسة عند ابن سلام]

وكان أَبُو زَيْدٍ نصرانياً وعلى دينه مات . وهو مِمَّن أدرك الجاهليَّة والإسلام فَعُدَّ في المخضرمين . وألحقه ابن سلام بالطبقة الخامسة من الإسلاميين ، وهم العَجِير السُّلَوِيّ وذووه¹ . وقد مضى أكثر أخباره مع أخبار الوليد بن عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط .

[من زوّار الملوك ، وكان عثمان يقرّبه]

أخبرني أَبُو خليفة الفضلُ بن الحباب الجُمَحِيّ إجازةً قال : حدّثني محمد بن سَلَام الجُمَحِيّ قال حدّثني أَبُو الغَرَّاف قال : كان أَبُو زَيْدٍ الطائيّ من زوّار الملوك وخاصة ملوك العجم ، وكان عالماً بِسِيرِهِمْ . وكان عثمان بن عَفَّان رضي الله تعالى عنه يُقرّبه على ذلك ويُدْني مجلسه ، وكان نصرانياً . [فحضر ذات يوم عثمان وعنده المهاجرون والأنصار] ، فتذاكروا مآثر العرب وأشعارها .

[استنشد عثمان فأنشده قصيدة فيها وصف الأسد]

قال : فالتفت عثمان إلى أبي زَيْد وقال : يا أَخَا تُبَيْعَ المسيح أَسْمِعْنَا بعضَ قولك ؛ فقد أنبئتُ أنّك تُجيد . فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

مَنْ مُبْلَغٌ قَوْمًا النَّائِنِ إِذْ شَحَطُوا أَنَّ الْفَوَادَ إِلَيْهِمْ شَيْقٌ وَلَعٌ

ووصفَ [فيها] الأسد . فقال عثمان رضي الله تعالى عنه : تالله تفتأ تذكر الأسد ما حَبِيت . والله إني لأحسبك جباناً هِدَاناً² . قال : كلا يا أمير المؤمنين ، ولكني رأيتُ منه منظرًا وشهدتُ منه مشهدًا لا يرح ذكره يتجدد ويتردد في قلبي ، ومعذور أنا يا أمير

1 هم العجير بن عبد الله السلويّ ، وعبد الله بن همام السلويّ ، ونافع بن لقيط الأسديّ .

2 الهدان : الأحمق الثقيل .

المؤمنين غيرُ مَلُومٍ . فقال له عثمان رضي الله عنه : وأنتى كان ذلك ؟ قال : خرجتُ في صِيَابَةٍ¹ أشرافٍ من أفناء² قبائل العرب ذوي هيئةٍ وشاريةٍ حسنةٍ ، ترتمي بنا المهاري بأكسائها³ ، ونحنُ نريد الحارث بن أبي شمير الغساني ملك الشام ؛ فاخروط⁴ بنا السيرُ في حمارة القَيْظِ ، حتى إذا عَصَبَتِ⁵ الأفواه ، وذَبَلَتِ الشِّفاه ، وشالتِ المياه⁶ ، وأذكتِ الجوزاء المعراء⁷ ، وذابَ الصَّيْهَدُ⁸ ، وصَرََّ الجُنْدُبُ ، وضاف العُصفورُ الضَّبَّ وجاوره في حُجره ، قال قائل : أيُّها الرِّكْبُ غُورُوا بنا في ضَوْجٍ⁹ هذا الوادي ، وإذا وادٍ قد بدا لما كثر الدَّغْلُ ، دائمُ الغلَلِ¹⁰ ؛ شَجَرَاوُهُ مُغْنَةٌ ، وأطيارُهُ مُرْنَةٌ¹¹ . فحَطَطْنَا رحالنا بأصولِ دَوْحَاتِ كَنْهَبَلَاتٍ¹² ، فَأَصَبْنَا من فَضَلَاتِ الرِّادِ وأَتْبَعْنَاهَا الماءَ البارد . فَإِنَّا لَنَصِفُ حَرَّ يَوْمِنَا وَمُمَاطَلَتَهُ¹³ ، إِذْ صَرََّ أَقْصَى الخيلِ أَذْنِيَهُ¹⁴ ، وَفَحَصَ الأرضَ بيديه . فوالله ما لَبِثَ أَنْ جال ، ثم جَمَحَمَ فبال ، ثم فعل فِعْلَهُ الفرسُ الذي يليه واحداً فواحداً ، فتضعضتِ الخيلُ ، وَتَكَعَكَعَتِ¹⁵ الإبل ، وتقهقرتِ البِغَالُ ، فَمِنْ نافرٍ بِشِكَالِهِ¹⁶ ، وناهض بعقاله ؛ فَعَلِمْنَا أَنَّ قَدْ أُتِينَا وَأَنَّهُ السَّيْعُ ؛ فَفَزَعَ كُلُّ رَجُلٍ مَنَا إِلَى سَيْفِهِ فَاسْتَلَّهُ مِنْ جُرْبَانِهِ¹⁷ ، ثم وقفنا [له] رَزْدَقًا (أي صَفًا) . وأقبل أبو الحارث من أَجْمَتِهِ يَتَطَالَعُ في مِشْيَتِهِ من نَعْتِهِ¹⁸

- 1 صِيَابُ القوم : خيرتهم وسادتهم .
- 2 من أفناء العرب : أي لا يدري من أي القبائل هم .
- 3 أكساء : جمع كُسي وهو مؤخر العجز .
- 4 اخروط : طال .
- 5 عصبت الأفواه : جفت .
- 6 شالت المياه : قلت .
- 7 المعراء : الأرض الصلبة كثيرة الحصى .
- 8 الصيهد : السراب الجاري وشدة الحر .
- 9 الضَّوَج : منعطف الوادي .
- 10 الغلل : الماء الذي يجري بين الأشجار .
- 11 مُرْنَةٌ : أي مغردة .
- 12 كَنْهَبَل : شجر عظام .
- 13 المماطلة : الطول والامتداد .
- 14 صَرََّ أَذْنِيَهُ : سَوَّاهَا ونصبهما للاستماع .
- 15 تكعكت : تأخرت إلى وراء .
- 16 الشِّكَال : الخيل الذي تشدُّ به قوائم الدابة .
- 17 جُرْبَانَةُ السيف : غمده .
- 18 ل : بغيه .

كأنه مجنوب¹ ، أو في هيجار² [معصوب] ؛ لصدره نجيط³ ، ولبلاعمه غطيظ⁴ ؛ ولطرّفه وميض⁵ ، ولأرساغه نقيض⁶ ؛ كأنّما يخبط هشيماً ، أو يطأ صريماً⁷ وإذا هامة كالجبن⁸ ، وخد كاليسن⁹ ، وعينان سجراوان¹⁰ ، كأنّهما سراجان يقدان ، وقصرة ريلة¹¹ ، ولهزمة رهلة¹² ؛ وكند مغبط¹³ ، وزور مفرط¹⁴ ؛ وساعد مجدول ، وعضد مفتول ؛ وكف شنة البرائن¹⁵ ، إلى مخالب كالمحاجن¹⁶ . فضرب بيده فأرّج¹⁷ ، وكشّر فأفرّج¹⁸ ، عن أنياب كالمعاول مصقولة ، غير مفلولة ؛ وفم أشدق¹⁹ ، كالغار الأجوف ؛ ثم تمطى فأسرع يديه ، وحفر²⁰ وركيه برجليه ، حتى صار ظلّه مثليه ؛ ثم أقعى فاقشعر²¹ ، ثم مثل²² فاكفهر²³ ، ثم تجهم فازبأر²⁴ . فلا وذو بيتّه في السماء ما اتقيناها إلا بأول أخ لنا من فزارة ، كان ضخم الجزارة²⁵ ، فوقصه ثم نفّسه نفضة فقضّض متنيه²⁶ ، فجعل يلغ في دمه . فذمرت أصحابي²⁷ ، فبعد لأي ما استقدّموا . فهجّجنا به²⁸ ، فكّر مفسحراً بزبرته²⁹ ،

- 1 المجنوب : المصاب بذات الجنب .
- 2 الهيجار : حبل يُشدّ في رسغ رجل البعير ثم يشده إلى حقوه .
- 3 نجيط : زفير .
- 4 النقيض الأرساغ : صوتها .
- 5 الصريم : الحب المقطوع من الزرع .
- 6 اليسان : الحجر الذي يُسنّ به أو يُسنّ عليه .
- 7 عين سجراوي أي بيّنة السجر ، وهو أن يخالط بياضها حمرة .
- 8 القصرة : أصل العنق إذا غلظت ، والريلة : كل لحمه غليظة .
- 9 الالهزمة : عظم ناتئ أو مضغة عليّة تحت الأذن ، ورهلة : منتفخة .
- 10 الكند : ما بين الكاهل إلى الظهر . ومغيظ : مرتفع .
- 11 الزور : الصدر .
- 12 شنة البرائن : خشنها ، والبرائن : جمع البرثن ، وهو من السباع والطير بمنزلة الأصابع من الإنسان .
- 13 المحجن : العصا المنعطفة الرأس كالصولجان .
- 14 أرّج : أثار الغبار .
- 15 حفر : دفع .
- 16 مثل : قام منتصباً .
- 17 ازبأر : تنفّس حتى ظهرت أصول وبر شعره .
- 18 ضخم الجزارة : كبير الرأس واليدين والرجلين يريد أنه عظيم الجسم .
- 19 وقصه : دق عنقه . فقضض متنيه : كسر متني الظهر .
- 20 ذمر أصحابه : لامهم وحضّهم وحثّهم .
- 21 هجّجنا به : صحنّا به وزجرناه ليكفّ .
- 22 الزبرة : الشعر المجتمع بين كفّي الأسد .

كَأَنَّ بِهِ شَيْهَمًا حَوْلِيًّا¹ ، فَاخْتَلَجَ رَجُلًا أُعْجَرَ ذَا حَوَايَا² ، فَنَفَضَهُ نَفْضَةً تَزَالَتْ [مِنْهَا] مَفَاصِلُهُ ، ثُمَّ نَهَمَ فَفَرَّقَر³ ، ثُمَّ زَفَرَ فَبَرَبَر⁴ ، ثُمَّ زَارَ فَجَرَجَرَ⁵ ، ثُمَّ لَحَظَ⁶ ، فَوَاللَّهِ لَخِلْتُ الْبَرَقَ يَتَطَايَرُ مِنْ تَحْتِ جُفُونِهِ ، مِنْ عَنِ شِمَالِهِ وَيَمِينِهِ . فَأُرْعِشْتُ الْأَيْدِي ، وَاصْطَكَّتِ الْأَرْجُلُ ، وَأَطَّتِ الْأَضْلَاعُ⁷ ، وَارْتَجَّتِ الْأَسْمَاعُ ، وَشَخَصَتِ الْعَيُونُ ، وَتَحَقَّقَتِ الظُّنُونُ ، وَانْخَزَلَتِ الْمُتُونُ . فَقَالَ لَهُ عَثْمَانُ : اسْكُتْ قَطَعَ اللَّهُ لِسَانَكَ ! فَقَدْ أَرَعَبْتَ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ .

[خوفه من الأسد]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْخَلِيلُ بْنُ أَسَدٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْعُمَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي شُعْبَةُ قَالَ : قُلْتُ لِلطَّرِمَاحِ بْنِ حَكِيمٍ : مَا شَأْنُ أَبِي زَيْدٍ وَشَأْنُ الْأَسَدِ ؟ فَقَالَ : إِنَّهُ لَقِيَهُ بِالنَّجَفِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ سَلَحَ مِنْ فَرْقِهِ ، وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى : فَسَلَحَهُ ، فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَصِفُهُ كَمَا رَأَيْتُ .

[مفاخرة بين المكاء الطائي وبين الشيباني وشعر أبي زيد في ضربة المكاء]

أَخْبَرَنِي أَبُو خَلِيفَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَمَّنْ يَثْقُ بِهِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ طَيِّئٍ مِنْ بَنِي حَيْةٍ نَزَلَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ ذُهْلٍ بْنِ شَيْبَانَ يُقَالُ لَهُ الْمَكَّاءُ ، فَذَبَحَ لَهُ شَاةً وَسَقَاهُ الْخَمْرَ ، فَلَمَّا سَكِرَ الطَّائِيُّ قَالَ : هَلُمُّ أَفَاخِرْكَ : ابْنُو حَيْةٍ أَكْرَمُ أَمْ بَنُو شَيْبَانَ ؟ فَقَالَ لَهُ الشَّيْبَانِيُّ : حَدِيثٌ [حَسَنٌ] ، وَمُنَادِمَةٌ كَرِيمَةٌ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الْمَفَاخِرَةِ . فَقَالَ الطَّائِيُّ : وَاللَّهِ مَا مَدَّ رَجُلٌ قَطُّ يَدًا أَطْوَلَ مِنْ يَدِي . فَقَالَ الشَّيْبَانِيُّ : وَاللَّهِ لَئِنْ أَعَدَّتْهَا لِأَخْضِيبِنَهَا مِنْ كُوْعِيهَا . فَرَفَعَ الطَّائِيُّ يَدَهُ ، [فَضْرِبَهَا الشَّيْبَانِيُّ بِسَيْفِهِ فَقَطَعَهَا] . فَقَالَ أَبُو زَيْدٍ فِي ذَلِكَ :

خَبَرْتَنَا الرُّكْبَانُ أَنْ قَدْ فَخَرْتُمْ	وَفَرِحْتُمْ بِضَرْبَةِ الْمَكَّاءِ
وَلَعَمْرِي لَعَارُهَا كَانَ أَدْنَى	لَكُمْ مِنْ تَقَى وَحَقٍّ وَفَاءٍ
ظَلَّ ضَيْفًا أَخَوَكُمْ لِأَحِينَا	فِي صُبُوحٍ وَنَعْمَةٍ وَشِوَاءٍ

1 الشيهيم : ما عظم شوكة من ذكور القنافذ . والحولي : ما أتى عليه حول .

2 اختلج رجلاً : انتزعه ، وأعجر : ممثلي جداً ، أو عظيم البطن ، الحوايا : الأمعاء .

3 نههم : أخرج صوتاً كالأنين . وفرفر : صاح .

4 بربر : صاح .

5 جرجر : ردّد صوته في حنجرته .

6 لحظ : نظر بمؤخر العين عن يمين ويسار غاضباً .

7 أطت الأضلاع : صوّتت .

ثم لما رآه لانت به الخم سر وأن لا يريبه باتقاء
لم يهب حرمة النديم وحقت يا لقوم لل سوء السوءاء

[ما قاله في كلبه أكرد حين لقيه الأسد فقتله]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن محمد حبيب عن ابن الأعرابي قال : كان لأبي زييد كلب يقال له أكرد ، وكان له سلاح يُلبسه أيّاه ، فكان لا يقوم له الأسد ، فخرج ليلة قبل أن يلبسه سلاحه ، فلقيه الأسد فقتله ، ويقال : أخذه فأفلت منه ، فقال عند ذلك أبو زيد :

أحال أكردُ مختالاً كعادته حتى إذا كان بين البحر والعطن¹
لاقى لدى ثلج الأطواء داهيةً أسرّت وأكدرت تحت الليل في قرن²
حطت به شيمة ورهائ تطرده حتى تناهى إلى الحولات في السنن³
إلى مقابل خطو الساعدين له فوق السراة كذفرى الفالج القمين⁴
ربال غاب فلا قحم ولا ضرع كالبلغل يحتطم العلجين في شطن

[لامه قومه على كثرة وصفه الأسد مخافة أن تسبهم العرب فأجابهم]

وهي قصيدة طويلة . فلامه قومه على كثرة وصفه للأسد ، وقالوا له : قد خفنا أن تسبنا العرب بوصفك له . قال : لو رأيتم منه ما رأيتم أو لقيكم ما لقي أكرد لما لثمتوني . ثم أمسك عن وصفه فلم يصفه بعد ذلك في شعره حتى مات .

[وصف النعمان بن المنذر وذكر ما حدث في مجلس له]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني أبو سعيد السكري قال حدثني هارون بن مسلم بن سعدان أبو القاسم قال حدثنا هشام ابن الكلبي قال : كان الأجلح الكندي يحدث عن عمارة بن قابوس قال : لقيت أبا زييد الطائي فقلت له : يا أبا زييد هل أتيت النعمان بن المنذر ؟ قال إي والله لقد أتيت وجالسته . قال قلت : فصفه لي . فقال : كان أحمر أزرق أبرش قصيراً . فقلت له : بالله أخبرني أيسرك أنه سمع مقالتك هذه وأن لك حمر النعم ؟ قال : لا والله ولا سودها ؛ فقد رأيت ملوك حمير في ملكها ، ورأيت ملوك غسان في ملكها ، فما

1 أحال : أقبل . مختالاً في ل : مشياً . العطن : مناخ الإبل حول الورد .

2 ثلة البحر : ما أخرج من ترابها . والأطواء : جمع الطوي . القرن : جبل يجمع به البعيران .

3 الحولات : جمع حولة وهي الداهية .

4 الفالج : البعير ذو السنامين . والقمن : السريع .

رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ كَانَ أَشَدَّ عَزًّا مِنْهُ . وَكَانَ ظَهَرُ الْكَوْفَةِ يُنْبِتُ الشَّقَائِقَ ، فَحَمَى ذَلِكَ الْمَكَانَ ، فَسَبَّ إِلَيْهِ فَقِيلَ «شَقَائِقُ النُّعْمَانِ» .

فَجَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ هُنَاكَ وَجَلَسْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ ، وَكَانَهُ بَازٌ . فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ فَقَالَ لَهُ : أَيْبَتَ اللَّعْنِ ؛ أَعْطِنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ . فَتَأَمَّلَهُ طَوِيلًا ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأَذْنِي حَتَّى قَعَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ دَعَا بِكَنَانَةٍ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا مَشَاقِصَ¹ فَجَعَلَ يَجَأُ² بِهَا فِي وَجْهِهِ حَتَّى سَمِعْنَا قَرَعَ الْعِظَامِ ، وَخُضِبَتْ لَحْيَتُهُ وَصَدْرُهُ بِالْدمِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فُحِّجِي . وَمَكْنَتُنَا مَلِيًّا .

ثُمَّ نَهَضَ آخَرُ فَقَالَ لَهُ : أَيْبَتَ اللَّعْنِ ؛ أَعْطِنِي . فَتَأَمَّلَهُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : أَعْطُوهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَأَخَذَهَا وَانْطَلَقَ .

ثُمَّ التَفَتَ عَنْ يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ وَخَلْفِهِ ، فَقَالَ : مَا قَوْلُكُمْ فِي رَجُلٍ أَزْرَقَ أَحْمَرَ يُذْبَحُ عَلَى هَذِهِ الْأَكْمَةِ ، أَتَرُونَ دَمَهُ سَائِلًا حَتَّى يَجْرِي فِي هَذَا الْوَادِي ؟ فَقُلْنَا لَهُ : أَنْتَ ، أَيْبَتَ اللَّعْنِ ، أَعْلَى بَرَأِيكَ عَيْنًا . فَدَعَا بِرَجُلٍ عَلَى هَذِهِ الصُّفَّةِ فَأَمَرَ بِهِ فَذُبِحَ .

ثُمَّ قَالَ : أَلَا تَسْأَلُونِي عَمَّا صَنَعْتُ ؟ فَقُلْنَا : وَمَنْ يَسْأَلُكَ ، أَيْبَتَ اللَّعْنِ ، عَنْ أَمْرِكَ وَمَا تَصْنَعُ ؟ فَقَالَ : أَمَّا الْأَوَّلُ فَإِنِّي خَرَجْتُ مَعَ أَبِي تَنْصِيدًا ، فَمَرَرْتُ بِهِ وَهُوَ بَفَنَاءِ بَابِهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ عُسٌّ مِنْ شَرَابٍ أَوْ لَبَنٍ ، فَتَنَاوَلْتَهُ لِأَشْرَبَ مِنْهُ ، فَثَارَ إِلَيَّ فَهَرَاقَ الْإِنَاءِ فَمَلَأَ وَجْهِي وَصَدْرِي ، فَأَعْطَيْتُ اللَّهَ عَهْدًا لَنْ أُمَكِّنِي مِنْهُ لِأَخْضِبَنَّ لَحْيَتَهُ وَصَدْرَهُ مِنْ دَمٍ وَجْهَهُ .

وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَتْ لَهُ عِنْدِي يَدٌ كَأَفَاتِهِ بِهَا ، وَلَمْ أَكُنْ أَثْبِتُهُ ، فَتَأَمَّلْتُهُ حَتَّى عَرَفْتُهُ .

وَأَمَّا الَّذِي ذُبِحَتْهُ فَإِنَّ عَيْنًا لِي بِالشَّامِ كَتَبَ إِلَيَّ : إِنَّ جَبَلَةَ بْنِ الْأَيْهَمِ قَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ بِرَجُلٍ صِفَتُهُ كَذَا وَكَذَا لِيُغْتَالَكَ . فَطَلَبْتُهُ أَيَّامًا فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ ، حَتَّى كَانَ الْيَوْمَ .

[مات نديم له في غيبته فرائه وصَبَّ الخمر على قبره]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ لِأَبِي زَيْدٍ نَدِيمٌ يَشْرَبُ مَعَهُ بِالْكَوْفَةِ ، فَغَابَ أَبُو زَيْدٍ غَيْبَةً ، ثُمَّ رَجَعَ فَأَخْبَرَ بِوَفَاتِهِ ، فَعَدَّلَ إِلَى قَبْرِهِ قَبْلَ دُخُولِهِ مَنْزِلَهُ ، فَوَقَّفَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

يَا هَاجِرِي إِذْ جِئْتُ زَائِرَهُ مَا كَانَ مِنْ عَادَاتِكَ الْهَاجِرُ
يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ السَّلَامُ عَلَى مَنْ حَالَ دُونَ لِقَائِهِ الْقَبْرِ

1 المَشْقُصُ : نِصْلٌ عَرِضٌ أَوْ سَهْمٌ .

2 الْوَجْعُ : الضَّرْبُ .

ثم انصرف . وكان بعد ذلك يجيء إلى قبره فيشرب عنده ويصُبُّ الشراب على قبره .
والأبيات التي فيها الغناء المذكور يقولها في غلام له قَتَلَتْهُ تَغْلِبُ ، وكان مُجاوِراً فيهم ،
فدَلَّ بهراء على عورتهم وقتلهم معهم فقتل .

[شعره في غلبة تغلب على بهراء وقتل غلامه]

أخبرني بخبره أبو خليفة قال حدثني محمد بن سلام . وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن
عمّه عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال : كان أحوالُ أبي زيد بني تغلب ، وكان
يقيم فيهم أكثر أيامه ، وكان له غلام يرعى إبله ، فغزت بهراء بني تغلب ، فمروا بغلامه ، فدفع
إليهم إبل أبي زيد وقال : انطلقوا أدلكم على عورة القوم وأقاتل معكم . ففعلوا ، والتقوا ،
فهزمت بهراء وقيل الغلام ، فقال أبو زيد هذه القصيدة وهي :

هل كنتَ في مَنْظَرٍ ومُسْتَمَعٍ	عن نصرٍ بهراء غير ذي فَرَسٍ
تَسْعَى إلى فِتْيَةِ الأَرَاقِمِ واسـ	تَعَجَّلْتَ قَبْلَ الجِمانِ والقَبسِ ¹
في عارضٍ من جبال بها الأ	لُ مَرَيْنِ الحروبِ عن دُرسٍ ²
فَنَهْزَةٍ مَنْ لَقُوا حَسِيَّتَهُم	أَحْلَى وأَشْهَى من بارِدِ الدِّيسِ
لا تِرةَ عندهم فتطلبها	ولا هُمُ نُهْزَةَ الْمُخْتَلِسِ
جُودٍ كرام إذا هُم نَدَبُوا	غَيْرُ لُثامٍ ضُجْرٍ ولا كُسُسٍ ³
صُمْتُ عظامِ الحُلُومِ إن قعدوا	عن غيرِ عِيٍّ بِهِم ولا خَرَسِ
تَقُوتُ أفراسَهُم نساؤُهُم	يُزْجُون أَجْمالَهُم مع الغَلَسِ
صادَقَتْ لَمَّا خَرَجْتَ مُنْطَلِقاً	جَهْمَ المُحَيَّا كِباسِلِ شِيسِ
تَخالُ في كَفِّهِ مَثَقَفَةٌ	تَلْمَعُ فيها كَشُعْلَةُ القَبَسِ
بكفٍ حَرَّانٍ ثائِرٍ بدمٍ	طَلَّابٍ وَتِرٍ في المَوْتِ مُنْغِيسِ
إِما تَقَارَنُ بك الرُّمَاحُ فلا	أَبْكِيكِ إِلَّا لِلدُّلوِ والمَرَسِ
حَمِدْتَ أُمْرِي ولَمْتَ أَمْرَكَ إذ	أَمْسَكَ جَلَزُ السَّنَانِ بالنَّفَسِ ⁴

1 الجمان والقبس : ناقتان .

2 مرين الحروب : جلبنها . دُرس : جمع دُرسة وهي الرياضة .

3 كُسس : جمع أكس ، أي ليس فيهم خروج الأسنان السَّفلى على الخنك الأسفل .

4 جِلز السنان : الحلقة المستديرة في أسفله .

وقد تَصَلَّيتَ حَرًّا نَارَهُمْ كَمَا تَصَلَّى المَقْرُورُ مِنْ قَرَسٍ¹
تَذُبُّ عَنْهُ كَفًّا بِهَا رَمَقُ طَيْرًا عَكُوفًا كَزُورِ العُرْسِ²
عَمَّا قَلِيلٍ عَلَوْنَ جُثَّتِهِ فَهَنْ مِنْ وَالِغِ وَمُتْهِسِ

[أخذ دية غلامه وثمن إبله من تغلب وقال شعراً]

فلما فرغ أبو زيد من قصيدته بعثت إليه بنو تغلب بدية غلامه وما ذهب من إبله ، فقال في ذلك :

ألا أبلغ بني عمرو رسولاً فإنني في مودتكم نفيسُ
هكذا ذكر ابن سلام في خبره ، والقصيدة لا تدلُّ على أنها قيلت فيمن أحسن إليه وودى غلامه وردَّ عليه ماله . وفي رواية ابن حبيب :

ألا أبلغ بني نصر بن عمرو

وقوله أيضاً فيها :

فما أنا بالضعيف فتظلموني ولا جافي اللقاء ولا خسيسُ
أني حقٌّ مواساتي أحاكم بمالي ثم يظلمني السريسُ

السريس : الضعيف الذي لا ولد له - وهذا ليس من ذلك الجنس . ولعلَّ ابن سلام وهم .

[هو أحد المعمرين]

وأبو زيد أحدُ المعمرين ، ذكر ابن الكلبي أنه عمر مائة وخمسين سنة .
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه قال : كان طول أبي زيد ثلاثة عشر شهرا .

[كان يدخل مكة متكرراً لجماله]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدثنا محمد بن عبد الله العبدِيُّ أبو بكرة قال حدثني أبو مسعر الجُشَمِيُّ عن ابن الكلبي قال : كان أبو زيد الطائي ممن إذا دخل مكة دخلها متكرراً لجماله .

[منادته الوليد بن عقبة بعد اعتزال الوليد عليا ومعاوية]

وأخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم قال : لما صار الوليد بن عقبة إلى الرقة واعتزل علياً عليه السلام ومعاوية ، صار أبو زيد إليه ، فكان ينادمه ،

1 القرس : البرد الشديد .

2 الزور : جمع الزائر . والعرس : طعام الوليمة .

وكان يُحْمَلُ في كلِّ أحدٍ إلى البيعة مع النصارى . فبينما هو يوم أحدٍ يشرب والنصارى حوله رفع بصره إلى السماء فنظر ثم رمى بالكأس من يده وقال :
[من الطويل]

إذا جَعَلَ المرءُ الذي كان حازماً يُحَلِّ بِه حَلَّ الحوَارِ ويَحْمَلُ
فليس له في العيش خيرٌ يريده وتكفينُهُ مَيْتاً أعْفُ وأَجْمَلُ

[دُفِنَ مع الوليد بن عقبة بوصية منه]

ومات فدفن هناك على البليخ¹ . فلما حضرت الوليد بن عقبة الوفاة أوصى أن يُدفن إلى جنب أبي زيد . وقد قيل : إنَّ أبا زيد مات بعد الوليد ؛ فأوصى أن يدفن إلى جنب الوليد .

[قال ابن الكلبي في خبره الذي ذكره إسحاق عنه : هرب أبو زيد من الإسلام فجاور بهراء فاستأجر منهم أجيراً لإبله فكان يقبله² حلب الجُمان والقيس ، وهما ناقتان كانتا له . فلما كان يوم حابس ، وهو اليوم الذي التقت فيه بهراء وتغلب خرج أجيرُ أبي زيد مع بهراء ، فقتل وانهزمت بهراء ، فمرَّ أبو زيد به وهو يجود بنفسه ، فقال فيه هذه القصيدة] .

أخبرني محمد بن يحيى ويحيى بن عليّ الأبوابيُّ المدائنيُّ قالاً حدَّثنا عقبة المطرفيُّ قال : كنَّا في الحمام ومعنا ابن السَّعْدِيِّ وأنا أقرأ القرآن ، فدخل سعد الرُّوايِّ فغنى : [من المنسرح]

قد كنت في منظرٍ ومستمع عن نصر بهراء غير ذي فرسٍ

فقال ابن السَّعْدِيِّ : اسكت اسكت ؛ فقد جاء حديث يأكل الأحاديث .

[أوصى له الوليد بن عقبة حين احتضر بالخمير ولحوم الخنازير]

[أخبرني عمِّي والحسن بن عليّ قالاً حدَّثني العمريُّ قال حدَّثني أحمد بن حاتم قال حدَّثني محمد بن عمرو الجَمَّاز قال حدَّثني أبو عبيدة عن يونس وأبي الخطَّاب النحويُّ : أنَّ الوليد بن عقبة بن أبي معيط أوصى لما احتضر لأبي زيد بما يُصلِّحه في فصِّحه وأعياده ، من الخمر ولحوم الخنازير وما أشبه ذلك . فقال أهله وبنوه لأبي زيد : قد علمت أنَّه لا يحلُّ لنا هذا في ديننا ، وإنَّما فعله إكراماً لك وتعظيماً لحقِّك ، فقدَّره لنفسك ما شئت أن تعيش ، وقوِّم ما أوصى به لك حتى نعطيك قيمته ولا تفضحنا وتفضح آباءنا بهذا ، واحفظه واحفظنا فيه ، ففعل أبو زيد ذلك ، وقبله منهم] .

1 نهر بالركة يجتمع فيه الماء من عيون .

2 من قولهم قبلت العامل العمل ، أي جعلته في كفالته .

صوت

[من البسيط]

هَلْ تَعْرِفَ الدارَ من عامين أو عام دارٌ لِهِنْدٍ بيجزَع الحُرج فالدام¹
تَحْوِ لأَطلائِهَا عَيْنٌ مُلَمَّعَةٌ سَفْعُ الخُدودِ بَعِيدَاتٍ من الرامي²
الحرج والدام : موضعان ، ويروى «مذ عامين» . وهذا الأجود ، وكلاهما رُوي .
وعَيْن : بقر . وأَطلاؤُها : أولادها ، واحدها طلا . ويروى : «بعيدات من الدام» هو
الذي يذم .

[الخطبة يمدح أبا موسى الأشعري حين توليته العراق]

الشعر للخطبة يمدح به أبا موسى الأشعري لما ولّاه عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه
العراق . والغناء لما لك ، خفيفٌ رملٍ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر أن فيه
لابن جامع أيضاً صنعة .

1 الحرج والدام : موضعان .

2 الملّعة : التي فيها بقع تخالف سائر لونها وقيل بقعة من السواد خاصة .

211 - [أخبار متفرقة عن الخطيئة وغيره]

قال محمد بن حبيب : أتى الخطيئة أبا موسى يسأله أن يكتبه معه ، فأخبره أن العدة قد تمت ، فمدحه الخطيئة بهذه القصيدة التي ذكرتها ، وأولها :
[من البسيط]
هل تعرف الدار من عامين أو عامٍ دار لهند بجزع الحرج فالدام
وفيها يقول :

وجحفل كسواد الليل منتجعٍ أرض العدو بيوس بعد إنعام
جمعت من عامٍ فيه ومن أسدٍ ومن تميم ومن حاء ومن حامٍ
حاء من مذحج ، وحام من خثعم :
وما رضى لهم حتى رقدتهم
فيه الرماح وفيه كل سابعة
يعني سليمان النبي :

وكل أجرد كالسرحان أضمره مسح الأكف وسقي بعد إطعام
مستحقات رواياها جحافلها يسمو بها أشعري طرفه سام²
الروايا : الإبل التي تحمل أثقالهم وأزوادهم ، وتجنب³ الخيل إليها فتضع جحافلها على أعجاز الإبل :

لا يزجر الطير إن مرت به سُحاً ولا يُفيض على قِدَحٍ بأزلامٍ
وقال المدائني : لما مدح الخطيئة أبا موسى رضي الله عنه بهذه القصيدة وصله أبو موسى . وقد كان كتب من أراد وكملة العدة ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب يلومه ، فكتب إليه : إني اشتريت منه عرضي ، فكتب إليه : أحسنت . قال : وزاد فيه حماد الراوية أنه ، يعني نفسه ، أنشدها بلال بن أبي بردة ولم يكن عرفها فوصله .
أخبرني القاضي أبو خليفة إجازة قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال : قدّم حماد الراوية البصرة على بلال بن أبي بردة وهو عليها فقال له : ما أطرفني شيئاً يا حماد ، فعاد إليه فأنشده قول الخطيئة في أبي موسى ، فقال له : ويحك ! يمدح الخطيئة

1 أصرام : جماعات .

2 مستحقات : من استحقب الشيء : شده في مؤخر الرجل واحتمله خلفه .

3 تجنب إليها : تقاد إلى جنبها .

أبا موسى وأنا أروي شعره كله ولا أعلم بهذه ؟ أَدْعُهَا تذهب في الناس .
وكانت ولاية أبي موسى الكوفة بعد أن أخرج أهلها سعيد بن العاص عنها ، وتحالفوا ألاَّ
يُؤْلُوا عليها إلاَّ مَنْ يريدون .

[وجوه أهل الكوفة من القراء يختلفون إلى سعيد بن العاص]

أخبرني بالسبب في ذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة قال
حدثنا المدائني عن أبي مخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحق قال : كان قوم من وجوه
أهل الكوفة من القراء يختلفون إلى سعيد بن العاص ويسألونه ، فتذاكروا يوماً السهل
والجبل ، فقال حسان بن محبوب : سهلنا خير من جبلنا : أكثرُ بُراً وشعيراً ، فيه أنهارٌ
مطرّدة ، ونخل باسقات ، وقلّت فاكهة يُنبِتُها الجبل إلاَّ والسهل ينبت مثلها . فقال له عبد
الرحمن بن حُبَيْش : صدقتم ، وددت أنه للأمير وأنّ لكم أفضل منه . فقال الأشتر : تمنّ
للأمير أفضل ولا تتقرّب إليه بأموالنا ، فقال : ما ضرّك ذلك . والله لو يشاء أن يكون له
لكان . قال : كذبت والله لو أراد ذلك ما قدر عليه . فقال سعيد : والله ما السواد إلاَّ بستان
لقريش ، ما شئنا أخذنا منه ، وما شئنا تركنا . فقال له الأشتر : أنت تقول هذا أصلحك الله
وهذا من مركز رماحنا وفيئنا ؛ ثم ضربوا عبد الرحمن بن حُبَيْش حتى سقط .

قال المدائني فحدثني علي بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن الشعبي [ومجالد بن
حمزة بن بيز عن الشعبي] قال : بينا القراء عند سعيد بن العاص وهم يأكلون تمرأ وزُبدأ إذ قال
سعيد : السواد بستان قريش ، فما شئنا أخذنا منه وما شئنا تركنا . فقال له عبد الرحمن بن حُبَيْش
وكان على شرطة سعيد : صدق الأمير . فوثب عليه القراء فضربوه ، وقالوا له : يا عدو الله ،
يقول الباطل وتصدقه ! فقال سعيد : اخرجوا من داري . فخرجوا ، فلمّا أصبحوا أتوا المسجد
فداروا على الحلق فقالوا : إنّ أميركم زعم أنّ السواد بستان له ولقومه وهو فيئنا ومركز رماحنا ،
فوالله ما على هذا بايعنا ولا عليه أسلمنا . فكتب سعيد إلى عثمان رضي الله عنه : إنّ قبلي قوماً
يُذْعَوْنَ القراء وهم السفهاء ، وثبتوا على صاحب شرطي فضربوه واستخفّوا بي . منهم
عمرو بن زرارة ، وكمَيْل بن [زياد ، والأشتر وخرقوص بن هبيرة ، وشریح بن أوفى ،
ويزيد بن] المكفّف ، وزيد وصعصعة ابنا صُوحان وجندب بن عبد الله . فكتب إليهم عثمان
رضي الله عنه يأمرهم أن يخرجوا إلى الشام ويغروا مغازيهم . وكتب إلى سعيد : قد كفيتك
الذي أردت فأقرئهم كتابي فإني أراهم لا يخافون إن شاء الله ، واتفق الله جلّ وعزّ وأحسين
السيرة . فأقرأهم الكتاب ، فخرجوا إلى دمشق فأكرمهم معاوية وقال : إنكم قدمتم بلداً لا
يعرف أهلها إلاَّ الطاعة فلا تجادلوهم فتدخلوا الشكّ قلوبهم . فقال له الأشتر : إنّ الله جلّ وعزّ

قد أخذ على العلماء في علمهم ميثاقاً أن يبينوه للناس ولا يكتُموه ، فإن سألنا سائل عن شيء نعلمه لم نكنمه . فقال : قد خفتُ أن تكونوا مُرْصِدين للفتنة ، فاتقوا الله ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ . فقال عمرو بن زُرارة : نحن الذين هدى الله . فأمر معاوية بحبسهم . فقال له زيد بن صُوحان : إن الذين أشخصونا إليك لم يَعْجِزُوا عن حبسنا لو أرادوا . فأحسنوا جِوارنا ، وإن كنّا ظالمين فنستغفر الله ، وإن كنّا مظلومين فنسأل الله العافية . فقال له معاوية : إني لا أرى حبسك أمراً صالحاً ، فإن أحببت أن أذن لك فترجع إلى مصرك وأكتب إلى أمير المؤمنين بإذنك فعلت . قال : حسبي أن تأذن وتكتب إلى سعيد . فكتب إليه ، فأذن له ، فلمّا أراد زيد الشخص كَلَمَه في الأشر وعمر بن زُرارة فأخرجهما . وأقام القوم بدمشق لا يرون أمراً يكرهونه ؛ ثم أشخصهم معاوية إلى حِمص ، فكانوا بها ، حتى أَجْمَعَ أَهْلُ الكوفة على إخراج سعيد فكتبوا إليهم فقدموا .

قال أبو زيد قال المدائني حَدَّثَنِي الْوَقَاصِيّ عَنْ الزَّهْرِيِّ : أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ لَمَّا قَدِمُوا عَلَى عِثْمَانَ يَشْكُونَ سَعِيداً قَالَ لَهُمْ : أَكُتِبَ إِلَيْهِ فَأُجْمَعُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ . ففعل ، فلم يَحْقُقُوا عَلَيْهِ شَيْئاً إِلَّا قَوْلَهُ : «السَّوَادُ بَسْتَانُ قَرِيشٍ» ، وَأَتْنَى الْآخَرُونَ عَلَيْهِ . فَقَالَ عِثْمَانُ : أَرَى أَصْحَابَكُمْ يَسْأَلُونَ إِقْرَارَهُ ، وَلَمْ يَتَّبِعُوا عَلَيْهِ إِلَّا كَلِمَةً وَاحِدَةً ، لَمْ يَنْتَهِكْ بِهَا لِأَحَدٍ حَرَمَةً . وَلَا أَرَى عَزْلَهُ إِلَّا أَنْ تُثَبِّتُوا عَلَيْهِ مَا لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ تَرْكُهُ مَعَهُ . فَانصَرَفُوا إِلَى مِصْرَ كَمْ . فَرَجَعَ سَعِيدٌ وَالْفَرِيقَانِ مَعَهُ ، وَتَقَدَّمَ هُمْ عَلَى بَنِ الْهَيْثِمِ السَّدُوسِيِّ حَتَّى دَخَلَ رَحْبَةَ الْمَسْجِدِ فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ إِنَّا أَتَيْنَا خَلِيفَتَنَا فَشَكُونَا إِلَيْهِ عَامِلِنَا ، وَنَحْنُ نَرَى أَنَّهُ سَيَبْرِفُهُ عَنَّا ، فَردّه إِلَيْنَا وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّ السَّوَادَ بَسْتَانُ لَهُ . وَأَنَا أَمْرٌ مِنْكُمْ أَرْضَى إِذَا رَضِيتُمْ . فَقَالُوا : لَا نَرْضَى .

[الأشتر يخطب عرضاً على عثمان]

وجاء الأشتر فصعد المنبر فخطب خطبة ذكر فيها النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، وذكر عثمان رضي الله عنه ، فحرّض عليه ثم قال : مَنْ كَانَ يَرَى أَنَّ لِلَّهِ جَلَّ وَعَزَّ حَقّاً فَلْيَصْبِحْ بِالْجَرَّةِ ، ثُمَّ قَالَ لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ : انْطَلِقْ فَأُخْرِجْ ثَابِتَ بْنَ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ ، فَأُخْرِجْهُ . وَاسْتَعْمِلْ أَهْلَ الْكُوفَةِ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ .

[عثمان يخضع لقوة الرأي العام فيعزل سعيداً ويولي أبا موسى]

أخبرني أحمد قال حَدَّثَنَا عُمَرُ قَالَ حَدَّثَنَا عَفَّانُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مِخْصَنِ قَالَ حَدَّثَنَا حَصِينُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ حَدَّثَنِي جُهَيْمٌ قَالَ : أَنَا شَاهِدٌ لِلْأَمْرِ ، قَالُوا لِعِثْمَانَ : إِنَّكَ اسْتَعْمَلْتَ أَقَارِبَكَ . قَالَ : فَلْيَقِمِ أَهْلُ كُلِّ مِصْرٍ فَلْيُسَلِّمُوا صَاحِبَهُمْ . فَقَامَ أَهْلُ الْكُوفَةِ فَقَالُوا : اعْزِلْ عَنَّا سَعِيداً وَاسْتَعْمِلْ عَلَيْنَا أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ . ففعل .

[ثناء امرأة على سعد بن أبي وقاص وذمها سعيداً]

قال أبو زيد : وكان سعيداً قد أبغضه أهل الكوفة لأمر : منها أن عطاء النساء بالكوفة كان مائتين مائتين فحطه سعيد إلى مائة مائة . فقالت امرأة من أهل الكوفة تدم سعيداً وتثني على سعد بن أبي وقاص :

فليت أبا إسحاق كان أميرنا وليت سعيداً كان أول هالك¹

يُحطُّ أشراف النساء ويتقي بأبنائهن مرهفات النيازك²

[هدية سعيد بن العاص إلى علي بن أبي طالب]

حدثني العباس بن علي بن العباس ومحمد بن جرير الطبري قالوا حدثنا يحيى بن معين قال حدثنا أبو داود وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو داود قال حدثنا شعبة بن عمرو بن مرة قال سمعت أبا وائل يحدث عن الحارث بن حبيش قال : بعثني سعيد بن العاص بهدايا إلى المدينة وبعثني إلى علي عليه السلام وكتب إليه : إني لم أبعث إلى أحد بأكثر مما بعثت به إليك إلا شيئاً في خزائن أمير المؤمنين . قال : فأتيت علياً فأخبرته ، فقال : لشد ما تحظر بنو أمية تراث محمد ﷺ . أما والله لئن وليتها لأنقضنها فنض القصاب لتراب الودمة . قال أبو جعفر : هذا غلط إنما هو لودام التربة³ .

قال أبو زيد وحدثني عبد الله بن محمد بن حكيم الطائي عن السعدي عن أبيه قال : بعث سعيد بن العاص مع ابن أبي عائشة مولاة بصلية إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ؛ فقال : والله لا يزال غلام من غلمان بني أمية يبعث إلينا مما أفاء الله على رسوله بمثل قوت الأرملة ، والله لئن بقيت لأنقضنها فنض القصاب لودام التربة . هكذا في هذه الرواية .

صوت

[من الرمل]

رُبَّ وَعْدٍ مِنْكَ لَا أَنْسَاهُ لِي أَوْجَبَ الشُّكْرَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ

أَقْطَعُ الدَّهْرَ بظنِّ حَسَنٍ وَأَجْلِي غَمْرَةً مَا تَنْجَلِي

كَلَّمَا أُمَلْتُ يَوْمًا صَالِحًا عَرَضَ الْمَكْرُوهُ لِي فِي أَمَلِي

وَأَرَى الْأَيَّامَ لَا تُدْنِي الَّذِي أَرْتَجِي مِنْكَ وَتُدْنِي أَجْلِي

عروضه من الرمل ؛ الشعر لمحمد بن أمية ، والغناء لأبي حشيشة ، رمل طنبري وفيه لحن لحسن بن مخرز ثاني ثقيل بالوسطى عن أبي عبد الله الهشامي .

1 أبو إسحاق : كنية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

2 النيازك : جمع نيزك ، وهو الرمح القصير .

3 الودام : جمع ودمة : قطعة الكرش . والتربة : الكرش .

[212] - أخبار محمد بن أمية وأخبار أخيه علي بن أمية

وما يغني فيه من شعرهما

[نسه]

سألتُ أحمد بن جعفر جَحْظَةَ عن نسبه قُلْتُ له : إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ ابْنُ أُمَيَّةَ وَابْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ؛ فقال : هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ .

[ومنادمته إبراهيم بن المهدي]

قال : وكان محمدٌ كاتباً شاعراً ظريفاً ، وكان ينادمُ إبراهيم بن المهدي ، وربما عاشرَ علي بن هشام ، إلا أنَّ انقطاعه كان إلى إبراهيم ، وربما كتبَ بين يديه . وكان حسنَ الخطِّ والبيان . وكان أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ يَكُتُبُ للمهديِّ على بَيْتِ المال . وكان إليه خَتَمُ الكُتُبِ بِحَضْرَتِهِ ، وكان يَأْتِسُّ به لِأَدَبِهِ وَفَضْلِهِ ، ومكانه من وِلائِهِ ، فزاملَهُ أَرْبَعَ دَفْعَاتٍ حَجَّهَا فِي ابْتِدَائِهِ وَرُجُوعِهِ . قال جَحْظَةُ : وحدثني بذلك أَبُو حَشِيشَةَ .

[إعجاب أبي العتاهية به في حضرة إبراهيم بن المهدي]

وحدثني جَحْظَةُ أيضاً قال حدثني أَبُو حَشِيشَةَ عن محمد بن علي بن أُمَيَّةَ قال حدثني عمِّي محمد بن أُمَيَّةَ قال : كنتُ جالساً بين يدي إبراهيم بن المهدي ، فدخل إليه أَبُو العتاهية وقد تَنَسَّكَ ولبس الصوفَ وترك قولَ الشعر إلا في الزهد ، فرفعه إبراهيم وسرَّ به ، وأقبل عليه بوجهه وحديثه ؛ فقال له أَبُو العتاهية : أَيُّهَا الأَمِيرُ بلغني خبرَ فُتًى في ناحيتك ومن مواليك يُعرَفُ بابن أُمَيَّةَ يقول الشعرَ ، وأنشِدْتُ له شعراً أعجبني ، فما فَعَلَ ؟ قال : فضحك إبراهيم ثم قال : لعلَّه أَقْرَبُ الحاضرين مجلساً منك . فالتفت إلي فقال لي : أنت هو فَدَيْتُكَ ؟ فتشَوَّرتُ¹ وخجلت وقلت له : أنا محمد بن أُمَيَّةَ جُعِلَتْ فِدَاكَ ؛ وأما الشعرُ فإنما أنا شابٌّ أعْبَثُ بالبيت والبيتين والثلاثة كما يعْبَثُ الشابُّ ؛ فقال لي : فديتك ، ذلك والله زمانُ الشعرِ وإِبانته ، وما قيل فيه فهو غَرَرُهُ وعيونه ، وما قَصُرَ من الشعر وقيل في المعنى الذي تومئ إليه أبلغُ وأملحُ . وما زال ينشطني ويؤنسني حتى رأى أَنِّي قد أنست به ، ثم قال لإبراهيم بن المهدي : إِنَّ رَأْيَ الأَمِيرِ ، أَكْرَمَهُ اللهُ ، أَنْ يَأْمُرَهُ بِإِنْشَادِي ما حضر من الشعر . فقال لي إبراهيم : بحياتي يا محمد أنشده . فأنشدته :

رُبَّ وعد منك لا أنساه لي أوجب الشكر وإن لم تفعل
 وذكر الأبيات الأربعة . قال : فبكى أبو العتاهية حتى جرت دموعه على لحيته وجعل
 يُردّد البيت الأخير منها وينتحب ، وقام فخرج وهو يردّده ويكي حتى خرج إلى الباب .
 [هو وخداع جارية خال المعتصم وأشعاره فيها]

أخبرني عمي قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قرقارة قال حدثني محمد بن علي بن أمية
 قال : كان عمي محمد بن أمية يهوى جارية مغنية يقال لها خِداعُ كانت لبعض جواري خال
 المعتصم ، فكان يدعوها ، ويعاشره إخوانه إذا دعوه بها أتباعاً لمسرته . وأراد المعتصم
 الخروج والتأهب للغزو ؛ وأمر الناس جميعاً بالخروج والتأهب ، فدعاه بعض إخوانه قبل
 خروجهم بيوم ، فلما أضحي النهار جاء من المطر أمرٌ عظيم لم يقدر معه [أحد] أن يُطلع
 رأسه من داره ، فكاد محمد أن يموت غماً ، فكتب إلى صديقه الذي دعاه [وقد كان ركب
 إليه ثم رجع لشدة المطر] ولم يقدر على لقائه :

تمادى القطرُ وانقطع السبيلُ	من الإلفين إذ جرت السيولُ
على أنني ركبْتُ إليك شوقاً	ووجهُ الأرض أوديةٌ تجولُ
وكان الشوقُ يقدمني دليلاً	وللمشتاق معتزماً دليلاً
فلم أجِد السبيلَ إلى حبيبٍ	أودَّعه وقد أفدَ الرحيلُ
وأرسلتُ الرسولَ فغاب عني	فيا لله ما فعل الرسولُ !

وقال في ذلك أيضاً :

مجلس يُشفي به الوطرُ	عاق عنه الغيمُ والمطرُ
رَبِّ خُذْ لي منهما فهماً	رحمةً عمّت ولي ضررُ
ما على مولاي معتبةٌ	عذره بادٍ ومستترُ
شُغِلْتُ عيني بعبرتها	واستمالت قلبي الفكرُ

قال : ثم بيعت خِداعُ هذه فاشتراها بعضُ ولد المهديّ وكان ينزل شارع الميدان ،
 فحجبت عنه وانقطع ما بينهما إلا مكاتبةً ومُرارةً .

قال محمد بن علي فأنشدني يوماً عمي محمد لنفسه فيها :

خطراتُ الهوى بذكر خِداعٍ	هيجنُ شوقي لا دراساتُ الطلولِ
حُجِبْتُ أن تُرى فلستُ أراها	وأرى أهلها بكلّ سبيلِ

وإذا جاءها الرسولُ رآها
قد أتاكِ الرسولُ يَنْعَتُ ما بي
وقال فيها أيضاً :

لَيْتَ عيني مكانَ عَيْنِ الرسولِ
فاسمعي منه ما يقول وقولي
[من الطويل]

بناحية المَيْدانِ دَرْبٌ لو أَنِّي
أُخافُ على سَكَانِهِ قولَ حاسِدٍ
وصائِفُ أَبْكارٍ وَعُودٌ نَوَاطِقُ
يُقَارِبُنْ أَهْلَ الوُدِّ بالقولِ في الهوى
يزِدُنْ أَخا الدنيا مُجُوناً وَفِتْنَةً
وليلةَ وافيِ النومِ طيفَ سَرى به
فَقاسَمْتُهُ الأشْجانَ نِصْفَيْنِ بيننا
وَنَلْتُ الذي أَمَلْتُ بعدَ تَمَنُّعٍ
فلَمَّا افترَقنا خاسَ بالعهدِ بيننا
فوا ندماً أَلَا أَكُونُ ارْتَهَنْتُهُ

[إعجاب أبي العتاهية بشعره]

أخبرني الحسن بن عليٍّ وعمِّي قالَا حَدَّثَنَا محمد بن القاسم بن مَهْرُويْهِ قال حَدَّثَنِي حذيفة بن محمد قال قال لي محمد بن أبي العتاهية : سمع أبي يوماً مخارقاً يغني :

أُحِبُّكَ حُبًّا لو يُفَضُّ يَسِيرُهُ
وَأَعْلَمُ أَنِّي بعدَ ذاكَ مَقْصَرٌ
على الخَلْقِ ماتَ الخَلْقُ من شِدَّةِ الحُبِّ²
لَأَتْلُكَ في أَعْلَى المَرَاتِبِ مِنْ قَلْبِي

فَطَرِبَ ثم قال له : من يقولُ هذا يا أبا المُهنا ؟ قال : فتى من الكُتَّابِ يَخْدُمُ الأميرَ إبراهيمَ بنَ المهدي . فقال : تَعْنِي محمد بنَ أُمَيَّة ؟ قال : نعم . قال : أَحَسَنَ وَاللَّهِ ، وما يزال يأتي بالشَّيءِ الملبحِ يبدو له .

[مزاحه مع مسلم بن الوليد]

أخبرني عمِّي قال حَدَّثَنَا أحمد بنُ أبي طاهرٍ قال حَدَّثَنِي أحمد بن أُمَيَّة بن أبي أُمَيَّة قال : لَقِي أَخِي مُحَمَّدَ بنَ أُمَيَّة مُسَلِّمَ بنَ الوليد وهو يَمْشِي وطويلته³ مع بعض رواته ، فسلم عليه ثم

1 خاس بالعهد : نقضه وخانه .

2 يفض : يفرق .

3 الطويل : يراد بها قلنسوة طويلة .

قال له : قد حضرني شيء ؛ فقال : هاتيه ؛ فقال : على أنه مزاح لا يُغضبُ منه ، قال : هاتيه ولو أنه شتم . فقال :

مَنْ رَأَى فِيمَا خَلَا رَجُلًا تَبَهُهُ يُرِي عَلَى جِدَّتِهِ
يَبَاهِي رَاجِلًا وَلَهُ شَاكِرِيٌّ فِي قُلْنَسِيَّتِهِ¹
فَسَكَتَ عَنْهُ مُسْلِمٌ وَلَمْ يُجِبْهُ ، وَضَحِكَ مِنْهُ مُحَمَّدٌ وَافْتَرَقَا .

[مداعبة مسلم له حين نفق برذونه]

قال : وكان لمحمد بن أمية برذون يركبه ، فلقبه مسلم وهو راجلٌ فقال : ما فعل برذونك ؟ قال : نفق . قال : الحمد لله ، فنجازيك إذاً على ما كان منك إلينا . ثم قال مسلم : [من السريع]

قُلْ لَابَنِ مِيٍّ لَا تَكُنْ جَاذِعًا لَنْ يَرْجِعَ الْبِرْذُونُ بِاللَّيْتِ
طَامَنَ أَحْشَاءُكَ فَقْدَانُهُ وَكَنتَ فِيهِ عَالِي الصَّوْتِ
وَكَنتَ لَا تَنْزُلُ عَنْ ظَهْرِهِ وَلَوْ مِنَ الْحُشِّ إِلَى الْبَيْتِ
مَا مَاتَ مِنْ حَتَفٍ وَلَكِنَّهُ مَاتَ مِنَ الشَّقَقِ إِلَى الْمَوْتِ

[تعلقه بإحدى الجوارى وما كان بينهما]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثني محمد بن علي بن أمية قال حدثني حسين بن الضحاک قال : دخلت أنا ومحمد بن أمية منزل نخاس بالرفقة أيام الرشيد وعنده جارية تغني فوقعت عينها على محمد ، ووقعت عينه عليها ، فقال لها : يا جارية ، أتغنين هذا الصوت :

خَبَّرَنِي مَنِ الرَّسُولُ إِلَيْكَ وَاجْعَلِيهِ مِنْ لَا يَنْمُ عَلَيْكَ
وَأَشِيرِي إِلَيَّ مَنْ هُوَ بِاللَّحْ ظٍ لِيخْفِي عَلَى الَّذِينَ لَدَيْكَ
وَأَقْلِي الْمَزَاحَ فِي الْمَجْلِسِ الْيَوْمِ مَ فَإِنَّ الْمَزَاحَ بَيْنَ يَدَيْكَ

فقالت له : ما أعرفه ، وأشارت إلى خادمٍ كان على رأسها واقفاً . فمكثا زماناً والخادم الرسول بينهما . قال : والشعر لمحمد بن أمية .

[تغنى بشعر له عمرو الغزال فتطير إبراهيم بن المهدي]

حدثني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني بعض من كان يختلط بالبرامكة قال : كنت عند إبراهيم بن المهدي ، وقد اصطبحنا وعنده عمرو بن بانة ، وعبيد الله بن أبي غسان ، ومحمد بن عمرو الرومي ، وعمرو الغزال ، ونحن في أطيب ما

1 الشاكري : الأجير والمستخدم . القلنسية والقلنسوة : من لباس الرأس .

كُنَّا عَلَيْهِ إِذْ غَنَى عَمْرُو الْغَزَالُ ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ يَسْتَقْلِقُهُ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَتَخَفَّفُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَقْصِدُهُ ، وَيُنْلِغُهُ عَنْهُ تَقْدِيمٌ لَهُ وَعَصِيَّةٌ ، فَكَانَ يَحْتَمِلُ ذَاكَ مِنْهُ ، فَاَنْدَفَعَ عَمْرُو الْغَزَالُ ، فَتَغَنَّى فِي شَعْرِ مُحَمَّدِ بْنِ أُمَيَّةَ :

مَا تَمَّ لِي يَوْمُ سُرُورٍ بِمَنْ أَهْوَاهُ مُذْ كُنْتُ إِلَى اللَّيْلِ
أَغْبَطُ مَا كُنْتُ بِمَا نَلْتَهُ مِنْهُ أَتَنِّي الرِّسْلُ بِالرَّيْلِ
لَا وَالَّذِي يَعْلَمُ كُلَّ الَّذِي أَقُولُ ذِي الْعِزَّةِ وَالطَّوْلِ
مَا رُمْتُ مُذْ كُنْتُ لَكُمْ سَخْطَةً بِالْغَيْبِ فِي فِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ

قال : فتطير إبراهيم ، ووضع القَدَحَ من يده ، وقال : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ مَا قُلْتَ . فوالله ما سَكَتَ ، وَأَخَذْنَا نَتَلَقَى فِي إِبْرَاهِيمَ ، إِذْ أَتَى حَاجِبُهُ يَعْدُو فَقَالَ : مَا لَكَ ؟ فَقَالَ : خَرَجَ السَّاعَةُ مَسْرُورٌ مِنْ دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى دَخَلَ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ وَرَأْسُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَبِضَ عَلَى أَبِيهِ وَإِخْوَتِهِ . فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ارفع يا غلام ارفع . فرفع ما كَانَ بَيْنَ أَيْدِينَا ، وَتَفَرَّقْنَا فَمَا رَأَيْتُ عَمْرًا بَعْدَهَا فِي دَارِهِ .

[كان يستطيب الشراب عند هبوب الجنوب]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصَّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى الْكَاتِبُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ بُسْخَرٍ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ بِالرَّقَّةِ وَقَدْ عَزَمْنَا عَلَى الشَّرَابِ وَمَعَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أُمَيَّةَ فِي يَوْمٍ مِنْ حَزِيرَانَ ، فَلَمَّا هَمَمْنَا بِذَلِكَ هَبَّتِ الْجَنُوبُ ، وَتَلَطَّخَتِ السَّمَاءُ بَغِيمًا ، وَتَكَثَّرَ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، فَتَرَكَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ الشُّرْبَ وَلَحِقَهُ صُدَاعٌ ، وَكَانَ يَنَالُهُ ذَلِكَ مَعَ هُبُوبِ الْجَنُوبِ ، فَافْتَرَقْنَا ؛ فَقَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ أُمَيَّةَ : مَا أَحَبُّ إِلَيَّ مَا كَرِهْتُمُوهُ مِنَ الْجَنُوبِ ! فَإِنْ أَنْشَدْتُكَ بَيْتَيْنِ مَلِيحَيْنِ فِي مَعْنَاهُمَا تَسَاعَدَنِي عَلَى الشَّرْبِ الْيَوْمَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَأَنْشَدَنِي :

إِنَّ الْجَنُوبَ إِذَا هَبَّتْ وَجَدْتُهَا طَبِيبًا يَذْكُرُنِي الْفِرْدَوْسَ إِنْ نَفَحَا
لَمَّا أَتَتْ بِنَسِيمٍ مِنْكَ أَعْرِفْهُ شَوْقًا تَنْفَسْتُ وَاسْتَقْبَلْتُهَا فَرِحَا

فَانصَرَفْتُ مَعَهُ إِلَى مَنَزَلِهِ ، وَغَنَيْتُ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَشَرَبْنَا عَلَيْهِمَا بَقِيَّةَ يَوْمِنَا .

[ما قاله في تفاحة أهدتها إليه خداع]

وَجَدْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ بَغِيرَ إِسْنَادٍ : أَهَدْتُ جَارِيَةً يَقَالُ لَهَا خِدَاعُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَكَانَ يَهْوَاهَا ، تَفَاحَةً مُفْلَجَةً¹ مَنْقُوشَةً مَطْيِيَّةً حَسَنَةً ، فَكُتِبَ إِلَيْهَا مُحَمَّدٌ : [من المنسرح]

خِدَاعُ أَهْدَيْتَ لَنَا خِدْعَةً تَفَاحَةً طَبِيبَةَ النَّشْرِ

ما زلتُ أَرْجوكِ وَأَخْشَى الهوى مُعْتَصِماً بِاللّهِ وَالصَّبْرِ
حتى أَتْنِي منكِ في ساعةٍ زَحَزَحَتِ الْأَحْزَانُ عَنْ صَدْرِي
حشوتُهَا مِسْكَاً وَنَقَشْتِهَا وَنَقَشْتُ كَفَيْكَ مِنَ السَّحْرِ
سَقِيّاً لَهَا تَفَاحَةً أَهْدَيْتَ لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ خُدَعِ الدَّهْرِ

[التقى بجارية يهواها وشعره في ذلك]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدثني عبد الله بن جعفر اليعقطيني قال حدثني أبي جعفر بن عليّ بن يقطين قال : كنتُ أسيرُ أنا ومحمد بن أمية في شارع المَيْدَانِ ، فاستقبلتنا جاريةٌ ، كان محمدٌ يهواها ثم بيعتُ ، وهي راكبةٌ ، فكلّمها ، فأجابته بجواب أخفّته فلم يفهمه ، فأقبل عليّ وقد تغيّر لونه فقال : [من البسيط]

يا جعفرُ بن عليّ وابن يقطين أَلَيْسَ دُونَ الَّذِي لَاقَيْتَ يَكْفِينِي
هذا الذي لم تَرَلْ نَفْسِي تَخَوُّفِي مِنْهَا فَأَيْسَنَ الَّذِي كَانَتْ تُمْنِي
خَاطَرْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ نَحْوِي وَقَلْتُ لَهَا تَقْدِيرُكَ نَفْسِي فِدَاءً غَيْرَ مَمْنُونٍ
فخاطبتني بما أخفّته فانصرفتُ نَفْسِي بظُنَيْنٍ مَخْشِيٍّ وَمَأْمُونٍ

[تمثل المنتصر بيت له]

حدثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبيّ قال حدثني أبي قال : كنت بين يدي المنتصر جالساً فجاءته رُفْعَةٌ لَا أَعْلَمُ مِمَّنْ هِيَ ، فقرأها وتبسّم ثم إنه أقبل عليّ وأنشد :

لَطَافَةٌ كَاتِبٍ وَخَشُوعٌ صَبٌّ وَفِطْنَةٌ شَاعِرٍ عِنْدَ الْجَوَابِ

ثم أقبل عليّ فقال : مَنْ يَقُولُ هَذَا يَا يَزِيدُ ؟ فقلتُ : محمد بن أمية يا أمير المؤمنين . فضحك وقال : كَانَهُ وَاللّهِ يَصِفُ مَا فِي هَذِهِ الرُّفْعَةِ .

[عاتبه أخوه وابن قبر لما لحقه من وله كالجنون لبيع جارية يجبها]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدثني حذيفة بن محمد قال : كنت أنا وابن قبر عند محمد بن أمية بعقب يَبْعُ جاريةٍ كان يجبّها وقد لحقه عليها وله كالجنون ، فجعل ابن قبرٍ وأخوه عليّ بن أمية يعاتبانه على ما يظهر منه ، فأقبل بوجهه عليهما ثم قال :

لَوْ كُنْتَ جَرَّبْتَ الهوى يَا ابْنَ قَنْبَرٍ كَوْصَفِكَ إِيَّاهُ لِأَهْلَاكَ عَنْ عَذْلِي¹

أنا وأخي الأدنى وأنت لها الفدا
وإن لم نكوناً في مودتها مثلي
أإن حُجبت عني أجود لغيرها
بودي وهل يُغري المحبّ سوى البخل
أسرّ بأن قالوا تَضَنّ بودها
عليك ومن ذا سرّ بالبخل من قبلي
قال : فضحك ابن قنبر ، وقال : إذا كان الأمر هكذا فكن أنتَ الفداء لها ، وإن ساعدك
أخوك فاتّفقاً على ذلك ، وأما أنا فليستُ أنشط لأن أساعدك على هذا . وافترقنا .
[قطع الصوم بينه وبين خداع فقال شعراً]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أنشدني محمد بن الحسن بن الحزور لمحمد بن أمية
في جارية كان يهواها ، وقطع الصوم بينهما ، فقال يخاطب محمد بن عثمان بن خريم
المريّ :

قفا فابكيا إن كنتما تجدان
كوجدي وإن لم تبكيا فدعاني
قفي الدَّمْعُ ممّا تُضمّر النفسَ راحةً
إذا لم أطق إظهاره بلساني
أغصّ بأسراري إذا ما لقيتها
فأبّهتُ مشدوهاً أغصّ بناني
فيا بن خريم يا أخي دون إخوتي
ومن هو لي مثلي بكلّ مكان
تأملْ أحظي من خداعٍ وحُبّها
سوى خدع تُذكي الهوى وأماني
وأصبح شهرُ الصوم قد حال بيننا
فيا ليتَ شوالاً أتى بزمان

[شعر له فيها استحسّنه ابن المعتز]

أنشدني جعفر بن قدامة قال أنشدني عبد الله بن المعتز قال أنشدني أبو عبد الله الهشامي
لمحمد بن أمية ، وفيه غناء لمتمّم ، قال واستحسّنه عبد الله :

[من الكامل]

صوت

عجباً عجباً لذنوبٍ متغصّبٍ
لولا قبيحُ فعّاله لم أعجب
أخداع ، طالَ على الفراشِ تقلبي
واليك طولُ تشوّقي وتطرّبي
لهفي عليك وما يردّ تلهفي
قصرت يداي وعزّ وجه المطلب

الغناء لمتمّم ، فيه لحنان : رملٌ عن ابن المعتز ، وخفيف رمل عن الهشامي . وهذا من شعر
محمد فيها بعد أن بيعت . قال : وغنّتنا هزأُ هذا الصوت¹ يومئذ .

[أشعاره فيها إذ فقدها وحين وجدها]

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِيرَزَانِ قَالَ حَدَّثَنِي شَيْبَةُ بْنُ هِشَامٍ قَالَ : دَعَانَا مُحَمَّدُ بْنُ أُمِّيَّةَ يَوْمًا وَوَجَّهَهُ إِلَى جَارِيَةٍ كَانَتْ يَحِبُّهَا فِدْعَاهَا ، وَبَعَثَ إِلَى مَوْلَاهَا يُحَدِّثُهَا¹ مَعَ رَسُولِهِ ، فَأَبْطَأَ الرَّسُولُ حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ ثُمَّ عَادَ وَلَيْسَتْ مَعَهُ وَقَالَ : أَخَذُوا مِنِّي الدَّرَاهِمَ ثُمَّ رَدُّوْهَا عَلَيَّ ، وَرَأَيْتُهُمْ مُخْتَلِطِينَ ، وَلَهُمْ قِصَّةٌ لَمْ يُعْرِفُونِيهَا ، وَقَالُوا : لَيْسَتْ هَاهُنَا فَإِنْ عَادَتْ بَعَثْنَا بِهَا إِلَيْكُمْ . فَتَنَعَّصَ عَلَيْهِ يَوْمُهُ وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَتَجَمَّلَ لَنَا ؛ ثُمَّ بَكَرْنَا مِنْ غَدٍ بِأَجْمَعِنَا إِلَى مَنْزِلِ مَوْلَاهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ بَاعَتْ ، فَوَجَّعَ طَوِيلًا ، وَسَارَ حَتَّى إِذَا خَلَا لَنَا الطَّرِيقَ انْدَفَعَ بَاكِيًا . فَمَا أُنْسَى حُرْقَةً بِكَائِهِ وَهُوَ يَنْشِدُنِي :

تَخْطِي إِلَيَّ الدَّهْرُ مِنْ بَيْنِ مَنْ أَرَى وَسَوْءُ مَقَادِيرٍ لَهْنٌ شَعُونَ²
فَشَتَّ شَمْلِي دُونَ كُلِّ أَخِي هَوًى وَأَقْصَدَنِي بَلٌّ كُلَّهُمْ سَيِّئٌ³
وَمَهْمَا تَكُنْ مِنْ ضَحْكَةٍ بَعْدَ فَقْدِهَا فَإِنِّي وَإِنْ أَظْهَرْتُهَا لِحَزِينٍ⁴
سَلَامٌ عَلَيَّ أَيَّامَنَا قَبْلَ هَذِهِ إِذِ الدَّارُ دَارٌ وَالسَّرُورُ فَنُونٌ

قَالَ : وَمَضَتْ عَلَيَّ ذَلِكَ مَدَّةٌ . ثُمَّ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ اجْتَازَ بِهَا ، وَهِيَ تَنْظُرُ مِنْ وَرَاءِ شُبَّانِك ، فَسَلَّمَ عَلَيْهَا فَأَوْمَأَتْ بِالسَّلَامِ إِلَيْهِ وَدَخَلَتْ ، فَقَالَ :

تَطَالَعْنِي عَلَى وَجَلٍ خِدَاعٍ مِنْ الشَّبَّكِ الَّتِي عُمِلَتْ حَدِيدًا
مُطَالَعْتِي ، قَفِي بِاللَّهِ حَتَّى أَرْوِدَ مُقْلَتِي نَظْرًا جَدِيدًا
فَقَالَتْ إِنَّ سَهَا الْوَاشُونَ عَنَّا رَجَوْنَا أَنْ تَعُودَ وَإِنْ نَعُودَا

وَأَنْشِدُنِي أَيْضًا فِي ذَلِكَ :

صوت

يَا صَاحِبَ الشَّبَّكِ الَّذِي اسْدَ تَخْفَى ، مَكَائِكَ غَيْرُ خَافٍ
أَفَمَا رَأَيْتَ تَلْدُدِي بِفِنَاءٍ قَصْرِكَ وَاجْتِلَافِي³
أَوْ مَا رَحِمْتَ تَخْشَعِي وَتَلْفُتِي بَعْدَ انْصِرَافِي⁴

1 يحدها : يرسلها .

2 أقصدني : طعنني ولم يخطئني .

3 تلددي : مكثي ووقوفي . واختلافي : ترددي .

4 تخشعي : تضرعي .

صوت

[من الكامل]

إِنَّ الرِّجَالَ لَهْمَ إِلَيْكَ وَسِيلَةً إِنَّ يَأْخُذُوكِ تَكْحَلِي وَتَخْضَبِي
وَأَنَا أَمْرُؤٌ إِنْ يَأْخُذُونِي عَنْوَةً أَقْرَنُ إِلَى سَيْرِ الرِّكَابِ وَأُجْنَبِ
وَيَكُونُ مَرْكَبُكَ الْقَعُودَ وَجِدْجَه وابنُ النِّعَامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرْكَبِي¹

عروضه من الكامل . قال ابن الأعرابي في تفسير قوله :

وابنُ النِّعَامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرْكَبِي

[من الكامل]

ابن النِّعَامَةِ : ظِلُّ الْإِنْسَانِ أَوْ الْفَرَسِ أَوْ غَيْرِهِ . قال جرير :

إِذْ ظَلَّ يَحْسَبُ كُلُّ شَيْءٍ فَارِسًا ويرى نِعَامَةً ظِلَّهُ فَيَحُولُ

يعني بنِعَامَةٍ ظِلُّهُ جَسَدُهُ . وقال أبو عمرو الشيباني : النِّعَامَةُ مَا يَلِي الْأَصَابِعَ فِي مُقَدِّمِ الرَّجْلِ . يقول : مَرْكَبِي يَوْمَئِذٍ رِجْلِي . وقال الجاحظ : ذَكَرَ عُلَمَاؤُنَا الْبَصْرِيُّونَ : أَنَّ النِّعَامَةَ اسْمُ فَرَسٍ . يقول : إِنِّي أَشَدُّ عَلَى رِكَابِي السَّرَجَ فَإِذَا صَارَ لِلْفَرَسِ ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى النِّعَامَةَ ، ظِلٌّ وَأَنَا مَقْرُونٌ إِلَيْهِ صَارَ ظِلُّهُ تَحْتِي فَكُنْتُ رَاكِبًا لَهُ . وجعل ظِلُّهَا هَاهُنَا ابْنَهَا .

الشعر للحارث بن لؤذان بن عوف بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة .
وقال ابن سلام : لَخُزَزَ بَنُ لَوْذَانَ . ومن الناس مَنْ يَنْسَبُ هَذَا الشَّعْرَ إِلَى عَنْتَرَةَ ، وَذَلِكَ خَطَأً .
وَأَحَدٌ مِنْ نَسَبِهِ إِلَيْهِ إِسْحَاقُ الْمُوصِلِيِّ . والغناء لَعَزَّةَ الْمَيْلَاءِ . وأَوَّلُ لَحْنِهَا :

[من الكامل]

لِمَنْ الدِّيارُ عَرَفَتْهَا بِالشُّرْبِ ذهب الذين بها ولما تذهب²

وبعده «إن الرجال» .

وطريقته من خفيفِ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْبَنْصَرِ مِنْ رِوَايَتِي حَمَادٍ وَابْنِ الْمَكِّيِّ . وفيه للهِذِيلِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ . وفيه لَعَرِيبٌ خَفِيفٌ رَمَلٌ . وفيه لَعَزَّةُ الْمَرْزُوقِيَّةِ لَحْنٌ .
وقال هارونُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزَّيَّاتِ : هَذَا اللَّحْنُ لَرِيقٍ ، سَلَخْتُ لَحْنَ «وَمَخْنَثٍ شَهِدَ الزَّفَافُ وَقَبْلَهُ» فَجَعَلْتُهُ لِهَذَا ، وَهُوَ لَحْنٌ مُحَرَّكٌ يَشْبَهُ صِنْعَةَ ابْنِ سُرَيْجٍ وَصِنْعَةَ حَكَمٍ فِي مُحَرَكَاتِهِمَا ، فَمِنْ هُنَا يَغْلُطُ فِيهِ وَيُظَنُّ أَنَّهُ قَدِيمُ الصِّنْعَةِ .

1 الحِجْدَجُ : مَرْكَبٌ مِنْ مَرَاكِبِ النِّسَاءِ نَحْوِ الْهُودَجِ .

2 الشُّرْبُ : وَادٍ فِي دِيَارِ بَنِي رَبِيعَةَ .

213 - [بعض أخبار لابن أبي عتيق]

[ابن أبي عتيق يعجب بغناء عزة الميلاء]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثت عن صالح بن حسان قال : كان ابن أبي عتيق معجباً بغناء عزة الميلاء كثر الزيارة لها ، وكان يختار عليها قوله :

لَمَن الدِّيار عرِفَها بالشُّربِ

فسأَلها يوماً زيارَتَه فأجابته إلى ذلك ومضت نحوه ، فقال لها بعد أن استقرَّ بها المجلسُ : يا عَزَّة ، أَحَبُّ أن تغنِّيَ صوتي الذي أنا له عاشق . فغَنَّتْ هذا الصوت ، فطرب كلَّ الطرب وسر غاية السرور .

[جارية ابن أبي عتيق ومعاينة فتى لها]

وكانت له جارية ، وكان فتى من أهل المدينة كثيراً ما يعيث بها ؛ فأعلَمتُ [ابن أبي عتيق بذلك ؛ فقال لها : قولي له : وأنا أُحِبُّكَ ؛ فإذا قال لك : وكيف لي بك ؟ فقولِي له : مولاي يخرج غداً إلى مال له ، فإذا خرج أدخلتُكَ المنزل . وجمع] ابن أبي عتيق ناساً من أصحابه فأجلَسهم في بيته [ومعهم عزة الميلاء] ، وأدخلت الجارية [الرجل] . وقال لعزة : غَنِّي فأعادت الصوت . وخرجت الجارية [فمكثت ساعة ثم دخلت البيت كأنها تطلب حاجة ، فقال لها : تعالي . فقالت : الآن آتيك . ثم عادت فدعاها فاعتلت¹ ، فوثب فأخذها فضرب بها الحجلة² ، فوثب ابن أبي عتيق عليه هو وأصحابه ، فقال لهم وهو غير مكترث : يا فسَّاقُ ما يُجلِسكم هاهنا مع هذه المغنِّية ؟ فضحك ابن أبي عتيق من قوله وقال له : استر علينا سترَ الله تعالى عليك . فقالت له عَزَّة : يا ابن الصَّدِّيق³ ، ما أظرف هذا لولا فسقه ! فاستحيا الرجل فخرج ، وبلغه أن ابن أبي عتيق قد آلى إن هو وقع في يده أن يصير به إلى السلطان . فأقبل يعيث بها كلما خرجت ، فشكت ذلك إلى مولاه ، فقال لها : أولم يرتدع من العبث بك ! قالت : لا . قال : فهَيِّئِي الرَّحى وهَيِّئِي من الطعام طحينَ ليلةٍ إلى الغداة . فقالت : أفَعَلُ يا مولاي . فهَيَّأت ذلك على ما أمرها به ثم قال لها : عِدِّيهِ الليلة فإذا جاء فقولي له : إن وظيفتي الليلة طحنُ هذا البرِّكَلِّ ثم اخرجني من البيت واتركيه . ففعلت ، فلما دخل طحنت الجارية

1 اعتلت : اعتذرت .

2 الحَجَلَة : بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار .

3 المقصود ابن أبي عتيق .

قليلاً ، ثم قالت له : إن كَفَتُ الرَّحَى فَإِنَّ مولاي جاءَ إليَّ أو بعض مَنْ وَكَلَهُ بي ، فاطحن حتى نَأْمَنَ أَنْ يَجِيئَنَا أَحَدٌ ، ثم أَصِيرَ إلى قضاء حاجتك . ففعل الفتى ومضت الجارية إلى مولاها وتركته . وقد أمر ابنُ أبي عتيق عدّة من موليّاته أَنْ يترأّحن على سهر ليلتهنَّ ويتفقّدن أمرَ الطّحين ويحشّن الفتى عليه كلّما أمسك ؛ ففعلن ، وجعلن ينادينه كلّما كفَّ : يا فلانة إنَّ مولاك مستيقظ ؛ والساعة يعلم أنّك كففت عن الطّحن ، فيقومُ إليك بالعصا كعادته مع مَنْ كانت نوبتها قبلك إذا هي نامت وكفّت عن الطّحن . فلم يزل الفتى كلّما سمع ذلك الكلام يجتهد في العمل والجارية تتعهّد وتقول : قد استيقظ مولاي . والساعة ينام فأصير إلى ما تحبّ . فلم يزل الرجل يطحن حتى أصبح وفرغ من جميع القمح . فلما فرغ وعلمت الجارية أنّه فقالت : قد أصبحت فأنجُ بنفسك . فقال : أو قد فعلتها يا عدوّ الله ! فخرج تعباً نصيباً فأعقبه ذلك مرضاً شديداً أشرف منه على الموت ، وعاهد الله تعالى ألاّ يعودَ إلى كلامها ، فلم ترَ منه بعد ذلك شيئاً يُنكر .

صوت

[من الوافر]

أَجَدَّ اليَوْمَ جِيرَتُكَ احتمالاً وحثَّ خُدَاتَهُمْ بِهِمْ عِجالاً
وفي الأظعانِ آئسةٌ لعبوب ترى قتلي بغير دمٍ حلالاً

عروضه من الوافر . الشعر للمتوكّل الليثي ، والغناء لابن مُحرز ثاني ثقلٍ بالسبابة في مجرى الوُسْطى عن إسحاق . وفيه لابن مسجّع ثاني ثقلٍ بالخنصر في مجرى البُنْصير عنه . وذكر حبش أنَّ هذا اللحن لابن سُرَيْج ، وفيه لإسحاق هزج .

[214] - نسب المتوكل الليثي وأخباره

[نسبه]

هو المتوكل بن عبد الله بن نهشل بن مُسافِع بن وهب بن عمرو بن لَقِيط بن يَعْمَر بن عَوْف بن عامر بن لَيْث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار . من شعراء الإسلام ، وهو من أهل الكوفة . كان في عصر معاوية وابنه يزيد ، ومدحهما . ويكنى أبا جهمة . وقد اجتمع مع الأخطل وناشده عند قبيصة بن الوق ، ويقال عند عكرمة بن ربيع الذي يقال له الفَيَاضُ ، فقدمه الأخطل .

وهذه القصيدة التي أولها الغناء قصيدة هجا بها عكرمة بن ربيع وخبره معه يذكر بعد إن شاء الله تعالى .

أخبرني بذلك الحسن بن عليّ عن أحمد بن سعيد الدمشقيّ عن الزبير بن بَكَّار عن عمّه .

[تناشد هو والأخطل الشعر]

وأخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال أخبرني هارون بن مسلم قال حدّثني حفص بن عمر العُمريّ عن لَقِيط بن بُكَيْر المحاربيّ قال : قدِم الأخطل الكوفة فنزل على قَبِيصَةَ بن الوق ، فقال المتوكل بن عبد الله الليثيّ لرجل من قومه : انطلق بنا إلى الأخطل نستنشدّه ونسمع من شعره . فأتياه فقالا : أنشدنا يا أبا مالك . فقال : إني لخائر¹ يومي هذا . فقال له المتوكل : أنشدنا أيها الرجل ، فوالله لا تُشِدني قصيدة إلّا أنشدتك مثلها أو أشعر منها من شعري . قال : ومَن أنت ؟ قال : أنا المتوكل . قال : أنشدني ويحك من شعرك ! فأنشدّه :

[من الكامل]

لِلْغَانِيَاتِ بِذِي الْمَجَازِ رِسُومٌ	فَيَبْطِنُ مَكَّةَ عَهْدُهُنَّ قَدِيمٌ ²
فَيَمْنَحِرُ الْبُذْنَ الْمَقْلَدَ مِنْ مِئَى	جَلَلٌ تَلُوحُ كَأَنَّهُنَّ نَجُومٌ ³

1 يقال خَئِرَتْ نفسه : غثت وخبثت وثقلت واختلطت .

2 ذو المجاز : موضع بسوق عرفة ، وماء لهذيل بعرفة .

3 الحلل : جمع حلة ، وهي جماعة بيوت القوم .

لا تنه عن خلقي وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
والهم إن لم تمضيه لسبيله داء تضمنه الضلوع مقيم
غنى في هذه الأبيات سائب خاثر من رواية حماد عن أبيه ولم يجنسه . قال وأنشده
أيضاً :

الشعر لب المرء يعرضه والقول مثل مواقع النبل
منها المقصر عن رميته ونوافذ يذهبن بالخصل¹
قال وأنشده أيضاً :

إننا معشر خلقنا صدورا من يسوي الصدور بالأذنان

[ما قاله في زوجه رهيمة حين طلبت الطلاق]

فقال له الأخطل : ويحك يا متوكل ! لو نبحت الخمر في جوفك كنت أشعر الناس . قال
الطوسي قال الأصمعي : كانت للمتوكل بن عبد الله الكنائي امرأة يقال لها رهيمة ، ويقال
أميمة ، وتكنى أم بكر ، فأقعدت ، فسألته الطلاق ، فقال : ليس هذا حين طلاق . فأبت
عليه ، فطلقها ، ثم إنها برئت بعد الطلاق ، فقال في ذلك :

طربت وشاقتني يا أم بكر دعاء حمامة تدعو حماما
فبت وبات همي لي نجياً أعزى عنك قلباً مستهما
إذا ذكرت لقلبك أم بكر يبيت كأنما اغتبق المداما
خذلجة ترف غروب فيها وتكسو المتن ذا خصل سخاما²
أبى قلبي فما يهوى سواها وإن كانت مودتها غراما
ينام الليل كل خلي هم [وتأبى العين مني أن تناما
أراعي التاليات من الثريا] ودمع العين منحدر سيجاما
على حين ارعويت وكان رأسي كأن على مفارقه ثغاما³
سعى الواشون حتى أزعجوها ورث الحبل فانجذم انجذاما
فلست بزائل ما دمت حياً مسيراً من تذكرها هياما

1 الخصل : الخطر ، وهو السبق الذي يتراهن عليه .

2 الخدلجة : الممتلئة الذراعين والساقين ، ترف : تبرق . وغروب الفم : ماؤه . والسخام : اللين الحسن والأسود .

3 الثغام : نبت ، ويقال أثمر الرأس إذا صار كالثغامة يابضاً .

تُرْجِيهَا وَقَدْ شَحَطَتْ نَوَاهَا وَمَتَّكَ الْمُنَى عَاماً فَعَامَا
 خَذَلَجَةً لَهَا كَفَلٌ وَثِيرٌ يَنْوِي بِهَا إِذَا قَامَتْ قِيَامَا
 مُخَصَّرَةً تَرَى فِي الْكَشْحِ مِنْهَا عَلَى تَثْقِيلِ أَسْفَلِهَا انْهَضَامَا
 إِذَا ابْتَسَمَتْ تَلَأْلاً ضَوْءُ بَرَقٍ تَهَلَّلَ فِي الدَّجْنَةِ ثُمَّ دَامَا
 وَإِنْ قَامَتْ تَأَمَّلْ رَائِيَاهَا غِمَامَةً صَيِّفٍ وَلَجَتْ غِمَامَا¹
 إِذَا تَمْشِي تَقُولُ دَيْبُ أَيْمٍ تَعْرِجُ سَاعَةً ثُمَّ اسْتَقَامَا²
 وَإِنْ جَلَسَتْ فَدُمِيَّةُ بَيْتِ عِيدٍ تُصَانُ وَلَا تُرَى إِلَّا لَمَامَا
 فَلَوْ أَشْكُوَ الَّذِي أَشْكُوَ إِلَيْهَا إِلَى حَجَرٍ لِرَاجِعِي الْكَلَامَا
 أَحِبُّ دُنُوهَا وَتُحِبُّ نَائِي وَتَعْتَمُ التَّنَائِي لِي اعْتِيَامَا³
 كَأَنِّي مِنْ تَذَكُّرٍ أَمْ بِكَرٍ جَرِيحُ أَسَنَةٍ يَشْكُو كِلَامَا
 تَسَاقَطُ أَنْفُسَا نَفْسِي عَلَيْهَا إِذَا شَحَطَتْ وَتَغَنَّمَ اغْتِنَامَا⁴
 غَشِيَتْ لَهَا مَنَازِلَ مَقْفِرَاتٍ عَفَتْ إِلَّا الْأَيَاصِرَ وَالْثُمَامَا⁵
 وَنَوِيّاً قَدْ تَهَدَّمْ جَانِبَاهُ وَمَبْنَاهَا بِذِي سَلَمِ خِيَامَا
 صَلِّينِي وَاعْلَمِي أَنِّي كَرِيمٌ وَأَنْ حَلَاوَتِي خُلِطَتْ غُرَامَا
 وَأَنْتِي ذُو مُجَامَحَةٍ صَلِيبٌ خُلِقْتَ لِمَنْ يَمَاكِسُنِي لِحَامَا⁶
 فَلَا وَأَبِيكَ لَا أَنْسَاكَ حَتَّى تُجَاوِبَ هَامَتِي فِي الْقَبْرِ هَامَا

[شعر آخر له في امرأته يمدح فيه حوشباً الشيباني]

والقصيدة التي فيها الغناء المذكور في أوّل خبر المتوكل يقولها أيضاً في امرأته هذه ويمدح فيها حوشباً الشيباني ، ويقول فيها :

[من الوافر]

إِذَا وَعَدْتِكَ مَعْرُوفاً لَوْتَهُ وَعَجَّلْتَ التَّجْرُمَ وَالْمِطَالَ⁷

1 الصَّيْفُ : المطر الذي يجيء صيفاً .

2 الأَيْمُ : الحَيَّةُ .

3 تَعْتَمُ : تَخْتَارُ .

4 شَحَطَتْ : بَعَدَتْ .

5 الْأَيَاصِرُ : جَمْعُ أَبِيصَرٍ ، وَهُوَ وَتِدُ الطَّنْبِ ، أَوْ حَبْلٌ صَغِيرٌ يَشُدُّ بِهِ أَسْفَلَ الْخَبَاءِ . وَالْثُمَامُ : نَبْتٌ .

6 يَمَاكِسُنِي : يُشَاكِسُنِي .

7 تَجْرَمُ عَلَيْهِ : ادَّعَى عَلَيْهِ الْجَرَمَ .

لها بشر نقيّ اللون صافي
إذا تمشي تأوّد جانبها
تنوء بها روادفها إذا ما
فإن تصبح أُميمة قد تولّت
فقد تدنو النوى بعد اغتراب
تعبسُ لِي أُميمة بعد أنس
أبيني لي فربّ أخٍ مضافٍ
أصرم منك هذا أم دلال
أم استبدلت بي ومللت وصلي
فلا وأبيك ما أهوى خليلاً
وكم من كاشح يا أمّ بكرٍ
ليست على قناعٍ من أذاه
ومّا يغنيّ به من هذه القصيدة قوله :

صوت

أنا الصقر الذي حدّثت عنه
رأيت الغنايات صدفن لِمَا
فلم يُلّووا إذا رحلوا ولكن
تولّت غيرهم بهم عَجَلا
غنّي فيه عمر الواديّ خفيف رمل عن الهشاميّ . وذكر حبش أنّ فيه لابن مُحَرِّز ثاني ثقبيل
بالوسطى ، وأحسبه مضافاً إلى لحنه الذي في أوّل القصيدة .
[هجاه معن بن حمل فترفع عنه ثم هجاه واعتذر]

وقال الطوسيّ قال أبو عمرو الشيبانيّ : هجا معن بن حمل بن جَعونة بن وهب ، أحد بني
لقيط بن يَعمر المتوكّل بن عبد الله الليثيّ ؛ وبلغ ذلك المتوكّل ، فترفع عن أن يجيبه ، ومكث

1 مخطوطة المتن : ممدودة .

2 ينخزل : ينقطع .

3 الحلال : القوم الذين يحلّون موضعاً وفيهم كثرة .

4 الخال : الكيد والمكر .

5 عناق الطير : جوارحها .

معن سنين يهجوهُ والمتوكل معرض عنه . ثم هجاه بعد ذلك وهجا قومه من بني الذّيل هجاء قَدْعاً استحيا منه وندم ، ثم قال المتوكل لقومه يعتذر ويمدح يزيد بن معاوية : [من الطويل]

خليلي عوجا اليوم وانتظراني فإن الهوى والهَمُّ أمُّ أبانٍ
هي الشمسُ يدنو لي قريباً بعيدُها أرى الشمس ما أسطيعُها وتراني
نأت بعد قرب دارُها وتبدلت بنا بدلاً والدَّهرُ ذو حدَثانٍ
فهاج الهوى والشوقَ لي ذكرُ حرّةٍ من المرجحَاتِ الثقالِ حَصانٍ¹

غَنَى في هذه الأبيات ابن مُحَرِّز من كتاب يونس ولم يجنّسه : [من الطويل]

سيعلم قومي أنني كنتُ سورةً من المجد إن داعي المنون دَعاني
ألا ربّ مسرورٍ بموتي لو أتى وآخَرَ لو أنعى له لبكاني
خليلي ما لأم امرءاً مثلُ نفسه إذا هي لامت فاربعاً ودَعاني²
ندمتُ على شتمي العشيرة بعدما تغنى بها غوري وحنّ يمانِي
قلبت لهم ظهرَ المجنّ وليتني رجعتُ بفضلٍ من يدي ولساني
على أنني لم أرم في الشعرِ مسلماً ولم أهجُ إلا من روى وهجاني
هُم بطروا الحلمَ الذي من سَجِيَّتِي فبدلت قومي شدّةً بليانٍ³
ولو شتُّم أولادَ وهبٍ نزعْتُم ونحنُ جميعٌ شملنا أخوانٍ
نهيتُم أحاكم عن هجائي وقد مضى له بعد حولٍ كاملٍ ستانٍ
فلجَّ ومناه رجالٌ رأيتُهم إذا قارنوني يكرهون قراني
وكنتُ امرءاً يأبى لي الضيمَ أنني صرومٌ إذا الأمرُ المِهْمُ عَناني⁴
وصُولُ صرومٍ لا أقول للمُدبرِ هلمَّ إذا ما اغتَشَنِي وعَصاني
خليلي لو كنتُ امرءاً بِي سَقَطَةً تضعضتُ أو زَلَّتْ بِي القدمانِ
أعيش على بغي العُدّةِ ورغْمهم وآتي الذي أهوى على الشينانِ
ولكنني ثَبْتُ المَريرةَ حازمٌ إذا صاح طُلابي ملأت عِناني

1 مرجحات : جمع مرجحة ، وهي المرأة السمينّة .

2 اربعا : توقفاً وكفاً وارقفاً .

3 بطروا : كرهوا .

4 عَناني في ل : دَعاني .

خليليّ كم من كاشح قد رميته
فكان كذات الحيض لم تُبق ماءها
ثم إنه يقول فيها ليزيد بن معاوية :

أبا خالدٍ حنّت إليك مطّيتي
أبا خالدٍ في الأرض نائيّ ومفسّح
فكيف ينام الليلَ حرّاً عطاؤه
تناهتْ قلوّصي بعد إسّاديّ السّرى
ترى الناس أفواجاً ينوبون بابّه
على بعد متّاب وهولٍ جنّانٍ
لذي مرّة يُرمى به الرّجوان¹
ثلاثٌ لرأس الحولٍ أو مائتان²
إلى ملكٍ جزلٍ العطاء هيجان³
ليكرٍ من الحاجات أو لعوان³

[معن أجابه مفتخراً]

فأجابه معن بن حمّلٍ فقال :

ندمتَ كذاك العبدُ يندم بعد ما
ولاقيتَ قرماً في أرومةٍ ماجدٍ
أنا الشاعر المعروف وجهي ونسبتي
وأغلبُ من هاجيتُ عفواً وأنتمي
فهاهنا إذا يا ابن الأتان كصاحب الـ
فهاهنا كزيدٍ أو كسنيحانٍ لا تجدُ
غلبتَ وسار الشعر كلّ مكانٍ
كريماً عزيزاً دائماً الخطران
أعفُ وتحميني يدي ولساني
إلى معشرٍ بيض الوجوه حسانٍ
ملوك أبي ، أسيد كمهانٍ
لهم كفواً أو يُبعث الثقلان

[هو عكرمة بن ربيعي]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا العكليّ عن العباس بن هشام عن أبيه عن عوانة قال : أتى المتوكلّ الليثيّ عكرمة بن ربيعيّ الذي يقال له الفيّاض ، فامتدحه فحرمه ، فقبل له : جاءك شاعر العرب فحرمته ! فقال : ما عرفتُ . فأرسل إليه بأربعة آلاف درهم ، فأبى أن يقبلها وقال : حرمني على رؤوس الناس ويبعث إليّ سرّاً .

[نسيبه بحسنة وهو يعاني الرمد وهجاؤه عكرمة]

فبينما المتوكلّ بالحيرة وقد رمّد رمداً شديداً ، فمرّ به قسّ منهم قال : ما لك ؟ قال : رمدتُ .

1 الرجا : ناحية كلّ شيء ، وخص بعضهم به ناحية البئر من أعلاها إلى أسفلها ، ويرمى به الرجوان ؛ أي استهين به . ومثّل ورد في مجمع الأمثال للميداني : 213/1 «حتى متى يُرمى بي الرّجوان» .

2 الإسّاد : الإسراع في السير . الهجان : الرجل الحسيب .

3 أو لعوان في ل : غير عوان .

قال : أنا أعالجك . قال : فافعل . فذره¹ ، فبينما القسّ عنده وهو مذرور العين مستلقٍ على ظهره ، يفكر في هجاء عكرمة ، وذلك غير مطّردٍ له ولا القول في معناه ، إذ أتاه غلام له فقال : بالباب امرأة تدعوك . فمسح عينيه وخرج إليها ، فسفّرت عن وجهها فإذا الشمس طالعةٌ حسناً ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : أمية . قال : فممن أنت ؟ فلم تخبره . قال : فما حاجتك ؟ قالت : بلغني أنك شاعر فأحببت أن تنسب بي في شعرك . فقال : أسفري . ففعلت فكرّ طرفه في وجهها مُصعّداً ومصوباً ، ثم تلثّمت وولّت عنه ، فاطّرد له القول الذي كان استصعب عليه في هجاء عكرمة واقتتحه بالنسب فقال :

أجدّ اليومَ جيرتكَ احتمالاً وحثّ حُدَاتُهُم بِهِمُ الجَمالاً
وفي الأظعانِ آنِسَةُ لَعُوبٍ ترى قَتْلِي بغير دمٍ حَلالاً
أُمِيَّةُ يومَ دَيرِ القَسِّ ضُنَّتْ علينا أن تُتَوَلّا نَوالاً
أُيْنِي لِي فَرَبٌّ أَخٍ مَصافٍ رُزِئْتُ وما أَحَبُّ بِهِ بِدالاً
وقال فيها يهجو عكرمة :

أقلني يا ابن ربي ثنائي وهبها مِدْحَة ذَهَبَ ضَلالاً
وهبها مِدْحَة لم تُغْنِ شيئاً وَقَوْلًا عَادَ أَكْثَرُهُ وَبالاً
وجدنا العزَّ من أولاد بكرٍ إلى الذُّهْلَيْنِ يَرْجِعُ والفِعالاً
أعكِرِمَ كُنْتُ كالمبتاع داراً رَأَى بَيْعَ النَّدَامَةِ فاستقالاً
بُنُو شَيْبَانَ أَكْرَمُ آلِ بَكْرِ وأَمْتُهُمْ إِذَا عَقَدُوا حِيالاً
رِجالُ أُعْطِيتْ أَحلامَ عادٍ إِذَا نَطَقُوا وَأَيْدِيهَا الطوالاً
وتيمُّ الله حيُّ حيُّ صِدْقٍ وَلَكِنَّ الرِّحَى تَعْلُو الثُّفالاً²

صوت

[من الطويل]

سقى دِمتين لم نجد لهما أهلاً بحقلٍ لكم يا عزَّ قد راينِي حَقلاً
فيا عزَّ إن واشٍ وشى بيَّ عندكم فلا تُكْرِمِيه أن تقولِي له مهلاً

1 الذر : طرح الذرور في العين ، وهو الكحل ونحوه .

2 الثفال : ما وقيت به الرّحى من الأرض .

كَمَا نَحْنُ لَوْ وَاشٍ وَشَى بِكَ عِنْدَنَا لَقَلْنَا تَزْحَرْحُ لَا قَرِيباً وَلَا سَهْلاً
أَلَمْ يَأْنِ لِي يَا قَلْبُ أَنْ أَتْرِكَ الْجَهْلَا وَأَنْ يُحْدِثَ الشَّيْبُ الْمَلِئُ لِي الْعَقْلَا
عَلَى حِينَ صَارَ الرَّأْسُ مِنِّي كَأَنَّمَا عَلَتْ فَوْقَهُ نَدَافَةُ الْعُطْبِ الْغَزْلَا

عروضه من الطويل . الدَّمَنُ : آثار الديار ، واحدتها دِمْنَة . والحقل : الأرض التي يزرع فيها . والعُطْبُ هو القطن .

الشعر لكثيرٍ كله إلا البيت الأول فإنه انتحله ، وهو للأفوه الأودي . والغناء لابن سريج ثاني ثقليل بالوسطى عن الهشامي في الثلاثة الأبيات الأول متوالية . وذكر حبش أنه لمعبد . وفي الرابع والخامس والثاني والثالث لحنين ثقليل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه ثقليل أول بالبنصر ؛ ذكر ابن المكي أنه لمعبد ، وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى المكي .

[215] - نسب الأفوه الأودي وشيء من أخباره¹

[نسبه]

الأفوه لقب ، واسمه صلالة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف بن منبه بن أود بن الصعب بن سعد العشيرة . وكان يقال لأبيه عمرو بن مالك فارس الشوهاء ؛ وفي ذلك يقول الأفوه :

أبي فارسُ الشوهاء عمرو بن مالكٍ غداة الوغى إذ مال بالجدِّ عائرٌ²

[كان سيد قومه وقائدهم وشاعرهم]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا ابن أبي سعد عن عليّ بن الصباح عن هشام بن محمد الكلبيّ عن أبيه قال : كان الأفوه من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية ، وكان سيّد قومه وقائدهم في حروبهم ، وكانوا يصدّرون عن رأيه . والعرب تعدّه من حكمائها . وتعدّد داليتّه :

معاشر ما بنوا مجداً لقومهم وإن بنى غيرهم ما أفسدوا عادوا³

[أبياته التي أخذ منها كثير بيتاً]

من حكمة العرب وآدابها . فأما البيت الذي أخذه كثير من شعر الأفوه وأضافه إلى أبياته التي ذكرناها وفيها الغناء أنفاً فإنه من قصيدة يقول فيها⁴ :

نُقَاتِلْ أَقْوَاماً فَنُسَبِّي نِسَاءَهُمْ وَلَمْ يَرَ ذُو عِزٍّ لِنِسَوْتِنَا حِجْلاً
نَقُودُ وَنَأْبَى أَنْ نُقَادَ وَلَا نَرَى لِقَوْمٍ عَلَيْنَا فِي مُكَارَمَةٍ فَضْلاً
وَأَنَا بِطَاءِ الْمَشْيِ عِنْدَ نِسَائِنَا كَمَا قَيَّدْتُ بِالصَّيْفِ نَجْدِيَّةً بُزْلاً
نُظَلِّ غَيَارَى عِنْدَ كُلِّ سَتِيرَةٍ نُقَلِّبُ جِيداً وَاضِحاً وَشَوَى عَبْلاً⁵

- 1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 223/1 ، والعيني 421/1 ، سبط اللآلي 365 ، 844 ، والمعاهد 150/2 والزهر 238/2 ، 296 ومنتخب شمس العلوم 4 . وله ديوانه بتحقيق د . محمد التونجي ، وإليه نشير .
- 2 الشوهاء : اسم فرس . والشوهاء : من الخيل الطويلة الرائعة ، وفي الديوان 79 : الصرّماء .
- 3 وفي الديوان 64 :

فينا معاشر لم يبنوا لقومهم وإن بنى قومهم ما أفسدوا عادوا

4 ديوانه : ص 100 .

5 الستيرة : المرأة المستورة . الشوى : اليدان .

وَنَّا لِنُعْطِي الْمَالَ دُونَ دِمَائِنَا وَنَأْبَىٰ فَمَا نَسْتَامُ دُونَ دَمِّ عَقْلًا¹

[سبب هذه الأبيات]

قال أبو عمرو الشيباني: قال الأفوه الأوديّ هذه الأبيات يفخر بها على قومٍ من بني عامر، كانت بينه وبينهم دماء، فأدرك بثأره وزاد، وأعطاهم دياتٍ مَنْ قُتِلَ فضلاً على قتلى قومه، فقبلوا وصالحوه.

[بنو أود وبنو عامر]

وقال أبو عامر: أغارت بنو أود، وقد جمعها الأفوه، على بني عامر، فمرض الأفوه مرضاً شديداً، فخرج بدله زيد بن الحارث الأوديّ وأقام الأفوه حتى أفاق من وجعه، ومضى زيد بن الحارث حتى لقي بني عامر بتضارِع، وعليهم عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب. فلما التقوا عرف بعضهم بعضاً، فقال لهم بنو عامر: ساندونا فما أصبنا كان بيننا وبينكم. فقالت بنو أود، وقد أصابوا منهم رجلين: لا والله حتى نأخذ بطائلتنا². فقام أخو المقتول، وهو رجل من بني كعب بن أود فقال: يا بني أود، والله لتأخذن بطائلي أو لأنتحينّ على سيفي. فاقتلت أود وبنو عامر، فظفرت أود وأصابت مغنماً كثيراً. فقال الأفوه في ذلك³: [من الوافر]

صوت

ألا يا لهف لو شهدتُ قناتي	قبائلَ عامرٍ يوم الصَّيبِ ⁴
غداة تجمعتُ كعبٌ إلينا	حلائبٌ بين أفناء الحروبِ ⁵
فلما أن رأونا في وغاها	كأساد الغريفة والحجيبِ ⁶
تداعوا ثم مألوا عن ذراها	كفعل الخامعات من الوجيبِ ⁷
وطاروا كالنعامِ بيطن قو	موءالة على حذر الرقيبِ ⁸

1 العقل: الدية.

2 الطائفة: الثأر والوتر.

3 ديوانه: ص 59.

4 شهدت في ل: شدت.

5 الحلائب: الجماعات. والأفناء: الأخلاط. وأفناء الحروب في ل وفي الديوان: أبناء الحريب.

6 الغريفة: الأجمة وفي الديوان العريفة. الحجيب: موضع.

7 الخامعات: الضباع، وفي الديوان كفعل معانت أمن الرجيب، والوجيب: الخوف.

8 بطن قو: موضع، والموءالة: طلب النجاة.

216 - [خبر النشاش اللص]

صوت

[من الطويل]

كَأَن لَمْ تَرَي قَبْلِي أُسِيرًا مُكَبَّلًا وَلَا رَجُلًا يُرْمَى بِهِ الرَّجَوَانِ
كَأَنِّي جَوَادٌ ضَمَمَهُ الْقَيْدُ بَعْدَمَا جَرَى سَابِقًا فِي حَلْبَةٍ وَرَهَانِ
الشعر لرجل من لُصوص بني تميم يُعرف بأبي النشاش ، والغناء لابن جاعم ثاني ثقليل
بالنصر من روايتي علي بن يحيى والهشامي .

[النشاش واعتراضه القوافل وهربه بعد الظفر به ، وما كان بينه وبين اللهبي]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب قال :
كان أبو النشاش من ملاص¹ بني تميم ، وكان يعترض القوافل في شُذاذٍ من العرب بين طريق
الحجاز والشام فيجتاحها . فظفر به بعض عمال مروان فحبسه وقيده مدة ، ثم أمكنه الهربُ
في وقت غرة فهرب ، فمرّ بغرابٍ على بانه يتتف ريشه وينعب ، فجزع من ذلك . ثم مرّ بحجٍّ²
من لَهَبٍ فقال لهم : رجل كان في بلاءٍ وشرٍّ وحبسٍ وضيقٍ فجاء من ذلك ، ثم نظر عن
يمينه فلم ير شيئاً ، ونظر عن يساره فرأى غراباً على شجرة بان يتتف ريشه وينعب . فقال له
اللهبي : إن صدقت الطير يُعاد إلى حبسه وقيده ، ويطول ذلك به ، ويقتل ويصلب . فقال
له : بفيك الحجر . قال : لا بل بفيك . وأنشأ يقول :

[من الطويل]

وسائلة أين ارتحالي وسائلي ومَن يسأل الصُّعْلوكَ أين مَذهِبهُ
مَذهِبه أن الفِجَاج عريضةً إذا ضنَّ عنه بالنَّوَالِ أقارِبهُ
إذا المرءُ لم يسرَّحْ سَوماً ولم يُرح سَوماً ولم يسطُ له الوجهُ صاحِبهُ
فللموتِ خيرٌ للفتى من قُعودِهِ عديماً ومِن مولى تُعافِ مشارِبهُ²
ودويّة قفرٍ يحارُ بها القطا سرّت بأبي النشاش فيها ركائبهُ³

1 ملاص : جمع مَلَصَة وهم اسم جمع للصوص .

2 تعاف مشاربه في ل : تدبّ عقابه .

3 دويّة : مفازة .

لِيُدرِكَ ثأراً أَوْ لِيَكْسِبَ مَغْنَمًا أَلَا أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ تَتَرَى عَجَائِبُهُ
فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْفَقْرِ ضَاجِعَهُ الْفَتَى وَلَا كَسَوَادِ اللَّيْلِ أَخْفَقَ طَائِلُهُ
فَعِشْ مَقْتَرًا أَوْ مُتْ كَرِيمًا فَإِنِّي أَرَى الْمَوْتَ لَا يَبْقَى عَلَى مَنْ يَطَائِلُهُ

صوت

[من الطويل]

أَصَادِرَةٌ حُجَّاجٍ كَعْبٍ وَمَالِكٍ عَلَى كُلِّ فِتْلَاءٍ الذَّرَاعِينَ مُحْنِقٍ
أَقَامَ قَنَاةَ الْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَفَارَقَنِي عَنْ شِيْمَةٍ لَمْ تُرَنَّ

عروضه من الطويل . الصادر : المنصرف ، وهو ضدّ الوارد ، وأصله من ورود الماء والصدر عنه ، ثم يقال لكلّ مقبلٍ إلى موضع ومنصرف عنه . وكعب : من خزاعة . ومالك : يعني مالك بن النضر بن كنانة . وكان كثيرٌ يبتغي وينمي خزاعة إليهم . ومحنيق : ضامرة . والشيمة : الخلق والطبيعة . وترنق : تكدر . والرنق : الكدر .

الشعر لكثير عزة يرثي خندقا الأسدي ، والغناء للهدليّ ثاني ثقليل بالخنصر في مجرى البنصر من رواية إسحاق . وفي الثاني من البيتين ثم الأوّل لسياطٍ رملٍ بالبنصر عنه وعن الهشاميّ وعمرو . وفيهما لمبعد لحنّ ذكره يونس ولم يجنسه . وفي رواية حماد عن أبيه أنّ لحنّ الهدليّ من الثقليل الأوّل ، فإن كان ذلك كذلك فالثقليل الثاني لمبعد . وذكر أحمد بن عبيد أنّ الذي صحّ فيه ثقليل أوّل أو ثاني ثقليل .

[217] - خبر كثير وخندق الأسدي الذي من أجله قال هذا الشعر

[كانا يقولان بالرجعة]

حدَّثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدَّثني محمد بن حبيب . وأخبرني وكيع قال حدَّثنا علي بن محمد النوفلي عن أبيه . وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبة عن ابن داحية ، قالوا : كان خندق بن مرة الأسدي ، هكذا قال النوفلي . وغيره يقول : خندق بن بدر ، صديقاً لكثير ، وكانا يقولان بالرجعة وكانوا خشبيين جميعاً ، فاجتمعا بالموسم فتذاكرا التشيع . فقال خندق : لو وجدت من يضمن لي عيالي بعدي لوقفت بالموسم فذكرت فضل آل محمد ﷺ ، وظلم الناس لهم وغضبهم إياهم على حقهم ، ودعوت إليهم وتبرأت من أبي بكر وعمر . فضمن كثير عياله ، فقام ففعل ذلك وسب أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما وتبرأ منهما .

قال عمر بن شبة في خبره فقال : أيها الناس إنكم على غير حق ، قد تركتم أهل بيت نبيكم ، والحق لهم وهم الأئمة ، ولم يقل إنه سب أحداً ، فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه . ودُفن خندق بقنوى¹ . فقال إذ ذاك كثير يرثيه : [من الطويل]

أصَادِرُهُ حُجَّاجُ كَعْبٍ وَمَالِكٍ	عَلَى كُلِّ عَجَلَى ضَامِرِ الْبَطْنِ مُخْنِقٍ
بِمَرْتِيَةٍ فِيهَا ثَنَاءٌ مُجَبَّرٌ	لَأَزْهَرَ مِنْ أَوْلَادِ مَرَّةٍ مُعْرِقٍ
كَأَنَّ أَخَاهُ فِي النَّوَائِبِ مُلْجَأٌ	إِلَى عِلْمٍ مِنْ رُكْنِ قُدْسِ الْمُنْطَقِ ²
يَنَالُ رَجَالاً نَفْعُهُ وَهُوَ مِنْهُمْ	بَعِيدٌ كَعْيُوقِ الثَّرِيَا الْمُعَلَّقِ ³
تَقُولُ ابْنَةُ الضَّمَرِيِّ مَا لَكَ شَاغِباً	وَلَوْ نُكَتَ مَصْفَرٌّ وَإِنْ لَمْ تَخْلُقْ ⁴
فَقُلْتُ لَهَا لَا تَعْجَبِي ، مَنْ يَمُتَ لَهُ	أَخٌ كَأَبِي بَدْرِ وَجَدَكَ يُشْفَقُ
وَأَمْرٍ يُهْمُ النَّاسَ غَيْبُ نِتَاجِهِ	كَفَيْتَ وَكَرْبٍ بِالذَّوَاهِي مَطْرَقٍ ⁵

1 قنوى : واد من أودية السراة يصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن من جهة مكة .

2 قدس : جبل عظيم بنجد . والمنطق : المرتفع .

3 العيوق : نجم أحمر مضيء في أطراف المجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها .

4 تخلق : تطيب بالخلق .

5 مطرق : من قولهم طرقت القطاة : حان خروج بيضها .

كشفت أبا بدر إذا القوم أحجموا
وعضت ملاقي أمرهم بالمخنق¹
وخصم أبا بدر الدأبته
على مثل طعم الحنظل المتفلق²
جزى الله خيراً خندقا من مكافئ
وصاحب صديق ذي حفاظ ومصدق
أقام قناة الود بيني وبينه
وفارقني عن شيمة لم ترتق
حلفت ، على أن قد أجنتك حفرة
بطن قنوى ، لو نعيش فنلتقي
لألفيتني بالود بعدك دائماً
على عهدنا إذ نحن لم نفرق
إذا ما غدا يهتز للمجد والندى
أشم كغصن البانة المتورق
وإني لجاز بالذي كان بيننا
بني أسد رهط ابن مرة خندق

[كثير وإنكار الطفيل انتسابه إلى كنانة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة : إن كثيراً لما اتنى إلى قريش وجرى بينه وبين الحزين الديلي من الموائبة والهجاء ما جرى بلغ ذلك الطفيل بن عامر بن وائلة وهو بالكوفة ، فأنكر أمر كثير وانتسابه إلى كنانة وتصويره خراعة منهم ، وما فعله الحزين . فحلف لئن رأى كثيراً ليضربنه بالسيف أو ليطعنه بالرمح ، فكلمه فيه خندق الأسدي ، وكان صديقاً له ولكثير ، فوهبه له ، واجتمعا بمكة فجلسا مع ابن الحنفية . فقال طفيل : لولا خندق لوقيت لك بيميني ، فقال يرثيه ، وعنه كان أخذ مقالته : [من الطويل]

ونال رجالاً نفعه وهو منهم بعيد كعيق الثريا المعلق

وذكر باقي الأبيات .

[نسيه بعزة]

أخبرني الحرابي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن إسماعيل قال حدثني حميد بن عبد الرحمن أحد بني عتورة بن جدي قال : كان كثير قد سلطه الله ينسب بعزة بنت عبد الله ، أحد بني حاجب بن عبد الله بن غفار . قال : وكان نسوانهم قد لقينها وهي سائرة في نسائهم في الجلاء ، في عام أصابت أهل تهامة فيه حطمة شديدة ، وكانت عزة من أجمل النساء وآدبهن وأعقلهن ، ولا والله ما رأى لها وجهاً قط ، إلا أنه استهيم بها قلبه لما ذكر له عنها . فلقى رجال من الحي لما بلغهم ذلك عنه ، فقالوا له : إنك قد شهرت نفسك وشهرتنا وشهرت صاحبتنا فاكفف نفسك . قال : فإني لا أذكرها بما تكرهون . فخرجوا جالين إلى

1 المخنق : موضع حبل الخنق من العنق .

2 أبته : الفعل أصله أبأت .

مصرَ في أعوام الجلاء . فتبعهم على راحلته فزجروه ، فأبى إلا أن يلحقهم بنفسه ، فجلس له فتية¹ من جديّ ، قال : وكان بنو ضَمْرَة كلهم يهونُ عليهم نسيه لِمَا يعرفون من براءتها ، إلا ما كان من بني جديّ فَإِنَّهُمْ كانوا صُمْعاً غُيْراً¹ . ففقد له عون ، أحد بني جديّ في تسعة نفر على مُحالَج² ، فلمّا جاز بهم تحت الليل أخذوه ، ثم عدلوا به عن الطريق إلى جيفة حمار كانوا يعرفونها من النهار ، فأدخلوه فيها وربطوا يديه ورجليه ، ثم أوثقوا بطن الحمار ، فجعل يضطرب فيه ويستغيث ، ومضوا عنه ، فاجتاز به خندق الأسديّ ، فسمع استغاثته ، وهو خندق بن بدر ، فعدل إلى الصوت حين سمعه ، فوجد في الجيفة إنساناً ، فسأله مَنْ هو وما خبره ؟ فأخبره . فأطلقه وحمله وألحقه ببلاده . فقال كُثِيرٌ في ذلك . قال الزبير أنشدنيها عمر بن أبي بكر المؤمليّ عن عبد الله بن أبي عبيدة معمر بن المثنى :

أَصَادِرُهُ حُجَّاجُ كَعْبٍ وَمَالِكٍ على كلِّ فتلَاء الذراعين مُحَنِقٍ

وذكر القصيدة كلّها على ما مضت .

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عمر بن أبي بكر المؤمليّ عن أبي عبيدة قال : خندق الأسديّ هو الذي أدخل كُثِيرًا في مذهب الخشبية³ .

[كثير يرثي خندقاً حين قتل بعرفة]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا محمد بن حبيب قال : لما قُتِلَ خندق الأسديّ بعرفة رثاه كثير فقال :

شجا أظعانُ غاضرة الغوادي	بغير مشورة عَرَضاً فَوَادِي
أغاضيرُ لَوْ شهدتِ غداة بَنْتَم	حَنُوَ العائِداتِ على وسادي
أويت لعاشقٍ لم تشكّميهِ	نوافِذه تَلَدَّع بالزناد ⁴
ويوم الخيلِ قد سَفَرَت وكفّت	رداء العَصَبِ عن رَتَل بُرَاد ⁵

الرَّتَل : الثغر المستوي النبت .

وعن نجلاء تَدَمَّع في بياضِ

إذا دَمَعَت وتَنْظُر في سوادِ

1 صمع : ذوو حزم . غير : جمع غيور .

2 المحالَج : جمع مُحَلَج ، وهو الخفيف من الحمر .

3 الخشبية : قوم من الجهمية يقولون إن الله تعالى لا يتكلّم ، وإن القرآن مخلوق .

4 أويت : رثيت وأشفت . لم تشكّميهِ : لم تجازيه . النوافذ : الفم وثقبا الأذنين والأنف .

5 البراد : البارد .

وعن متكاسٍ في العَقَصِ جَثَلٍ أثيثِ النبتِ ذي عَذَرٍ جِعَادٍ¹
وغاضِرَةُ الغدَاةِ وإن نَأَتْنَا وأَصْبَحَ دونَهَا قُطْرُ الْبِلَادِ
أَحَبُّ ظَعِينَةٍ وَبَنَاتُ نَفْسِي إِلَيْهَا لَوْ بَلَّلْنَ بِهَا صَوَادِي
وَمِنْ دُونِ الَّذِي أَمَلْتُ وَدًّا وَلَوْ طَالَبْتُهَا خَرَطُ الْقَتَادِ
وقال الناصحون تحلَّ منها ببذل قَبْلِ شِيَمَتِهَا الْجِمَادِ

تَحَلَّ : أَصِيبَ . يقال : ما حَلَيْتَ من فلان بشيء ولا تَحَلَيْتَ منه شيء ، ومنه حُلُوان الكاهن والراقي وما أشبه ذلك :

فقد وعدتْكَ لو أَقْبَلْتَ وَدًّا فَلَجَّ بِكَ التَّدَلُّلُ فِي تَعَادٍ²
فَأَسْرَرْتَ النَّدَامَةَ يَوْمَ نَادَى بَرْدَ جِمالِ غَاضِرَةِ الْمُنَادِي
تَمَادَى الْبَعْدُ دُونَهُمْ فَأَمَسْتُ دُمُوعُ الْعَيْنِ لَجَّ بِهَا التَّمَادِي
لَقَدْ مُنِعَ الرِّقَادُ فَبِتُّ لَيْلِي تَجَافَيْنِي الْهَمُومُ عَنِ الْوَسَادِ
عَدَانِي أَنْ أَزُورَكَ غَيْرَ بُغْضٍ مُقَامُكَ بَيْنَ مُصَفِّحَةِ شِدَادٍ³
وإِنِّي قَائِلٌ إِنْ لَمْ أَزِرْهُ سَقَتْ دِيمُ السَّوَارِي وَالْغَوَادِي
مَحَلٌّ أَخِي بَنِي أُسْدٍ قَتَوْنِي فَمَا وَالِي إِلَى بَرَكِ الْغِمَادِ⁴
مَقِيمٌ بِالْمَجَازَةِ مِنْ قَتَوْنِي وَأَهْلَكَ بِالْأُجَيْفِرِ وَالشَّمَادِ⁵
فَلَا تَبْعُدْ فَكَلَّ فَتَى سَيَاتِي عَلَيْهِ الْمَوْتُ يَطْرُقُ أَوْ يُغَادِي
وَكُلُّ ذَخِيرَةٍ لَا بَدَّ يَوْمًا وَلَوْ بَقِيَتْ تَصِيرُ إِلَى نَفَادِ
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ نَغْدُو جَمِيعًا وَتَصْبَحَ ثَاوِيًا رَهْنًا بِوَادِ
فَلَوْ فُودِيتَ مِنْ حَدَثِ الْمَنَايَا وَقَيْتُكَ بِالطَّرِيفِ وَبِالتَّلَادِ

في هذه القصيدة عدَّةُ أصوات هذه نِسْبَتُهَا قد جُمِعَتْ .

- 1 المتكاس : المتراكب . الجثل : الشعر الكثير . والأثيث : الكثير العظيم . والعذرة : الناصية ؛ وقيل الخصلة من الشعر .
- 2 التعادي : التباعد .
- 3 المصفحة : العريضة ، ويريد حجارة القبر .
- 4 برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليالٍ مما يلي البحر .
- 5 المجازة : منزل من منازل طريق البصرة . الأجيفر : موضع في أسفل السبعان من بلاد قيس . والشماد : موضع في ديار بني تميم .

صوت

أغاضِرَ لو شهدتِ غداةَ يتمُّ حُوءُ العائداتِ على وسادي
رثيتُ لعاشقٍ لَمْ تشكُمِيه نوافِذهُ تَلدّعُ بالزنادِ
عدائي أنْ أزوركَ غيرَ بغضٍ مقامكَ بينَ مُصَفَحَةٍ شِدادِ
فلا تبعدُ فكلَّ فَنى سياتي عليه الموتُ يطرقُ أو يُغادي

لمبعد في البيتين الأولين لحن من خفيف الثقل الأول بالوسطى عن عمرو وابن المكيّ
والهشاميّ . وفيهما لإبراهيمَ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالوسطى عن الهشاميّ وأحمد بن عُبَيْد . وفيهما
للغريض ثاني ثَقِيل عن ابن المكيّ . ومن الناس مَنْ ينسبُ لحن مالكٍ إلى معبد أيضاً . وفي
الثالث والرابع لابن عائشة ثاني ثَقِيل مطلق في مَجْرَى الوسطى عن إسحاق وعمرو وغيرهما .
ويقال : إن لابن سُرَيْج وابن محرز وابن جامعَ فيهما أَلحاناً .

غاضِرَةُ هذه التي ذكرها كثيرٌ مولاة لآل مروان بن الحكم ، وقد رُوِيَ في ذكره إِيّاها غيرَ خبرٍ
مختلف .

[أُمّ البنين وما كان بينها وبين وضاح وكثير]

فأخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حَدَّثَنَا الزبير قال حَدَّثَنِي عمر بن أبي بكر المؤمِّلُ قال
حَدَّثَنِي عبد الله بن أبي عبيدة قال : حَجَّتْ أُمّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان فقالت لكثيرٌ
ووضّاح : انسبا بي .

فأمّا وضّاح فنسب بها ، وأمّا كثيرٌ فنسب بجارياتها غاضِرَةُ حيث تقول : [من الوافر]

شجا أظعانُ غاضِرَةَ الغوادي بغير مشورة عرضا فوادي

قال : وكانت زوجة الوليد بن عبد الملك ، فقتلَ وضّاحاً ولم يجد على كثيرٍ سبيلاً .
أخبرني الحَرَميّ قال حَدَّثَنَا الزبير قال حَدَّثَنِي إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزُّهريّ عن
مُحَرِّز بن جعفر عن أبيه عن بُدَيْح قال : قَدِمْتُ أُمّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان ، وهي
عند الوليد بن عبد الملك ، حاجة ، والوليد إذ ذاك خليفة . فأرسلت إلى كثيرٍ ووضّاح أن
انسبا بي . فنسب وضّاح بها ونسب كثيرٌ بجارياتها غاضِرَةُ في شعره الذي يقول فيه :

شجا أظعانُ غاضِرَةَ الغوادي

قال : وكان معها جَوَارٍ قد فتنَّ الناسَ بالوَضَاءَةِ .

[لابن قيس الرقيات في أُمّ البنين]

قال بُدَيْح : فلقيت عُبَيْدَ الله بن قيسِ الرقياتِ فقلتُ له : بِمَنْ نَسَبْتَ من هذا القطِين¹ ؟

فقال لي :

[من الهزج]

ما تصنعُ بالشرِّ إذا لَم تَكُ مجنوناً
إذا قاسيتِ ثَقْلَ الشِّدَّةِ رَّ حَسَّاءَ الأمْرِينا
وقد هِجَّتْ بما قد قُلْدَ تَ أمراً كان مدفوناً

قال بُدَيْح : ثم أخذ بيدي فخلا بي وقال لي : يا بُدَيْح ، احفظ عني ما أقول لك فإنك موضع أمانة ؛ وأنشدني :

[من مجزوء الكامل]

أصْحوتَ عن أُمِّ البَنِي ن وذِكْرِها وعَنائِها
وهجرتَها هَجَرَ امرئٍ لم يَقْلِرْ حَمْلَ إِيحائِها
من خِيفَةِ الأعداءِ أن يُوهُوا أديمَ صفائِها
قُرْشِيَّةَ كالشَّمْسِ أَشْ رَقَ نورُها بيهاها
زادت على البِيضِ الحِسا ن بحسنِها ونقائِها
لما اسبَكَرتَ للشِّبَا ب وقنَّعتَ بردائِها¹
لم تَلْفِيتَ لِدائِها ومضت على غُلُوئِها

غَنَّى ابن عائشة في الثلاثة الأبيات الأول لحناً من الثقيل الأول عن الهشامي عن يحيى المكي . وفي الرابع وما بعده لحنين لحنان : أحدهما ثاني ثقيل بالنصر ، والآخر خفيف ثقيل بالنصر عن ابنه وغيره . وغنى إبراهيم الموصلي في الأربعة الأول لحناً آخر من الثقيل الأول وهو اللحن الذي فيه استهلال . وذكر الهشامي أن الثقيل الثاني لابن مُحَرِّز .

قال : فقتل الوليد وضاحاً ولم يجد على كثير سبيلاً . قال : وحجَّت بعد ذلك وقد تقدَّم الوليد إليها وإلى من معها في الحجاب ؛ فلقيني ابن قيس حيث خرجت ولم تكلم أحداً ولم يرها ، فقال لي : يا بُدَيْح :

صوت

بان الخليطُ الذي به نثِقُ واشتدَّ دون المليحة القَلَقُ
من دون صفراء في مفاصلِها لِينٌ وفي بعض بطشها خُرْقُ
إن خَتَمْتَ جاز طينُ خاتَمِها كما تجوز العَبْدِيَّةُ العُتُقُ²

غَنَّى في هذه الأبيات مالك بن أبي السَّمْح لحناً من الثقيل الأول بالنصر ، عن عمرو ويونس . وفيها لابن مسجح ، ويقال لابن مُحَرِّز ، وهو ممَّا يشبه غناءهما جميعاً وينسب

1 اسبكرت : استقامت واعتدلت .

2 العتق : جمع عتيق ، وهي كل نفيس قديم .

إليهما ، خفيف ثَقِيلٍ أَوَّلُ بالبنصر . والصحيح أَنَّهُ لابن مسجح . وفيها ثاني ثَقِيلٍ لابن محرز عن ابن المَكِّي . وذكر حبش أَنَّ لِسِيَّاطِ فِيهَا لَحْنًا مَآخُورِيًّا بِالْوَسْطَى . وفي هذه الأبيات زيادة يُغْنَى فيها ولم يذكرها الزبير في خبره ، وهي :

إِنِّي لَأُخْلِي لَهَا الْفِرَاشَ إِذَا قَصَّعَ فِي حِضْنِ زَوْجِهِ الْحَمِقِ¹
عن غير بغضٍ لَهَا لَدَيَّ وَلَ كُنْ تِلْكَ مِنِّي سَجِيَّةً خُلِقُ
قال الزبير : أَرَادَ بِقَوْلِهِ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

إِنْ خَتَمْتُ جَازَ طِينُ خَاتِمِهَا

أَنَّهُ كَانَتْ عِنْدَ سُلْطَانِ جَائِزِ الْأَمْرِ . وَالْعَبْدِيَّةُ هِيَ الدَّنَانِيرُ ، نَسَبَهَا إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ . ثُمَّ وَصَلَ ابْنُ قَيْسِ الرِّقَايَاتِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، يَعْنِي الْهَائِيَّةَ ، بِأَبْيَاتٍ يَمْدَحُ بِهَا عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ :

صوت

اسْمَعْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - نَ لِمَدَحَتِي وَثَنَائِهَا
أَنْتَ ابْنُ عَائِشَةَ الَّتِي فَضَّلْتَ أَرْوَمَ نِسَائِهَا²
مَتَعَطَّفَ الْأَعْيَاصِ حَوْلَ لَ سَرِيرِهَا وَفَنَائِهَا³
وَلَدَتْ أَغْرَ مُبَارَكًا كَالْبَدْرِ وَسَطَ سَمَائِهَا

غَنَاهُ ابْنُ عَائِشَةَ مِنْ رِوَايَةِ يُونُسَ وَلَمْ يَجْنِسْهُ . وَهَذَا الشَّعْرُ يَقُولُهُ ابْنُ قَيْسِ الرِّقَايَاتِ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ لَا الْوَلِيدِ .

[إِصْرَارُ ابْنِ قَيْسِ الرِّقَايَاتِ عَلَى كَلِمَةِ فِي شَعْرِهِ]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ وَابْنُ أَبِي الْأَزْهَرِ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ : أَنَّ عَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا وَهَبَ لَابْنَ جَعْفَرَ جُرْمَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الرِّقَايَاتِ وَأَمَّنَهُ ، ثُمَّ تَوَاتَبَ أَهْلُ الشَّامِ لِيَقْتُلُوهُ ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَفْعَلُ هَذَا بِي وَأَنَا الَّذِي أَقُولُ :

اسْمَعْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - نَ لِمَدَحَتِي وَثَنَائِهَا
أَنْتَ ابْنُ مُعْتَلَجِ الْبَطَا حَ كُدَّيْهَا وَكَدَائِهَا⁴
وَلِطْنِ عَائِشَةَ الَّتِي فَضَّلْتَ أَرْوَمَ نِسَائِهَا

1 قَصَّعَ : لَزِمَ الْبَيْتَ وَلَمْ يَرَحْهُ .

2 الْأَرْوَمُ : جَمْعُ أَرْوَمَةٍ وَهِيَ الْأَصْلُ .

3 الْأَعْيَاصُ مِنْ قُرَيْشٍ : أَوْلَادُ أُمَيَّةِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ الْأَكْبَرِ ، وَهُمْ الْعَاصُ وَأَبُو الْعَاصِ وَالْعَبِصُ وَأَبُو الْعَبِصِ .

4 كَدَيَّ وَكَدَاءُ : مَوْضِعَانِ بِمَكَّةَ .

فلما أنشد هذا البيت قال له عبد الملك : قل «ولنسل عائشة» . قال : لا بل «ولبطن عائشة» . حتى ردّ ذلك عليه ثلاث مرّات وهو يأبى إلا «ولبطن عائشة» . فقال له عبد الملك : اسخّفر¹ الآن . قال : وعائشة أم عبد الملك بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس . هذه رواية الزبير بن بكار .

وقد حدّثنا به في خبر كثير مع غاضرة هذه بغير هذا محمد بن العباس اليزيدي . قال : حدّثنا محمد بن حبيب عن هشام بن الكلبي .

[محاورة السائب بن حكيم لغاضرة ولم يكن قد عرفها]

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبي عبد الرحمن الأنصاري عن السائب بن حكيم السدوسي رواية كثير قال : والله إنني لأسير يوماً مع كثير ، حتى إذا كنا ببطن جدار (جبل من المدينة على أميال) إذ أنا بامرأة في رحالة² متقبّة ، معها عبيد لها يسعون معها ، فمرّت جنابني فسلمت ثم قالت : ممن الرجل ؟ قلت : من أهل الحجاز ، قالت : فهل تروي لكثير شيئاً ؟ قلت : نعم . قالت : أما والله ما كان بالمدينة من شيء هو أحبّ إليّ من أن أرى كثيراً وأسمع شعره ، فهل تروي قصيدته :
أهاجك برق آخر الليل واصبُ

قلت : نعم : فأنشدتها إياها إلى آخرها . قالت : فهل تروي قوله : [من الطويل]

كأنك لم تسمع ولم ترّ قبلها تفرّق ألف هنّ حين

قلت : نعم وأنشدتها . قالت : فهل تروي قوله أيضاً : [من الطويل]

لعزة من أيام ذي الغصن شاقني

قلت : نعم وأنشدتها إلى آخرها . قالت : فهل تروي قوله أيضاً : [من الطويل]

أطلال سعدى باللوى تتعهد

قلت : نعم وأنشدتها حتى أتيت على قوله : [من الطويل]

فلم أر مثل العين ضنت بمائها علي ولا مثلي على الدمع يحسد

قالت : قاتله الله ! فهل قال مثل قول كثير أحدّ على الأرض . والله لأن أكون رأيت كثيراً ، أو سمعت منه شعره أحبّ إليّ من مائة ألف درهم . قال : فقلت : هو ذاك الراكب أمامك ، وأنا السائب راويته . قالت : حيّاك الله تعالى . ثم ركضت بغلتها حتى أدركته فقالت : أنت كثير ؟

1 اسخّفر الرجل في منطقه : مضى فيه ولم يتمكن .

2 الرحالة : مركب من جلود لا خشب فيه .

قال : ما لك ويلك ! فقالت : أنت الذي تقول : [من الطويل]

إذا حُسرت عنه العِمامة راعها جميلُ الحَيَّا أغفلته الدواهن
والله ما رأيت عربياً قطَّ أقبحَ ولا أحقرَ ولا ألامَ منك . قال : أنت والله أقبح مني وألام .
قالت له : أولستَ القائل :

تراهنَّ إلّا أن يؤدّين نظرةً بمؤخر عينٍ أو يُقلّبن معصماً
كواظِمَ ما ينطَفِن إلّا محورة رجِعة قولٍ بعد أن يُفَهَمَا¹
يحاذرن مني غيرةً قد عرفنها قديماً فما يضحكن إلّا تبسُّماً
لعن الله من يفرّق منك . قال : بل لعنك الله . قالت : أولست الذي تقول : [من الوافر]

إذا ضَمِرِيَّة عطّست فيكها فإن عطّاسها طرَفُ الوداق²
قال : من أنت ؟ قالت : لا يضرّك أن لم تعرّفني ولا من أنا . قال : والله إنّي لأراك لثيمة
الأصل والعشيرة . قالت : حيّاك الله يا أبا صخر ! ما كان بالمدينة رجل أحبّ إليّ وجهاً ولا
لقاء منك . قال : لا حيّاك الله ، والله ما كان على الأرض أحدٌ أبغض إليّ وجهاً منك . قالت :
أتعرّفني ؟ قال : أعرف أنّك لثيمة من اللثام . فتعرّفت إليه فإذا هي غاضرة أمّ وليد لبشر بن
مروان . قال : وسائرّها حتى سندنا³ في الجبل من قِل زرود⁴ . فقالت له : يا أبا صخر ،
أضمن لك مائة ألف درهم عند بشر بن مروان إن قديمته عليه . قال : أفى سبّك إيتي أو سبي
إيّاك تضمين لي هذا ؟ والله لا أخرج إلى العراق على هذه الحال ! فلمّا قامت تودّعه سَفَرَتْ ،
فإذا هي أحسن من رأيت من أهل الدنيا وجهاً . فأمرت له بعشرة آلاف درهم ، فبعد شدّ ما
قبلها وأمرت لي بخمسة آلاف درهم . فلمّا ولّوا قال : يا سائبُ أين نُعني أنفسنا إلى عكرمة ،
انطلق بنا نأكل هذه حتى يأتينا الموت . قال : وذلك قوله لما فارقتنا : [من الوافر]

شجاً أظعان غاضيرة الغوادي بغير مشيئة عرضاً فوادي

وقد روى الزبير أيضاً في خبر هذه المرأة غير هذا ، وخالف المعاني .

[كثير وامرأة لقيها بقديد]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني سليمان بن عيَّاش

1 المحورة : الجواب .

2 الوداق في كل ذات حافر : الغلّة .

3 سندنا : علونا .

4 زرود : اسم جبل .

السعدي قال : كان كثيرٌ يلقي حاجَّ المدينة من قريش بقُديد¹ في كلِّ سنة ، فعَقَلَ عاماً من الأعوام عن يومهم الذي نزلوا فيه قُديداً حتى ارتفع النهار ، ثم ركب جملاً ثَقَالاً² واستقبل الشمس في يوم صائف ، فجاء قُديداً وقد كلَّ وتعب ، فوجدهم قد راحوا . وتخلَّف فتى من قريش معه راحلته حتى يُبرِد³ . قال الفتى القرشي : فجلس كثيرٌ إلى جنبي ولم يسلم عليَّ ، فجاءت امرأة وسيمة جميلة ، فجلست إلى خِيمة من خيام قُديد واستقبلت كثيراً فقالت : أنت كثيرٌ ؟ قال : نعم : قالت : ابن أبي جُمعة ؟ قال : نعم . قالت : الذي يقول :
لعزة أطلالٌ أبْت أن تكَلِّما
[من الطويل]

قال : نعم . قالت : وأنت الذي تقول فيها :
وكنْتُ إذا ما جِئْتُ أَجلُننَ مجلسي وأظهرنَ منِّي هَيْبَةً لا تَجْهُما
فقال : نعم . قالت : أعلَى هذا الوجه هيبة . إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . فضجِر وقال : مَنْ أنت ؟ فلم تجبه بشيء ، فسأل الموليات اللواتي في الخياء بقديد عنها ، فلم يخبرنه شيئاً ، فضجِر واختلط . فلَمَّا سكن من شأوه⁴ قالت : أنت الذي تقول :

متى تحسروا عني العِمامة تُبْصِروا جميلُ المُحيا أغفلته الدَّواهنُ
أهذا الوجه جميلُ المُحيا ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .
فاختلط وقال : والله ما عرفتك ، ولو عرفتك لفعلتُ وفعلت . فسكتت ، فلَمَّا سكن من شأوه
قالت : أنت الذي تقول :

يروق العيون الناظرات كأنه هِرْقَلِي وزنٍ أحمرُ التَّبرِ راجح⁵
أهذا الوجه يروق العيون الناظرات ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين . فازداد ضجراً وغيظاً واختلاطاً وقال لها : قد عرفتك والله لأقطعنك وقومك بالهجاء . ثم قام فالتفت في أثره ، ثم رجعت طرفي نحو المرأة فإذا هي قد ذهبت ، فقلت لمولاة من مولياتها بقديد : لك الله عليَّ إن أخبرتني من هذه المرأة لأطوين لك ثوبي هذين إذا قضيت حَجِّي ثم أعطيكهما . فقالت : والله لو أعطيتني زنتهما ذهباً ما

1 قديد : اسم موضع قرب مكة .

2 ثَقَالاً : بطيئاً .

3 أبرد : دخل في آخر النهار .

4 الشأو : الحزن .

5 الهرقلي : الدينار ، نسبة إلى هرقل ملك الروم .

أَجْبَرْتُكَ مَنْ هِيَ ؛ هَذَا كَثِيرٌ وَهُوَ مَوْلَايَ قَدْ سَأَلَنِي عَنْهَا فَلَمْ أُخْبِرْهُ . قَالَ الْفَتَى الْقُرَشِيُّ :
فَرُحْتُ وَاللَّهِ وَبِي أَشَدُّ مِمَّا بِكَثِيرٍ .
قَالَ سُلَيْمَانُ : وَكَانَ كَثِيرٌ دَمِيمًا قَلِيلًا¹ أَحْمَرَ أَقْيَشِرَ² عَظِيمَ الْهَامَةِ قَبِيحًا .

نسبة ما في هذه الأخبار من الشعر الذي يغني به

منها : [من الطويل]

صوت

أَشَاقُكَ بَرْقٌ آخَرَ اللَّيْلِ وَاصِبٌ تَضَمَّنَهُ فَرْشُ الْجَبَا فَاَلْمَسَارِبِ³
كَأُؤْمَضَتْ بِالْعَيْنِ ثُمَّ تَبَسَّمَتْ خَرِيرٌ بَدَا مِنْهَا جِينٌ وَحَاجِبٌ⁴
وَهَبْتُ لَيْلَى مَاءَهُ وَنَبَاتَهُ كَمَا كُلُّ ذِي وَدٍّ لَمَنْ وَدَّ وَاهِبٌ
عَرَوْضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . الْوَاصِبُ : الدَّائِمُ ، يُقَالُ وَصَبَ وَصْبًا أَيْ دَامَ . قَالَ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ : ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِيًا﴾ أَيْ دَائِمًا .

ومنها : [من الطويل]

صوت

لِعِزَّةٍ مِنْ أَيَّامِ ذِي الْغُصْنِ شَاقِنِي بِضَاحِي قَرَارِ الرُّوضَتَيْنِ رُسُومُ
هِيَ الدَّارُ وَحَشًا غَيْرَ أَنْ قَدْ يَحُلُّهَا وَيَغْنَى بِهَا شَخْصٌ عَلِيٌّ كَرِيمُ
فَمَا بَرَسُومِ الدَّارِ لَوْ كُنْتُ عَالِمًا وَلَا بِالتَّلَاعِ الْمُقَوِيَاتِ أَهِيمُ
سَأَلْتُ حَكِيمًا أَيْنَ شَطَطُهَا النُّوَى فَخَبَّرَنِي مَا لَا أَحَبُّ حَكِيمُ
أَجَدُّوا فَأَمَّا آلُ عِزَّةٍ غُدُوَّةَ فَبَانُوا وَأَمَّا وَاسِطُ فَمَقِيمُ⁵
لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَ الْفَوَازُ مِنَ الْهَوَى بَغَى سَقَمًا إِنِّي إِذَا لَسَقِيمُ
حَكِيمٌ هَذَا هُوَ أَبُو السَّائِبِ بْنِ حَكِيمٍ رَاوِيَةٌ كَثِيرٌ . ذَكَرَ ذَلِكَ لَنَا الْبُزَيْدِيُّ عَنْ ابْنِ حَبِيبٍ .
فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ لِمُعَبَّدِ الْحَنَانِ ، أَحَدُهُمَا فِي الثَّلَاثَةِ الْأَوَّلِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ
وَابْنِ الْمَكِّيِّ وَحَبَشٍ ، وَفِي الثَّلَاثَةِ الْآخِرَةِ الَّتِي أَوَّلَهَا :

1 القليل من الرجال : القصير الدقيق الجنة .

2 الأقيشر : مصفر الأقرش ، وهو الشديد الحمرة .

3 فرش الجبا : موضع بالحجاز .

4 الخريع : المرأة الحسناء .

5 واسط : موضع أسفل من جمرة العقبة .

سألت حكيماً أين شطّط بها النوى

له أيضاً ثقبيل أول بالنصر عن يونس وحبش . وذكر حبش خاصة أن فيها لكردم خفيف
ثقبيل آخر ، وفي الثالث والثاني لابن جامع خفيف رمل عن الهشامي . وقال أحمد بن عبيد : فيه
ثلاثة ألحان : ثقبيل أول وخفيفه ، وخفيف رمل .
أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني المؤملي أن ابن أبي
عبيدة كان إذا أنشد قصيدة كثير :

لعزة من أيام ذي الغصن شاقني بضاحي قرار الروضتين رسوم
يتحازن حتى نقول : إنه ييكي .

[تمثل الحزين الكنائي بشعر لكثير]

أخبرني الحرّمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي عن الضحّاك بن عثمان قال :
قال عروة بن أذينة : كان الحزين الكنائي الشاعر صديقاً لأبي ، وكان عشيراً له على النبذ ،
فكان كثيراً ما يأتيه ، وكانت بالمدينة قينة يهواها الحزين ويكثر غشيانها ، فبيعت وأخرجت
عن المدينة ، فأنتى الحزين أبي ، وهو كتيب حزين كاسمه ، فقال له أبي : يا أبا حكيم ما لك ؟
قال : أنا والله يا أبا عامر كما قال كثير :

لعمري لئن كان الفؤاد من الهوى
سألت حكيماً أين شطّط بها النوى
بغى سقماً إنني إذا لسقيم
فخبرني ما لا أحب حكيم

فقال له أبي : أنت مجنون إن أقمت على هذا .

[قصيدة كثير في عزة لما أخرجت إلى مصر]

وهذه القصيدة يقولها كثير في عزة لما أخرجت إلى مصر ، وذلك قوله فيها : [من الطويل]

ولست براء نحو مصر سحابة
فقد يوجّد النكس الذي عن الهوى
وإن بُعدت إلاّ قعدت أشيم¹
عزّوفاً ويصبو المرء وهو كريم
وقال خليلي ما لها إذ لقيتها
غداة الشبا فيها عليك وجوم²
فقلت له إن المودة بيننا
على غير فحش والصفاء قديم
وإنّي وإن أعرضت عنها تجلداً
على العهد فيما بيننا لمقيم

1 أشيم : أنظر .

2 الشبا : واد بالأثيل من أعراض المدينة .

وإن زماناً فرَّقَ الدهرُ بيننا وبينكم في صرفِهِ لمَشُومٌ
أني الحقُّ هذا أنَّ قلبك سالمٌ صحيحٌ وقلبي في هواك سقيمٌ
وأنَّ بجسمي منك داءٌ مخامراً وجسمك موفورٌ عليك سليمٌ
لعمرك ما أنصفتني في مودّتي ولكنتي يا عزَّ عنك حليمٌ
فإما تريني اليومَ أبدي جلادةً فأني لعمرى تحت ذاك كليمٌ
ولستُ ابنة الضمريِّ منك بناقيمٍ ذنوبُ العدا إني إذا لظلومٌ
وإني لذو وجدٍ إذا عاد وصلها وإني على ربّي إذا لكريمٌ

ومنها :

صوت

لعزّة أطلالٌ أبَت أن تكَلِّما تهيجُ مغانيها الفؤادَ المتيمّا
وكنْتُ إذا ما جئتُ أجلنَ مجلسي وأظهرنَ مني هيبَةً لا تجهُما
يُحاذرنَ مني غيرةً قد عرفنها قديماً فما يضحكنَ إلا تبسُّما

عروضه من الطويل . غنى فيه مالك بن أبي السَّمْع لحين عن يونس . أحدهما ثقیل أول
بالخنصر في مجرى البصر عن إسحاق ، وغيره ينسبه إلى معبد . والآخر ثاني ثقیل بالوسطى عن
حبش ، وفيه لابن مُحَرِّز خفيف ثقیل أول بالبصر عن عمرو والهشامي . وغيره يقول : إنه لحن
مالك . وفيه لابن سُرَّيج خفيف رمل بالبصر عن عمرو والهشامي وعلي بن يحيى ، والله أعلم .

[الرشيد ومسروور الخادم وما دار بينه وبين جعفر بن يحيى حين أمره بقتله]

وأخبرني أحمد بن جعفر حجة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني من أثق به
عن مسروور الخادم : أن الرشيد لما أراد قتل جعفر بن يحيى لم يُطْلَع عليه أحداً بَتّة .
ودخل عليه جعفر في اليوم الذي قتله في ليلته فقال له : اذهب فتشاغل اليوم بمن تأنس به
واصطَبَحْ فإنني مصطَبَح مع الحرَم . فمضى جعفر ، وفعل الرشيد ذلك . ولم يزل برّ
الرشيد والطافه¹ وتحفه وتحياته تتابع إليه لئلا يستوحش . فلما كان في الليل دعاني فقال
لي : اذهب فجنني الساعة برأس جعفر بن يحيى ، وضمْ إلي جماعة من الغلمان ، فمضيتُ
حتى هجمتُ عليه منزله . وإذا أبو زَكَار الأعْمى يغنيه بقوله :

فلا تَبْعَدْ فكل فتى سيأتي عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادي
فقلت له : في هذا المعنى ومثله والله جئتكَ فأجب . فوثب وقال : ما الخبر يا أبا هاشم

1 اللطف ، بالتحريك : واحد الألفاظ ، وهو الهدية .

جعلني الله فداؤك ! قلت : قد أمرتُ بأخذ رأسك . فأكبَّ على رجلي فقبلها وقال : الله الله ، راجعُ أمير المؤمنين فيَّ . فقلت : ما لي إلى ذلك سبيل . قال : فأعْهَدْ ؟ قلت : ذاك لك . فذهب يدخل إلى النساء فمنعته ، وقلت : اعهد في موضعك . فدعا بدواة وكتب أحرفاً على دَهَشٍ ثم قال لي : يا أبا هاشم بقيتُ واحدة . قلت : هايتها . قال : خذني معك إلى أمير المؤمنين حتى أخطبه . قلت : ما لي إلى ذلك سبيل . ويحك لا تقتلني بأمره على النبيذ . فقلت : هيهات ما شرب اليوم شيئاً . قال : فخذني واحبسني عندك في الدار ، وعادوه في أمري . قلت : أفعل . فأخذته ، فقال لي أبو زكَّار الأعمى : نشدْتُك الله إن قتلته إلا ألحقْتَنِي به . قلت له : يا هذا لقد اخترتَ غيرَ مختار . قال : وكيف أعيش بعده وحياتي كانت معه وبه ، وأغثاني عمَّن سواه ، فما أحبُّ الحياة بعده . فمضيت بجعفر وجعلته في بيت وأقفلت عليه ووكلت به ، ودخلتُ إلى الرشيد ، فلما رآني قال : أين رأسه ويلك ؟ فأخبرته بالخبر . فقال : يا ابن الفاعلة ، والله لئن لم تجئني برأسه الساعة لأخذنَّ رأسك ؛ فمضيت إليه ، فأخذت رأسه ووضعته بين يديه . ثم أخبرته خبره ، وذكرت له خبر أبي زكَّار الأعمى ، فلما كان بعد مدَّة أمرني بإحضاره ، فأحضرتُه ، فوصله وبرّه وأمر بالجرية عليه .

[شعر في خولة غنّى فيه]

صوت

[من الوافر]

قفا في دار خولة فأسألاها تقادم عهدُها وهجرُتها
بمِخلالٍ يفوح المسكُ منه إذا هبَّت بأبطحِ صباها¹
أترعى حيثُ شاءت من جمانا وتمنعنا فلا نرعى جمانا²
عروضه من الوافر . الشعر لرجل من فزارة . والغناء ذكر حماد عن أبيه أنه لمعبد ، وذكر عنه في موضع آخر أنه لابن مسجج . وطريقته من الثقيل الأوّل مطلق في مجرى الوسطى .

1 المخلال : الأرض السهلة المخضبة . الأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى .

2 فلا في ل : إذا .

218 - [أخبار منظور بن زيان]

[نسبه]

وهذا الشعر يقوله الفزاري في خولة بنت منظور بن زيان بن سيار بن عمرو بن جابر بن عقيل بن هلال بن سمي بن مازن بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان . وكان منظور بن زيان سيد قومه غير مدافع ، أمه قهطيم بنت هاشم بن حرملة ، وقد ولدت أيضاً زهير بن جذيمة ، فكان آخذاً بأطراف الشرف في قومه . وهو أحد من طال حمل أمه به . [سبب تسميته منظوراً وشعر أبيه في ذلك]

قال الزبير بن بكار أجاز لنا الحرمي بن أبي العلاء والطوسي روايته عنهما مما حدثنا به عنه حدثتني مغيرة بنت أبي عدي . قال الزبير وقد حدثتني هذا الحديث أيضاً إبراهيم بن زياد عن محمد بن طلحة ، وحدثنيه أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة عن يحيى بن الحسن العلوي عن الزبير قالاً جميعاً : حملت قهطيم بنت هاشم بمنصور بن زيان أربع سنين ، فولدته وقد جمع فاه فسماه أبوه منظوراً لذلك ، يعني لطول ما انتظره ، وقال فيه على ما رواه محمد بن طلحة :

ما جئت حتى قيل ليس بواردي فسميت منظوراً وجئت على قدر
وإني لأرجو أن تكون كهاشم وإني لأرجو أن تسود بني بدر

[تزوج مليكة زوج أبيه ففرق عمر بينهما فبعتها نفسه وقال شعراً]

ذكر الهيثم بن عدي عن ابن الكلبي وابن عياش ، وذكر بعضه الزبير بن بكار عن عمه عن مجالد : أن منظور بن زيان تزوج امرأة أبيه ، وهي مليكة بنت سينان بن أبي حارثة المري ، فولدت له هاشماً وعبد الجبار وخولة ، ولم تزل معه إلى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وكان يشرب الخمر أيضاً ، فرفع أمره إلى عمر ، فأحضره وسأله عما قيل ، فاعترف به وقال : ما علمت أنها حرام . فحبسه إلى وقت صلاة العصر ، ثم أحلفه أنه لم يعلم أن الله جل وعز حرم ما فعله . فحلف ، فيما ذكر ، أربعين يمينا . فخلّى سبيله ، وفرق بينه وبين امرأة أبيه وقال : لولا أنك حلفت لضربت عنقك .

قال ابن الكلبي في خبره : إن عمر قال له : أتنيح امرأة أبيك وهي أمك ؟ أو ما علمت أن هذا نكاح المقت¹ ! . وفرق بينهما . فتزوجها محمد بن طلحة .

1 نكاح المقت : هو أن يتزوج الرجل امرأة أبيه بعده .

قال ابن الكلبي في خبره : فلما طلقها أسف عليها وقال فيها :
 ألا لا أبالي اليوم ما صنع الدهرُ إذا مُنعتُ مني مُليكةٌ والخمرُ
 فإن تكُ قد أُمستُ بعيداً مزارها فحيّ ابنةَ المرّي ما طلّعَ الفجرُ
 لعمري ما كانت مُليكةً سوءاً ولا ضُمّ في بيتٍ على مثلها سترُ
 وقال أيضاً :

لعمري أبي ، دينٌ يُفرّق بيننا وبينك قسراً إنه لعظيمُ
 وقال حُجرُ بن معاوية بن عُيينة بن حصن بن حذيفة لمنظور :
 لبئس ما خلف الآباء بعدهم في الأمّهات عجالُ الكلبِ منظورُ
 قد كنتَ تغمزها والشيخ حاضرُها فالآن أنت بطول الغمزِ معذورُ

[تزوجت ابنته خولة الحسن بن علي بعد موت زوجها]

قال أبو الفرج الأصفهاني : أخطأ ابن الكلبي في هذا . وإنما طلحة بن عبيد الله الذي تزوجها ؛ فأما محمد فإنه تزوّج خولة بنتَ منظور فولدت له إبراهيم بن محمد وكان أعرج ، ثم قُتل عنها يوم الجمل ، فتزوجها الحسن بن علي عليهما السلام ، فولدت له الحسن بن الحسن عليهما السلام . وكان إبراهيم بن محمد بن طلحة نازع بعض ولد الحسين بن علي بعض ما كان بينهم وبين بني الحسين من مال علي عليه السلام ، فقال الحسيني لأُمير المدينة : هذا الظالم الضاليع¹ الظالم ، يعني إبراهيم ، فقال له إبراهيم : والله إنّي لأبغضُك . فقال له الحسيني : صادق ، والله يحب الصادقين ، وما يمنعك من ذلك وقد قتل أبي أباك وجدك ، وناك عمّي أمك ؟ ، لا يكني ، فأمر بهما فأقيما من بين يدي الأمير .

[لقى مليكة بعد فراقها فتعرض لها ولزوجها]

رجع الخبرُ إلى رواية ابن الكلبي قال : فلما فرّق عمر رضي الله عنه بينهما وتزوجت رآها منظورُ يوماً وهي تمشي في الطريق ، وكانت جميلة رائعة الحسن ، فقال : يا مُليكة ، لعن الله ديناً فرّق بيني وبينك ! فلم تكلمه وجازت ، وجاز بعدها زوجها ؛ فقال له منظور : كيف رأيت أثر أيري في حِرِّ مُليكة ؟ قال : كما رأيت أثر أير أليك فيه ، فأفحمه . وبلغ عمر رضي الله عنه الخبر فطلبه ليعاقبه ، فهرب منه .

[رجع إلى زواج ابنته خولة بالحسن]

وقال الزبير في حديثه : فتزوج محمد بن طلحة بن عبيد الله خولة بنتَ منظور فولدت له

إبراهيم وداود وأمّ القاسم بني محمد بن طلحة ، ثم قُتِل عنها يوم الجمل ، فخلدَ عليها الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، فولدت له الحسن بن الحسن رضي الله عنهما .
قال الزبير : وقال محمد بن الضحّاك الحزامي عن أبيه : تزوّج الحسن عليه السلام خولة بنت منظور ، زوجة إياها عبد الله بن الزبير وكانت أختها تحتة .

وأخبرني أحمد بن محمد بن سعيد قال حدّثني يحيى بن الحسن قال حدّثني موسى بن عبيد الله بن الحسن قال : جعلت خولة أمرها إلى الحسن عليه السلام فتزوّجها ، فبلغ ذلك منظور بن زيان فقال : أمثلي يُفتات عليه ابنته ! فقدِم المدينة ، فركّز راية سوداء في مسجد رسول الله ﷺ ، فلم يبقَ قيسيّ بالمدينة إلّا دخل تحتها ، فقليل لمنظور بن زيان : أين يُذهبُ بك ؟ تزوّجها الحسن بن عليّ عليه السلام وليس مثله أحد . فلم يقبل . وبلغ الحسن عليه السلام ما فعل ، فقال له : ها ، شأنك بها . فأخذها وخرج بها . فلما كان بقباء جعلت خولة تُندّمه وتقول : الحسن بن عليّ سيّد شباب أهل الجنة . فقال : تلبّثي هاهنا ، فإن كانت للرجل فيك حاجة فسيلحقنا هاهنا . قال : فلحقه الحسن والحسين عليهما السلام وابن جعفر وابن عباس ، فتزوّجها الحسن ، ورجع بها . قال الزبير : ففي ذلك يقول جفیر العبّسيّ :

إنّ الندى من بني ذبيان قد علّموا والجود في آل منظور بن سيّار
الماطرين بأيديهم ندّى ديماً وكلّ غيثٍ من الوسميّ مدرار¹
تزوّر جاراتهم وهنّا فواضلهم وما فتّاهم لها سرّاً بزوّار²
ترضى قريشٌ بهم صهراً لأنفسهم وهم رضا لبني أخت وأصهار

[لما أسنت خولة بنته برزت للرجال وغناها معبد بشعر قيل فيها فطرت]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني ابن أبي أيوب عن ابن عائشة المغنّي عن معبد : أنّ خولة بنت منظور كانت عند الحسن بن عليّ عليهما السلام ، فلما أسنت مات عنها أو طلقها ، فكشفت قناعها وبرزت للرجال . قال معبد : فاتيتُها ذات يوم أطلبها بحاجة ، فغنيتها لحنّي في شعرٍ قاله فيها بعض بني فزارة ، وكان خطبها فلم يُنكِحها أبوها :

[من الوافر]

1 الوسميّ : مطر الربيع الأوّل .

2 الوهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه . الفواضل : الأيدي الجسيمة .

قفا في دار خولة فاسألاها تقادم بهدوها وهجرتها
 بمحلال كأن المسك فيه إذا فاحت بأبطحه صباها
 كأنك مزنة برقت بليل لحران يضيء له سناها
 فلم تمطر عليه وجاوزته وقد أشفى عليها أو رجاها
 وما يملأ فؤادي فاعلميه سلو النفس عنك ولا غناها
 وترعى حيث شاءت من حمانا وتمنعنا فلا نرعى حماها

قال : فطربت العجوز لذلك ، وقالت : يا عبد ابن قطن ، أنا والله يومئذ أحسن من النار
 الموقدة في الليلة القرة .

صوت

[من الكامل]

لله در عصابة صاحبهم يوم الرصافة مثلهم لم يوجد
 متقلدين صفائح هندية يتركن من ضربوا كأن لم يؤلد
 وغدا الرجال الثائرون كأنما أبصارهم قطع الحديد الموقد

عروضه من الكامل . الشعر للجحاف السلمي الموقع ببني تغلب في يوم البشر . والغناء
 للأبجر أول بالبنصر في مجراها عن إسحاق .

[219] - خبر الجحاف ونسبه وقصته يوم البشر

[نسبه]

هو الجحاف بن حكيم بن عاصم بن قيس بن سباع بن خزاعي بن مُحاريب بن فالج بن ذُكوان بن ثعلبة بن بُهثة بن سُلَيم بن منصور .
[قصته يوم البشر وسبب ذلك]

وكان السببُ في ذلك فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي وعلي بن سليمان الأخفش قالاً حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي ، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبى قالاً حدثنا عمر بن شبة ، وقد جمعتُ رواياتهم . وأكثرُ اللفظ في الخبر لابن حبيب : أنَّ عُميرَ بنَ الحُبَابِ لما قَتَلْتُهُ بنو تغلب بالحِشَاكِ ، وهو إلى جانب الثُّرثَارِ ، وهو قريبٌ من تَكْرِيتَ ، أتى تميمُ بنُ الحُبَابِ أخوه زُفَرُ بن الحارث فأخبره بمقتل عمير ، وسأله الطلب له بثأره ، فكره ذلك زُفَرُ ، فسار تميم بن الحُبَابِ بمن تبعه من قيس ، وتابعه على ذلك مسلم بن أبي ربيعة العقيلي . فلما توجهوا نحو بني تغلب لقيهم الهذيل في زراعة لهم ؛ فقال أين تريدون ؟ فأخبروه بما كان من زفر ؛ فقال : أمهلوني ألق الشيخ . فأقاموا ومضى الهذيل فأتى زفر ؛ فقال : ما صنعت ؟ والله لئن ظفِرَ بهذه العصاية إنه لعارٌ عليك ، ولئن ظفروا إنه لأشدُّ ؛ قال زفر : فاحبس عليّ القوم ؛ وقام زفر في أصحابه ، فحرضهم ، ثم شخَصَ واستخلف عليهم أخاه أوساً ، وسار حتى انتهى إلى الثُّرثَارِ فدفنوا أصحابهم ، ثم وجهَ زفر بن الحارث يزيد بن حُمران في خيل ، فأساء إلى بني فدوكس من تغلب ، فقتل رجالهم واستباح أموالهم ، فلم يبق في ذلك الجوّ غير امرأة واحدة يقال لها حُمَيْدة بنت امرئ القيس عاذت بابن حُمران فأعاذها . وبعث الهذيل إلى بني كعب بن زهير فقتل فيهم قتلاً ذريعاً . وبعث مُسلم بن ربيعة إلى ناحية أخرى فأسرع في القتل . وبلغ ذلك بني تغلب واليمن ، فارتحلوا يريدون عُبورَ دجلة ، فلحقهم زُفَرُ بالكُحَيْلِ ، وهو نهرٌ أسفل الموصِلِ ، مع المغرب فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وترجّل أصحابُ زفرَ أجمعون ، وبقي زفر على بغل له ، فقتلوه من ليلتهم ، ويَقْرَؤُ ما وجدوا من النساء . وذكر أن من غرق في دجلة أكثر ممن قُتل بالسيف ، وأن الدم كان في دجلة

قريباً من رمية سهم . فلم يزالون يقتلون مَنْ وجدوا حتى أصبحوا ؛ فذكر أَنَّ زفرَ دخل معهم دجلة وكانت فيه بُحَّةٌ ، فجعل ينادي ولا يسمعه أصحابه ، ففقدوا صوته وحسبوا أن يكون قُتِلَ ، فتذاَمروا¹ وقالوا : لئن قُتِلَ شيخُنَا لَمَا صَنَعْنَا شيئاً ، فاتبعوه فإذا هو في دجلة يصيح بالناس ، وتغلبُ قد رَمَتْ بأنفسها تعبر في الماء ، فخرج من الماء وأقام في موضعه . فهذه الوقعةُ الحَرَجِيَّةُ لأنَّهم أُحْرِجُوا فألقوا أنفسهم في الماء . ثم وجَّه يزيد بن حُمران وتميم بن الحُباب ومسلم بن ربيعة والهذيل بن زفر في أصحابه ، وأمرهم ألاَّ يلقُوا أحداً إلاَّ قتلوه ، فانصرفوا من ليلتهم ، وكلُّ قد أصاب حاجته من القتل والمال ، ثم مضى يستقبل الشمال في جماعة مِنْ أصحابه ، حتَّى أتى رأس الأثيل ، ولم يُخَلَّ² بالكُحَيْلِ أحداً ، والكُحَيْلُ على عشرة فراسخ من الموصل فيما بينها وبين الجنوب ، فصعد قَيْلُ رأس الأثيل ، فوجد به عسكراً من اليمن وتغلب ، فقاتلهم بقية ليلتهم ، فهربت تغلبُ وصبرت اليمن . وهذه الليلةُ تسميها تغلبُ ليلة الهَرِير . ففي ذلك يقول زُفرُ بنُ الحارث ، وقد ذَكَرَ أنها لغيره :

ولما أن نعى النَّاعي عُميراً حسبتُ سماءهم دُهِيتَ بليل
دهيت بليل ، أي أظلمت نهاراً كأنَّ ليلاً دهاها .

وكان النجمُ يطلعُ في قتَامٍ وخاف الذَّلَّ مِنْ يَمَنٍ سُهَيْلٍ³
وكنْتُ قبيلُها يا أُمَّ عمرو أَرْجَلُ لِمَتِي وَأَجْرُ ذَيْلٍ⁴
فلو نُبِشَ المقابرُ عن عمير فيخبرَ مِنْ بلاءِ أبي الهذيل
غداة يقارعُ الأبطالَ حتَّى جرى منهم دماً مَرَجُ الكُحَيْلِ
قبيلٌ يَنْهَدُون إلى قبيلٍ تساقى الموت كيلاً بعد كيل
وفي ذلك يقول جرير يعيِّرُ الأخطل :

[من الكامل]

أنسيتَ يومَكَ بالجزيرة بعدما كانت عواقِبُه عليك وبالا !
حملتُ عليك حُمأة قيسٍ خيلُها شُعْناً عوايسَ تحمِلُ الأبطالَا

1 تذاَمروا : حض بعضهم بعضاً على القتال .

2 ل : يخلف .

3 القتام : الغبار ، في هذا البيت إقواء .

4 اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .

ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلاً تكرر عليكم ورجالا
زفر الرئيس أبو الهذيل أباركم فسبى النساء وأحرز الأموال

[أغراه الأخطل بشعره بأخذ الثأر من تغلب ففعل وفر إلى الروم]

فلما أن كانت سنة ثلاث وسبعين ، وقُتل عبد الله بن الزبير هُدأت الفتنة واجتمع الناس على عبد الملك بن مروان ، وتكافت قيس وتغلب عن المغازي بالشام والجزيرة ، وظن كل واحد من الفريقين أن عنده فضلاً لصاحبه ، وتكلم عبد الملك في ذلك ولم يُحكم الصلح فيه ، فبينما هم على تلك الحال إذ أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان وعنده وجوه قيس قوله : [من الطويل]

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر يقتل أضييت من سليم وعامر
أجحاف إن نهبط عليك فتلتقي عليك بحور طاميات الزواجر
تكن مثل أبداء الحباب الذي جرى به البحر ترهاه رياح الصراير¹

فوثب الجحاف يجر مطرفه وما يعلم من الغضب ، فقال عبد الملك للأخطل : ما أحسبك إلا قد كسبت قومك شراً . فافتعل الجحاف عهداً من عبد الملك على صدقات بكر وتغلب ، وصحبه من قومه نحو من ألف فارس ، فثار بهم حتى بلغ الرصافة ، قال : وبينها وبين شط الفرات ليلة ، وهي في قبلة الفرات ، ثم كشف لهم أمره ، وأنشدهم شعر الأخطل ، وقال لهم : إنما هي النار أو العار ، فمن صبر فليقدم ومن كره فليرجع ، قالوا : ما بأنفسنا عن نفسك رغبة ، فأخبرهم بما يريد ، فقالوا : نحن معك فيما كنت فيه من خير وشر ، فارتحلوا فطرقوا صهين بعد رؤية² من الليل ، وهي في قبلة الرصافة وبينهما ميل ، ثم صبحوا عاجنة الرحوب في قبلة صهين والبشر ، وهو واد لبني تغلب ، فأغاروا على بني تغلب ليلاً فقتلوهم ، وبقروا من النساء من كانت حاملاً ، ومن كانت غير حامل قتلوها . فقال عمر بن شبة في خبره : سمعت أبي يقول : صعد الجحاف الجبل ، فهو يوم البشر ، ويقال له أيضاً يوم عاجنة الرحوب ، ويوم مخاشين ، وهو جبل إلى جنب البشر ، وهو مرج السلوطح لأنه بالرحوب ، وقتل في تلك الليلة ابناً للأخطل يقال له أبو غياث ، ففي ذلك يقول جرير له :

شربت الخمر بعد أبي غياث فلا نعت لك السوءات بالآ³

قال عمر بن شبة في خبره خاصة : ووقع الأخطل في أيديهم ، وعليه عباءة دينة ، فسأله

1 زهت الريح الشجر ترهاه : هزته وحرّكه .

2 رؤية : قطعة ، وأصلها القطعة يسد بها ثلثة الإناء .

3 السوءات في ل : النشوات .

فذكر أنه عبدٌ من عبيدهم ، فأطلقوه ؛ فقال ابنُ صَفَّارٍ في ذلك : [من الكامل]

لَمْ تَنْجِ إِلَّا بِالتَّعْبُدِ نَفْسُهُ لَمَّا تَيَقَّنَ أَنَّهُمْ قَوْمٌ عِدَا
وتشابهت بُرْقُ الْعَبَاءِ عَلَيْهِمْ فنجا ولو عرفوا عباءته هوى¹

وجعل يُنادي : مَنْ كَانَتْ حَامِلًا فَإِلَيَّ ، فصعدنَ إليه ، فجعل يقرُّ بطونهنَّ . ثم إنَّ الجَحَافَ هرب بعد فعله ، وفرَّق عنه أصحابه ولحق بالروم ، فلحق الجحافَ عبيدَةُ بن همام التغلبيّ دون الدَّرْبِ ، فكَرَّ عليه الجحافُ فهزمه ، وهزم أصحابه وقتلهم ، ومكث زمناً في الروم ، وقال في ذلك :

فإن تَطَرَّدوني تطردوني وقد مضى من الورْدِ يومٌ في دماء الأراقم²
لذن ذرَّ قرنُ الشمسِ حتى تَلَبَّستَ ظلاماً برِكضِ المُقْرِباتِ الصلادم³

[رجع بعد غفو عبد الملك عنه وتمثل بشعر الأخطل]

حتى سكن غضبُ عبدِ الملك ، وكَلَّمَتْهُ الْقَيْسِيَّةُ في أن يُؤمِّنه ، فَلَانَ وتلكأ ، فقبل له : إنا والله لا نأمنه على المسلمين إن طال مُقامُهُ بالروم ؛ فأُئْمِنه ، فأقبل فلماً قدِمَ على عبد الملك لقيه الأخطلُ فقال له الجحاف :

[من الطويل]

أبا مالكٍ هل لمتني إذ حضضتني على القتل أم هل لامني لك لائمي
أبا مالكٍ إني أطعُك في التي حضضتَ عليها فعلَ حَرَّانَ حازمٍ
فإن تدعني أخرى أُجِيكَ بمثلها وإني لَطَبُّ بِالْوَعَى جِدُّ عَالِمٍ

قال ابن حبيب : فزعموا أنَّ الأخطلَ قال له : أراك والله شيخَ سوءٍ . وقال فيه

[من الطويل]

جريت :

فإنك والجحافَ يومَ تَحُضُّهُ أردتَ بذاك المُكثَ والورْدَ أعجلُ
بكي دَوْبِلٌ لا يُرْقِيءُ اللهَ دمعهُ ألا إنيما يبكي مِنَ الذِّلِّ دَوْبِلٌ⁴

1 الأبرق : كل شيء اجتمع فيه سواد وبياض ، وهي برقاء والجمع برق .

2 الأراقم : حي من تغلب وهم جشم ، أو هم بنو بكر وجشم ومالك والحارث ومعاوية ، سموا كذلك تشبيهاً لعيونهم بعيون الأراقم من الحيات .

3 المقربات من الخيل : التي ضمرت للركوب فهي قرية معدة . والصلادم : جمع صلدم ، كزبرج وهو الفرس الصلب الشديد .

4 رقاً الدمع : جف وسكن . الدويل : الخنزير أو ولده .

رمسا زالت القتلى تمور دماؤهم بدجلة حتى ماء دجلة أشكل¹
فقال الأخطل : ما لجريز لعنه الله ! والله ما سمّنتني أمي ذوبلاً إلا وأنا صبي صغير ثم
ذهب ذلك عني لما كبرت . وقال الأخطل : [من الطويل]

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة
فسائل بني مروان ما بال ذمة
إلى الله منها المشتكى والمعول
وحبل ضعيف لا يزال يوصل
فيلاً تغيّرها قريش بملكها
يكن عن قريش مستراد ومزحل²

[حملة الوليد دية قتلى البشر فاستطاع أن يأخذها من الحجاج]

فقال عبد الملك حين أنشده هذا : فإلى أين يا ابن النصرانية ؟ قال : إلى النار قال : أولى
لك لو قلت غيرها ؛ قال : ورأى عبد الملك أنه إن تركهم على حالهم لم يحكم الأمر ، فأمر
الوليد بن عبد الملك ، فحمل الدماء التي كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب ، وضمن الجحاف
قتلى البشر ، وألزمه بإياها عقوبة له ، فأدى الوليد الجمالات ، ولم يكن عند الجحاف ما حمل ،
فلحق بالحجاج بالعراق يسأله ما حمل لأنه من هوازن ، فسأل الإذن على الحجاج ، فمنعه .
فلقى أسماء بن خارجة ؛ فعصّب حاجته به فقال : إني لا أقدر لك على منفعة ، قد علم الأمير
بمكانك وأبي أن يأذن لك ؛ فقال : لا والله لا ألزمها غيرك أنجحت أو أكدت³ ، فلما بلغ
ذلك الحجاج قال : ما له عندي شيء ، فأبلغه ذلك ؛ قال : وما عليك أن تكون أنت الذي
تؤسسه فإنه قد أبى ، فأذن له فلما رآه قال : أعهدتني خائناً لا أباً لك ! قال : أنت سيد
هوازن ، وقد بدنا بك ، وأنت أمير العراقين⁴ ، وابن عظيم القريتين⁵ ، وعِمالتك في كل سنة
خمسمائة ألف درهم ، وما بك بعدها حاجة إلى خيانة ؛ فقال : أشهد أن الله تعالى وفّقك ،
وأنك نظرت بنور الله ، فإذا صدقت فلك نصفها العام ، فأعطاه وأدوا البقية .

[تنسك وخرج إلى الحج في زي عجيب]

قال : ثم تألّه⁶ الجحاف بعد ذلك ، واستأذن في الحج ، فأذن له ، فخرج في المشيخة
الذين شهدوا معه ، قد لبسوا الصوف وأحرموا ، وأبروا أنوفهم ، أي خزموها وجعلوا فيها

1 أمار الدم : جرى ، والأشكل ما فيه بياض يضرب إلى الحمرة والكدرة .

2 بملكها ، أي بقدرتها . المستراد : المرعى . مزحل : مبعّد .

3 أكدى : أصله من أكدى الحافر : إذا حفر فبلغ الكدية وهي الصخرة فانقطع عن الحفر .

4 العراقان : الكوفة والبصرة .

5 القريتان : مكة والطائف .

6 تألّه : تعبد وتنسك .

البرى¹ ، ومشوا إلى مكة فلما قدموا المدينة ومكة جعل الناس يخرجون فينظرون إليهم ، ويعجبون منهم . قال : وسمع ابن عمر الجحاف وقد تعلق بأستار الكعبة وهو يقول : اللهم اغفر لي وما أراك تفعل ؛ فقال له ابن عمر : يا هذا ، لو كنت الجحاف ما زدت على هذا القول ؛ قال : فأننا الجحاف ، فسكت . وسمعه محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهو يقول ذلك ؛ فقال : يا عبد الله ، قنوطك من عفو الله أعظم من ذنبك !

قال عمر بن شبة في خبره : كان مولد الجحاف بالبصرة .

[دخل على عبد الملك بعد أن أمّنه وأنشده شعراً]

قال عبد الله بن إسحاق النحوي : كان الجحاف معي في الكتاب ، قال أبو زيد في خبره أيضاً : ولما أمّنه عبد الملك دخل عليه في جبة صوف ، فلبث قائماً ، فقال له عبد الملك : أنشدني بعض ما قلت في غزوتك هذه وفجرتك ، فأنشده قوله : [من الكامل]

صبرت سليم للطعان وعامر
وإذا جزعنا لم نجد من يصبر

فقال له عبد الملك بن مروان : كذبت ، ما أكثر من يصبر ! ثم أنشده : [من الكامل]

نحن الذين إذا علوا لم يفخروا
يوم اللقا وإذا علوا لم يضجروا

فقال عبد الملك : صدقت ، حدثني أبي عن أبي سفيان بن حرب أنكم كنتم كما وصفت يوم فتح مكة .

[عود إلى قصة يوم البشر]

حدثت عن الدمشقي عن الزبير بن بكّار ، وأخبرني وكيع عن عبد الله بن شبيب عن الزبير بن بكّار عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عمر بن عبد العزيز بن مروان : أنه حضر الجحاف عند عبد الملك بن مروان يوماً والأخطل حاضر في مجلسه ينشد :

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر
بقتلي أصيبت من سليم وعامر

قال : فتقبّض وجهه في وجه الأخطل ، ثم إن الأخطل لما قال له ذلك قال له : [من الطويل]

نعم سوف نبكيهم بكل مهني
ونبكي عميراً بالرماح الخواطر²

ثم قال : ظننت أنك يا ابن النصرانية لم تكن تجترى عليّ ولو رأيتني لك مأسوراً . وأوعده ، فما برح الأخطل حتى حُم ، فقال له عبد الملك : أنا جارك منه ؛ قال : هذا أجرتني منه يقظان ، فمن يجيرني منه نائماً ؟ قال : فجعل عبد الملك يضحك . قال : فأما قول الأخطل : [من الطويل]

1 البرى : جمع برة ، وهي الحلقة في أنف البعير .

2 الخواطر : خطر الرمح : اهتز فهو خاطر والجمع خواطر .

ألا سائل الجحاف هل هو ثائرٌ بقتلى أصيبت من سليم وعامر فإنه يعني اليوم الذي قتلت فيه بنو تغلب عمير بن الحباب السلمي .

وكان السبب في ذلك فيما أخبرني به علي بن سليمان الأخفش قال حدثني أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة عن ابن الأعرابي عن المفضل : أن قيساً وتغلب تحاشدوا لما كان بينهم من الوقائع منذ ابتداء الحرب بمرج راهط ، فكانوا يتغاورون¹ . وكانت بنو مالك بن بكر جامعةً بالتبواز وما حوله ، وجلبت إليها طوائف تغلب وجميع بطونها ، إلا أن بكر بن جشم لم تجتمع أحلافهم من النمر بن قاسط . وحشدت بكر فلم يأت الجمع منهم على قدر عددهم . وكانت تغلب بدواً بالجزيرة لا حاضرة لها إلا قليل بالكوفة ، وكانت حاضرة الجزيرة لقيس وقضاة وأخلاط مضر ، ففارقتهم قضاة قبل حرب تغلب ، وأرسلت تغلب إلى مهاجريها وهم بأذربيجان ، فأتاهم شعيب بن مليل في ألفي فارس . واستنصر عمير تميماً وأسداً فلم يأتهم أحد ؛ فقال : [من الطويل]

أيا أخويننا من تميم هديتما ومن أسد هل تسمعان المناديا
ألم تعلمنا مذ جاء بكر بن وائل وتغلب ألفافاً تهز العواليا
إلى قومكم قد تعلمون مكانهم وهم قرب أدنى حاضرين وباديا

وكان من حضر ذلك من وجوه بكر بن وائل المجشّر بن الحارث بن عامر بن مرة بن عبد الله بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وكان من سادات شيبان بالجزيرة فأتاهم في جمع كثير من بني أبي ربيعة . وفي ذلك يقول تميم بن الحباب بعد يوم الحشاك : [من الطويل]

فإن تحتجز بالماء بكر بن وائل بني عمنا فالدهر ذو متغير
فسوف نخيض الماء أو سوف نلتقي فنقتص من أبناء عم المجشّر²

وأتاهم زمام بن مالك بن الحصين من بني عمرو بن هاشم بن مرة في جمع كبير فشهدوا يوم الثرثار ، فقتل . وكان فيمن أتاهاهم من العراق من بكر بن وائل عبيد الله بن زياد بن ظبيان ، ورهصة بن النعمان بن سويد بن خالد من بني أسعد بن همام ، فلذلك تحامل المصعب بن الزبير على أبان بن زياد أخي عبيد الله بن زياد فقتله . وفي هذا السبب كانت فرقة عبيد الله لمصعب ، وجمعت تغلب فأكثر ، فلما أتى عميراً كثرة من أتى من بني تغلب وأبطأ عنه أصحابه قال يستبطلهم :

1 يتغاورون : يغير بعضهم على بعض .

2 أخاضه في الماء : جعله يخوضه .

أَنَادِيهِمْ وَقَدْ خَذَلْتُ كَلَابَ وَحَوْلِي مِنْ رِبِيعَةٍ كَالْجِبَالِ
أَقَاتِلُهُمْ بِحَيِّ بَنِي سُلَيْمٍ وَيَعْصُرُ كَالْمَصَاعِبِ النَّهَالِ¹
فِدَى لِفَوَارِسِ الثَّرثارِ قَوْمِي وَمَا جَمَعْتُ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي
فَإِمَّا أُمْسِرَ قَدْ حَانَتْ وَفَاتِي فَقَدْ فَارَقْتَ أَعَصَرَ غَيْرِ قَالِ
أَبْعَدَ فَوَارِسِ الثَّرثارِ أَرْجُو ثَرَاءَ الْمَالِ أَوْ عَدَدَ الرِّجَالِ ؟

ثم زحف العسكران ، فَأَتَتْ قَيْسٌ وَتَغْلِبُ الثَّرثار ، بين رأس الأثيل والكَحِيل ، فشاهدوا القتال يوم الخميس . وكان شعيب بن مُلَيْلٍ وتغلبة بنُ نِيَاظٍ التَغْلِبِيَّانِ قَدِمَا فِي أَلْفِي فَارِسٍ فِي الْحَدِيد ، فَعَبَرُوا عَلَى قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا لِبٌّ عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةٍ بَيْنَ تَكْرِيتَ وَبَيْنَ الْمَوْصِلِ ، ثُمَّ تَوَجَّهُوا إِلَى الثَّرثار ، فَنَظَرَ شُعَيْبٌ إِلَى دَوَاخِنِ² قَيْسٍ ، فَقَالَ لِتَغْلِبَةَ بْنِ نِيَاظٍ : سِرْ بِنَا إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُ : الرَّأْيُ أَنْ نَسِيرَ إِلَى جَمَاعَةٍ قَوْمِنَا فَيَكُونُ مَقَاتِلُنَا وَاحِدًا ، فَقَالَ شُعَيْبٌ : وَاللَّهِ لَا تَحَدَّثْ تُغْلِبُ أَنِّي نَظَرْتُ إِلَى دَوَاخِنِهِمْ ثُمَّ انْصَرَفْتُ عَنْهُمْ ، فَأَرْسَلَ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ قُدَّامَهُ وَعَمِيرٌ يُقَاتِلُ بَنِي تَغْلِبِ . وَذَلِكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ ، وَعَلَى تَغْلِبِ حَنْظَلَةُ بْنُ هُوَيْرٍ ، أَحَدُ بَنِي كِنَانَةَ بْنِ تَمِيمٍ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ عَمِيرٍ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ طَلَائِعَ شُعَيْبٍ قَدْ أَتَتْهُ ، وَأَنَّهُ قَدْ عَدَلَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ عَمِيرٌ لِأَصْحَابِهِ : اكْفُونِي قِتَالَ ابْنِ هُوَيْرٍ ، وَمَضَى هُوَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَأَخَذَ الَّذِينَ قَدَمَهُمْ شُعَيْبٌ ، فَقَتَلَهُمْ كُلَّهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي كَعْبٍ بَنِ زَهِيرٍ يُقَالُ لَهُ : قَتَبُ بْنُ عَبِيدٍ ، فَقَالَ عَمِيرٌ : يَا قَتَبُ ، أَخْبَرَنِي مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : قَدْ أَتَاكَ شُعَيْبُ بْنُ مَلِيلٍ فِي أَصْحَابِهِ . وَفَارَقَ تَغْلِبَةَ بْنَ نِيَاظٍ شُعَيْبًا ، فَمَضَى إِلَى حَنْظَلَةَ بْنِ هُوَيْرٍ ، فَقَاتَلَ مَعَهُ الْقَيْسِيَّةَ ، فَقُتِلَ ، فَالْتَقَى عَمِيرٌ وَشُعَيْبٌ فَاقْتَتَلَا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَمَا صُلِّيَتِ الْعَصْرُ حَتَّى قُتِلَ شُعَيْبٌ وَأَصْحَابُهُ أَجْمَعُونَ ، وَقُطِعَتْ رِجْلُ شُعَيْبٍ يَوْمَئِذٍ ، فَجَعَلَ يُقَاتِلُ الْقَوْمَ وَهُوَ يَقُولُ :

قَدْ عَلِمْتُ قَيْسٌ وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْفَتَى يَفْتِكُ وَهُوَ أَجْذَمُ³
فَلَمَّا قُتِلَ شُعَيْبُ نَزَلَ أَصْحَابُهُ ، فَعَقَرُوا دَوَابَّهُمْ ، ثُمَّ قَاتَلُوا حَتَّى قُتِلُوا ، فَلَمَّا رَأَى عَمِيرٌ قَتِيلًا قَالَ : مِنْ سَرِّهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْأَسَدِ عَقِيرًا فَهِيَ هِيَ هَذَا . وَجَعَلَتْ تَغْلِبُ يَوْمَئِذٍ تَرْتَجِزُ وَتَقَاتِلُ وَهِيَ تَقُولُ :

1 يعصر أو أعصر : قبيلة من قيس عيلان . وجمال مصاعب ومصاعيب : جمع مصعب وهو الفحل الذي يقتصر عمله على الفحلة .

2 الدواخن : جمع داخنة ، وهي المدخنة .

3 أجذم : أقطع .

انْعَوْا إِيَّاساً وَاَنْدُبُوا مُجَاشِعاً كَلَاهُمَا كَانَ كَرِيماً فَاجِعاً
وَيَهُ بَنِي تَغْلِبَ ضَرْباً نَاقِعاً¹

وانصرف عميرٌ إلى عسكره ، وأبلغ بني تغلب مقتل شعيب ، فحميت على القتال وتدامرت على الصبر ، فقال مِحْصَنُ بْنُ حَصِينِ بْنِ جَنْجُورٍ أَحَدُ الْأَبْنَاءِ : مضيت أنا وَمَنْ أَفْلَتَ مِنْ أَصْحَابِ شُعَيْبٍ بَعْدَ الْعَصْرِ ، فَأَتَيْنَا رَاهِباً فِي صُومَعَتِهِ ، فَسَأَلْنَا عَنْ حَالِنَا ، فَأَخْبَرَنَا ، فَأَمَرَ تَلْمِيزاً لَهُ ، فَجَاءَهُ بِخِرْقٍ فِدَاوَى جِرَاحِنَا ، وَذَلِكَ غَدَاةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ . فَلَمَّا كَانَ آخِرُ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَتَانَا خَبِيرٌ مَقْتُلُ عَمِيرٍ وَأَصْحَابِهِ ، وَهَرَبَ مَنْ أَفْلَتَ مِنْهُمْ :

[من الخفيف]

صوت

إِنَّ جَنْبِي عَلَى الْفَرَّاشِ لِنَابٍ كَتَجَافِي الْأَسْرَ فَوْقَ الظَّرَابِ
مَنْ حَدِيثٍ نَمَى إِلَيَّ فَمَا أَطُ سَعَمُ غُمُضاً وَلَا أَسِيغُ شَرَابِي
لِشُرْحِيلَ إِذْ تَعَاوَرَهُ الْأَرُ مَاحُ فِي حَالِ شِدَّةٍ وَشَبَابِ
فَارِسٍ يَطْعَنُ الْكُمَاةَ جَرِيءٍ تَحْتَهُ قَارِحٌ كَلُونِ الْغَرَابِ²

عروضه من الخفيف . الْأَسْرُ : البعير الذي يكون به السَّرُّ ، وهي قرحةٌ تخرج في كِرْكِرَتِهِ ، لَا يَقْدَرُ أَنْ يَبْرُكَ إِلَّا عَلَى مَوْضِعٍ مُسْتَوٍ مِنَ الْأَرْضِ ، وَالظَّرَابُ : النشورُ والجبال الصغار ، واحدها ظِرْبٌ . وَالشُّعْرُ لِفُلْفَاءٍ ، وَهُوَ مَعْدِيكِرْبُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حُجْرٍ آكَلَ الْمُرَارَ الْكِنْدِيَّ يَرِثِي أَخَاهُ شُرْحِيلَ قَتِيلَ يَوْمِ الْكَلَابِ الْأَوَّلِ ، وَالْغَنَاءُ لِلْغَرِيضِ ثَقِيلُ أَوَّلُ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَعَمْرُو .

1 ويه : إغراء وتحريض .

2 القارح : الفرس إذا استتم السنة الخامسة ودخل في السادسة .

[قصة يوم الكلاب الأول] 220

وكان السببُ في مقتله وقصة يوم الكلاب فيما أخبرنا به محمد بن العباس البيهقي وعليُّ بن سليمان الأخفشُ قالَا حَدَّثَنَا أَبُو سعيد السكريُّ قال أخبرنا محمد بن حبيب عن أبي عبيدة قال أخبرني إبراهيم بن سعدان عن أبيه عن أبي عبيدة قال أخبرني دَمَاز عن أبي عبيدة قال : كان من حديث الكلاب الأول أن قُباد ملك فارسَ لَمَّا ملك كان ضعيف المُلْك ، فوثبت ربيعةُ على المنذر الأكبر بن ماء السماء ، وهو ذو القرنين بن النعمان بن الشَّقِيقَة ، فأخرجوه ؛ وإنما سُمِّي ذا القرنين لأنَّه كانت له ذُؤابَتان ، فخرج هارباً منهم حتى مات في إيادٍ ، وترك ابنه المنذر الأصغر فيهم ، وكان أذكى ولديه ، فانطلقت ربيعة إلى كِنْدَة ، فجاءوا بالحارث بن عمرو بن حُجْرٍ آكل المُرار ، فملكوه على بكر بن وائل ، وحشدوا له ، فقاتلوا معه ، فظَهَر على ما كانت العربُ تسكنُ مِنْ أرض العراق ، وأبى قُبادُ أن يُمدَّ المنذرَ بجيش . فلَمَّا رأى ذلك المنذرُ كتب إلى الحارث بن عمرو : إني في غير قومي ، وأنت أحقَّ مَنْ ضَمَنِي ، وأنا مُتَحَوِّلٌ إليك ؛ فحوِّله إليه وزوَّجه ابنته هنداً . ففرَّق الحارثُ بنيه في قبائل العرب ، فصار شُرَحْبِيلُ بن الحارث في بني بكر بن وائل وحنظلة بن مالك وبني أُسَيْد ، وطوائف من بني عمرو بن تميم والرَّبابِ ، وصار معدٍ كَرَبُ بن الحارث ، وهو غُلَفَاء ، في قيس ، وصار سَلَمَة بن الحارث في بني تغلب والنَّمير بن قاسطٍ وسعد بن زيد مَناء . فلَمَّا هلك الحارثُ تَشَتَّ أمرُ بنيه ، وتفرقت كلمتهم ، ومشت الرجالُ بينهم ، وكانت المغاورَةُ بين الأحياء الذين معهم ، وتفاقم الأمر حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع ؛ فسار شُرَحْبِيلُ وَمَنْ معه من بني تميم والقبائل ، فنزلوا الكلاب ، وهو فيما بين الكوفة والبصرة على سبع ليالٍ من اليمامة ، وأقبل سلمة بن الحارث في تَغْلِبَ والنَّميرِ وَمَنْ معه ، وفي الصنائع ، وهم الذين يقال لهم بنو رَقِية ، وهي أُمُّ لهم ينتسبون إليها ، وكانوا يكونون مع الملوك ، يريدون الكلاب . وكان نصحاء شُرَحْبِيلُ وسَلَمَة قد نهَوهما عن الحرب والفساد والتحاسد ، وحذروهما غَثَرَات الحرب وسوء مَغَبَّتْها ، فلم يقبلا ولم ييرحا ، وأبيا¹ إلا التتابعُ واللجاجة في أمرهم ، فقال امرؤ القيس بن حُجْرٍ في ذلك :

[من السريع]

أَنْتَى عَلَيَّ اسْتَبْتُ لَوْمُكُمَا	وَلَمْ تَلُومَا عَمْرًا وَلَا عُصْمَا
كَلَّا يَمِينُ إِلَالَه يَجْمَعُنَا	شَيْءٌ وَأَخْوَالُنَا بَنِي جُشْمَا
حَتَّى تَزُورَ السَّبَاعُ مَلْحَمَةً	كَأَنَّهَا مِنْ ثُمُودٍ أَوْ إِرَمَا

وكان أول من ورد الكلاب من جمع سلمة سفيان بن مجاشع بن دارم ، وكان نازلاً في بني تغلب مع إخوته لأمه ، فقتلت بكر بن وائل بنين له ، فيهم مرة بن سفيان ، قتله سالم بن كعب بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيان ؛ فقال سفيان وهو يرتجز : [من مجزوء الرجز]

الشيخُ شيخُ ثكلانُ والجوفُ جوفُ حرانُ
والوردُ وردُ عجلانُ أنعى مرةً بنَ سفيانُ

وفي ذلك يقول الفرزدق :

شيوخُ منهمُ عُدُسُ بنُ زيدٍ وسفيانُ الذي ورد الكلابا
وأول من ورد الماء من بني تغلب رجل من بني عبد بن جشم يقال له النعمان بن قريع بن حارثة بن معاوية بن عبد بن جشم ، وعبد يغوث بن دوس ، وهو عم الأخطل - دوس والفدوكس أخوان - على فرس له يقال له الحرون ، وبه كان يعرف ثم ورد سلمة ، ببني تغلب وسعد وجماعة الناس ، وعلى بني تغلب يومئذ السفاح ، واسمه سلمة بن خالد بن كعب بن زهير بن تميم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب ، وهو يقول : [من الرجز]

إن الكلاب ماؤنا فخلوه وساجراً والله لن تحلوه¹

فاقتتل القوم قتالاً شديداً ، وثبت بعضهم لبعض ؛ حتى إذا كان في آخر النهار من ذلك اليوم خذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب بكر بن وائل ، وانصرفت بنو سعد وألفافها عن بني تغلب ، وصبر ابنا وائل : بكر وتغلب ليس معهم غيرهم ، حتى إذا غشيهم الليل نادى مُنادي سلمة : مَنْ أتى برأس شرحبيل فله مائة من الإبل ، وكان شرحبيل نازلاً في بني حنظلة وعمرو بن تميم ، ففروا عنه ، وعرف مكانه أبو حنش ، وهو عَصَمُ بنُ النعمان بن مالك بن غياث بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب ، فصمّد نحوه ، فلما انتهى إليه رآه جالساً وطوائف الناس يقاتلون حوله ، فطعنه بالرمح ، ثم نزل إليه فاحتز رأسه وألقاه إليه . ويقال إن بني حنظلة وبني عمرو بن تميم والرباب لما انهزموا خرج معهم شرحبيل ، فلحقه ذو السنينة - واسمه حبيب بن عتيبة بن حبيب بن بعج بن عتبة بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر وكانت له سن زائدة - فالتفت شرحبيل فضرب ذا السنينة على ركبته ، فأطن² رجله ، وكان ذو السنينة أخا أبي حنش لأمه ، أمهما سلمى بنت عدي بن ربيعة بنت أخي كليب ومهلل ، فقال ذو السنينة : قتلتني الرجل ! فقال أبو حنش : قتلتني الله إن لم أقتله ، فحمل عليه ، فلما غشيته قال : يا أبا حنش ،

1 ساجر : موضع بين ديار غطفان وديار بني تميم .

2 أطن رجله : قطعها .

أَمْلِكاً بِسَوْقَةٍ ؟ قَالَ : إِنَّهُ قَدْ كَانَ مَلِكِي ، فَطَعَنَهُ أَبُو حَنْشٍ ، فَأَصَابَ رَادِفَةَ¹ السَّرَجِ ، فَوَرَّعَتْ² عَنْهُ ، ثُمَّ تَنَاوَلَهُ فَأَلْقَاهُ عَنْ فَرْسِهِ ، وَنَزَلَ إِلَيْهِ فَاحْتَزَّ رَأْسَهُ ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَى سَلْمَةَ مَعَ ابْنِ عَمٍّ لَهُ يُقَالُ لَهُ أَبُو أَجَأُ بْنُ كَعْبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ غِيَاثٍ ، فَأَلْقَاهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ فَقَالَ لَهُ سَلْمَةُ : لَوْ كُنْتُ أَلْقَيْتَهُ إِلقاءَ رَفِيقًا ؛ فَقَالَ : مَا صَنَعَ بِي وَهُوَ حَيٌّ أَشَدُّ مِنْ هَذَا ، وَعَرَفَ أَبُو أَجَأُ النَّدَامَةَ فِي وَجْهِهِ وَالْجَزَعَ عَلَى أَخِيهِ ، فَهَرَبَ وَهَرَبَ أَبُو حَنْشٍ فَتَنَحَّى عَنْهُ ، فَقَالَ مَعْدِيكَرْبُ أَخُو شَرْحِبِيلَ ، وَكَانَ صَاحِبَ سَلَامَةٍ مُعْتَزِلًا عَنْ جَمِيعِ هَذِهِ الْحُرُوبِ :

فَمَا لَكَ لَا تَجِيءُ إِلَى الثَّوَابِ !
 قَتِيلٌ بَيْنَ أَحْجَارِ الْكُلَابِ
 وَأَسْلَمَهُ جَعَاسِيْسُ الرَّيَّابِ³
 تَضَرُّرُ بِهِ صَدِيقُكَ أَوْ تُحَابِي
 فَقَالَ أَبُو حَنْشٍ مُجِيبًا لَهُ :

أَحَازِرُ أَنْ أَجِئَكُمْ فَتَحْبُو
 فَكَانَتْ غَدْرَةٌ شَنْعَاءَ تَهْفُو
 وَيُقَالُ : إِنَّ الشَّعْرَ الْأَوَّلَ لَسَلْمَةَ بْنِ الْحَارِثِ : وَقَالَ مَعْدِيكَرْبُ الْمَعْرُوفُ بَغْلَفَاءَ يَرِثِي أَخَاهُ شَرْحِبِيلَ بْنِ الْحَارِثِ :

إِنَّ جَنْبِي عَنِ الْفَرَّاشِ لِنَابِي
 مِنْ حَدِيثٍ نَمَى إِلَيَّ فَلَا تَرِ
 مُرَّةً كَالذُّعَافِ أَكْثَمَهَا النَّا
 مِنْ شَرْحِبِيلَ إِذْ تَعَاوَرَهُ الْأَرِ
 يَا ابْنَ أُمِّي وَلَوْ شَهِدْتُكَ إِذْ تَدِ
 لَتَرَكْتُ الْحَسَامَ تَجْرِي ظُبَاهِ
 كَتَجَانِي الْأَسْرُ فَوْقَ الظُّرَابِ
 قَا عَيْنِي وَلَا أَسِيغُ شَرَابِي
 سَ عَلَى حَرٍّ مَلَّةٌ كَالشَّهَابِ⁵
 مَاحُ فِي حَالِ لَذَّةٍ وَشَبَابِ
 عَو تَمِيمًا ، وَأَنْتَ غَيْرُ مُجَابِ
 مِنْ دِمَاءِ الْأَعْدَاءِ يَوْمَ الْكُلَابِ

1 رادفة السرج : مؤخرته .

2 ورَّعت عنه : منعت .

3 جعاسيس : جمع جعسوس وهو القصير الدميم .

4 صنيعات : موضع أو ماء .

5 الملة : الرماد الحار .

ثم طاعتُ من ورائك حتى تبلغ الرَّحْبَ أو تُبْرَ ثِيَابِي¹
يوم ثارت بنو تميم وولّت خيلُهم يَتَّقِينَ بالأَذْنَابِ
وَيُحَكِّمُ يَا بَنِي أُسَيْدَ إِنِّي ويحكم ربُّكم وربُّ الرِّبَابِ
أَيْنَ مَعْطِيكُمْ الْجَزِيلَ وَحَايِ كم على الفقر بالمئين الكُبابِ²
فارس يضرب الكتيبة بالسيد ف على نحره كَنَضَحَ المَلَابِ³
فارسٌ يَطْعَنُ الكَمَاةَ جَرِيءَ تحته قَارِخٌ كلون الغرابِ

قال : ولما قُتِلَ شرحبيلُ قامت بنو سعدٍ بن زيد مناة بن تميم دون عياله ، فمنعوههم وحالوا بين الناس وبينهم ، ودفعوا عنهم حتى ألحقوهم بقومهم ومأمنهم . وليَ ذلك منهم عوفُ بنُ شَجَنَةَ بنِ الحارث بن عطارِد بن عوف بن سعد بن كعب ، وحشد له فيه رهطُهُ ونهضوا معه ، فأثنى عليهم في ذلك امرؤ القيس بن حُجْرٍ ، ومدحهم به في شعره فقال : [من الطويل]
ألا إِنَّ قوماً كَتَمُوا أَمْسَ دونهم هم استنقدوا جاراتكم آلَ غُدْرانِ
عُوَيْرٌ وَمَنْ مِثْلُ العُوَيْرِ ورهطُهُ وأسعدَ في يوم الهَزَاهِزِ صَفْوَانِ⁴
وهي قصيدة معروفة طويلة :

صوت

وعَيْنُ الرِّضَا عن كلِّ عيبٍ كَلِيلَةٌ ولكنَّ عَيْنَ السَّخَطِ تُبْدِي المساويا
وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة فإن عَرْضَتُ أَيْقَنْتُ أَنَّ لا أَخَا لِيَا
الشعر لعبد الله بن معاوية بن عبد الله الجعفري ، يقوله للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس ؛ هكذا ذكر مصعبُ الزُّبَيْرِي . وذكر مؤرِّج فيما أخبرنا به اليزيدي عن عمِّه أبي جعفر عن مؤرِّج ، وهو الصحيح ، أنَّ عبد الله بن معاوية قال هذا الشعر في صديقٍ له يقال له قُصَيٌّ بن ذُكْوَانَ ، وكان قد عتب عليه . وأول الشعر :
رَأَيْتُ قُصَيًّا كَانَ شَيْئاً مُلْفَفًا فَكَشَفَهُ التَّمَحِيصُ حَتَّى بَدَا لِيَا
فلا زاد ما بيني وبينك بعدما بلوتُكَ في الحاجاتِ إِلَّا تَنَائِيَا
والغناء لبنان بن عمرو بن رملٍ بالوسطى . وفيه الثقيلُ الأوَّلُ لَرَبِّبٍ من رواية أبي العَنَسِ وغيره .

1 تبز ثيابي : أي تنزع عني بموتي .

2 الكباب : الكثير الإبل ، وفي ل : اللباب .

3 الملاب : ضرب من الطيب أو الزعفران .

4 أسعد : أعان . الهزاهز : الفتن يهتز فيها الناس .

[221] - خبر عبد الله بن معاوية ونسبه

[نسبه]

هو عبدُ الله بنُ معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . وأمُّ عبد الله بن جعفر وسائر بني جعفر أسماء بنتُ عُمَيْسَ بن مَعْدٍ بن تميم بن مالك بن قُحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن بشر بن وهب الله بن شَهْران بن عِفْرِس بن أَقْتَل ، وهو خُماعة بن خُثَعَم بن أنمار . وأمُّها هند بنتُ عوفٍ ، امرأةٌ من جُرُش . هذه الجُرُشِيَّةُ أَكْرَمُ الناس أحماء ؛ أحماءُها : رسول الله ﷺ وعليٌّ وجعفرٌ وحَمزةُ والعبَّاسُ وأبو بكر رضي الله تعالى عنهم . وإنما صار رسولُ الله ﷺ من أحمائها أنه كان لها أربع بناتٍ : ميمونة زوجة رسول الله ﷺ ، وأمُّ الفضل زوجة العباس وأمُّ بنته ، وسلْمى زوجة حمزة بن عبد المطلب ، بناتُ الحارث ، وأسماء بنتُ عُمَيْسَ أختُهنَّ لِأُمَّهنَّ ؛ كانت عند جعفر بن أبي طالب ، ثم خَلَفَ عليها أبو بكر رضي الله تعالى عنه ثم خلف عليها عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام . وولدت من جميعهم . وهنَّ اللواتي قال رسول الله ﷺ لهنَّ : «إِنَّهنَّ مؤمِناتٌ» .

حدَّثني بذلك أحمدُ بن محمد بن سعيد قال حدَّثني يحيى بن الحسين العلويُّ قال حدَّثنا هارونُ بن محمد بن موسى الفرويُّ قال : حدَّثنا داودُ بن عبد الله قال : حدَّثني عبد العزيز الدَّراوردي عن إبراهيم بن عُقبة عن كُربن عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «الأخوات المؤمناتُ : ميمونة ، وأمُّ الفضل ، وسلْمى ، وأسماء بنتُ عُمَيْسَ أختُهنَّ لِأُمَّهنَّ» .

حدَّثني أحمدُ قال حدَّثني يحيى قال حدَّثنا الحسن بن عليٍّ قال حدَّثني عبد الرزاق قال أخبرني يحيى بنُ العلاء البجليُّ عن عمِّه شعيب بن خالدٍ عن حنظلة بن سَمُرَةَ بن المسيَّب عن أبيه عن جدِّه عن ابن عباس قال : دخل النبي ﷺ على فاطمة وعليٍّ ، عليهما السلام - ليلةً بَنَى بها - فأبصر خيالاً من وراء السِّتر ؛ فقال : «من هذا ؟» فقالت : أسماء ؛ قال : «بنتُ عُمَيْسَ» ؟ قالت : نعم ، أنا التي أحرُسُ بَنَتَكَ يا رسول الله ؛ فإنَّ الفتاة ليلةً بنائها لا بدَّ لها من امرأة تكون قريباً منها ، إن عَرَضَتْ لها حاجةٌ أفضت بذلك إليها ؛ فقال رسول الله ﷺ : «فإنِّي أسألُ إلهي أن يحرسك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك مِنَ الشَّيْطان» .

[طائفة من أخبار عبد الله بن جعفر]

وقد أدرك عبد الله بن جعفر رحمه الله رسول الله ﷺ وروى عنه .

[ما روى عن رسول الله]

فمِمَّا رَوَى عَنْهُ مَا حَدَّثَنِيهِ حَامِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ شُعَيْبِ الْبُلْخِيِّ وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْجَعْدِ قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَأْكُلُ الْبُطِيخَ بِالرُّطْبِ .

[رآه النبي يلعب فداعبه]

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ الْحَسَنِ قَالَ حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ شَيْبٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ أَخْبَرَنِي ابْنُ يَحْيَى وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي سَلِيمَانَ قَالَا : مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ وَهُوَ يَصْنَعُ شَيْئاً مِنْ طِينٍ مِنْ لُعْبِ الصَّبِيَّانِ فَقَالَ : «مَا تَصْنَعُ بِهَذَا» ؟ قَالَ : أَبِيعُهُ ، قَالَ : «مَا تَصْنَعُ بِثَمَنِهِ» ؟ قَالَ : أَشْتَرِي بِهِ رُطْباً فَأَكُلُهُ ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِي صَفَقَةِ يَمِينِهِ» . فَكَانَ يَقَالُ : مَا اشْتَرَى شَيْئاً قَطُّ إِلَّا رِبْحٌ فِيهِ .

[تعرّض له الحزين بالعقيق وطلب منه ثياباً]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ وَالطُّوسِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي مُصْعَبٌ عَنْ جَدِّي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُصْعَبٍ : أَنَّ الْحَزِينَ قُمِرٌ¹ فِي الْعَقِيقِ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ ثِيَابَهُ ، فَمَرَّ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَعَلَيْهِ مُقَطَّعَاتُ خَزٍّ ؛ فَاسْتَعَارَ الْحَزِينُ مِنْ رَجُلٍ ثَوْباً ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ فَقَالَ : [من المتقارب]

أَقُولُ لَهُ حِينَ وَاجِهَتُهُ عَلَيْكَ السَّلَامُ أَبَا جَعْفَرٍ

فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ؛ فَقَالَ :

فَأَنْتَ الْمَهْذَبُ مِنْ غَالِبٍ وَفِي الْبَيْتِ مِنْهَا الَّذِي تُذَكِّرُ

فَقَالَ : كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ؛ ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ :

فَهَذَا ثِيَابِي قَدْ أَخْلَقْتُ وَقَدْ عَضَّنِي زَمَنٌ مِنْكَ

قَالَ : هَاكَ ثِيَابِي ، فَأَعْطَاهُ ثِيَابَهُ .

قَالَ الزُّبَيْرُ قَالَ عَمِّي : أَمَا الْبَيْتُ الثَّانِي فَحَدَّثَنِيهِ عَمِّي عَنْ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ عَنْ أَبِي ، وَمَا بَقِيَ فَأَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي .

[تعرّض له أعرابي هو على سفر فأعطاه راحلة بما عليها]

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ الْحَسَنِ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ أَعْرَابِيًّا وَقَفَ

علي مروان بن عبد الحكم أيامَ الموسم بالمدينة فسأله ، فقال : يا أعرابي ، ما عندنا ما نصلُّك ؛ ولكن عليك بابن جعفر . فأتى الأعرابيُّ باب عبد الله بن جعفر فإذا ثَقْلُهُ¹ قد سار نحوَ مكة ، وراحلته بالباب عليها متاعُها وسيفٌ معلقٌ ، فخرج عبد الله من داره وأنشأ الأعرابيُّ يقول :

أبو جعفرٍ من أهل بيت نبوة صلاتُهُم للمسلمين طهورٌ
أبا جعفر إن الحجيحَ ترحلوا وليس لرحلي فاعلمنَّ بعيرُ
أبا جعفر ضنَّ الأميرُ بماله وأنت على ما في يديك أميرُ
وأنت امرؤٌ من هاشم في صميمها إليك يصيرُ المجدُّ حيث تصيرُ
فقال : يا أعرابي ، سار الثَّقْلُ فدونك الراحلة بما عليها ، وإياك أن تُخدَع عن السيِّفِ
فإنِّي أخذته بألف دينار . فأنشأ الأعرابيُّ يقول :

حبائبي عبدُ الله ، نفسي فداؤُهُ بأعيسَ مَوَارٍ سِياطٍ مَشافِرةٍ²
وأبيضَ من ماء الحديدِ كَأَنَّهُ شِهَابٌ بدا والليلُ داجٍ عساكِرُهُ³
وكل امرئ يرجو نوال ابن جعفر سيجري له باليُمْنِ والبشرِ طائِرةُ
فيا خيرَ خلق الله نفساً ووالداً وأكرمَه للجارِ حينَ يجاورُهُ
سأثني بما أوليتني يا ابن جعفر وما شاكرٌ عُرْفاً كَمَن هو كافرُهُ

[ذكر له شاعرته كساه في المنام ، فكساه جبة وشي]

وحدثني أحمد بن يحيى عن رجلٍ قال حدثني شيخٌ من بني تميم بخراسان قال : جاء شاعرٌ إلى عبد الله بن جعفر فأنشده :

رأيت أبا جعفر في المنام كساني من الخَزْ دُرَاعَةً⁴
شكوتُ إلى صاحبي أمرها فقال ستوتى بها الساعةُ
سيكسوكها الماجدُ الجعفريُّ ومَن كَفُّه الدهرَ نفاعَةُ
ومَن قال للجودِ لا تَعُدْني فقال لك السمع والطاعةُ

فقال عبدُ الله لغلامه : ادفع إليه دُرَاعَتِي الخَزْ ثم قال له : كيف لو ترى جبتي المنسوجة

1 الثَّقَلُ : المتاع والحشم .

2 أعيس : واحد العيس ، الموار : النسيط في سيره .

3 عسكر الليل : ظلمته .

4 الدُرَاعَةُ : جبة مشقوفة المقدم .

بالذهب التي اشتريتها بثلاثمائة دينار ! فقال له الشاعر : بأبي دعني أغفءة أخرى فلعلني أرى هذه الجبة في المناء ، فضحك منه وقال : يا غلام ادفع إليه جبتي الوشي .
[اعترض ابن دأب على شعر الشماخ في مدحه بأنه دون شعره في عرابة]

حدثنا أحمد قال قال يحيى قال ابن دأب : وسمع قول الشماخ بن ضيرار الثعلبي في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رحمه الله :

إنك يا ابن جعفر نعم الفتى ونعم مأوى طارق إذا أتى
وجار ضيف طرق الحي سرى صادف زادا وحديثا يشتهى
إن الحديث طرف من القرى

فقال ابن دأب : العجب للشماخ يقول مثل هذا القول لابن جعفر ويقول لعرابة الأوسي :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمن
عبد الله بن جعفر كان أحق بهذا من عرابة .
[جوده على أهل المدينة]

قال يحيى بن الحسن وكان عبد الله بن الحسن يقول : كان أهل المدينة يدأنون بعضهم من بعض إلى أن يأتي عطاء عبد الله بن جعفر .
[جوده على رجل جلب إلى المدينة سكرأ كسد عليه]

أنخبرني أحمد قال حدثني يحيى قال : حدثني أبو عبيد قال حدثني يزيد بن هارون عن هشام عن ابن سيرين قال : جلب رجل إلى المدينة سكرأ فكسد عليه فقبل له : لو أتيت ابن جعفر قبله منك وأعطاك الثمن ، فأتى ابن جعفر فأخبره ، فأمره بإحضاره وبسط له ، ثم أمر به ففتر ، فقال : للناس انتهبوا ، فلما رأى الناس ينتهبون قال : جعلت فداك ! آخذ معهم ؟ قال : نعم ، فجعل الرجل يهيل في غرائره ، ثم قال لعبد الله : أعطني الثمن فقال : وكم ثمن سكر ؟ قال : أربعة آلاف درهم ، فأمر له بها .

أنخبرنا أحمد قال حدثني يحيى بن علي ، وحدثني ابن عبد العزيز قال حدثنا أبو محمد الباهلي حسن بن سعيد عن الأصمعي نحوه وزاد فيه ، قال : فقال الرجل : ما يدري هذا وما يعقل أخذ أم أعطى ! لأطلبته بالثمن ثانية ، فغدا عليه فقال : ثمن سكر ، فأطرق عبد الله ملياً ثم قال : يا غلام ، أعطه أربعة آلاف درهم ؛ فأعطاه إياها ، فقال الرجل : قد قلت لكم : إن هذا الرجل لا يعقل : أخذ أم أعطى ! لأطلبته بالثمن . فغدا عليه فقال : أصلحك الله ! ثمن سكر ، فأطرق عبد الله ملياً ، ثم رفع رأسه إلى رجل ، فقال : ادفع

إليه أربعة آلاف درهم . فلماً وُلِّيَ ليقبضها قال له ابن جعفر : يا أعرابي ، هذه تمام اثني عشر ألفَ درهم ، فانصرف الرجل وهو يعجب من فعله .

[باعه رجل جملأً وأخذ ثمنه مراراً فمدحه]

وأخبرني أبو الحسن الأسدي عن دَمَاز عن أبي عبيدة : أن أعرابياً باع راحلةً من عبدِ الله بن جعفر ، ثم غدا عليه فاقترض ثمنها ، فأمر له به ، ثم عاوده ثلاثاً ، وذكر في الخبر مثل الذي قبله وزاد فيه : فقال فيه :

لا خير في المُجْتَدَى في الحينِ تسألُهُ فاستمطروا من قريش خيرَ مُخْتَدَعٍ¹

تخال فيه إذا حاورته بَلْهًا من جودِهِ وهوَ وافي العقلِ والورعِ

وهذا الشعر يروى لابن قيس الرُّقَيَات .

[وفاته عام الجحاف]

أخبرني الحرَمِيُّ بنُ أبي العلاء والطوسيُّ قالا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قال حَدَّثَنِي مصعبُ بنُ عثمان قال : لما ولي عبد الملك الخلافة جفا عبدُ الله بنُ جعفر ، فراح يوماً إلى الجمعة وهو يقول : اللهمَّ إِنَّكَ عَوَّدْتَنِي عادةً جريئُ عليها ، فإن كان ذلك قد انقضى فاقبضني إليك ، فتوفي في الجمعة الأخرى . قال يحيى : توفي عبدُ الله وهو ابنُ سبعين سنة في سنة ثمانين وهو عامُ الجُحاف لَسيلٍ كان بمكة جَحَفَ الحاجُّ فذهب بالإبل عليها الحُمولة ، وكان الوالي على المدينة يومئذٍ أبانُ بنُ عثمان في خلافة عبد الملك بن مروان ، وهو الذي صلى عليه .

[وقف عمرو بن عثمان على قبره ورثاه]

حَدَّثَنِي أحمدُ بن محمد قال أَخْبَرَنَا يحيى قال حَدَّثَنَا الحسينُ بن محمد قال أَخْبَرَنِي محمدُ بنُ مُكْرَمٍ قال أَخْبَرَنِي أحمدُ بنُ إبراهيم بنِ إسماعيلَ بنِ داودَ قال أَخْبَرَنِي الأصمعيُّ عن الجعفريِّ قال : لما مات عبدُ الله بنُ جعفر شهده أهل المدينة كلُّهم ، وإنما كان عبدُ الله بنُ جعفر مأوى المساكين وملجأ الضعفاء ، فما تنظر إلى ذي حِجَا إلَّا رأيته مُستَعْبِراً قد أظهر الهلعَ والجزعَ ، فلماً فرغوا من دفنه قام عمرو بن عثمان فوقف على شفير القبر فقال : رحمك الله يا ابنَ جعفر ؛ إن كنتَ لِرَحْمِكَ لواصلاً ، ولأهل الشرِّ لمبغضاً ، ولأهل الرِّية لقالياً ، ولقد كنتَ فيما بيني وبينك كما قال الأعشى :

رعيْتَ الذي كان بيني وبينكم من السُّودِّ حتَّى غيبتَكَ المقابرُ

1 المجتدى : الذي تطلب جدواه أي عطيته .

فَرَحِمَكَ اللَّهُ ؛ يَوْمَ وَلِدْتَ وَيَوْمَ كُنْتَ رَجُلًا وَيَوْمَ مِتَّ وَيَوْمَ تُبْعَثُ حَيًّا ؛ وَاللَّهِ لَنْ كَانَتْ هَاشِمٌ أَصِيبَتْ بِكَ لَقَدْ عَمَّ قَرِيشًا كُلُّهَا هُلُكُكَ ، فَمَا أَظُنُّ أَنْ يُرَى بِعَدِكَ مِثْلُكَ .
[ووقف عمرو بن سعيد على قبره ورثاه]

فَقَامَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ الْأَشْدُقِ فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي يَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ، مَا كَانَ أَحْلَى الْعَيْشِ بِكَ يَا ابْنَ جَعْفَرٍ ! وَمَا أَسْمَحَ مَا أَصْبَحَ بِعَدِكَ ! وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ عَيْنِي دَامِعَةً عَلَى أَحَدٍ لَدَمَعْتُ عَلَيْكَ ، كَانَ وَاللَّهِ حَدِيثُكَ غَيْرَ مَشُوبٍ بِكَذِبٍ ، وَوَدُّكَ غَيْرَ مَمْزُوجٍ بِكَدَرٍ .

[نازع أحد ولد المغيرة عمرو بن سعيد على مدحه له فذمه وأسكنه]

فَوَثَبَ ابْنُ لِلْمَغِيرَةِ بْنِ نَوْفَلٍ ، وَلَمْ يُثَبِّتِ الْأَصْمَعِيُّ اسْمَهُ ، فَقَالَ : يَا عَمْرُو ، بِمَنْ تَعْرِضُ بِمَزْجِ الْوَدِّ وَشَوْبِ الْحَدِيثِ ؟ أَفَبِابْنِي فَاطِمَةَ ؟ فَهَمَّا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْكَ وَمِنْهُ ، فَقَالَ : عَلَى رِسْلِكَ يَا لُكْعُ¹ ! أَرَدْتُ أَنْ أُدْخِلَكَ مَعَهُمْ ؟ هِيَ هَاتِ هُنَاكَ ، وَاللَّهِ لَوْ مِتُّ أَنْتَ وَمَاتَ أَبُوكَ مَا مُدِّحْتَ وَلَا ذُمْتَ ، فَتَكَلَّمْ بِمَا شِئْتَ فَلَنْ تَجِدَ لَكَ مَجِيبًا .
[شعر ابن قيس الرقيات في علته التي مات فيها]

فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعَهُمَا النَّاسُ يَتَكَلَّمَانِ حَتَّى حَجَزُوا بَيْنَهُمَا وَانْصَرَفُوا . قَالَ يَحْيَى : وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ فِي عِلَّةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ الَّتِي مَاتَ فِيهَا : [من الخفيف]

بَاتَ قَلْبِي تَشْفُهُ الْأَوْجَاعُ	مِنْ هُمُومٍ تُجْنِئُهَا الْأَضْلَاعُ ²
مِنْ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مَنَعَ النُّو	مَ قَلْبِي مِمَّا سَمِعْتُ يُرَاعُ
إِذْ أَتَانَا بِمَا كَرِهْنَا أَبُو اللَّسَدِ	لَاسَ ، كَانَتْ بِنَفْسِهِ الْأَوْجَاعُ
قَالَ مَا قَالَ ثُمَّ رَاحَ سَرِيعًا	أَدْرَكَتْ نَفْسَهُ الْمَنَايَا السَّرَاعُ
قَالَ يَشْكُو الصُّدَاغَ وَهُوَ ثَقِيلٌ	بِكَ لَا بِالَّذِي غَنَيْتَ الصُّدَاغُ
ابْنَ أَسْمَاءَ لَا أَبَا لَكَ تَنْعَى	أَنْتَ غَيْرُ هَالِكٍ نَفَاغُ
هَاشِمِيًّا بِكَفِّهِ مِنْ سِجَالِ الْ	مَعْجَدٍ سَجَلٌ يَهْوَنُ فِيهِ الْقُبَاغُ ³
نَشَرَ النَّاسُ كُلَّ ذَلِكَ مِنْهُ	شِيمَةَ الْمَجْدِ لَيْسَ فِيهِ خِدَاغُ

1 اللكع : اللثيم والأحمق .

2 شفه الحزن : لذعه وأحرقه . أجته : ستره .

3 السجل : الدلو العظيمة مملوءة . والقباع : يكيال ضخمة واسع .

لم أجِدْ بعدك الأَخْلَاءَ إِلَّا كَيْمَادٍ بِهِ قَذَى أَوْ نِقَاعٌ¹
 بَيْتُهُ مِنْ بَيوتِ عَبْدِ مَنْفَى مَدَّ أَطْنَابُهُ الْمَكَانُ الْيَفَاعُ²
 مَنتهى الحَمْدُ والنِّبوةُ والمَجْدُ إِذَا قَصَرَ اللَّثَامُ الْوِضَاعُ³
 فَسْتَأْتِيكَ مِدْحَةٌ مِنْ كَرِيمٍ نَالَهُ مِنْ نَدَى سِجَالِكَ بَاعُ

من هذا الشعر الذي قاله ابن قيس في عبد الله بن جعفر بيتان يغنى فيهما ، وهما : [من الخفيف]

صوت

قَدْ أَتَانَا بِمَا كَرِهْنَا أَبُو اللَّسِّ لَاسٍ كَانَتْ بِنَفْسِهِ الْأَوْجَاعُ
 قَالَ يَشْكُو الصَّدَاعَ وَهُوَ ثَقِيلٌ بِكَ لَا بِالَّذِي ذَكَرْتَ الصُّدَاعُ

غَنَّا عَمْرُو بْنُ بَانَةَ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ ، الْأَوَّلُ بِالْوَسْطَى عَلَى مَذْهَبِ إِسْحَاقَ . وَيُقَالُ إِنَّ عَمْرُو بْنَ بَانَةَ صَاغَ هَذَا اللَّحْنَ فِي هَذَا الشَّعْرَ وَغَنَّى بِهِ الْوَاتِقَ بِعَقَبِ عِلَّةَ نَالَتْهُ وَصُدَاعُ تَشْكَاةٍ ؛ قَالَ : فَاسْتَحْسَنَهُ وَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . وَأُمُّ مُعَاوِيَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ أُمُّ وَلَدٍ . وَكَانَ مِنْ رِجَالِ قَرِيشٍ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ مِثْلُهُ .

[بشروه وهو عند معاوية بولد فسماه باسمه]

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَرَّازُ عَنْ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيِّ : أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ وَلَدَ وَأَبُوهُ عَبْدِ اللَّهِ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ ، فَأَتَاهُ الْبَشِيرُ بِذَلِكَ وَعَرَفَ مُعَاوِيَةَ الْخَبَرَ فَقَالَ : سَمِعَهُ مُعَاوِيَةَ وَلَكَ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَفَعَلَ فَأَعْطَاهُ الْمَالَ ، وَأَعْطَاهُ عَبْدُ اللَّهِ لِلَّذِي بَشَّرَهُ بِهِ . قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ لَا يُؤَدِّبُ وَلَدَهُ ، وَيَقُولُ : إِنْ يُرِدِ اللَّهُ جَلًّا وَعِزًّا بِهِمْ خَيْرًا يَتَأَدَّبُوا ، فَلَمْ يَنْجِبْ فِيهِمْ غَيْرَ مُعَاوِيَةَ .

[خبر ابن هرمة مع معاوية بن عبد الله بن جعفر]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خُلْفٍ وَكَيْعٌ قَالَ حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ هَارُونُ وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى بْنِ خَالِدِ بْنِ الزَّيْبَرِ بْنِ الْعَوَّامِ قَالَ حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَكَمِ السَّعِيدِيُّ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ مَعْنٍ بَنَ عَنبَسَةَ قَالُوا : كَانَ مُعَاوِيَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَدْ عَوَّدَ ابْنَ هَرْمَةَ الْبَرِّ ، فَجَاءَهُ يَوْمًا وَقَدْ ضَاقت يَدُهُ وَأَخَذَ خَمْسِينَ دِينَارًا بِدَيْنٍ ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ مَعَ جَارِيَتِهِ رَقْعَةً فِيهَا مَدِيحٌ لَهُ يَسْأَلُهُ فِيهِ أَيْضًا بِرًّا ، فَقَالَ لِلْجَارِيَةِ :

1 الثماد : الماء القليل لا ماذ له . النقاغ : جمع نقع وهو الغبار .

2 اليفاع : ما ارتفع من الأرض .

3 الوضاع : جمع وضيع .

قولي له : أيدينا ضيقة ، وما عندنا شيء إلا شيء أخذناه بكلفة ، فرجعت جاريته بذلك ، فأخذ الرقعة فكتب فيها :

فإني ومدحك غير المصير ب كالكلب ينبع ضوء القمر
مدحتك أرجو لديك الثواب فكنت كعاصر جنب الحجر

وبعث بالرقعة مع الجارية ، فدفعها إلى معاوية ، فقال لها : ويحك قد علم بها أحد ؟ قالت : لا والله إنما دفعها من يده إلى يدي ؛ قال : فخذني هذه الدنانير فادفعيها إليه ، فخرجت بها إليه ، فقال : كلاً ، أليس زعم أنه لا يدفع إلي شيئاً ؟

[كان ابنه معاوية صديقاً ليزيد بن معاوية فسمي ابنه باسمه]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب قال : سمى عبد الله بن جعفر ابنه بمعاوية بن أبي سفيان . قال : وكان معاوية بن عبد الله بن جعفر صديقاً ليزيد بن معاوية خاصة ، فسمي ابنه بيزيد بن معاوية .

[وصيته لابنه معاوية عند وفاته]

قال الزبير : وحدثني محمد بن إسحاق بن جعفر عن عمه محمد : أن عبد الله بن جعفر لما حضرته الوفاة دعا ابنه معاوية فنزع شنفاً¹ كان في أذنه وأوصى إليه ، وفي ولده من هو أسن منه ، وقال له : إني لم أزل أوأمك لها . فلما توفي احتال بدين أبيه وخرج فطلب فيه حتى قضاه ، وقسم أموال أبيه بين ولده ، ولم يستأثر عليهم بدينار ولا درهم ولا غيرهما .

وأم عبد الله بن معاوية أم عون بنت عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب . ويقال : بنت عياش بن ربيعة . وقد روى عباس عن النبي ﷺ وكان معه يوم حنين ، وهو أحد من ثبت معه يومئذ .

[بعض صفات عبد الله بن معاوية]

وكان عبد الله من فتيان بني هاشم وجودائهم وشعرائهم ، ولم يكن محمود المذهب في دينه ، وكان يرمي بالزندقة ويستولي عليه من يعرف ويشهر أمره فيها ، وكان قد خرج بالكوفة في آخر أيام مروان بن محمد ، ثم انتقل عنها إلى نواحي الجبل ثم إلى خراسان ، فأخذه أبو مسلم فقتله هناك .

[مدح ابن هرمة لعبد الله بن جعفر]

ويكنى عبد الله بن جعفر أبا معاوية ، وله يقول ابن هرمة :

[من الخفيف]

1 الشنف : الذي يلبس في أعلى الأذن .

أَحْبُ مدحاً أباً معاويةَ الما جد لا تلقه حَصُوراً عِيّاً¹
 بل كريماً يرتاح للمجد بساً ما إذا هزّه السَّوَال حِيّاً
 إن لي عنده وإن رَغِم الأع داء حظاً من نفسه وقَفِيّاً
 قفياً : أثره ، يقول : إن لي عنده لأثره على غيري ، وقال قوم آخرون : القفي : الكرامة .

إن أمت تَبَقْ مِدحتي وإخائي وثنائي من الحياة مَلِيّاً
 يأخذ سبقَ بالتقدّم في الجر ي إذا ما الندى انتحاه عَلِيّاً
 ذو وفاء عند العِداتِ وأوصا ه أبوه ألاً يزالَ وفياً
 فَرعى عقدة الوصاة فأكرم بهما موصيًّا وهذا وصيًّا
 يا ابن أسماء فاسقٍ ذلوي فقد أو ردتها منهلًا يُشجُّ رَوِيّاً
 يعني أمّه أسماء ، وهي أمّ عون بنتُ العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب . وأوّل
 هذه القصيدة :

عَاتِبِ النَّفْسَ والفؤادَ الغَوِيّاً في طِلابِ الصِّبَا فِلستَ صَبِيّاً
 قال يحيى بن عليّ فيما أجازَه لنا : أخبرني أبو أيوب المدينيُّ وأخبرناه وكيعٌ عن هارونَ بن
 محمد بن عبد الملك عن حماد بن إسحاق عن أبيه قالاً : مدح ابن هرمة عبد الله بن جعفر بن
 أبي طالب فأتاه ، فوجد الناس بعضهم على بعض على بابهِ . قال ابن هرمة : ورآني بعض خدمه
 فعرفني ، فسألته عن الذين رأيتُهُم ببابه فقال : عامتُهُم غُرماءُ له ، فقلت : ذاك شرٌّ . واستوْذِنَ
 لي عليه فقلت : لم أعلم والله بهؤلاء الغرماء ببابك ، قال : لا عليك أنشدني . قلت : أعيدُكَ
 بالله . واستحييت أن أنشد ، فأبى إلا أن أنشده قصيدتي التي أقول فيها : [من الطويل]

حَلَلْتَ محلَّ القلب من آل هاشم فَعُشْتُك ماوى يبيضُها المتفلّق
 ولم تك بالمُعزى إليها نِصابُهُ لِصاقاً ولا ذا المركب المتعلّق
 فمن مثْلُ عبد الله أو مثْلُ جعفرٍ ومثْلُ أبيك الأريحيّ المَرْهُقِ²
 فقال : مَنْ هاهنا من الغرماء ؟ فقل : فلان وفلان ، فدعا باثنين منهم فسارَهما
 وخرجا ، وقال لي : اتَّبِعْهما . قال : فأعطيتاني مالاً كثيراً . قال يحيى : ومن مختار مدحه
 فيه منها قوله :

فإلاً تَوَاتِ اليومَ سلمى فرّما شربنا بحوض اللهو غير المرنّق

1 الحصور : المسك البخيل الضيق ، والضيق الصدر .

2 المرقق : الكريم الجواد الذي يغشاه الناس .

فدعها فقد أعذرت في ذكر وصلها
ولكن لعبد الله فانطق بمدحه
أخ قلت للأذنين لما مدحته
شديد التآني في الأمور مجرب
ترى الخير يجري في أسرة وجهه
كريم إذا ما شاء عد له أبا
وأماً لها فضل على كل حرة
ومما يغني فيه من قصيدة ابن هرمة الياثية التي مدح بها ابن معاوية قوله : [من الخفيف]

صوت

عجبت جارتني لشيب علاني
عمرك الله هل رأيت بدياً⁴
إنما يُعذر الوليد ولا يُع
نذر من عاش في الزمان عتياً
غنى فيهما فليح رملًا بالنصر من رواية عمرو بن بانه ومن رواية حبش فيهما لابن محرز
خفيف ثقیل بالنصر .
[خروج عبد الله بن معاوية على بني أمية]

حدثنا بالسبب في خروجه أحمد بن عبيد الله بن عمارة قال حدثنا علي بن محمد النوفلي عن أبيه وعمه عيسى ، قال ابن عمارة وأخبرنا أيضاً ببعض خبره أحمد بن أبي خيثمة عن مصعب الزبيري ، قال ابن عمارة وأخبرني أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني عن أبي اليقظان وشهاب بن عبد الله وغيرهما ، قال ابن عمارة وحدثني به سليمان ابن أبي شيخ عم ذكره . قال أبو الفرج الأصفهاني : ونسخت أنا أيضاً بعض خبره من كتاب محمد بن علي بن حمزة عن المدائني وغيره فجمعت معاني ما ذكروه في ذلك كراهة الإطالة : أن عبد الله بن معاوية قدم الكوفة زائراً لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ومستريحاً له ، فتزوج بالكوفة بنت الشرقي بن عبد المؤمن بن شبيب بن ربيعة الرياحي ، فلما وقعت العصبية أخرجه أهل الكوفة على بني أمية ، وقالوا له : اخرج فأت أحق بهذا الأمر من غيرك ، واجتمعت له جماعة ، فلم يشعر به عبد الله بن عمر إلا وقد خرج عليه . قال ابن عمارة في خبره : إنه إنما خرج في أيام يزيد بن

1 أعذر : بلغ الغاية في العذر ، والشأو : الغاية .

2 طبق الشيء : عم .

3 يخلق : يقدّر .

4 البدي : البديء وهو العجيب .

الوليد ، ظهر بالكوفة ودعا إلى الرضا من آل محمد ﷺ وليس الصوف وأظهر سيمى الخير ، فاجتمع إليه وبايعه بعض أهل الكوفة ، ولم يبايعه كلُّهم وقالوا : ما فينا بقية ، قد قُتل جمهورنا مع أهل هذا البيت ، وأشاروا عليه بقصد فارس وبلاد المشرق فقَبِل ذلك ، وجمع جموعاً من النواحي ، وخرج معه عبد الله بن العباس التميمي . قال محمد بن علي بن حمزة عن سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عوانة : إن ابن معاوية قَبِل قَصْدِهِ المشرقَ ظهر بالكوفة ودعا إلى نفسه ، وعلى الكوفة يومئذٍ عاملٌ ليزيد الناقص يقال له عبدُ الله بن عمر ، فخرج إلى ظهر الكوفة ، ممَّا يلي الحرَّة ، فقاتل ابن معاوية قتالاً شديداً . قال محمد بن علي بن حمزة عن المدائني عن عامر بن حفص ، وأخبرني به ابن عَمَّار عن أحمد بن الحارث عن المدائني : أنَّ ابن عمر هذا دسَّ إلى رجل من أصحاب ابن معاوية مَن وعده عنه مواعيدَ على أن ينهزم عنه وينهزم الناس بهزيمته ، فبلغ ذلك ابن معاوية ، فذكره لأصحابه وقال : إذا انهزم ابن حمزة فلا يهولنكم ، فلما التقوا انهزم ابن حمزة وانهزم الناسُ معه فلم يبقَ غير ابن معاوية ، فجعل يقاتل وحده ويقول :

تفرقتِ الظباء على خدائش فما يدري خدائش ما يصيدُ

ثم ولَّى وجهه منهزماً فنجا ، وجعل يجمع من الأطراف والنواحي مَن أجابه ، حتى صار في عدَّة ، فغلب على ماء الكوفة وماء البصرة وهمدان وقم والرِّي وقومس وأصبهان وفارس ، وأقام هو بأصبهان . قال : وكان الذي أخذ له البيعة بفارس محاربُ بن موسى مولى بني يَشْكُر ، فدخل دار الإمارة بنعل ورداء واجتمع الناس إليه ، فأخذهم بالبيعة ؛ فقالوا : علام نبايع ؟ فقال : على ما أحببتُم وكرهتُم ، فبايعوا على ذلك .

وكتب عبد الله بن معاوية فيما ذكر محمد بن علي بن حمزة عن عبد الله بن محمد بن إسماعيل الجعفري عن أبيه عن عبد العزيز بن عمران عن محمد بن جعفر بن الوليد مولى أبي هريرة ومحرر بن جعفر : أنَّ عبد الله بن معاوية كتب إلى الأمصار يدعو إلى نفسه لا إلى الرضا من آل محمد ﷺ ، قال : واستعمل أخاه الحسن على إصطخر ، وأخاه يزيد على شيراز ، وأخاه علياً على كرمان ، وأخاه صالحاً على قم ونواحيها ، وقصدته بنو هاشم جميعاً منهم السفاح والمنصور وعيسى بن علي . وقال ابن أبي خيثمة عن مصعب : وقصده وجوه قريش من بني أمية وغيرهم ، فمِن قَصْدِهِ من بني أمية سليمان بن هشام بن عبد الملك وعمر بن سُهَيْل بن عبد العزيز بن مروان ، فمِن أراد منهم عملاً قلَّده ، ومَن أراد منهم صلة وصله .

[وجه إليه مروان بن محمد جيشاً لمحاربه بقيادة ابن ضبارة]

فلم يزل مقيماً في هذه النواحي التي غلب عليها حتى ولي مروان بن محمد الذي يقال له مروان الحمار ، فوجه إليه عامر بن ضبارة في عسكر كثيف ، فسار إليه حتى إذا قرب من أصبهان ندب له ابن معاوية أصحابه وحضهم على الخروج إليه ، فلم يفعلوا ولا أجابوه ، فخرج على دَهَشٍ هو وإخوته قاصدين لخراسان ، وقد ظهر أبو مسلم بها ونفى عنها نصر بن سيار ، فلما صار في بعض الطريق نزل على رجل من التَّناء¹ ذي مروءة ونعمة وجاه ، فسأله معونته ، فقال له : مَنْ أَنْتَ مِنْ وَلَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ أَنْتَ إِبْرَاهِيمُ الْإِمَامُ الَّذِي يُدْعَى لَهُ بِخَرَّاسَانَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ فَلَا حَاجَةَ لِي فِي نَصْرَتِكَ .

[التجأ إلى أبي مسلم فحسبه]

فخرج إلى أبي مسلم وطمع في نصرته ، فأخذ أبو مسلم وحسبه عنده ، وجعل عليه عيناً يرفع إليه أخباره ، فرفع إليه أنه يقول : ليس في الأرض أحقُّ منكم يا أهل خُرَّاسَانَ في طاعتكم هذا الرجل وتسليمكم إليه مقاليد أموركم من غير أن تراجعوه في شيء أو تسألوه عنه ، والله ما رَضِيتُ الملائكةَ الكرام من الله تعالى بهذا حتى راجعته في أمر آدم عليه السلام ، فقالت : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ . حتى قال لهم : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

[كتابه إلى أبي مسلم وهو في حسبه]

ثم كتب إليه عبد الله بن معاوية رسالته المشهورة التي يقول فيها : «إلى أبي مسلم ، من الأسير في يديه ، بلا ذنب إليه ولا خلاف عليه . أمّا بعد ، فإنك مستودع ودائع ، ومُؤلي صنائع ؛ وإنّ الودائع مرعية ، وإنّ الصنائع عارية ؛ فاذا ذكر القصاص ، واطلب الخلاص ؛ ونبه للفكر قلبك ، واتق الله ربك ؛ وآثر ما يلقاك غداً على ما لا يلقاك أبداً ؛ فإنك لاقٍ ما أسلفت ، وغير لاقٍ ما خلّفت ؛ وفقك الله لما ينجيك ، وآتاك شكر ما يُلييك»² .

[قتله أبو مسلم ووجه برأسه إلى ابن ضبارة]

قال : فلما قرأ كتابه رمى به . ثم قال : قد أفسد علينا أصحابنا وأهل طاعتنا وهو محبوس في أيدينا ، فلو خرج وملك أمرنا لأهلكنا ، ثم أمضى تدييره في قتله . وقال آخرون : بل دسَّ إليه سمّاً فمات منه ، ووجه برأسه إلى ابن ضبارة فحمّله إلى مروان . فأخبرني عمر بن عبد الله العتكي قال : حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا محمد بن يحيى أن عبد العزيز بن عمران حدّثه عن عبد الله بن الربيع عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة أنه حضر مروان يوم الرّاب وهو

1 التَّناء : جمع تانيء ، وهو الدهقان ؛ زعيم فلاحي العجم ، أو رئيس الإقليم .

2 الإبلاء هنا : الإلزام والإحسان .

يقاتل عبد الله بن عليّ ، فسأل عنه ف قيل له : هو الشابُّ المصْفَرُّ الذي كان يسبُّ عبد الله بن معاوية يوم جيء برأسه إليك فقال : والله لقد هممتُ بقتله مراراً ، كلُّ ذلك يُحال بيني وبينه ، ﴿وكان أمرُ الله قَدْرًا مقدوراً﴾ .

[كانت الزنادقة من خاصته]

حدَّثني أحمد بن عبد الله بن عَمَّار قال حدَّثني النوفليُّ عن أبيه عن عمِّه قال : كان عُمارةُ بن حمزة يُرمَى بالزندقة ، فاستكتبه ابنُ معاوية ، وكان له نديمٌ يعرف بمطيع بن إياس ، وكان زنديقاً مأبوناً ، وكان له نديمٌ آخر يعرف بالبقيّ وإنما سَمِّيَ بذلك لأنَّه كان يقول : الإنسان كالبقلة فإذا مات لم يرجع ، فقتله المنصور لما أفضت الخلافة إليه . فكان هؤلاء الثلاثة خاصته ، وكان له صاحبُ شُرطة يقال له قيسٌ ، وكان دُهرياً¹ لا يؤمن بالله معروفاً بذلك ، فكان يَعُسُّ بالليل فلا يلقاه أحد إلا قتلَه ، فدخل يوماً على ابن معاوية فلمَّا رآه قال :

إِنَّ قَيْسًا وَإِنْ تَقَنَّعَ شَيْبًا لَخَبِيثٌ الْهَوَى عَلَى شَمْطِهِ²
ابْنُ تَسْعِينَ مَنْظَرًا وَمَشِيًّا وَابْنُ عَشْرِ يُعَدُّ فِي سَقَطِهِ
وَأَقْبَلَ عَلَى مَطِيعٍ فَقَالَ : أَجِزْ أَنْتَ ، فَقَالَ :

وَلَهُ شُرْطَةٌ إِذَا جَنَّهُ اللَّيْلُ لَفَعُودُوا بِاللَّهِ مِنْ شُرْطِهِ

[قسوته]

قال ابن عَمَّار : أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَرَّازُ عَنْ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ أَبِي الْيَقْظَانَ وَشَبَابِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَغَيْرِهِمَا ، قَالَ ابْنُ عَمَّارٍ وَحَدَّثَنِي بِهِ سَلِيمَانُ بْنُ أَبِي شَيْخٍ عَمَّنْ ذَكَرَهُ : أَنَّ ابْنَ مَعَاوِيَةَ كَانَ يَغْضِبُ عَلَى الرَّجُلِ فَيَأْمُرُ بِضَرْبِهِ بِالسَّيَاطِ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ وَيَتَغَافَلُ عَنْهُ حَتَّى يَمُوتَ تَحْتَ السَّيَاطِ ، وَأَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ بِرَجُلٍ ، فَجَعَلَ يَسْتَغِيثُ فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ ، فَنَادَاهُ : يَا زَنْدِيقُ ، أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ ! فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ وَضَرَبَهُ حَتَّى مَاتَ .

حدَّثني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حدَّثني النوفليُّ عن أبيه عن عمِّه عيسى قال : كان ابن معاوية أَوْسَى خَلَقَ اللَّهُ قَلْبًا ، فَغَضِبَ عَلَى غَلَامٍ لَهُ وَأَنَا جَالِسٌ عِنْدَهُ فِي غُرْفَةٍ بِأَصْبَهَانَ ، فَأَمَرَ بَأَنْ يرمى به منها إلى أَسْفَلَ ، فَفَعِلَ ذَلِكَ بِهِ فَتَعَلَّقَ بِدَرَائِزَيْنِ كَانَ عَلَى الْغُرْفَةِ ، فَأَمَرَ بِقَطْعِ يَدَيْهِ الَّتِي أَمْسَكَ بِهَا ، فَقُطِعَتْ وَمَرَّ الْغَلَامُ يَهْوِي حَتَّى بَلَغَ إِلَى الْأَرْضِ فَمَاتَ .

1 رجل دهرى : ملحد لا يؤمن بالآخرة ، ويقول ببقاء الدهر .

2 الشمط : بياض الرأس يخالط سواده .

[بعض شعره]

وكان مع هذه الأحوال من ظرفاء بني هاشم وشعرائهم ، وهو الذي يقول : [من المتقارب]
 أَلَا تَزَعُ الْقَلْبَ عَنْ جِهَلِهِ وَعَمَّا تُؤْتِبُ مِنْ أَجَلِهِ !
 فُابْدِلْ بَعْدَ الصَّبَا حِلْمَهُ وَأَقْصَرَ ذُو الْعَذْلِ عَنْ عَذْلِهِ
 فَلَا تَرْكِبَنَّ الصَّنِيعَ الَّذِي تَلُومُ أَخَاكَ عَلَى مِثْلِهِ
 وَلَا يَعْجِبَنَّكَ قَوْلُ امْرِئٍ يَخَالِفُ مَا قَالَ فِي فِعْلِهِ
 وَلَا تُتَبِعِ الطَّرْفَ مَا لَا تَنَالُ وَلَكِنْ سَلِ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ
 فَكَمْ مِنْ مُقِلٍّ يَنَالُ الْغِنَى وَيَحْمَدُ فِي رِزْقِهِ كُلَّهُ

أنشدنا هذا الشعر له ابن عَمَّار عن أَحْمَد بن خيثمة عن يحيى بن معين . وذكر محمد بن عليّ العلويّ عن أَحْمَد بن أبي خيثمة أن يحيى بن معين أنشده أيضاً لعبد الله بن معاوية : [من الطويل]
 إِذَا افْتَقَرْتُ نَفْسِي قَصَرْتُ افْتِقَارَهَا عَلَيْهَا فَلَمْ يَظْفِرْ لَهَا أَبَدًا فَقَرِي
 وَإِنْ تَلَقَّنِي فِي الدَّهْرِ مَدُوحَةُ الْغِنَى يَكُنْ لِأَخْلَائِي التَّوَسُّعُ فِي الْيَسْرِ¹
 فَلَا الْعَسْرُ يُزِرُّنِي إِذَا هُوَ نَالَنِي وَلَا الْيَسْرُ يَوْمًا إِنْ ظَفَرْتُ بِهِ فَخَرِي
 وهذا الشعر الذي غنى به ، أعني قوله :
 [من الطويل]

وعين الرضا عن كل عيب كليله

يقوله ابن معاوية للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان الحسين أيضاً سيء المذهب مطعوناً في دينه .
 [شعره في الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس]

أخبرني أَحْمَد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثني عليّ بن محمد بن سليمان النوفليّ قال حدثني إبراهيم بن يزيد الخشاب قال : كان ابن معاوية صديقاً للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان حسين هذا وعبد الله بن معاوية يُرْمَيَان بالزندقة . فقال الناس : إنّما تصافيا على ذلك ، ثم دخل بينهما شيء من الأشياء فتهاجرا من أجله ، فقال عبد الله بن معاوية :
 [من الطويل]

وإنّ حسينا كان شيئاً ملففاً فمحصه التكشيف حتى بدا ليا
 وعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدي المساويا

وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة فإن عرضت أيقنت أن لا أخا ليا
وله في الحسين أشعارٌ كلها معاتبات ، فمنها ما أخبرني به أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة .
قال : أنشدني يحيى بن الحسن لعبد الله بن معاوية ؛ يقوله في الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن
العبّاس بن عبد المطلّب :

قل لذي الودّ والصفاء حسينٍ أقدر الودّ بيننا قدرة
ليس للدباغ المقرّظ بُدّ من عتاب الأديم ذي البشارة¹
قال وقال له أيضاً :

إن ابن عمك وابن أم لك معلّم شاكي السلاح²
يَقْصُ العدوّ وليس ير ضي حين يَطِشُ بالجنّاح³
لا تحسبن أذى ابن عمّ لك شرب ألبان اللقاح⁴
بل كالشجا تحت اللهاة إذا يُسَوِّغُ بالقراح⁵
[فانظر لنفسك من يجي بك تحت أطراف الرماح]
مَن لا يزال يسوءه بالغيب أن يلحاك لاحي⁶

[خبره مع جدّه عبد الحميد بن عبيد الله]

أخبرني الحرّميّ والطوسيّ قالّا حدّثنا الزبير وحدّثني أحمد بن محمد بن سعيد قال حدّثنا
يحيى بن الحسن قال حدّثنا الزبير قال حدّثني محمد بن يحيى : أن عبد الله بن معاوية مرّ بجدّه
عبد الحميد في مزرعته بصّرام وقد عطش فاستسقاها ، فخاض⁷ له سويق لوز فسقاها إيّاه ، فقال
عبد الله بن معاوية :

شربت طبرزداً بغريض مزن كذوب الثلج خالطه الرضاب⁸
قال يحيى قال الزبير : الرضاب ماء المسك ، ورضاب كلّ شيء : ماؤه . فقال عبد الحميد بن

1 قرظ الأديم : دبغه بالقرظ . ضمن البيت المثل «إنما يعاتب الأديم ذو البشرة» والمعاتبة هنا : المعاودة .

2 أعلم الفارس : جعل لنفسه علامة الشجعان .

3 وقصه : كسره ودقه .

4 اللقاح : جمع لقحة ، وهو الناقة الحلوب .

5 الشجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه ، واللهاة : اللحمية المشرفة على الحلق .

6 لحاه : لأمه .

7 خاض : خلط ، والسويق : ما يعمل من الحنطة والشعير .

8 الطبرزد : السكر . والغريض : ماء المطر .

عبيد الله يجيبُ عبدَ الله بن معاوية على قوله : [من الوافر]

ما إن ماوئنا بغريض مُزَن
ولكنّ المِلاح بكم عذابُ
وما إن بالطبرزد طاب لكن
بمَسْكٍ لا به طاب الشرابُ
وأنتَ إذا وطئت تراب أرضٍ
يطيب إذا مشيتَ بها الترابُ
لأنّ نذاك يُطفي المحل عنها
وتُحييها أياديكَ الرُّطابُ

[تغنى إبراهيم الموصلي في شعره]

قال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده إبراهيم الموصلي قال : بينا نحن عند الرشيد أنا وابن جامع وعمرو الغزال إذ قال صاحب الستارة لابن جامع : تغنى في شعر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، قال : ولم يكن ابن جامع يغني في شيء منه ، وفطنت لما أراد من شعره ، وكنت قد تقدمت فيه ، فأرتج على ابن جامع ، فلمّا رأيت ما حلّ به اندفعت فغنيّت :

صوت

يهيمُ بجُملي وما إن يرى له من سبيل إلى جُملي
كأن لم يكن عاشق قبله وقد عشق الناس من قبله
فمنهم من الحب أودى به ومنهم من اشفى على قلبه

فإذا يد قد رفعت الستارة ، فنظر إليّ وقال : أحسنت والله ؛ أعد ، فأعدته فقال : أحسنت ! حتى فعل ذلك ثلاث مرّات ، ثم قال لصاحب الستارة كلاماً لم أفهمه ، فدعا صاحب الستارة غلاماً فكلمه ، فمرّ الغلام يسعى فإذا بذرة دنانير قد جاءت يحملها فراش ، فوضعت تحت فخذي اليسرى وقيل لي : اجعلها تُكأتك ، قال : فلمّا انصرفنا قال لي ابن جامع : هل كنت وضعت لهذا الشعر غناء قبل هذا الوقت ؟ فقلت : ما شعر قيل في الجاهلية ولا الإسلام يدخل فيه الغناء إلّا وقد وضعت له لحناً خوفاً من أن ينزل بي ما نزل بك . فلمّا كان المجلس الثاني وحضرناه قال صاحب الستارة : يا ابن جامع ، تغنى في شعر عبد الله بن معاوية ، فوقع في مثل الذي وقع فيه بالأمس ، قال إبراهيم : فلمّا رأيت ما حلّ به اندفعت فغنيّت :

صوت

يا قوم كيف سواغ عي ش ليس تؤمن فاجعته

ليست تزالُ مطْلَّةٌ تغدو عليكِ منْعِصَاتُهُ
الموت هولٌ داخلٌ يوماً على كَرْهِ أُنَاتُهُ
لا بدّ للحدِّيرِ النَّفْوِ رِ مَنْ أَنْ تَقْنَصَهُ رُمَاتُهُ
قد أُمْنِحَ الوَدَّ الخَلِيهِ لَ بغير ما شيء رزَاتُهُ¹
وله أقيمُ قنَاةً ودّ ي ما استقامت لي قنَاتُهُ

قال : فأومأ إليّ صاحب الستارة أن أمسك ، ووضع يده على عينه كأنه يومئ إلى أنه يبكي ، قال : فأمسكت ثم انصرفنا ، فقال لي ابن جامع : ما صبَّ أمير المؤمنين على ابن جعفر ؟ قلتُ : صبه الله عليه لبدرِ الدنانير التي أخذتها . قال : ثم حضر بعد ذلك ، فلما اطمأنّ بنا مجلسنا قال ابن جامع بكلام خفيّ : اللهم أنسه ذكر ابن جعفر ، قال فقلت : اللهم لا تستجب ، فقال صاحب الستارة : يا ابن جامع تَغَنَّ في شعر عبد الله بن معاوية ، قال : فقال ابن جامع : لو كان عندهم في عبد الله بن معاوية خيرٌ لطار مع أبيه² ولم يُقبل على الشعر ، قال إبراهيم : فسمعنا ضحكة من وراء الستارة . قال إبراهيم : فاندفعت أغني في شعره :

[من المتقارب]

صوت

سلا ربّة الخدِري ما شأنها ومن أيّما شأنيّا تعجبُ
فلستُ بأوّل مَنْ فاته على إرْبِهِ بعضُ ما يَطْلُبُ³
وكائن تعرّضَ مَنْ خاطبَ فزوّجَ غيرَ التي يخطُبُ
وأثكحها بعده غيرُهُ وكانت له قبله تُحجَبُ
وكنا حديثاً صَفِيّين لا نخاف الوشاة وما سَبَّوا
فإن شطّطَ الدّار عَنّا بها فبانت وفي الناس مُسْتَعْتَبُ⁴
وأصبح صدغُ الذي بيننا كصدع الزجاجة ما يُشْعَبُ⁵

1 أصله رزاته .

2 يريد جدّه جعفر بن أبي طالب .

3 الإارب : العقل والدهاء .

4 وفي الناس : في ل : وفي القلب .

5 يشعب : يصلح .

وكالدَّرَّ ليست له رجعة إلى الضَّرْع من بعدما يُحَلَبُ

غنى في البيتين الأولين إبراهيم الموصلي خفيف ثقیل الأول بالوسطى من رواية أحمد بن يحيى المكي ووجدتهما في بعض الكتب خفيف رمل غير منسوب . قال : فقال لي صاحب الستارة : أعد فأعدته ، فأحسب أمير المؤمنين نظر إلى ابن جامع كاسف البال ، فأمر له بمثل الذي أمر لي بالأمس ، وجاءوني ببدة دنانير فوضعت تحت فخذي اليسرى أيضاً ، وكان ابن جامع فيه حسد ما يستتر منه ، فلما انصرفنا قال : اللهم أرحنا من ابن جعفر هذا ، فما أشد بغضي له ، لقد بغض إلي جدّه ، فقلت : ويحك ؛ تدري ما تقول ! قال : فمن يدري ما يقول ؟ إذا لوددت أنني لم أر إقباله عليك وعلى غنائك في شعر هذا البغيض ابن البغيضة ، وأني تصدقت بها ، يعني البدة .

وهذا الصوت الأخير يقول شعره عبد الله بن معاوية في زوجته أم زيد بنت زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام .

[شمنت به امرأته حين تزوج امرأة أخرى]

أخبرني الطوسي والحزمي قالاً حدثنا الزبير بن بكار عن عمه قال : خطب عبد الله بن معاوية ربيعة بنت محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن جعفر ، وخطبها بكار بن عبد الملك بن مروان ، فتزوجت بكاراً ، فشمنت بعبد الله امرأته أم زيد بنت زيد بن علي بن الحسين ، فقال في ذلك :

سلا ربة الخدر ما شأنها ومن أيما شأننا تعجب

فقال ابن أبي خيثمة في خبره عن مصعب قالت له : والله ما شمت ولكنني نفست¹ عليك ، فقال لها : لا جرم ؛ والله لا سوتك أبداً ما حييت :

[من الكامل]

صوت

طاف الخيال من أم شيبه فاعترى والقوم من سنية نشاوى بالكرى²

طافت بخصوص كالقسي وفتية هجعوا قليلاً بعد ما ملؤا السرى³

الشعر لأبي وجزة السعدي ، والغناء لإسحاق ، ثقیل أول بالنصر .

1 نفس عليه بخير : حسده .

2 نشاوى : جمع نشوان .

3 الخصوص : جمع أخصوص وهو الغائر العينين .

[222] - أخبار أبي وجزة¹ ونسبه

[نسبه]

اسمه يزيد بن عبيد فيما ذكره أصحاب الحديث . وذكر بعض النسائين أن اسمه يزيد بن أبي عبيد ، وأنه كان له أخ يقال له عبيد ، وانتسب إلى بني سعد بن بكر بن هوازن لولائه فيهم . [سليمان دخل مع أبيه في بني سعد]

وأصله من سليم من بني ضبيس بن هلال بن قدام بن ظفر بن الحارث بن بهثة بن سليم ؛ ولكنه لحق أباه وهو صبي سياء في الجاهلية ، فبيع بسوق ذي المجاز ، فابتاعه رجل من بني سعد ، واستعبده ، فلما كبر استعدي عمر رضي الله عنه وأعلمه قصته ، فقال له : إنه لا سياء على عربي ، وهذا الرجل قد امتن عليك فإن شئت فأقيم عنده ، وإن شئت فالحق بقومك ، فأقام في بني سعد وانتسب إليهم هو وولده .

[كان بنو سعد أظار رسول الله ﷺ]

وينو سعد أظار² رسول الله ﷺ ، كان مسترضعاً فيهم عند امرأة يقال لها حليلة ، فلم يزل فيهم عليه السلام حتى يفع ، ثم أخذه جده عبد المطلب منهم فردّه إلى مكة ، وجاءته حليلة بعد الهجرة ، فأكرمها وبرّها ووسط لها رداءه فجلست عليه . وينو سعد تفتخر بذلك على سائر هوازن ، وحقيق بكل مكرمة وفخر من اتصل منه رسول الله ﷺ بأدنى سبب أو وسيلة .

[أثر أبوه الانتساب إلى بني سعد]

أخبرني بخبره الذي حكيتُ جملاً منه في نسبه وولائه أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكي قال حدثنا محمد بن سلام الجمحي عن يونس . وأخبرني أبو خليفة فيما كتب به إليّ عن محمد بن سلام عن يونس وأخبرني به عمي عن الكرائي عن الرياشي عن محمد بن سلام عن يونس وأخبرني علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري عن يعقوب بن السكيت قالوا جميعاً سوى يعقوب .

كان عبيد أبو أبي وجزة السعدي عبداً بيع بسوق ذي المجاز في الجاهلية فابتاعه وهيب بن خالد بن عامر بن عمير بن ملان بن ناصرة بن فضة بن نصر بن سعد بن بكر بن

1 انظر أخباره في الشعر والشعراء : 2 : 702-703 والتاريخ الكبير للبخاري 348/214 ، والتهذيب 12 :

349 ، والخزانة 2 : 147-150 .

2 أظار : جمع ظر وهي العاطفة على ولد غيرها المرضعة له .

هوازن ، فأقام عنده زماناً يرعى إبله ، ثم إنَّ عبيداً ضرب ضَرْعَ ناقةٍ لمولاه فأدماه ، فلطم وجهه ، فخرج عبيداً إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مستعداً فلما قديم عليه قال : يا أمير المؤمنين ، أنا رجلٌ من بني سليمٍ ، ثم من بني ظَفَرٍ أصابني سياءٌ في الجاهلية كما يصيب العرب بعضُها من بعض ، وأنا معروفُ النسب ، وقد كان رجلٌ من بني سعد ابتاعني ، فأساء إليَّ وضرب وجهي ، وقد بلغني أنَّه لا سياء في الإسلام ، ولا رِقٌّ على عربيٍّ في الإسلام . فَمَا فَرَعَ مِنْ كَلَامِهِ حَتَّى أَتَى مَوْلَاهُ عَمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله تعالى عنه على أثره ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا غلامٌ ابتعتهُ بذي المجاز ، وقد كان يقومُ في مالي ، فأساء فضربته ضربةً والله ما أعلمني ضربتهُ غيرها قط ، وإنَّ الرجلَ ليضرب ابنه أشدَّ منها فكيف بعبده ، وأنا أشهدك أنَّه حرٌّ لوجه الله تعالى ، فقال عمر لعبيد : قد امتنَّ عليك هذا الرجل ، وقطع عنك مؤنة البينة ، فإنَّ أحببت فأقم معه ، فله عليك مِنَّة ، وإنَّ أحببت فالحق بقومك ، فأقام مع السعديِّ وانتسب إلى بني سعدٍ بن بكر بن هوازن ، وتزوج زينبَ بنتَ عُرْفُطَةَ الْمُزَنِّيَّة ، فولدت له أبا وجزة وأخاه ، وقال يعقوب : «وأخاه عبيداً» وذكر أنَّ أباهما كان يقال له أبو عبيد ، ووافق من ذكرتُ روايته في سائر الخبر ، فلما بلغ ابنه طالباً بأنَّ يلحق بأصله وينتمي إلى قومه من بني سليم ، فقال : لا أفعلُ ولا ألحقُ بهم فيعيروني كلَّ يوم ويدفعوني ، وأترك قوماً يُكرمونني ويشرفوني ، فوالله لئن ذهبتُ إلى بني ظَفَرٍ لا أَرعى طُمَّةً ، ولا أَرِدُ جَمَّةً ، إلَّا قالوا لي : يا عبدَ بني سعدٍ قال : وطُمَّةٌ : جبل لهم . فقال أبو وجزة في ذلك :

أَتَمِي فَأَعْقِلُ فِي ضَبِيسٍ مَعْقِلًا ضَخْمًا مَنَاكِهَ تَمِيمٍ الْهَادِي¹
وَالْعَقْدُ فِي مَلَانٍ غَيْرِ مُزْلَجٍ بِقُوَى مَتِينَاتِ الْحِبَالِ شِدَادٍ²

[كان من التابعين وروى عن جماعة من الصحابة]

وكان أبو وجزة من التابعين ، وقد روى عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ، ورأى عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله تعالى عنه ، ولم يسند إليه حديثاً ؛ ولكنه حدث عن أبيه عنه بحديث الاستسقاء ، ونقل عنه جماعة من الرواة .

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ وعميُّ قالا حدثنا عبد الله بن شبيبٍ قال حدثني إبراهيم بن حمزة قال حدثني موسى بن شيبَةَ قال : سمعتُ أبا وجزة السعديَّ يقول قال رسول الله ﷺ : «ليس شعرُ حسانَ بن ثابت ولا كعب بن مالك ولا عبد الله بن رَوَاحَةَ شعراً ، ولكنه حكمة» .

1 أعقل : لجأ إلى معقل ، والهادي : التميم ، التام والشديد .

2 المزلاج : كل ما لم تبلغ فيه ولم تحكمه .

فأما خبر الاستسقاء الذي رواه عن أبيه عن عمر فإن الحسن بن علي أخبرنا به قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثني عبد الله بن عمرو عن علي بن الصباح عن هشام بن محمد عن أبيه عن أبي وجزة السعدي عن أبيه قال : شهدت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وقد خرج بالناس ليستسقي عام الرمادة ؛ فقام وقام الناس خلفه ، فجعل يستغفر الله رافعاً صوته لا يزيد على ذلك ، فقلت في نفسي : ما له لا يأخذ فيما جاء له ؛ ولم أعلم أن الاستسقاء هو الاستسقاء فما برحنا حتى نشأت سحابة وأظلتنا ، فسقي الناس ، وقلدتنا¹ السماء قلدًا ، كل خمس عشرة ليلة ، حتى رأيت الأرينة² تأكلها صغار الإبل من وراء حقائق العرُفط³ .

[مات سنة ثلاثين ومائة]

وأخبرني أبو الحسن الأسدي وهاشم بن محمد الخزاعي جميعاً عن الرياشي عن الأصمعي عن عبد الله بن عمر العمرّي عن أبي وجزة السعدي عن أبيه ، وذكر الحديث مثله . وأخبرني به إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، واللفظ متقارب وزاد الرياشي في خبره : فقلت لأبي وجزة : ما حقائق العرُفط ؟ قال : نبات سنتين وثلاث . وزاد ابن قتيبة في خبره عليهم قال : ومات أبو وجزة سنة ثلاثين ومائة .

[هو أحد من شب بعجوز]

وهو أحد من شب بعجوز حيث يقول :

يا أيها الرجل الموكّل بالصبا	فيم ابن سبعين المعمر من دد ⁴ ؟
حتم أنت موكلٌ بقدمة	أمت تجدد كاليماني الجيد
زان الجلال كمالها ورسا بها	عقل وفاضلة وشيمة سيد ⁵
ضنت بنائلها عليك وأتتما	غران في طلب الشباب الأغيد ⁶
فالآن ترجو أن تُثيبك نائلاً	هيهات ؛ نائلها مكان الفرقد ⁷

1 قلدتنا : مطرتنا .

2 الأرينة : نبت عريض الورق .

3 العرُفط : شجر العضاء ، وحقاق العرُفط : صغارها وشوابها ؛ تشبيهاً بحقاق الإبل ، والحق : البعير إذا استكمل السنة الثالثة ودخل في الرابعة ، والأثنى حقة .

4 الدد : اللهب واللعب .

5 زان : في الشعر والشعراء 703/2 : شب .

6 غران : في الشعر والشعراء 703/2 : إلفان .

7 فالآن : في الشعر والشعراء 703/2 : أفلان ، وأيضاً هيهات : أيها .

[روى عن أبيه صورة استسقاء عمر]

وأخبرنا الحرّميّ بن أبي العلاء والطوسيّ جميعاً قالا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن الحسن المخزوميّ عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه عن أبي وجزة السعديّ عن أبيه قال : استسقى عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه ، فلمّا وقف على المنبر أخذ في الاستغفار ، فقلت : ما أراه يعمل في حاجته ! ثم قال في آخر كلامه : اللهمّ إني قد عجزتُ وما عندك أوسعُ لهم . ثم أخذ بيد العباس رضي الله تعالى عنه ، ثم قال : وهذا عمّ نبيّك ، ونحن نتوسّل إليك به . فلمّا أراد عمر رضي الله تعالى عنه أن ينزل قلب رداءه ، ثم نزل فترأى الناس طُرّة¹ في مغرب الشمس ، فقالوا : ما هذا ! وما رأينا قبل ذلك قرعة² سحاب أربع سنين ؟ قال : ثم سيعنا الرعد ، ثم انتشر ، ثم اضطرب ، فكان المطر يقلدنا قلداً في كلّ خمس عشرة ليلة ، حتى رأيت الأريئة خارجة من حِقاق العُرْفُط تأكلها صغار الإبل .

[مدح بني الزبير فأكرموه]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي عن جدّي قال : خرج أبو وجزة السعديّ وأبو زيد الأسلميّ يريدان المدينة ، وقد امتدح أبو وجزة آل الزبير ، وامتدح أبو زيد إبراهيم بن هشام المخزوميّ ، فقال له أبو وجزة : هل لك في أن أشاركك فيما أُصيب من آل الزبير ، وتشاركني فيما تصيب من إبراهيم ؟ فقال : كلا والله ، لرجائي في الأمير أعظم من رجائك في آل الزبير . فقدمّا المدينة ، فأتى أبو زيد دار إبراهيم ، فدخلها وأنشد الشعر وصاح وجلب ، فقال إبراهيم لبعض أصحابه : اخرج إلى هذا الأعرابيّ الجلف فاضربه وأخرجه ، فأخرج وضرب . وأتى أبو حمزة أصحابه فمدحهم وأنشدهم ، فكتبوا له إلى مال لهم بالفرع³ أن يعطى منه ستين وسقاً⁴ من التمر ، فقال أبو وجزة يمدحهم : [من البسيط]

راحت قُلُوصي رواحاً وهي حامدة	آل الزبير ولم تعدل بهم أحدا
راحت بستين وسقاً في حقيبتها	ما حُمِلت حِمْلها الأدنى ولا السدّاء ⁵
ذاك القرى لا كأقوامٍ عهدتهم	يَقْرُون ضيفهم الملوّنة الجددا

يعني السياط .

1 الطرة : الطريقة من السحاب .

2 القرعة : القطعة من السحاب .

3 الفرع : قرية من نواحي الريدة بينها وبين المدينة أربع ليالٍ على طريق مكة .

4 الوسق : حمل البعير .

5 السدد : الوقف .

قال أبو الفرج الأصفهاني : قول أبي وجزة :

راحت بستين وسقا في حقيبتها
أنتها حملت ستين وسقا ولا تحمل ناقة ذلك ولا تطيقه ولا نصفه ، وإنما عني أنه
انصرف عنهم وقد كتبوا له بستين وسقا فركب ناقته والكتاب معه بذلك قد حملته في
حقيبتها ، فكانها حاملة بالكتاب ستين وسقا ، لا أنها أطاقت حمل ذلك . وهذا بيت
معنى يسأل عنه .

[أحسن عمرو بن زياد جواره فمدحه]

وقال يعقوب بن السكيت فيما حكيناه من روايته التي ذكرها الأخفش لنا عن السكري
في شعر أبي وجزة وأخباره : كان أبو وجزة قد جاور مزيئة ، وانتجع بلادهم لصهره فيهم ،
فنزل على عمرو بن زياد بن سهيل بن مكدّم بن عقيل بن وهب بن عمرو بن مرة بن مازن بن
عوف بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان ، فأحسن عمرو جواره وأكرم مثواه ، فقال أبو
وجزة يمدحه :

لمن دمنة بالنعف عاف صعيدها	تغير باقيها ومحّ جديدها ¹
لسعدة من عام الهزيمة إذ بنا	تصافٍ وإذ لما يرعنا صدودها
وإذا هي أمّا نفسها فأريه	للّهو ، وأمّا عن صيا فتذودها ²
تصيّد ألباب الرجال بذلكها	وشيمتها وحشيّة لا نصيدها
كباسقه الوسمي ساعة أسبلت	تلاّ فيها البرق وايض جديدها ³

الباسقة : التي فضلت غيرها من الغمام وطالت عليه ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ والنخل

باسقات ﴾ :

كبكر تراني فرقدين بقفرة	من الرمل أو فيحان لم يعس عودها ⁴
لعمرو الندى عمرو بن آل مكدّم	[كثير عليّات الأمور جليدها]
[فتى بين مسروج وآل مكدّم]	وعمرّو فتى عثمان طراً وسيدها ⁵

1 النعف : موضع ، وأصله ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادي . مخ : يلي .

2 فأريه : في ل : فأنيّة .

3 الوسمي : مطر الربيع الأول . أسبلت : أمطرت .

4 بقرة بكر : فتية . تراني : من الرنوّ . الفرقد ولد البقرة . فيحان : اسم أرض . عسا : يس و صلب .

5 السيد : الأسد .

حليم إذا ما الجهلُ أفرط ذا النهي على أمره ، حامى الحصاة شديدها¹
وما زال ينحو فعل مَنْ كان قبله من آبائه يَجْنى العلا ويُفيدها
فكم من خليلٍ قد وصلتَ وطارقٍ وقَرَّبْتَ مِنْ أدماءٍ وارٍ قصيدها²
وذِي كربةٍ فَرَجْتَ كُرْبَةً هَمَّ وقد ظلَّ مُسْتَدًّا عليه وصيدها³

[تزوج زينب بنت عرفة]

أخبرني عمِّي قال حَدَّثَنِي العَنَزِيُّ قال حَدَّثَنَا محمد بن معاوية عن يعقوب بن سلام بن عبد الله بن أبي مسروق قال : تزوج أبو وجزة السعديُّ زينب بنت عُرْفُطَةَ بن سهل بن مَكْدَمَ المزنيَّة فولدت له عُبيدًا وكانت قد عُنِست ، وكان أبو وجزة يُبَغِضُها ، وإنَّما أقام عليها لشرفها ، فقال لها ذات يوم :

أعطى عُبيدًا وعبيدًا مَقْنَعُ من عِرمسٍ مَحْزُمُها جَلَنَفُ⁴
ذاتِ عِساسٍ ما تكاد تَشْبَعُ تجتلدُ الصَّحْنَ وما إنَّ تَبْضَعُ⁵
تَمَرَّ في الدَّارِ ولا تَوَرَّعُ كأنَّها فيهِم شجاعٌ أقرعُ

[من الرجز]

فقلت زينب أم وجزة تجيبه :

أعطى عُبيدًا من شَيْخٍ ذِي عَجَرٍ لا حَسَنَ الوجه ولا سَمَحَ يَسَرُ⁶
يشرب عُسَّ المَذْق في اليوم الخَصير كأنَّما يقذف في ذات السُّعُرِ⁷
تقاذف السَّيلَ من الشَّعْبِ المَضِرِّ⁸

[قال في ابنه عبيد رجزاً فأجابه برجز]

قال : وقال أبو وجزة لابنه عُبيد :
يا راكب الغنسِ كمرداة العَلَمِ أصلحك الله وأدنى ورحم⁹

[من الرجز]

- 1 أفرط في ل : أفرد وأفراطه : أعجله ، والحصاة : العقل .
- 2 ناقة أدماء : بيضاء سوداء المقلتين . وار : سمين . القصيد : سنام البعير إذا سمين .
- 3 الوصيد : فناء الدار .
- 4 العرمس : الناقة الصلبة الشديدة . الحزم : ما وضع عليه الحزام ، يعني البطن . جلنفع : واسعة البطن .
- 5 عساس : جمع عُس ، وهو القدح الضخم . اجتلد الإناء : شرب كل ما فيه . والصحن : العس العظيم . بضع من الماء وبه : روي وامتلأ .
- 6 العَجَر : عظم البطن .
- 7 السُّعُر : حرَّ النَّار .
- 8 المَضِرَّ : القريب الداني يقال : سحاب مضرّ : مسف .
- 9 المرداة : الحجر الثقيل .

إن أنت أبلغت وأدّيت الكلام
 قد علم الأقوام أن سينتقم
 عني عبيد بن يزيد لو علم
 رب يجازي السيئات من ظلم
 منك ومن أم تلقتك وعم
 عاد أبي شيلين فرفار لجم
 أنذرتك الشدة من ليث أضيم¹
 فارجع إلى أمك تفرشك ونم²
 واطعم فإن الله رزاق الطعم³
 إلى عجوز رأسها مثل الإرم
 فقال عبيد لأبيه :

دعها أبا وجزة واقعد في الغنم
 مشمر يرقل في نعل خذم
 فسوف يكفيك غلام كالزلم
 قد ولّيت آلافها غير لمم
 وفي قفاه لقمة من اللقم⁴
 حتى تناهت في قفا جعد أحم⁵
 [هجاه أبو المزاحم وغيره بنسبه]

قال يعقوب : وقال أبو المزاحم يهجو أبا وجزة ويعيره بنسبه :
 [من الطويل]
 دعتك سليم عبدها فأجبتها
 وسعد ، وما ندري لأيهما العبد ؟
 فأجابه أبو وجزة فقال :
 [من الطويل]

أعيرتموني أن دعنتي أناهم
 فكنت وسيطاً في سليم معاقداً
 سليم وأعطتني بأيمانها سعد
 لسعد ، وسعد ما يحل لها عقد⁶
 [مدح عبد الله بن الحسن وإخوته]

أخبرني أبو جعفر أحمد بن محمد بن نصر الضبعي إجازة قال حدثنا محمد بن مسعود الزرقي
 عن مسعود بن الفضل مولى آل حسن بن حسن قال : قديم أبو وجزة السعدي على عبد الله بن
 الحسن وإخوته سويقة⁷ ، وقد أصابت قومه سنة مجدية ، فأنشده قوله يمدحه : [من البسيط]
 أثني على أبنّي رسول الله أفضل ما
 أثني به أحد يوماً على أحد

- 1 الشدة : الحملة . أضيم : غضوب .
- 2 فرفار ، يفرفر كل شيء ، أي يكسره . أفرشه ، فرش له .
- 3 الإرم : الحجارة .
- 4 خذم : مقطّع .
- 5 ولّيت : أحزنت وحيرت . اللقم : الجنون . الجعد : البخل اللثيم . الأحم : الأسود .
- 6 الوسيط : الحسيب في قومه .
- 7 سويقة : موضع قرب المدينة كان يسكنه آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

السيد بن الكريمي كلُّ مُنْصَرَفٍ من والدين ومن صهرٍ ومن ولدٍ
 ذريةٌ بعضها من بعضها عَمِرَتْ في أصل مجد رفيع السَّمَكِ والعَمَدِ
 ماذا بنى لهم من صالحٍ حسنٌ وحَسَنٌ وعليّ وابتَنَوْا لَعَدِ
 فكَرَّم الله ذاك البيتَ تَكْرِمَةً تَبَقَى وتخلد فيه آخر الأبدِ
 هم السَّدى والنَّدَى ، ما في قناتهم إذا تعَوَّجت العيدانُ من أودٍ¹
 مهذبون هِجَانٌ أُمّهَاتُهُم إذا نُسين زَلالُ البارقِ البردِ²
 بين الفواطم ماذا ثَمَّ من كرمٍ إلى العواتك مجد غير مُنْقَدٍ³
 ما ينتهي المجد إلّا في بني حسن وما لهم دونه من دارٍ مُلتَحَدٍ⁴

قال : فأمر له عبد الله بن الحسن وحسن وإبراهيم بمائة وخمسين ديناراً وأوقروا⁵ له رواحله بُراً وتمراً ، وكسوه ثوبين ثوبين .

[فرض له عبد الملك بن يزيد السعديّ عطاء ونسبه لحرب أبي حمزة الشاري]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيُّ قال حَدَّثَنَا عمر بن شُبَّة قال حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ والمدائنيُّ جميعاً : أنَّ عبد الملك بن يزيد بن محمد بن عطية السعديّ كان قد نُدب لقتال أبي حمزة الأزديّ الشاري لما جاء إلى المدينة فغلب عليها ، قال : وبعث إليه مروان بن محمد بمال ، ففرقه فيمن خفّ معه من قومه ، فكان فيمن فُرِضَ [له] منهم أبو وجزة وابناه ، فخرج معترضاً للعسكر على فرس ، وهو يرتجز ويقول :

قُلْ لأبي حمزة هَيْدٍ هَيْدٍ جئناك بالعاديّة الصُنْدِيدِ
 بالبطل القَرَمِ أبي الوليد فارسٍ قيسٍ نَجِدُهَا المَعْدُودِ
 في خيل قيسٍ والكُماة الصَّيْدِ كالسيفِ قد سُلَّ من الغُموْدِ
 محضٍ هِجَانٍ ماجدٍ الجدودِ في الفرعِ من قيسٍ وفي العمودِ
 فِدَى لعبد الملك الحميد ما لي من الطارفِ والتليدِ

1 السَّدى : المعروف .

2 هِجَان : كرام . البارق : السحاب ذو البرق . البرد : ذو البرد .

3 الفواطم : يقال للحسن والحسين أبناء الفواطم ، والعواتك جدّات النبي ﷺ .

4 الملتحداً : الملتجأ .

5 أوقر الدابة : حملها وقرأ ، وهو الحمل الثقيل .

يوم تَنَادَى الخيل بالصعيدِ كَأَنَّهُ فِي جُنِّ الحديدِ¹
 سيِّدٌ مُدِلٌّ عَزَّ كُلُّ سيِّدٍ

قال : وسار ابن عطية في قومه ، ولحقت به جيوش أهل الشام ، فلقى أبا حمزة في اثني عشر ألفاً ، فقاتله يوماً إلى الليل حتى أصاب صناديد عسكره ، فنادوه . يا ابن عطية ، إن الله جلَّ وعزَّ قد جعل الليل سكناً ، فاسكنوا حتى نسكن ، فأبى وقاتلهم حتى قتلهم جميعاً .
 [كان منقطعاً لابن عطية مداحاً له]

قال : وكان أبو وجزة منقطعاً إلى ابن عطية ، يقوم بقوت عياله وكسوته ويعطيه ويُفْضِلُ عليه ، وكان أبو وجزة مداحاً له ، وفيه يقول :

حَنَّ الفؤاد إلى سَعْدَى ولم تُثَبِّ فيم الكثير من التَّحْنان والطربِ
 قالت سعادُ أرى من شبيهه عجباً مهلاً سعادُ فما في الشيب من عجبِ
 غَنَى في هذين البيتين إسحاق خفيف ثَقِيلُ أول بالوسطى في مجراها من كتابه :
 إمَّا تَرِنِي كَسَانِي الدهرُ شِيبَتَهُ فإن ما مرَّ منه عنك لم يَغِبِ
 سَقِيًّا لَسَعْدَى على شيب أَلَمْ بَنَّا وقبل ذلك حين الرأسُ لم يَشِبِ
 كَأَنَّ رِيْقَتَهَا بعد الكرى اغْتَبَقَتْ صوبَ الثريا بماء الكَرَمِ من حَلَبِ
 وهي قصيدة طويلة يقول فيها :

أَهْدِي قِلَاصاً عَنَاجِيْجاً أَضُرَّ بِهَا نَصُّ الوجيف وتَقْهِيمٌ من العُقْبِ²
 يَقْصِدُنْ سَيِّدَ قَيْسٍ وابْنَ سَيِّدِهَا والفارسَ العِدَّ منها غيرَ ذِي الكَذِبِ³
 مُحَمَّدٌ وَأَبُوهُ وابْنُهُ صَنَعُوا له صَنَائِعٌ من مجد ومن حَسَبِ
 إِنِّي مَدَحْتَهُمْ لَمَّا رَأَيْتُ لَهُمْ فضلاً على غيرهم من سائر العربِ
 إِلَّا تُثَبِّبِي بِهِ لَا يَجْزِيَنِي أَحَدٌ وَمَنْ يُثَبِّبُ إِذَا مَا أَنْتَ لَمْ تُثَبِّ !
 والأبيات التي ذكرتُ فيها الغناء المذكورَ معه أمرُ أبي وجزة من قصيدة له مدح بها أيضاً عبدَ الملك بن عطية هذا . ومما يختار منها قوله :

[من الكامل]

- 1 جنن : جمع جنة ، وهي : كل ما وقى .
- 2 العناجيج هنا : الإبل جمع عُجَوج . نصَّ ناقته : استخرج أقصى ما عندها من السير . العقب : جمع عقبه وهي قدر فرسخين أو قدر ما تسيره .
- 3 العِدَّة هنا : الذي لا تنفذ شجاعته . من قولهم ماء عدٍ ، أي دائم لا تنفذ مادته .

حَتَّى إِذَا هَجَدُوا أَلَمَ خِيَالُهَا سَرًّا ، أَلَا يَلِمَامُهُ كَانَ الْمُنَى
طَرَقَتْ بَرِيًّا رَوْضَةً مِنْ عَالِجٍ وَسَمِيَّةٌ عَذُبَتْ وَبَيْتُهَا النَّدَى¹
يَا أُمَّ شَبِيَّةِ أَيَّ سَاعَةٍ مَطَرَقِ نَبَّهْتِنَا ، أَيْنَ الْمَدِينَةُ مِنْ بَدَا²
إِنِّي مَتَى أَقْضِ اللَّبَانَةَ أَجْتَهْدُ عَنَقَ الْعِتَاقِ النَّاجِيَاتِ عَلَى الْوَجَى
حَتَّى أَزُورَكَ إِنْ تيسَّرَ طَائِرِي وَسَلِمْتُ مِنْ رَيْبِ الْحَوَادِثِ وَالرَدَى
وفيها يقول :

فَلَا مَدْحَنَ بَنِي عَطِيَّةَ كُلَّهُمْ مَدْحًا يُوَافِي فِي الْمَوَاسِمِ وَالْقُرَى
الْأَكْرَمِينَ أَوَائِلًا وَأَوَاخِرًا وَالْأَحْلَمِينَ إِذَا تُخُولِجَتْ الْحُبَا³
وَالْمَانَعِينَ مِنَ الْمُضِيْمَةِ جَارَهُمُ وَالْجَامِعِينَ الرَّاقِعِينَ لِمَا وَهَى⁴
وَالْعَاطِفِينَ عَلَى الضَّرِيكِ بِفَضْلِهِمْ وَالسَّابِقِينَ إِلَى الْمَكَارِمِ مَنْ سَعَى⁵
وهي قصيدة طويلة يمدح فيها بني عطية جميعاً ويذكر وقعتهم بأبي حمزة الخارجي ،
ولا معنى للإطالة بذكرها .

[مدح عبد الله بن الحسن فغضب ابن الزبير فصالحه بشعر مدحه به]

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي لأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي
قال : كان أبو إسحاق وجزة السعدي منقطعاً إلى آل الزبير ، وكان عبد الله بن عروة بن الزبير
خاصةً يُفَضِّلُ عليه ويقوم بأمره ، فبلغه أن أبا وجزة أتى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن
أبي طالب عليهم السلام ، فمدحه فوصله ، فاطرحه ابن عروة ، وأمسك يده عنه فسأل عن
سبب غضبه فأخبره به الأصم بن أرتاة ، فلم يزل أبو وجزة يمدح آل الزبير ، ولا يرجع له عبد
الله بن عروة إلى ما كان عليه ولا يرضى عنه حتى قال فيه :

آلَ الزَّبِيرِ بَنَسُو حُرَّةَ مَرَّوْا بِالسُّيُوفِ صُدُورًا خَنَافًا⁶
سَلَّ الْجُرَدَ عَنْهُمْ وَأَيَّامَهَا إِذَا امْتَعَطُوا الْمُرْهَفَاتِ الْخَفَافَا

1 عالج : رملة بالبادية . وسمية : المطر الوسمي وهو مطر الربيع الأول .

2 بدا : موضع بالشام قرب وادي القرى .

3 تُخُولِجَتْ : تنوزعت . الحبا : جمع حبة .

4 المضيمية : الظلم والغضب .

5 الضريك : الزمن والضري والفقر السيء الحال .

6 مرى الدم : استخرجه وأساله . خناف : جمع خائف ، خنف بأنفه : شمع بأنفه من الكبير .

امْتَعَلُوا : سَلُّوا ، ومنه ذئبٌ أَمْعَطُ ، مُنْسَلٌّ من شعره :

[من المتقارب]

يَمُوتُونَ وَالْقَتْلُ دَاءٌ لَهُمْ وَيَصْلَوْنَ يَوْمَ السَّيْفِ السَّيْفَا
إِذَا فَرَجَ الْقَتْلُ عَنْ عِيصِهِمْ أَبِي ذَلِكَ الْعِيصُ إِلَّا التَّفَاتَا¹
مَطَاعِيَهُمْ تُحْمَدُ أَبْيَاتُهُمْ إِذَا قَنَّعَ الشَّاهِقَاتُ الطَّخَافَا²
وَأَجَبْنُ مِنْ صَافِرٍ كُلَّهُمْ إِذَا قَرَعَتْهُ حِصَاةٌ أَضَافَا³

فلما أنشد ابن عروة هذه الأبيات رضي عنه وعاد له إلى ما كان عليه .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

أَلَا هَلْ أَسِيرُ الْمَالِكِيَّةَ مُطْلَقُ فَقَدْ كَادَ لَوْ لَمْ يُعْفِهِ اللَّهُ يَغْلُقُ⁴
فَلَا هُوَ مَقْتُولٌ ، فِي الْقَتْلِ رَاحَةٌ وَلَا مُنْعَمٌ يَوْمًا عَلَيْهِ فَمُعْتَقُ
الشعر لعقيل بن علفة البيت الأول منه ، والثاني لشبيب بن البرصاء ، والغناء لأحمد بن
المكي ، خفيف ثقیل بالوسطى من كتابه ، وفيه لدقاق رملٌ بالوسطى من كتاب عمرو بن
بانة ، وأوله :

[من الطويل]

سَلَا أَمَّ عَمْرُو فِيمَ أَضْحَى أَسِيرُهَا يُفَادَى الْأَسَارَى حَوْلَهُ وَهُوَ مُوثِقُ
وبعده البيت الثاني وهو :

فَلَا هُوَ مَقْتُولٌ فِي الْقَتْلِ رَاحَةٌ وَلَا مُنْعَمٌ يَوْمًا عَلَيْهِ فَمُعْتَقُ
والبيتان على هذه الرواية لشبيب بن البرصاء .

1 العيص : الشجر الكثيف الملتف .

2 الطخاف : السحاب المرتفع .

3 الصافر : طائر يتعلّق من الشجر برجليه وينكس رأسه خوفاً من أن ينام فيؤخذ ، فيصفر منكوساً طول ليلته .
وأضاف : خاف وأشفق وحذر .

4 يغلق : من غلق الرهن : إذا بقي في يد المرتهن لا يقدر راهته على تخليصه .

[223] - أخبار عقيل بن علفة

[نسبه]

عَقِيل بن عُلْفَة بن الحارث بن معاوية بن ضياب بن جابر بن يربوع بن غَيْظ بن مرة بن سعد بن ذُبْيَان بن بَغِيض بن الرَّيْث بن غَطَفَان بن سعد بن قَيْس عَيْلَان بن مُضَر ، ويكنى أبا العَمَلَس وأبا الجَرَاء .

وَأُمُّ عَقِيل بن عُلْفَة العَوْرَاء ، وهي عَمْرَة بنتُ الحارث بن عوف بن أَبِي حارثة بن مُرَّة بن نَشْبَة بن غَيْظ بن مُرَّة . وأمَّها زَيْنُب بنتُ حَصْن بن حذيفة . هذا قولُ خالد بن كلثوم والمدائني . وقال ابنُ الأعرابي : كانت عَمْرَة العَوْرَاء أُمُّ عَقِيل بن عُلْفَة والبرصاء أُمُّ شبيب بن البرصاء أختين ، وهما ابنتا الحارث بن عوف . واسم البرصاء قُرْصافة ، أمَّها بنت نَجْبَة بن ربيعة بن رياح بن مالك بن شَمَخ .

[كان يعتد بنسبه وكانت قريش ترغب في مصاهرته]

وعَقِيل شاعر مُجيد مقلِّ ، من شعراء الدولة الأموية . وكان أعرج جافياً شديداً الهَوَج والعَجْرَفَة والبَذَخ¹ بنسبه في بني مُرَّة ، لا يرى أن له كَفْفاً . وهو في بيت شرف في قومه من كلا طرفيه . وكانت قريشُ ترغبُ في مصاهرته . تزوّج إليه خلفاؤها وأشرافها ، منهم يزيد بن عبد الملك ، تزوّج ابنته الجَرَاء ، وكانت قبله عند ابن عمِّ لِعَقِيل يقال له مطيعُ بن قُطْعَة بن الحارث بن معاوية . وولدت ليزيد بُنِيّاً دَرَج² . وتزوّج بنته عَمْرَة سَلَمَة بن عبد الله بن المغيرة ، فولدت له يعقوب بن سلمة ، وكان من أشراف قريش وجُودائها . وتزوّج أُمُّ عمرو بنته ثلاثة نفر من بني الحَكَم بن أبي العاص : يحيى والحارث وخالد .

[خطب إليه والي المدينة إحدى بناته فأنكر عليه]

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي عن المفضل قال : دخل عَقِيل بن عُلْفَة على عثمان بن حَيَّان وهو يومئذٍ على المدينة ، فقال له عثمان : زوّجني ابنتك ، فقال : أبكره من إيلي تعني ؟ فقال له عثمان : ويلك ! أمجنون أنت ؟ قال : أي شيء قلت لي ؟ قال : قلت لك : زوّجني ابنتك ، فقال : أفعل إن كنت عَنَيْتَ بَكْرَة من إيلي . فأمر به فَوُجِئَتْ³ عُنُقُه . فخرج وهو يقول :

[من الطويل]

1 البَذَخ : الكبر وتطاول الرجل بكلامه وافتخاره .

2 درج : مات .

3 وجَّاه باليد وبالسكين : ضربه .

كُنَّا بَنِي غَيْظِ الرِّجَالِ فَأَصْبَحْتُ بَنُو مَالِكٍ غَيْظًا وَصَرْنَا كَاللَّكِ
لَحَى اللَّهِ دَهْرًا دَعَدَعَ الْمَالَ كُلَّهُ وَسَوَّدَ أَشْبَاهَ الْإِمَاءِ الْعَوَارِكِ¹

[خطب إليه رجل من بني سلامان فكفّه وألقاه في قرية النمل]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال : كان لعقيل بن علفه جارٌّ من بني سلامان بن سعد ، فخطب إليه ابنته ، فغضب عقيل ، وأخذ السَّلاماني فكفَّه ، ودهن استه بشحم ، وألقاه في قرية² النمل ، فأكلن خُصْمِيَّه حتى ورم جسده ، ثم حلّه وقال : يخطب إليّ عبد الملك فأردّه ، وتجتري أنت عليّ ؟ قال : ثم أجدبت مراعي بني مرة ، فانتجع عقيل أرض جذام وقربهم عُذْرَة . قال عقيل : فجاءني هنيٌّ مثل البعرة ، فخطب إليّ ابنتي أم جعفر . فخرجت إلى أكمة قريبة من الحيّ ، فجعلت أنبح كما ينبح الكلب ، ثم تحملت وخرجت ، فاتبعني جمعٌ من حُنّ (بطن عُذْرَة) فقالوا : اختر ، إن شئت حبسناك ، وإن شئت حذرناك³ وبُعيرةً من رأس الجبل ، فإن سبقتها خلينا عنك . فأرسلوا بعيرة فسبقتها ، فخلّوا سبيلي ، فقلت لهم : ما طمعتم بهذا من أحد ! قالوا : أردنا أن نضع منك حيث رغبت عنا . فقلت فيهم :

لقد هزئت حُنّ بنا وتلاعبت وما لعبت حُنّ بذي حسب قبلي
رويداً بني حُنّ تسيحوا وتأمّنوا وتنتشر الأنعام في بلد سهل
والله لأموتنّ قبل أن أضع كرائمي إلّا في الأكفاء .

[خرج إلى الشام مع أولاده ثم عادوا منها فقال شعراً أجاز به ابنه وابنته]

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن الضحّاك عن أبيه قال : وجدت في كتاب بخط الضحّاك قال : خرج عقيل بن علفه وابناه : علفه وجثامة ، وابنته العجباء حتى أتوا بنتاً له ناكحاً في بني مروان بالشام فآمت⁴ . ثم إنهم قفلوا بها حتى كانوا ببعض الطريق ، فقال عقيل بن علفه :

قضت وطراً من دير سعدٍ وطالما على عُرضٍ ناطحنه بالجماجم⁵

1 ذدع الحال : فرقه وبذده . والعوارك : الحيض .

2 قرية النمل : مجتمع ترائبها .

3 حذرناك ، من الحذر : وهو الخط من علو إلى سفلى .

4 آمت المرأة : فقدت زوجها .

5 دير سعد : بين بلاد غطفان والشام .

إذا هبطت أرضاً يموت غرائها بها عطشاً أعطيتهم بالخزائم¹
ثم قال : أنفذ يا علفه ، فقال علفه :

فأصبحن بالمومة يحملن فتية² نشاوى من الإدلاج ميل العمائم³
إذا علم غادرته بتنوفة تذارعن بالأيدي لآخر طاسم³
ثم قال : أنفذ يا جرباء ، فقالت : وأنا آمنة ؟ قال نعم . فقالت :
كأن الكرى سقامهم صرخدية⁴ عقاراً تمشى في المطا والقوائم⁴

فقال عقيل : شربتها ورب الكعبة ؛ لولا الأمان لضربت بالسيف تحت قرطك ، أما وجدت من الكلام غير هذا ؟ فقال جثامة : وهي أساءت ! إنما أجازت . وليس غيري وغيرك . فرماه عقيل بسهم فأصاب ساقه وأنفذ السهم ساقه والرحل ، ثم شد على الجرباء فعقر ناقتها ثم حملها على ناقة جثامة وتركه عقيراً مع ناقة الجرباء . ثم قال : لولا أن تسبني بنو مرة ما ذقت الحياة . ثم خرج متوجهاً إلى أهله وقال : لكن أخبرت أهلك بشأن جثامة ، أو قلت لهم إنه أصابه غير الطاعون لأقتلنك . فلما قدموا على أهل أبيير (وهم بنو القين) نديم عقيل على فعله بجثامة . فقال لهم : هل لكم في جزور انكسرت ؟ قالوا : نعم . قال : فالزموا أثر هذه الراحلة حتى تجدوا الجزور ، فخرج القوم حتى انتهوا إلى جثامة فوجدوه قد أنزفه الدم ، فاحتملوه وتقسّموا الجزور ، وأنزلوه عليهم ، وعالجوه حتى برأ ، وألحقوه بقومه .

ونسخت هذا الخبر من كتاب أبي عبد الله الزبيدي بخطه ولم أجده ذكر سماعه إياه من أحد قال : قرىء على علي بن محمد المدائني عن الطرماح بن خليل بن أبرد ، فذكر مثل ما ذكره الزبير منه وزاد فيه : أن القوم احتملوا جثامة ليلحقوه بقومه ؛ حتى إذا كانوا قريباً منهم تغنى جثامة :

أُعذّر لاهينا ويُلحِين في الصبا وما هنّ والفتيان إلا شقائق⁵
فقال له القوم : إنما أفلت من الجراحة التي جرحك أبوك أنفاً ، وقد عاودت ما يكرهه ، فأمسك عن هذا ونحوه إذا لقيته لا يلحقك منه شرّ وعَرَّ⁵ . فقال : إنما هي خطرة خطرت ، والراكب إذا سار تغنى .

1 الخزائم : جمع خزامة ، وهي حلقة من شعر تجعل في أحد جانبي البعير لينقاد بها .

2 المومة : المفازة الواسعة . نشاوى : سكارى .

3 تذارعن : سرن ، وأصله أن يذرع البعير يديه في سيره ذرعاً إذا سار على قدر سعة خطوة . رسم طاسم : دارس .

4 الصرخدية : نسبة إلى صرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق . المطا : الظهر .

5 عَرَّ بمكرهه : أصابه وساءه .

[أصابه القونج في المدينة فنتعت له الحقنة فأبى]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحيّ قال : قدّم عقيل بن عُلفة المدينة فنزل على ابن بنته يعقوب بن سلمة المخزوميّ ، فمرّض وأصابه القونج ، فنتعت له الحقنة ، فأبى . وقدّم ابنه عليه فبلغه ذلك ، فقال :

لقد سرّني والله وقّاك شرّها نجاؤك منها حين جاء يقودها
كفى خزيّةً ألاّ تزال مُجَبِّياً على شكوةٍ تُوكى وفي استك عودها¹

[شدّ على ابنه علفة بالسيف فحاد عنه]

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازيّ قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا عليّ بن محمد عن زيد بن عيّاش التغلبيّ والربيع بن ثُميل قالا : غدا عقيل بن عُلفة على أفراس له عند بيوته فأطلقها ثم رجع ، فإذا بنوه مع بناته وأمهم مجتمعون ، فشدّ على عملس فحاد عنه ، وتغنّى علفة فقال :

قفي يا ابنة المرّي أسألك ما الذي تريدان فيما كنت منّيتنا قبل
نخبرك إن لم تنجزني الوعد أنّا ذوا خلّة لم يبقَ بينهما وصل
فإن شئتَ كان الصرّم ما هبت الصبا وإن شئتَ لا يفنى التكارم والبذل

فقال عقيل : يابن اللّخناء² ، متى منّتك نفسك هذا ؟ وشدّ عليه بالسيف ، وكان عملس أخاه لأمه ، فحال بينه وبينه ، فشدّ على عملس بالسيف وترك عُلفة لا يلتفت إليه ، فرماه بسهم ، فأصاب ركبته ؛ فسقط عقيل وجعل يتممّك³ في دمه ويقول :

إنّ بنيّ سرّبُلوني بالدم منّ يلقَ أبطال الرّجال يُكلم
ومنّ يكنّ ذا أودٍ يُقوّم شنشنة أعرفها منّ أخزم⁴

قال المدائنيّ : « شنشنة أعرفها منّ أخزم » مثلّ ضربه . وأخزم : فحلّ كان لرجل من العرب ، وكان منجياً ، فضرب في إيل رجلٍ آخر ، ولم يعلم صاحبه ، فرأى بعد ذلك من نسله

1 يقال جبى فلان ؛ إذا أكبّ على وجهه باركاً . الشكوة : القرية الصغيرة .

2 اللّخناء : من اللّخن ، وهو التن .

3 يتممّك في دمه : يتمرّغ .

4 مثل ، وهو من باب تشبيه الرجل بأبيه ، وهذا المثل يروى أنّ عمر بن الخطّاب قاله في ابن عبّاس رضي الله عنهما يشبهه بأبيه في جودة الرأي . فصل المقال 219 وورد في مجمع الأمثال 155/2 . الشنشنة : الخليقة . المثل في اللسان منسوب إلى أبي أخزم الطائيّ ، قال : « قال ابن برّي : كان أخزم عاقاً لأبيه فمات وترك ابنين عقوا جدّهم وضربوه وأدموه ، فقال ذلك .

جملًا ، فقال : شِنْشِنَةُ أَعْرِفُهَا مِنْ أَحْزَم .
[عائنه عمر بن عبد العزيز في شأن بناته]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني سليمان المدائني قال حدثني مصعب بن عبد الله قال : قال عمر بن عبد العزيز لعقيل بن علفه : إنك تخرج إلى أقاصي البلاد وتدع بناتك في الصحراء لا كاليء هُنَّ ، والناس ينسبونك إلى الغيرة ، وتأبى أن تزوجهنَّ إلا الأكفاء . قال : إني أستعين عليهنَّ بختلنَّ تَكَلَّأْنِهِنَّ ، وأستغني عن سواهما . قال : وما هما ؟ قال : العُريُّ والجوعُ .
[رماه ابنه عملس فأصاب ركبته ، فغضب وخرج إلى الشام]

نسخت من كتاب محمد بن العباس اليزيدي : قال خالد بن كلثوم : لما رمى عملس بن عقيل أباه فأصاب ركبته غضب وأقسم ألا يساكن بنيه ، فاحتمل وخرج إلى الشام ، فلما استوى على ناقته المسماة بأطال بكت ابنته جرباء وحتت ناقته ، فقال :

ألم تريا أطالاً حَتَّ وشاقها	تفرُّنا يومَ الحبيبِ على ظهر ¹
وأسبل من جرباء دمع كانه	جُمان أضاع السلك أجرتَه في سطر ²
لعمرك إني يوم أغذو عملسا	لكالمتربي حَتَفَه وهو لا يدري ²
وإني لأسقيه غبوقي وإنني	لغرثانُ منهوكُ الذراعين والنحر ³

[خرج ابنه علفه إلى الشام أيضاً وكتب إلى أبيه شعراً]

قال : ومضى علفه أيضاً ، فافترض⁴ بالشام وكتب إلى أبيه :

ألا أبلغا عني عقيلاً رسالة	فإنك من حربٍ عليّ كريم
أما تذكر الأيام إذ أنت واحد	وإذ كلُّ ذي قُربى إليك ذميم
وإذ لا يقيك الناسُ شيئاً تخافه	بأنفسهم إلا الذين تَضِيمُ
تناول شاؤ الأبعدين ولم يقم	لشاؤك بين الأقربين أديم
فأما إذا عضتْ بك الحرب عَضَةً	فإنك معطوفٌ عليك رحيم
وأما إذا آنستَ أماناً وريحوة	فإنك للقُربى ألدُّ ظلوم ⁵

فلما سمع عقيل هذه الأبيات رضي عنه ، وبعث إليه فقدم عليه .

1 حبيب : بلد من أعمال حلب بالشام .

2 تربيته وترثاه : أحسن القيام عليه ووليه .

3 غرثان : جائع .

4 افترض الجند : أخذوا عطاياهم .

5 الألد : الخصم الجدل الذي لا يرجع إلى الحق .

[سبَّ عمر بن عبد العزيز فعاتبه]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حَدَّثَنَا الرياشي عن محمد بن سلام قال حَدَّثَنِي ابن جُعْدُبَةَ قال : عاتب عمر بن عبد العزيز رجلاً من قريش ، أمُّهُ أختُ عقيل بن عُلفَةَ فقال له : قَبَحَكَ اللَّهُ ؛ أَشَبَّهْتَ خَالَكَ فِي الْجَفَاءِ . فَبَلَغْتَ عَقِيلاً فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عُمَرَ فَقَالَ لَهُ : مَا وَجَدْتَ لِابْنِ عَمِّكَ شَيْئاً تُعَيِّرُهُ بِهِ إِلَّا خُؤُولَتِي ؟ فَقَبَّحَ اللَّهُ شَرَّكَمَ خَالاً . فَقَالَ لَهُ صُخَيْرُ بْنُ أَبِي الْجَهْمِ الْعَدَوِيُّ (وَأُمُّهُ قُرَشِيَّةٌ) : آمِينَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَبَّحَ اللَّهُ شَرَّكَمَ خَالاً ، وَأَنَا مَعَكُمْ أَيْضاً . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : إِنَّكَ لِأَعْرَابِيٍّ جِلْفٌ جَافٍ ، أَمَا لَوْ كُنْتُ تَقَدَّمْتُ إِلَيْكَ لِأَدَّبْتُكَ . وَاللَّهِ لَا أَرَاكَ تَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ شَيْئاً ، قَالَ : بَلَى ، إِنِّي لِأَقْرَأُ ، قَالَ : فَاقْرَأْ . ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ حَتَّى بَلَغَ إِلَى آخِرِهَا فَقَرَأَ : فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَا تَحْسُنُ أَنْ تَقْرَأَ ؟ قَالَ : أَوَلَمْ أَقْرَأْ ؟ قَالَ : لَا ، لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ قَدَّمَ الْخَيْرَ وَأَتَكَ قَدَّمَ الشَّرَّ . فَقَالَ عَقِيلُ : [من الطويل]

خَذَا بَطْنَ هَرَشَى أَوْ قَفَاهَا فَإِنَّهُ كِلَا جَانِبِي هَرَشَى لَهْنٍ طَرِيقُ¹
فَجَعَلَ الْقَوْمَ يَضْحَكُونَ مِنْ عَجْرَفَتِهِ .

وروى هذا الخبر علي بن محمد المدائني ، فذكر أنه كان بين عُمرَ بن عبد العزيز وبين يعقوب بن سلمة وأخيه عبد الله كلاماً ، فأغلظ يعقوب لعمر في الكلام فقال له عمر : اسكت فإنك ابنُ أعْرَابِيَّةٍ جَافِيَةٍ . فَقَالَ عَقِيلُ لِعُمَرَ : لعن الله شرَّ الثلاثة ، مِنِّي وَمِنْكَ وَمِنْهُ ؛ فغضب عمر ، فقال له صُخَيْرُ بْنُ أَبِي الْجَهْمِ : آمِينَ . فَهُوَ وَاللَّهُ أَيْهَا الْأَمِيرُ شَرُّ الثَّلَاثَةِ . فَقَالَ عُمَرُ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأَرَاكَ لَوْ سَأَلْتَهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا قَرَأَهَا . فَقَالَ : بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لِقَارِئُ آيَةٍ وَآيَاتٍ فَقَالَ : فَاقْرَأْ ، فَقَرَأَ : إِنَّا بَعَثْنَا نوحاً إِلَى قَوْمِهِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : قَدْ أَعْلَمْتُكَ أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ . لَيْسَ هَكَذَا قَالَ اللَّهُ ، قَالَ : فَكَيْفَ قَالَ ؟ قَالَ : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً﴾ فَقَالَ : وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ أَرْسَلْنَا وَبَعَثْنَا ! [من الطويل]

خَذَا أَنْفَ هَرَشَى أَوْ قَفَاهَا فَإِنَّهُ كِلَا جَانِبِي هَرَشَى لَهْنٍ طَرِيقُ

[دخل المسجد بخفين غليظين وجعل يضرب بهما فضحك الناس منه]

أخبرني عبيد الله بن أحمد الرازي قال حَدَّثَنَا أحمد بن الحارث الخُزَازي قال حَدَّثَنِي علي بن محمد المدائني عن عبد الله بن أسلم القرشي قال : قَدِمَ عَقِيلُ بْنُ عُلفَةَ الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ وَعَلَيْهِ خُفَّانِ

1 هَرَشَى : ثِيَابٌ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ قَرِيبَةٍ مِنَ الْجَحْفَةِ . وَفِي الْبَيْتِ مِثْلُ : يَضْرِبُ فِيمَا سَهْلٍ إِلَيْهِ طَرِيقٌ مِنْ وَجْهَيْنِ . وَهَرَشَى : ثِيَابٌ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ شَرَفَهَا اللَّهُ تَعَالَى قَرِيبَةٍ مِنَ الْجَحْفَةِ يَرَى مِنْهَا الْبَحْرَ وَلَهَا طَرِيقَانِ فَكُلٌّ مِنْ يَسْلُكُهَا كَانَ مُصِيباً . (معجم الأمثال للميداني 3/31-32) .

غليظان ، فجعل يضربُ برجلَيْه ، فضحكوا منه فقال : ما يُضحِكُكم ؟ فقال له يحيى بنُ الحكم ، وكانت ابنة عقيل تحته : يضحكون من خُفْيِكَ وضربِكَ برجلِكَ وشدة جفائك . قال : لا ، ولكن يضحكون من إمارتك ؛ فإنها أعجبُ من خُفْيٍ . فجعل يحيى يضحك .
[خبره مع يحيى بن الحكم أمير المدينة وزواج ابنته]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال حدثني عمي عن عبد الله بن مُصعب قاضي المدينة قال : دخل عقيلُ بن علفة على يحيى بن الحكم ، وهو يومئذ أميرُ المدينة . فقال له يحيى : أنكِح ابن خالي ، يعني ابن أوفى ، فلانة ابنتك ؟ فقال : إن ابن خالك ليرضى مِنِّي بدون ذلك ، قال : وما هو ؟ قال : أن أكفَّ عنه سنن¹ الخيل إذا غشيت سوامه² . فقال يحيى لحرسيين بين يديه : أخرجاه . فأخرجاه ، فلما ولي قال : أعيدها إليّ ، فأعاداه ، فقال عقيل له : ما لك تُكرِّني إكرارَ الناضح³ ؟ قال : أما والله إني لأكره أن أعرج جافيا . فقال عقيل : كذلك قلت :
[من البسيط]

تَعَجَّبْتُ إِذْ رَأَتْ رَأْسِي تَجَلَّلَهُ من الروائع شيبٌ ليس من كبر⁴
وَمِنْ أَدِيمٍ تَوَلَّى بَعْدَ جِدَّتِهِ والجفنُ يَخْلُقُ فِيهِ الصَّارِمُ الذَّكَرُ⁵

فقال له يحيى ، أنشدني قصيدتك هذه كلها . قال : ما انتهيتُ إلا إلى ما سمعت . فقال : أما والله إنك لتقول فتقصّر ، فقال : إنما يكفي من القلادة⁶ ما أحاط بالرقبة . قال : فأنيحني أنا إحدى بناتك . قال : أما أنت فنعم . قال : أما والله لأملأنك مالا وشرفاً . قال : أما الشرف فقد حملتُ ركائبِي منه ما أطاقت ، وكلفتها تجشُّم ما لم تطيق ، ولكن عليك بهذا المال فإن فيه صلاح الأيِّم ورضا الأبيِّ . فروجه ثم خرج فهداها إليه ، فلما قدمت عليه بعث إليها يحيى مولاة له لتنظر إليها ، فجاءتها فجعلت تغمز عضدها . فرفعت يدها ، فدقت أنفها . فرجعت إلى يحيى وقالت : بعثتني إلى أعرابية مجنونة صنعت بي ما ترى ؛ فنهض إليها يحيى ، فقال لها : ما لك ؟ قالت : ما أردتُ أن بعثت إليّ أمة تنظر إليّ ! ما أردتُ بما فعلتُ إلا أن يكون نظرك إليّ قبل كل ناظر ، فإن رأيت حسناً كنت قد سبقت إلى بهجته ، وإن رأيت قبيحاً كنت أحق من

1 السنن : استنان الخيل : وهو عدوها لمرحها ونشاطها .

2 السَّوَام : كل ما رعى من المال في الفلوات إذا خلى يرقى حيث يشاء .

3 الناضح : الدابة يستسقى عليها الماء .

4 الروائع : في ل : الوقائع .

5 تولى : في ل : تعرى . الذكر والذكير من الحديد : أيسه وأشدّه وأجوده ، وفي البيت إقواء .

6 مثل ، ورد في مجمع الأمثال 1/196 والمستقصى في الأمثال للزمخشري 2/62 «حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق» .

ستره . فسرّ بقولها وحظيت عنده .

وذكر المدائني هذا الخبر مثله ، إلا أنه قال فيه : فإن كان ما تراه حسناً كنت أول من رآه ، وإن كان قبيحاً كنت أول من واره .

[زواج يزيد بن عبد الملك ابنته الجرباء]

أخبرني ابنُ دريد قال حدثنا عبد الرحمن عن عمِّه قال : خطب يزيد بن عبد الملك إلى عقيل بن عُلفة ابنته الجرباء ، فقال له عقيل : قد زوجتكها ، على أن لا يزفها إليك أعلاجك¹ ؛ أكون أنا الذي أجيء بها إليك . قال : ذلك لك . فتزوجها ، ومكثوا ما شاء الله . ثم دخل الحاجبُ على يزيد فقال له : بالباب أعرابيٌّ على بعيرٍ ، معه امرأةٌ في هودج قال : أراه والله عقيلاً . قال : فجاء بها حتى أناخ بعيرها على بابه ، ثم أخذ بيدها فأذعن ، فدخل بها على الخليفة فقال له : إن أنتما ودين² بينكما ، فبارك الله لكما ، وإن كرهت شيئاً فضع يدها في يدي كما وضعت يدها في يدك ثم برئت ذمتك . فحملت الجرباء بغلام ففرح به يزيد ونَحَله وأعطاه . ثم مات الصبي ، فورثت أمه منه الثلث ، ثم ماتت فورثها زوجها وأبوها فكتب إليه : إن ابنك وابنتك هلكا ، وقد حسبت ميراثك منهما فوجدته عشرة آلاف دينارٍ ، فهلم فاقبضه .

[موت ابنته وامتناعه عن أخذ ميراثها]

فقال : إن مصيبتني بابني وابنتي تشغلني عن المال وطلبه ، فلا حاجة لي في ميراثهما ، وقد رأيتُ عندك فرساً سبقت عليه الناس ، فأعطينيه أجعله فحلاً لخيلي . وأبى أن يأخذ المال ، فبعث إليه يزيد بالفرس .

[قال لرجل من قريش بالرِّفاء والبنين فأنكر عليه ذلك]

أخبرنا عبيدُ الله بنُ محمد قال حدثنا الخزاز عن المدائني عن إسحاق بن يحيى قال : رأيتُ رجلاً من قريش يقول له عقيل بن عُلفة : بالرِّفاء والبنين والطائر المحمود . فقلت له : يا ابن عُلفة ؛ إنه يُكره أن يُقالَ هذا . فقال : يا ابن أخي ، ما تريد إلى ما أحدث ! إن هذا قولُ أحوالك في الجاهلية إلى اليوم لا يعرفون غيره . قال : فحدثتُ به الزُّهري فقال : إن عقيلاً كان من أجهل الناس . قال : وإنما قال لإسحاق بن يحيى بن طلحة : «هذا قول أحوالك» ، لأن أم يحيى بن طلحة مريّة .

[خطب إليه رجل كثير المال مغموز في نسبه]

قال المدائني وحدثني عليُّ بنُ بشر الجُشميُّ قال قال الرُّمَّيحُ : خطب إلى عقيل رجل من

1 أعلاجك جمع عالج : الرجل الشديد الغليظ .

2 الودن والودان : حسن القيام على العروس ؛ ويقال : وذن العروس : أحسن القيام عليها .

بني مرة كثير المال ، يُعْزَمُ في نسبه ، فقال :
 لَعْمَرِي لئن زَوَّجْتُ من أجل ماله
 أَأُنْكِحُ عبداً بعدد يحيى وخالد
 أبى لي أن أرضى الدنية أنتي
 [خطب إليه رجل من بني مرة فطعن ناقته بالرمح فصرعته]

نسخت من كتاب محمد بن العباس اليزيدي بخطه يأثره² عن خالد بن كلثوم بغير إسناد متصل بينهما : أن رجلاً من بني مرة يقال له داود أقبل على ناقته له ، فخطب إلى عقيل بن علفة بعض بناته ، فنظر إليه عقيل ، وإن السيف لا يناله ، فطعن ناقته بالرمح فسقطت وصرعته ، وشد عليه عقيل فهرب ، وثار عقيل إلى ناقته فنحرها ، وأطعمها قومه وقال :
 [من الرجز]
 أَلَمْ تَقُلْ يا صاحبَ القُلُوصِ داودُ ذا الساجِ وذا القميصِ³
 كانت عليه الأرض حيص بيص حتى يُلَفَّ عيصه بعيصي⁴
 وكنت بالشبان ذا تقيص

فقال داود فيه من أبيات :
 فَنسى يَجْعَلُ الأمرَ الحلالَ ببيتِه حراماً وَيَقْرِي الضيفَ عَضْباً مهنِداً
 [فرت منه زوجته الأنمارية فردّها إليه عامل فذك]

وقال المدائني حدثني جوشن بن يزيد قال : لما تزوج عقيل بن علفة زوجته الأنمارية ، وقد كبر ، فرت منه ، فلقبها جحاف ، أحد بني قتال بن يربوع ، فحملها إلى عامل فذك ، وأصبح عقيل معها ، فقال الأمير لعقيل : ما لهذه تستعدي عليك يا أبا الجرباء ؟ فقال عقيل : كلّ ذكرى ، وذهب ذكري⁵ ، وتغايب نفري ، فقال : خذ بيدها ، فأخذها وانصرف ، فولدت له بعد ذلك علفة الأصغر .

[شعره يحرض بني سهم على بني جوشن]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال : لما نشبت الحرب بين بني جوشن وبين بني سهم بن مرة رهط عقيل بن علفة المري ، وهو من بني غيظ بن مرة بن سهم بن مرة إخوانهم ، فاقتتلوا في أمر يهودي خمّار كان جاراً لهم ، فقتلته بنو جوشن

1 الهجين : العربي ابن الأمة .

2 يأثره : ينقله ويرويه .

3 الساج : الطيلسان الضخم الغليظ .

4 حيص بيص : في الأصل جحر الفأر وهي هنا بمعنى ضيقة . عيصى المرء : أصله .

5 الذفر : شدة ذكاء الرمح .

من غطفان ، وكانوا متقاربي المنازل وكان عقيل بن علفة بالشام غائباً عنهم ، فكتب إلى بني سهم يُحَرِّضُهُمْ¹ .

فإِذَا هَلَكْتُ وَلَمْ آتِكُمْ فَأَبْلِغْ أُمَّتِلَ سَهْمٍ رَسُولاً
بان التي سامكُم قومكُم لقد جعلوها عليكم عدولا
هوان الحياة وضيمُ المات وكلاً أراه طعاماً وبيلا
فإن لم يكن غيرُ إحداهما فسيروا إلى الموت سيراً جميلاً
ولا تقعدوا وبكم مُنَّةٌ كفى بالحوادث للمرء غولاً²

قال : فلمّا وردت الأبيات عليهم تكفلَ بالحربِ الحُصَيْن بن الحُمام المُرِّي أحد بني سهم ، وقال : إِيَّيْ كَتَبَ وَيِي نَوَّةٌ ، خاطبَ أُمَّتِلَ سهم وأنا من أُمَّتِلهم . فأبلى في تلك الحروبِ بلاءً شديداً . وقال الحُصَيْن بن الحُمام في ذلك من قصيدة طويلة له :

يَطَّانُ مِنَ الْقَتْلِ وَمَنْ قَصَدِ الْقَنَا خَبَاراً فَمَا يَنْهَضُنْ إِلَّا تَقَحُّماً³
عليهنّ فتيانُ كساهم محرقٌ وكان إذا يَكْسُو أَجَادَ وَأَكْرَمَا⁴
صفائحُ بُصْرَى أَخْلَصَتْهَا قِيُونُهَا وَمَطَرُداً مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ مُحْكَمَا⁵
تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةَ مِثْلٍ أَنْ أَتَقَدِّمَا

[نهب بنو جعفر إبلاً لجاره فردّها إليه]

وقال المدائنيّ قال جَرَّاحُ بن عِصَام بن بُجَيْر : عَدَّتْ بَنُو جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ عَلَى جَارٍ لِعَقِيلٍ فَأَطْرَدَتْ إِبْلَهُ وَضَرَبُوهُ ، فَعَدَا عَقِيلُ عَلَى جَارٍ لَهُمْ فَضَرَبُوهُ ، وَأَخَذَ إِبْلَهُ فَأَطْرَدَهَا ، فَلَمْ يَرُدَّهَا حَتَّى رَدُّوا إِبْلَ جَارِهِ وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

إِنْ يَشْرِقِ الْكَلْبِيُّ فِيكُمْ بَرِيقُهُ بَنِي جَعْفَرٍ يُعْجَلُ لَجَارِكُمُ الْقَتْلُ
فَلَا تَحْسَبُوا الْإِسْلَامَ غَيْرَ بَعْدَكُمْ رِمَاحُ مَوَالِيكُمْ فَذَاقُوا بِكُمْ جَهْلُ
بَنِي جَعْفَرٍ إِنْ تَرَجَعُوا الْحَرْبَ بَيْنَنَا نَذِيقُكُمْ كَمَا كُنَّا نَذِيقُكُمْ قَبْلُ
بَدَأْتُمْ بِجَارِي فَانْثَيْتُ بِجَارِكُمْ وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا لَهُ عِنْدَنَا حَبْلُ

1 وردت بعض هذه الأبيات في المفضليات رقم 10 : منسوبة إلى بشامة بن عمرو دون تغيير ، وهي (1 ، 4 ، 5) وفي البيت (2 ، 3) اختلاف واضح في الألفاظ .

2 الغول : كل ما أهلك الإنسان .

3 القصد : جمع قصدة ، وهي القطعة من القناة المتكسرة . الخبر من الأرض : ما لان واسترخى .

4 محرق : لقب عمرو بن هند ، سمي بذلك لأن أحرق مائة من بني تميم .

5 مطرداً : أي درعاً مطرداً ، أطرد الشيء : تبع بعضه بعضاً ، والمعنى تابعت حلقاتها واتصلت .

[أسره بنو سلامان وأطلقه بنو القين]

وذكر المدائني أيضاً : أنَّ عَقِيلًا كان وحده في إبله ، فمرَّ به ناس من بني سلامان فأسروه ، ومروا به في طريقه على ناس من بني القين ، فانتزعوه منهم ، وخلَّوْا سبيله . فقال عقيل في ذلك :

أسعد هُذَيْمٌ إنَّ سعداً أباًكم أبى لا يوافي غاية القين من كلب
وجاء هُذَيْمٌ والركابُ مُناخَةً فقيل تأخَّرَ يا هُذَيْمٌ على العَجَبِ¹
فقال هُذَيْمٌ إن في العَجَبِ مركبي ومركب آبائي وفي عَجَبِها حَسْبِي
قال : وسعد هُذَيْمٌ هم عُذْرَةُ وسلامان والحارثُ وضَبَّةٌ .

[مات ابنه علفة بالشام فرثاه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو مسلم عن المدائني عن عبد الحميد بن أيوب بن محمد بن عُمَيْلَةَ قال : مات عُلْفَةُ بن عقيل الأكبر بالشام ، فعناه مُضَرَّسٌ بن سَوَادَةَ لعَقِيلٍ بأرض الجنب ، فلم يصدِّقه وقال :

قَبَّحَ الإلهُ - ولا أَقْبَحَ غيره - ثَفَرَ الحمار مُضَرَّسٌ بنَ سَوَادٍ²
تَنَعَّى امرءاً لم يعلُ أمك مثله كالسِّيفِ بين خَضارمٍ أنجادٍ³
ثم تحقق الخبر بعد ذلك ، فقال يرثيه :

لَعَمْرِي لقد جاءتْ قوافلُ خَبَرَتِ بأمرٍ من الدنيا عليَّ ثَقِيلِ
وقالوا ألا تبكي لمصرعِ فارس نعتِه جنودُ الشام غيرِ ضئيلِ
فأقسمتُ لا أبكي على هَلْكَ هالِكِ أصاب سبيلَ الله خيرَ سبيلِ
كأن المنايا تبتغي في خيارنا لها نسباً أو تهتدي بدليلِ
تَحُلُّ المنايا حيثُ شاءتْ فإنها مُحَلَّلَةٌ بعد الفتى ابنِ عَقِيلِ
فَتَى كان مولاه يَحُلُّ برُبُوعِ فَحَلَّ الموالي بعده بمَسِيلِ

[حطم رجل من بني صرمة بيوته فأقبل ابنه علفس من الشام فانتقم له]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة : قال : كان عَقِيلُ بن عُلْفَةَ قد أطرَدَ بنيهِ ، ففترَّقوا في البلاد وبقي وحده . ثم إنَّ رجلاً من بني صرمة ، يقال له بَجِيلُ ، وكان كثير المال والماشية ، حَطَّمَ بيوتَ عَقِيلٍ بماشيته ، ولم يكن قبل ذلك أحد يقرب من بيوت

- 1 العجب : أصل الذنب وهو العصص .
- 2 الثفر : السير الذي في مؤخَّرِ السَّرج تحت ذنب الدابة .
- 3 خضارم ، جمع خضرم : الجواد الكثير العطية .

عَقِيلٌ إِلَّا لَقِيَ شَرًّا . فطردت صافئةً (أمةً له) الماشية ، فضربها بَجِيلٌ بعضا كانت معه فشجَّها .
فخرج إليه عَقِيلٌ وحده ، وقد هَرِمَ يومئذٍ وكبرتْ سِنُّهُ ، فزجره فضربه بَجِيلٍ بعضاه ، واحتقره .
فجعل عَقِيلٌ يصيح : يا عُلْفَةَ ، يا عَمَلَسَ ، يا فلان ، يا فلان ، بأسماء أولاده مستغيثاً بهم ، وهو
يحسبهم لهرمه أنهم معه . فقال له أُرطاة بن سُهَيْتَةَ :

أَكَلْتَ بَيْنَكَ أَكَلَ الضَّبِّ حَتَّى وَجَدْتَ مَرَارَةَ الْكَلَأِ الْوَيْلِ
وَلَوْ كَانَ الْأَلَى غَابُوا شَهوداً مَنَعَتْ فِنَاءَ بَيْتِكَ مِنْ بَجِيلِ
وبلغ خبر عَقِيلٍ ابْنَهُ الْعَمَلَسَ وهو بالشام ، فأقبل إلى أبيه حتى نزل إليه ، ثم عمدَ إلى بَجِيلٍ
فضربه ضرباً مبرحاً ، وعقر عِدَّةً من إبله وأوثقه بجبل ، وجاء به يقوده حتى ألقاه بين يدي أبيه ،
ثم ركب راحلته ، وعاد من وقته إلى الشام ، لم يَطْعَمَ لأبيه طعاماً ، ولم يشرب شرباً .
[خبر ابنه المقشعر مع أعرابي نزل]

أخبرني عَمِّي قال حَدَّثَنَا الْكَرَّانِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عَائِشَةَ قَالَ : نَزَلَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى الْمُقَشَّعِرِ بْنِ
عَقِيلِ بْنِ عُلْفَةَ الْمَرْيِ فَشَرِبَا حَتَّى سَكِرَا وَنَامَا ، فَانْتَبَهَ الْأَعْرَابِيُّ مُرَوَّعاً فِي اللَّيْلِ وَهُوَ يَهْذِي ،
فَقَالَ لَهُ الْمُقَشَّعِرُ : مَا لَكَ ؟ قَالَ : هَذَا مَلِكُ الْمَوْتِ يَقْبِضُ رُوحِي . فَوَثَبَ ابْنُ عَقِيلٍ فَقَالَ : لَا
وَاللَّهِ وَلَا كَرَامَةً وَلَا نِعْمَةً¹ عَيْنِ لَهُ ! أَبْقِضْ رُوحَكَ وَأَنْتَ ضَيْفِي وَجَارِي ؟ فَقَالَ : بَأَيِّ أَنْتُمْ
وَأُمِّي ! طَالَ وَاللَّهِ مَا مَنَعْتُمُ الضَّيِّمَ . وَتَلَفَّفَ وَنَامَ .
تَمَّتْ أَخْبَارُ عَقِيلٍ وَاللَّهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ .

قد مضت أخبار عَقِيلٍ فيما تقدّم من الكتاب ، ونذكر هاهنا أخبار شَيْبِ بْنِ الْبَرِّصَاءِ
ونسبه ، لأنَّ الْمُغْنِيَّينَ خلطوا بعضَ شعره ببعض شعر عَقِيلٍ فِي الْغَنَاءِ الْمَاضِي ذِكْرُهُ ، ونعيدُ
هاهنا من الغناء ما شعرُهُ لشَيْبِ بْنِ الْبَرِّصَاءِ خاصَّةً وهو :

صوت

من المائة المختارة

سَلَا أُمَّ عَمْرٍو فِيمَ أَضْحَى أُسِيرُهَا تَفَادَى الْأَسَارَى حَوْلَهُ وَهُوَ مَوْثُقُ
فَلَا هُوَ مَقْتُولٌ فِي الْقَتْلِ رَاحَةً وَلَا مَنَعٌ يَوْمًا عَلَيْهِ فَمَطْلُقُ

ويروى :

وَلَا هُوَ مَمْنُونٌ عَلَيْهِ فَمَطْلُقُ

الشعرُ لشَيْبِ بْنِ الْبَرِّصَاءِ ، والغناء لِذِقَاقِ جَارِيَةِ يَحْيَى بْنِ الرَّبِيعِ . رَمِلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ
عَمْرٍو . وَذَكَرَ حَبِشٌ أَنَّ فِيهِ رَملاً آخَرَ لَطْوَيْسَ .

1 نعمة عين : قرّتها .

[224] - أخبار شبيب بن البرصاء ونسبه

[نسبه]

هو شبيبُ بنُ يزيد بن جمرّة ، وقيل جبرة بن عوف بن أبي حارثة بن مرّة بن نُشبة بن غَيْظ بن مرّة بن سعد بن ذبيان . والبرصاء أمّه ، واسمها قِرْصافة بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة ، وهو ابن خالة عقيل بن عُلفة ، وأمّ عقيل عمّة بنت الحارث بن عوف ، ولُقبت قِرْصافةُ البرّصاء لبياضِها ، لا لأنها كان بها برص .

[هاجي عقيل بن علفة]

وشبيبٌ شاعرٌ فصيحٌ إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأموية ، بدويّ لم يحضرُ إلّا وافداً أو متّجِعاً . وكان يُهاجي عَقِيلَ بن عُلفة ويُعاديهِ لشراسة كانت في عَقِيل وشَرّ عظيم . وكلاهما كان شريفاً سيّداً في قومه ، في بيت شرفهم وسؤددهم . وكان شبيبُ أعور ، أصاب عينه رجل من طيء في حَرْب كانت بينهم .

[هاجي أُرطاة بن سهبة]

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا أبو حاتم السّجستانيّ عن أبي عبيدة قال : دخل أُرطاة بن سهبة على عبد الملك بن مروان ، وكان قد هاجى شبيب بن البرصاء ، فأنشده قوله فيه :

أبي كان خيراً من أهلك ولم يزلْ جَنِيْباً لآبائي وأنت جَنِيْبٌ¹
فقال له عبد الملك : كذبت ! ثم أنشده البيت الآخر فقال :

وما زلتُ خيراً منك مذ عضّ كارهاً برأسِكَ عاديّ النّجادِ رَكُوبٌ²
فقال له عبد الملك : صدقت . وكان أُرطاة أفضل من شبيب نفساً ، وكان شبيب أفضل من أُرطاة بيتاً .

[فاخره عقيل بن علفة فهجاه]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدّثنا الحزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال : فاخر عَقِيل بن عُلفة شبيب بن البرصاء فقال شبيب يهجوهُ ، ويُعيرُهُ برجلٍ من طيء كان يأتي أمّه عمّة بنت الحارث يقال له حَيّان ، ويهجو غيظ بن مرّة :

[من الطويل]

1 الجنيب : المنقاد التابع .

2 العاديّ : القديم . النجاد : جمع نجد . والركوب : المركوب الموطوء .

ألسنا بفرعٍ قد علمتم دِعامَةً
وقد علمت سعد بن دُبيان أننا
إذا لم نَسُكِّمْ في الأمور ولم نَكُنْ
فلستم بأهدى في البلاد من التي
دعت جلُّ يربوعٍ عقيلاً لحادثٍ
فقلت له : هلاً أُجبتَ عشيرةً
وكأئن لنا من رُبوةٍ لا تناها
فخرتَ بأيامٍ لغيرك فخرها
إذا الناس هابوا سوءةً عمَدَتْ لها
فَهَلَّا بني سعدٍ صَبَّحَتْ بغارةٍ
فَتَدْرِكُ وتراً عند ألامٍ واترٍ

ورابيةٌ تنشقُّ عنها سيولُها¹
رحاها الذي تأوي إليها وجولُها²
لحربٍ عَوانٍ لاقحٍ مَنْ يَتُولُها³
تَرَدَّدُ حَيْرَى حين غاب دليُّها
من الأمر فاستخفى وأعيا عقيُّها
لطارقٍ ليلٍ حين جاء رسولُها !
مراقيكِ أو جرثومةٍ لا تطولُها
وغرَّتْها معروفةٌ وحُجُولُها
بنو جابر شُبَّانُها وكهولُها
مُسومةٌ قد طار عنها نسيْلُها⁴
وتُدْرِكُ قتلى لم تَتَمِّمْ عقولُها⁵

[افتخر عليه عقيل بمصاهرته للملوك فهجاه]

وقال أبو عمرو : اجتمع عقيل بن عُلفة وشيب بن البرصاء عند يحيى بن الحكم فتكلما في بعض الأمر ، فاستطال عقيل على شيب بالصُّهر الذي بينه وبين مروان وكان زَوْج ثلاثاً من بناته فيهم ، فقال شيب يهجوهُ :

ألا أبلغ أبا الجرَّاء عَنِّي
فلا تذكُرْ أباك العبدَ وافخر
وهبها مُهْرَةً لَقَحَتْ بيغل
إذا طارت نفوسُهُنَّ شِعاةً
بطعنٍ تعثرُ الأبطالُ منه

بآياتِ التباغُضِ والتَّقالي
بأَمٍّ لست مُكْرِمُها وخالٍ
فكان جنيْنُها شرَّ البغالِ
حَمَيْنِ المَحْصَناتِ لدى الحِجالِ⁶
وضربٍ حيثُ تُقْتَنَصُ العوالي⁷

1 الفرع : عدة قرى أهلة على أربعة أيام من المدينة .

2 الجول : الصخرة التي في الماء يكون عليها الطيِّ فَإِنْ زالت تلك الصخرة تهوّر البئر .

3 يتولها : يسومها .

4 الغارة : الخيل المفيرة . مسومة : فرسلة وعليها ركبائها ، أو معلمة . النسيل : ما سقط من شعر وصوف .

5 العقول : جمع عقل ، وهو الدية .

6 الحجال جمع حَجَلَة : وهي الكَلَّة تهيأ للعروس .

7 العوالي : جمع عالية وهي أعلى البرح .

أَبَى لِي أَنَّ آبَائِي كَرَامٌ بَنَوْا لِي فَوْقَ أَشْرَافٍ طَوَالٍ¹
 بَيُوتَ الْمَجْدِ ثُمَّ نَمُوتُ مِنْهَا إِلَى عَلِيَاءَ مُشْرِفَةَ الْقَذَالِ
 تَزِلُّ حِجَارَةُ الرَّامِينَ عَنْهَا وَتَقْصُرُ دُونَهَا نَبْلُ النُّضَالِ
 أَبَالْحُقَفَاتِ شَرُّ النَّاسِ حَيًّا وَأَعْنَاقِ الْأَيُورِ بَنِي قِتَالِ
 رَفَعْتَ مُسَامِيًّا لَتُنَالَ مَجْدًا فَقَدْ أَصْبَحْتَ مِنْهُمْ فِي سَفَالِ

قال أبو عمرو : بنو قتال إخوة بني يربوع رهط عقيل بن علفة وهو قوم فيهم جفاء ، قال أبو عمرو : مات رجل منهم فلفه أخوه في عباءة له ، وقال أحدهما للآخر : كيف تحمله ؟ قال : كما تُحْمَلُ القربة . فعمد إلى حبل فشد طرفه في عنقه وطرفه في ركبتيه وحمله على ظهره كما تُحْمَلُ القربة ، فلما صار به إلى الموضع الذي يريد دفنه فيه حفر له حفيرة ، وألقاه فيها ، وهال عليه التراب حتى واره . فلما انصرفا قال له : يا هناء² ، أنسيْتُ الحبل في عنق أخي ورجليه ، وسيبقى مكتوفاً إلى يوم القيامة . قال : دعه يا هناء ، فإن يرد الله به خيراً يحلله .

[خطب بنت يزيد بن هاشم فردة ثم قبله فأبى]

وقال أبو عمرو : خطب شبيب بن البرصاء إلى يزيد بن هاشم بن حرملة المري ثم الصرمي ابنته ، فقال : هي صغيرة ، فقال شبيب : لا ؛ ولكنك تبغي أن تردني ، فقال له يزيد : ما أردت ذاك ، ولكن أنظري هذا العام ، فإذا انصرم فعلي أن أزوجه . فرحل شبيب من عنده مغضباً ، فلما مضى قال ليزيد بعض أهله : والله ما أفلحت ! خطب إليك شبيب سيد قومك فرددته ! قال : هي صغيرة ، قال : إن كانت صغيرة فستكبر عنده . فبعث إليه يزيد : ارجع فقد زوجتك ، فإني أكره أن ترجع إلى أهلك وقد رددتك ، فأبى شبيب أن يرجع وقال : [من الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ أَشْرَفْتُ يَوْمَ غَنِيْزَةٍ عَلَى رَغْبَةٍ لَوْ شَدَّ نَفْسِي مَرِيْرُهَا³
 وَلَكِنْ ضَعَفَ الْأَمْرُ أَلَّا تُمِرَّهَ وَلَا خَيْرَ فِي ذِي مِرَّةٍ لَا يُغَيِّرُهَا⁴
 تَبَيَّنَ أَدْبَارُ الْأُمُورِ إِذَا مَضَتْ وَتُقْبِلُ أَشْبَاهُهَا عَلَيْكَ صَدُورُهَا
 تُرْجِي النُّفُوسُ الشَّيْءَ لَا تَسْتَطِيعُهُ وَتَخْشَى مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَا يُضَيِّرُهَا
 أَلَا إِنَّمَا يَكْفِي النُّفُوسَ إِذَا اتَّقَتْ تُقَى اللَّهُ مِمَّا حَاذَرَتْ فَيُجِيرُهَا

1 أشراف : جمع شرف ، وهو المكان العالي .

2 هن : كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان .

3 المرير والمرية : العزيمة . وغنيزة : موضع ، وهي هضبة سوداء ببطن فلج بين البصرة وحمى ضرية .

4 أمر الحبل : أحكم فتله . وأغار الحبل : أحكم فتله .

ولا خيرَ في العيدانِ إلا صلابُها
ومستنجٍ يدعو وقد حال دونه
رفعتُ له ناري فلما اهتدى لها
فبات وقد أسرى من الليل عُقبه
وقد علم الأضياف أن قراهم
إذا افتخرت سعدُ بنُ ذبيان لم يجد
وإنِّي لتركُ الضغينة قد بدا
مخافة أن تجني عليّ وإنما
إذا قيلت العوراء وليت سمعها
وحاجة نفس قد بلغت وحاجة
حياء وصبراً في المواطن إنني
وأحس في الحق الكريمة إنما
أحابي بها الحي الذي لا تهمه
ألم تر أنا نور قوم وإنما

[تمثل محمد بن مروان بشعره]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عُليل العنزي قال حدثني
محمد بن عبد الله بن آدم بن جُشم العبدي قال : كانت بين بني كلب وقوم من قيس
ديات ، فمشى القوم إلى أبناء أخواتهم من بني أمية يستعينون بهم في الحماله⁷ ، فحملها
محمد بن مروان كلها عن الفريقين ، ثم تمثل بقول شبيب بن البرصاء : [من الكامل]
ولقد وقفت النفس عن حاجاتها والنفس حاضرة الشعاع تطلع

1 السَّجَف : السَّتر .

2 ناقة متلية ومتل : يتلوها ولدها أي يتبعها . والقدير : اللحم المطبوخ في القدر .

3 ثراها : أثرها . والمولى : الصاحب وابن العم .

4 العوراء : الكلمة العوراء .

5 الستير : العفيف .

6 الكريمة : أي الناقة الكريمة .

7 الحماله : الدية يحملها قوم عن قوم .

وَعَرِمْتُ فِي الْحَسَبِ الرَّفِيعِ غَرَامَةً يَعْيا بِهَا الْحَصِرَ الشَّحِيحُ وَيُظَلِّعُ¹
إِنِّي قَتَى حَرًّا لِقَدْرِي عَارِفٌ أُعْطِي بِهِ وَعَلَيْهِ مِمَّا أُمْنَعُ

[نزل هو وأرطاة بن زفر وعوف القواني على رجل من أشجع فلم يكرم ضيافتهم فهجوه]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال . حدثنا إسحاق بن محمد النخعي قال . حدثني
الحرماني قال : نزل شبيب بن البرصاء وأرطاة بن زفر وعوف القواني برجل من أشجع كثير
المال يُسمى علقمة ، فأتاهم بشربة لبن ممدوقة ولم يذبح لهم ، فلما رأوا ذلك منه قاموا إلى
رواحلهم فركبوها ثم قالوا : تعالوا حتى نهجو هذا الكلب . فقال شبيب : [من الطويل]

أَفِي حَدَثَانِ الدَّهْرِ أَمْ فِي قَدِيمِهِ تَعَلَّمْتُ إِلَّا تَقْرِي الضَّيْفَ عِلْقَمًا² ؟

وقال أرطاة : [من الطويل]

لَبِثْنَا طَوِيلًا ثُمَّ جَاءَ بِمَذْقَةٍ كَاءِ السَّلَا فِي جَانِبِ الْقَعْبِ أَثْلَمًا³

وقال عوف : [من الطويل]

فَلَمَّا رَأَيْنَا أَنَّهُ شَرَّ مَنْزِلٍ رَمِينَا بِهِنَّ اللَّيْلِ حَتَّى تُخْرَمًا⁴

[عاد من سفر فعلم بموت جماعة من بني عمه فراهم]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدثنا عيسى بن إسماعيل عن القحزمي قال : غاب
شبيب بن البرصاء عن أهله غيبة ، ثم عاد بعد مدة ، وقد مات جماعة من بني عمه ، فقال شبيب
يرثيهم : [من البسيط]

تَخْرَمُ الدَّهْرُ إِخْوَانِي وَغَادِرُنِي كَمَا يُغَادِرُ ثَوْرُ الطَّارِدِ الْفَيْدُ⁵

إِنِّي لَبَاقٍ قَلِيلًا ثُمَّ تَابِعُهُمْ وَوَارِدٌ مِنْهُمْ الْقَوْمِ الَّذِي وَرَدُوا

[هاجى رجلاً من غني فأعانه أرطاة بن سهية عليه]

قال أبو عمرو : هاجى شبيب بن البرصاء رجلاً من غني ، أو قال من باهلة ، فأعانه
أرطاة بن سهية على شبيب ، فقال شبيب : [من الطويل]

لِعَمْرِي لَنْ كَانَتْ سَهْيَةً أَوْضَعَتْ بِأَرْطَاةٍ فِي رَكْبِ الْخِيَانَةِ وَالْغَدْرِ⁶

1 الحصر : البخيل .

2 حدثان : بمعنى حديث .

3 السَّلَا : الجلد الرقيقة فيها الولد من الناس والمواشي ، إن لم تنزع عن وجه الولد قتله . والقعب : القدح .

4 تخرم : استوصل وانقضى .

5 الفئد : الذي يشكو فؤاده .

6 أوضعت : أسرعت .

فما كان بالطَّرْفِ العَتِيقِ فيُشْتَرَى
لِفِحْلَتِهِ ، ولا الجوادِ إذا يجري
أَتَنْصُرُ مِنِّي معشراً لستَ منهم
وغيرُك أُولَى بالحِياطَةِ والنصرِ
ويروى : «وقد كنتُ أُولَى بالحِياطَةِ» وهو أجود .

[استعدى عليه رهط أوطاة عثمان بن حيان لهجائه إليهم]

وقال أبو عمرو : استعدى رهطُ أوطاةَ بنِ سُهَيْلَةَ على شبيب بن البرصاء إلى عثمان بن حيان المرّي وقالوا له : يعمّنا بالهجاء ويشتم أعراسنا ، فأمر بإشخاصه إليه فأشخص ، ودخل إلى عثمان وقد أتى بثلاثة نفر لصوص قد أفسدوا في الأرض يقال لهم بهذل ومثغور وهيصم ، فقتل بهذلاً وصلبه ، وقطع مثغوراً والهيصم ، ثم أقبل على شبيب فقال : كم تسب أعراس قومك وتستطيل عليهم ؛ أقسمُ قسماً حقاً لئن عاودت هجاءهم لأقطعن لسانك ، فقال شبيب :

سجنتَ لساني يا ابن حيان بعدما	تولّى شبابي ، إنّ عقّدك مُحَكَّم
وعيدك أبقي من لساني قذازةً	هَيُوباً ، وصمّناً بعدُ لا يتكلّم ¹
رأيتك تحلّولي إذا شئتَ لأمرىء	ومراً مُراراً فيه صابٌ وعَلَقَمُ ²
وكلّ طريدٍ هالكٌ مُتَحَيِّر	كما هلك الحيران والليل مظلم
أصبتَ رجالاً بالذنوب فأصبحوا	كما كان مثغورٌ عليك وهيصمُ
خطاطيفُك اللاتي تخطفن بهذلاً	فأوفى به الأشرافَ جذعٌ مقومُ ³
يداك يدا خيرٍ وشرٍّ فمَنهما	تضرُّ وللآخرى نوالٌ وأنعمُ

[ذهب دعيج بن سيف بإبله فخرج في طلبها فرماه دعيج فأصاب عينه]

وقال أبو عمرو : استاق دُعيجُ بن سيف بن جذيمة بن وهب الطائي ثم الجرّمي إبلَ شبيب بن البرصاء فذهب بها ، وخرج بنو البرصاء في الطلب ، فلمّا واجهوا بني جرّم قال شبيب : اغتيموا بني جرّم ، فقال أصحابه : لسنا طالبن إلاّ أهل القرحة ، فمضوا حتى أتوا دُعيجاً وهو برأس الجبل ، فناده شبيب : يا دعيج ، إن كانت الطراف حيّة فلك سائر الإبل ، فقال : يا شبيب ، تبصّر رأسها من بين الإبل ، فنظر فأبصرها ، فقال شبيب : شدّوا عليه واصعدوا وراءه ، فأبوا عليه ، فحمل شبيب عليه وحده ، ورماه دُعيج فأصاب عينه ، فذهب

1 القذازة من كل شيء : ما قطع منه .

2 المرار : شجر مرّ .

3 أشراف الناس : أعلاه .

بها ، وكان شبيب أعورَ ثم عميَ بعد ما أَسَنَ ، فانصرف وانصرف معه بنو عمه ، وفاز دعيج بالآبل ، فقال شبيب :

[من الطويل]

أمرتُ بني البرصاء يومَ حُرَابَةٍ بأمرٍ جميعٍ لم تَشَتَّ مَصَادِرُهُ
بشَوَّلِ ابن معروفٍ وحَسَّانَ بعد ما جَرَى لِي يَمَنٌ قد بدا لِي طَائِرُهُ¹
أيرجعُ حُرٌّ دون جَرَمٍ ولم يكن طِعَانٌ ولا ضربٌ يُذْعَذَعُ عَاسِرُهُ² ؟
فأَذْهَبَ عيني يوم سَفِيرَةٍ دُعِيجُ بنُ سيفٍ ، أعوزته معاذِرُهُ
ولما رأيت الشَّوْلَ قد حال دونها من المَهْضَبِ مُعْبِرٌ عَنِيفٌ عَمَائِرُهُ³
وأعرض ركنٌ من سَفِيرَةٍ يُتَقَى بشُمِّ الذَّرَى لا يُعْبُدُ اللهَ عَامِرُهُ⁴
أخذتُ بني سيفٍ ومالكٍ مَوْقِعَ بما جَرَّ مولاهم وجَرَّتْ جرائِرُهُ⁵
ولو أن رجلي يوم فرَّ ابنُ جَوْشَنِ عَلِقَن ابنَ ظبي أعوزته مَعَاوِرُهُ⁶

[هجاه أرطاة بن سهية ونفاه عن بني عوف]

أخبرني عمي قال حدثني الكُرَّانِيُّ قال حَدَّثَنَا العُمَرِيُّ عن عاصم بن الحَدَّثَان قال : هجا أرطاة بن سهية شبيب بن البرصاء ونفاه عن بني عوف فقال :

[من الطويل]

فلو كنتَ عَوْفِيًّا عَمِيَّتَ وَأَسْهَلْتَ كُذَّاكَ وَلَكِنَّ المُرِيبَ مُرِيبٌ⁷

قال : فعمي شبيب بن البرصاء بعد موت أرطاة بن سهية ، فكان يقول : ليت ابن سهية حيًّا حتى يعلم أنني عَوْفِيٌّ ، قال : والعمى شائع في بني عوف ، إذا أَسَنَ الرجل منهم عمي ، وقلَّ مَنْ يفلت من ذلك منهم .

[امتدح شعره عبد الملك بن مروان وفضله على الأخطل]

وحدثني عمي قال حَدَّثَنِي عبد الله بن أبي سعد قال حَدَّثَنِي عليُّ بن الصباح عن ابن الكلبي قال : أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان قوله :

[من الكامل]

- 1 الشول : النوق أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فشال لينها أي ارتفع .
- 2 يذعذع : يبدد ويفرق . العاسر : الناقة ترفع ذنبها في عدوها . سفيرة : ناحية من بلاد طيء ، وقيل : سهوة لبني جذيمة من طيء يحيط بها الجبل .
- 3 المهضب : جبل ينسبط على الأرض . عمائر : جمع عمارة وهي أصغر من القبيلة .
- 4 عامرة : يعني به دعيجاً .
- 5 موقع : اسم موضع .
- 6 الرجل : جماعة الرجال .
- 7 الكدي : جمع كدية وهي الأرض الصلبة .

بَكَرَ العَوَازِلُ يَتَدِرْنَ مَلامَتِي والعَازِلُونَ فَكُلُّهُمْ يَلْحَانِي
فِي أَن سَبَقْتُ بِشَرِيَّةٍ مَقَدِيَّةٍ صَرَفَ مُشْعَشَعَةٍ بِمَاءِ شُنَانٍ¹

فقال له عبد الملك : شبيب بن البرصاء أكرم منك وصفاً لنفسه حيث يقول : [من الطويل]

وَإِنِّي لَسَهْلُ الْوَجْهِ يُعْرِفُ مَجْلِسِي إِذَا أَحْزَنَ الْقَاذُورَةُ الْمُتَعَبِّسُ²
يُضِيءُ سَنَا جُودِي لَمَنْ يَبْتَغِي الْقُرَى وَلَيْلُ بَخِيلِ الْقَوْمِ ظَلَمَاءُ حِنْدِسُ
أَلَيْنَ لَذِي الْقُرْبَى مِرَاراً وَتَلْتَوِي بِأَعْنَاقِ أَعْدَائِي حِبَالُ تَمَرَسُ³

[كان عبد الملك يتمثل بشعره ويعجب به]

قال : وكان عبد الملك يتمثل بقول شبيب في بذل النفس عند اللقاء ويُعجب

به : [من الطويل]

دَعَانِي حِصْنٌ لِلْفِرَارِ فِسَاءِنِي مَوَاطِنُ أَنْ يُثْنَى عَلَيَّ فَأَشْتَمَا
فَقُلْتُ لِلْحِصْنِ نَحْ نَفْسِكَ إِنَّمَا يَذُودُ الْفَتَى عَنْ حَوْضِهِ أَنْ يُهْدَمَا
تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أُنْقَدَمَا
سَيَكْفِيكَ أَطْرَافَ الْأَسْنَةِ فَارِسُ إِذَا رِيْعَ نَادَى بِالْجَوَادِ وَبِالْحِمَى
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَغْشَ الْمَكَارَةَ أَوْ شَكَّتْ حِبَالُ الْهُوْنَى بِالْفَتَى أَنْ تَجْذَمَا⁴

[سب مهاجته عقيل بن علفة]

نسختُ من كتاب أبي عبد الله اليزيدي ولم أقرأه عليه ، قال خالد بن كلثوم : كان الذي هاج الهجاء بين شبيب بن البرصاء وعقيل بن علفة أنه كان لبني نُشْبَةِ جَارٍ مِنْ بَنِي سَلَامَانَ بْنِ سَعْدٍ ، فَبَلَغَ عَقِيلًا عَنْهُ أَنَّهُ يَطُوفُ فِي بَنِي مَرَّةٍ يَتَحَدَّثُ إِلَى النِّسَاءِ فَاْمَتَلَأَ عَلَيْهِ غِيْظًا ، فَبَيْنَا هُوَ يَوْمًا جَالِسٌ وَعِنْدَهُ غِلْمَانٌ لَهُ وَهُوَ يَجْزُ إِبَالًا لَهُ عَلَى الْمَاءِ وَيَسْمُهَا إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِ السَّلَامَانِيُّ عَلَى رَاحِلَتِهِ ، فَوُثِبَ عَلَيْهِ وَهُوَ وَغِلْمَانُهُ فَضْرَبُوهُ ضَرْبًا مَبْرَحًا ، وَعَقَرَ رَاحِلَتَهُ ، وَانْصَرَفَ مِنْ عِنْدِهِ بَشَرًا ، فَلَمْ يَعُدْ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، وَلَجَّ الْهَجَاءُ بَيْنَهُمَا . وَكَانَ عَقِيلٌ شَرِسًا سَيِّئَ الْخَلْقِ غَيُورًا .

1 خمر مقدية : نسبة إلى مقد وهي قرية بالأردن . مشعشة : ممزوجة . الشنان : الماء البارد .

2 أحزن : صار في الحزن . القاذورة : السيء الخلق .

3 تتمرّس : يشتدّ التواؤها .

4 تجذّم : تقطّع .

[225] - أخبار دقاق

[تزوجت يحيى بن الربيع ثم بعدة من القواد والكتاب فماتوا]

كانت دقاق مغنيةً محسنة جميلة الوجه قد أخذت عن أكابر مُغني الدولة العباسية ، وكانت ليحيى بن الربيع ، فولدت له أحمد ابنه ، وعُمِّرَ عمراً طويلاً وحدثنا عنه جحظة ونظراؤه من أصحابنا ، وكان عالماً بأمر الغناء والمغنين ، وكان يغني غناء ليس بمُسْتَطاب ولكنه صحيح . ومات يحيى بن الربيع فتزوجت بعده من القواد والكتاب بعدة ، فماتوا وورثتهم .

[مغنية مجيدة مشهورة بالظرف والمجون]

فحدثني عمي قال حدثني أحمد بن الطيب السرخسي قال : كانت دقاق ، أم ولد ليحيى ابن الربيع أحمد المعروف بابن دقاق ، مغنيةً محسنة متقنة الأداء والصنعة ، وكانت قد انقطعت إلى حمدونة بنت الرشيد ثم إلى غَضِيض ، وكانت مشهورة بالظرف والمجون والفتوة . قال أحمد بن الطيب : وعَتَقْتُ¹ دقاق فتزوجها بعد مولها ثلاثة من القواد من وجوههم ، فماتوا جميعاً ، فقال عيسى بن زينب يهجوها :

قلتُ لما رأيتُ دارَ دقاق	حسنُها قد أضرَّ بالعشاق
حذروا الرابع الشقي دقاقاً	لا يكوننَّ نجمه في مُحاق
ألهُ عن بضْعها فإن دقاقاً	شومُ جرِّها قد سار في الآفاق ²
لم تضاجع بعلاً فهبَّ سليماً	بل جريحاً وجرحه غير راقٍ ³

[كتبت إلى حمدون تصف عنها فردها عليها]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني المهدي الشاعر قال حدثني أبو عبد الله بن حمدون وأخبرني جحظة عن ابن حمدون ، ورواية الكوكبي أتم ، قال : كتبت دقاق إلى أبي تصفُ عنها⁴ صفةً أعجزه الجوابُ عنها ، فقال له صديق له : ابعث إلى بعض المُخَنَّثين حتى يصف متاعك ، فيكون جوابها ، فأحضر بعضهم وأخبره الخبر ، فقال : اكتب إليها : عندي

1 عَتَقَ العبد : خرج عن العتق .

2 البضْع : التزوج ، والبضْع : النكاح .

3 راقٍ : مسهل راقٍ ، من رقا الدم أو الدمع : جف .

4 هن المرأة : فرجها .

القُوقُ¹ البُوقُ ، الأصلع المزبوق² ، الأقرع المفروق ، المنتفخُ العروق ، يسدُّ البُوقُ³ ، ويفتقُ الفتوق ، ويُرمُّ⁴ الخُروق ، ويقضي الحقوق ، أسدُّ بين جملين⁵ ، بغلُّ بين حمَلين⁶ ، منارةٌ بين صخرتين ، رأسه رأس كلب ، وأصله مترس⁷ دَرَب ، إذا دخل حَفَرٌ ، وإذا خرج قَشَرٌ ، لو نطح الفيلَ كَوَّره ، ولو دخل البحر كدَّره ؛ إذا رَقَّ الكلامُ ، وتقاربت الأجسام ، والتفت الساقُ بالساق ، ولُطِخَ باطنُها⁸ بالبُصاق ، وقُرِعَ البَيضُ بالذكور⁹ ، وجعلت الرماح تَمُور ، بطعن الفِقاح¹⁰ ، وشقَّ الأُحراح¹¹ ، صبرنا فلم نجزع ، وسلّمنا طائعين فلم نُخدع . قال : فقطعَها .

[مجلس بين ابنها وبين أبي الجاموس يعقوبي]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني أحمد بن الطيّب قال حدَّثني أحمد بن عليّ بن جعفر قال : حضرتُ مرّةً مجلساً وفيه ابنُ دقاق وفيه النصرانيّ المعروف بأبي الجاموس يعقوبيّ البرّاز قرابة بلال قال : فعبث ابن دقاق بأبي الجاموس ، فلمّا أكثر عليه قال : اسمعوا مِنّي ، ثم حلف بالحنيفية أنّ لا يكذب ، وحدَّثنا قال : مضيت وأنا غلام مع أستاذي إلى باب حمدونة بنت الرشيد ، ومعنا بَرٌّ نعرضه للبيع ، فخرجت إلينا دقاقُ أمُّ هذا تُقاوِلنا¹² في ثمن المتاع ، وفي يدها مِرْوحة على أحد وجهيها منقوشٌ : الحِرُّ إلى أُيرين أُحوجُ من الأير إلى حيرين ، وعلى الوجه الآخر : كما أنّ الرّحّا إلى بغلين أُحوج من البغل إلى رَحَوَيْن ، قال : فأسكته والله سكوتاً علّمنا معه أنّه لو خرّس لكان الخرّس أصوَنَ لعرضه ممّا جرى .

1 القوق : الفاحش الطول .

2 المزبوق : المنتوف .

3 البوق : الشقوق .

4 يرم : يصلح .

5 ل : بين شبلين .

6 ل : بين حمارين .

7 المترس : خشبة توضع خلف الباب .

8 ل : رأسه .

9 أخذه من قول مهلهل يرثي أخاه كليلاً :

فلولا الرّج أسمع أهل حجر صليل البيض تفرع بالذكور

والبيض : بيض الحديد الذي يلبس على الرأس . والذكور السيوف من حديد غير أنثى .

10 الفقاح : جمع فَقْحة ، وهي حلقة الدُّبُر .

11 الأُحراح : جمع جِرْح وهو الفرج .

12 تقاوِلنا : تفاوضنا .

[كان لها غلامان خلاسيان فرماها الناس بهما]

قال أحمد : وفي دقاق يقول عيسى بن زنب وكان لها غلامان خِلاسيان¹ يروّحانها في الخيش ، فتحدّث الناس أنّها قالت لواحد منهما أن ينيكها ، فعجّر فقالت له : نكني وأنت حرّ ، فقال لها : نيكيني أنتِ وبيعيني في الأعراب ، فقال فيها عيسى بن زنب : [من السريع]

أحسنُ من غنى لنا أو شدا دقاقُ في خفضٍ من العيشِ
لها غلامان ينيكانهما بعلة الترويحِ في الخيشِ

[قال فيها إبراهيم بن المهدي شعراً]

حدّثني جحظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال : كانت دقاق جارية يحيى بن الربيع تواصل جماعة كانوا يميلون إليها وتُري كلّ واحد منهم أنها تهواه ، وكانت أحسن أهل عصرها وجهاً ، وأشأمهم على من رابطها² وتزوجها ، فقال فيها أبو إسحاق ، يعني أباه :

صوت

عديمُك يا صديقة كلّ خلقي أكل الناس ويحك تعشقين؟
فكيف إذا خلطت الغث منهم بلحم سمينهم لا تبشمين³
فيه خفيف رمل ينسب إلى إبراهيم بن المهدي وإلى رقيق وإلى شارية .

[قال فيها أبو موسى الأعمى شعراً]

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثنا أبو هفان قال : خرج يحيى بن الربيع مولى دقاق ، وكانت قد ولدت منه ابنه أحمد بن يحيى ، إلى بعض النواحي ، وترك جاريته دقاق في داره ، فعلمت بعده الأوبد⁴ ، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً ، وأشأمه على أزواجها ومواليها وربطائها ، فقال أبو موسى الأعمى فيه : [من الخفيف]

قل ليحيى نعم صبرت على المو ت ولم تخش سهم ريب المنون
كيف قل لي أطقّت ويحك يا يح سى على الضعف منك حمل القرون !
ويح يحيى ما مرّ باست دقاق بعد ما غاب من سياط البطون

1 الخلاسي : الولد بين أبيض وأسود .

2 رابطها : لازمها .

3 بشيم : أتخم .

4 الأوبد : جمع أبدة ، وهي الداهية يبقى ذكرها على الأبد .

صوت
من المائة المختارة

[من الطويل]

تكاشرني كُرْهاً كأنَّكَ ناصحٌ وعينُك تُبْدي أنَّ صدرك لي دَوِي¹
لسانُكَ لي حلوٌ وعينُك علقمٌ وشُرُّكَ مبسوطٌ وخيرُكَ مُلتَوِي
الشعر ليزيد بن الحكم الثقفي والغناء لإبراهيم ثقل أول مطلق في مجرى البنصر عن
إسحاق ، وفيه لجهنم العطار خفيف ثقل عن الهشامي .

1 كاشره : ضحك في وجهه وبأسطه . دَوِي : مرض .

[226] - نسب يزيد بن الحكم وأخباره

[نسبه]

هو يزيد بن الحكم بن عثمان بن أبي العاص صاحب رسول الله ﷺ ، كذلك وجدت نسبه في نسخة ابن الأعرابي . وذكر غيره أنه يزيد بن الحكم بن أبي العاص ، وأن عثمان عمه ، وهذا هو القول الصحيح . وأبو العاص بن بشر بن عبد دهمان بن عبد الله بن همام بن أبان بن يسار بن مالك بن حطيظ بن جشم بن قسي وهو ثقيف .

[روى جده عثمان حديثاً]

وعثمان جده أو عم أبيه أحد من أسلم من ثقيف يوم فتح الطائف هو وأبو بكره ، وشط عثمان بالبصرة منسوب إليه ؛ كانت له هناك أرض أقطعها وابتاعها وقد روى عن رسول الله ﷺ الحديث ، وروى عنه الحسن بن أبي الحسن ومطرف بن عبد الله بن الشخير وغيرهما من التابعين .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا بشر بن موسى قال حدثنا الحميدي قال حدثنا سفيان ، سمعه من محمد بن إسحاق ، وسمعه محمد بن سعيد بن أبي هند ، وسمعه سعيد بن أبي هند من مطرف بن عبد الله بن الشخير قال : سمعت عثمان بن أبي العاص الثقفي يقول : قال لي رسول الله ﷺ : «أَمْ قَوْمَكَ واقدرهم بأضعفهم فإن منهم الضعيف والكبير وذو الحاجة» . قال الحميدي وحدثنا الفضيل بن عياض عن أشعب عن الحسن بن عثمان بن أبي العاص قال قال رسول الله ﷺ : «اتخذوا مؤذناً ولا يأخذ على أذانه أجراً» .

[مر به الفرزدق وهو ينشد شعراً فامتدحه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا العلاء بن الفضل قال حدثني أبي قال : مرّ الفرزدق بيزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي وهو ينشد في المجلس شعراً فقال : من هذا الذي ينشد شعراً كأنه من أشعارنا ؟ فقالوا : يزيد بن الحكم ، فقال : نعم ؛ أشهد بالله أن عمّتي ولدته . وأمّ يزيد بكرة بنت الزبرقان بن بدر ، وأمّها هنيذة بنت صغصعة بن ناجية . وكانت بكرة أول عربية ركب البحر فأخرج بها إلى الحكم وهو بتوّج¹ ، وكان الزبرقان يكنى أبا العباس ، وكان له بنون منهم العباس وعياش .

1 توّج : بلد بفارس .

[خبره مع الحجاج وقد ولّاه كورة فارس]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثنا الحزامي قال : دعا الحجاجُ بن يوسف بيزيد بن الحكم الثقفي ، فولّاه كورة فارس ، ودفع إليه عهده بها ، فلمّا دخل عليه ليودّعه قال له الحجاج : أنشدني بعض شعرك ، وإنما أريد أن يُنشدّه ، مدحاً له ، فأنشده قصيدةً يفخر فيها ويقول :

وأبي الذي سلب ابن كسرى رايةً بيضاء تخفق كالعقاب الطائر
فلما سمع الحجاج فخره نهض مغضباً ، فخرج يزيد من غير أن يودّعه ، فقال الحجاج لحاجبه : ارتجع منه العهد ، فإذا ردّه فقل له : أيهما خير لك : ما ورثك أبوك أم هذا ؟ فردّ على الحاجب العهد وقال : قل له :

ورثتُ جدّي مجده وفعله وورثتُ جدك أعزاً بالطائف

[خرج عن الحجاج مغضباً ولحق بسليمان بن جد الملك ومدحه]

وخرج عنه مغضباً ، فلحق بسليمان بن عبد الملك ومدحه بقصيدته التي أولّها : [من البسيط]
أُمسى بأسماء هذا القلب معموداً إذا أقول صحا يعتاده عيدا
يقول فيها :

سُميتَ باسم امرئ أشبهتَ شيمته عدلاً وفضلاً سليمان بن داوداً
أحمدُ به في الورى الماضين من ملكٍ وأنت أصبحت في الباقيين محموداً
لا يترأ الناس من أن يحمدا ملكاً أولاهُم في الأمور الحلم والجوداً

فقال له سليمان : وكم كان أجرى لك لعمالة فارس ؟ قال : عشرين ألفاً . قال : فهي لك عليّ ما دمت حياً . وفي أول هذه القصيدة غناء نسبته :

صوت

أُمسى بأسماء هذا القلب معموداً إذا أقول صحا يعتاده عيدا
كأنّ أحورَ من غزلان ذي بقرٍ أهدى لها شبة العينين والجيدا¹
أجرى على موعِدٍ منها فتخلفني فلا أملٌ ولا تُوفي المواعيدا
كأنني يوم أُمسي لا تكلمني ذو بُغية يتغي ما ليس موجوداً

ومن الناس من ينسب هذه الأبيات إلى عمر بن أبي ربيعة وذلك خطأ .

عروضه من البسيط ، والغناء للغريض ، ثقیل أول بالنصر في مجراها عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانه أنه لمعبد ثقیل أول بالوسطى .
[حديثه مع الحجاج وقد سمع شعره في رثاء ابنه عنبس]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال أخبرنا ابن عيَّاش عن أبيه قال : سمعت الحجاج ، واستوى جالساً ، ثم قال : صدق والله زهير بن أبي سلمى حيث يقول :

وما العفو إلا لامرئ ذي حفيظة متى يغف عن ذنب امرئ السوء يلجج
فقال له يزيد بن الحكم : أصلح الله الأمير ، إني قد رثيت ابني عنبساً بيت ، إنه لشبيه بهذا . قال : وما هو ؟ قال قلت :

ويأمن ذو حلم العشيرة جهله عليه ، ويخشى جهله جهلاؤها
قال : فما منعك أن تقول مثل هذا لحمد ابني ترثيه به ؟ فقال : إن ابني والله كان أحب إلي من ابنك .

وهذه الأبيات من قصيدة أخبرني بها عمي عن الكرائي عن الهيثم بن عدي . قال : كان ليزيد بن الحكم ابن يقال له عنبس ، فمات فجزع عليه جزعاً شديداً وقال يرثيه : [من الطويل]

جَزَى اللهُ عَنِّي عَنبَساً كُلَّ صَالِحٍ إِذَا كَانَتْ الْأَوْلَادُ سَيِّئاً جَزَاؤُهَا
هُوَ ابْنِي وَأَمْسَى أَجْرُهُ لِي وَعَزِّي عَلَى نَفْسِهِ رَبُّ إِلَيْهِ وَلَاؤُهَا
جَهْلٌ إِذَا جَهْلُ الْعَشِيرَةِ يُتَغَى حَلِيمٌ وَيَرْضَى حَلْمَهُ حُلْمَاؤُهَا
وبعد هذا البيت المذكور في الخبر الأول .

[شاعر ثقیف في الجاهلية خير من شاعرها في الإسلام]

أخبرني عمي قال حدثنا الكرائي قال حدثنا العمري عن لقيط قال قال عبد الملك بن مروان : كان شاعر ثقیف في الجاهلية خيراً من شاعرهم في الإسلام ، فقیل له : من يعنى أمير المؤمنين ؟ فقال لهم : أما شاعرهم في الإسلام فيزيد بن الحكم حيث يقول :

فما منك الشبابُ ولست منه إِذَا سَأَلْتُكَ لِحَيْثُكَ الْخِضَابُ
عَقَائِلُ مَنْ عَقَائِلُ أَهْلِ نَجْدٍ وَمَكَّةَ لَمْ يُعَقِّلَنَّ الرُّكَابُ
وَلَمْ يَطْرُدَنَّ أَبْقَعَ يَوْمٍ ظَعْنٍ وَلَا كَلْباً طَرَدَنَّ وَلَا غَرَاباً
وقال شاعرهم في الجاهلية :

[من الكامل]

والشيب إن يظهر فإن وراءه عُمراً يكون خلاؤه مُتَنَفِّسُ
لم يَنْتَقِصْ مِنْي الْمَشِيبُ قَلَامَةً وَلَمَّا بَقِيَ مِنْي أَلْبٌ وَأَكَيْسُ¹

[شعره ليزيد بن المهلب حين خلع يزيد بن عبد الملك]

أخبرني عمِّي قال حَدَّثَنَا الْكُرَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ عَنْ لَقِيطٍ قَالَ قَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ
الثَّقَفِيُّ لِيَزِيدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ حِينَ خَلَعَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ :

أَبَا خَالِدٍ قَدْ هِجَّتْ حَرْباً مَرِيرَةً وَقَدْ شَمَرْتُ حَرْبٌ عَوَانٌ فَشَمِرُ
فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ : بِاللَّهِ أُسْتَعِينُ ، ثُمَّ أَنْشَدَهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلَهُ :

فَإِنْ بَنِي مَرَوَانَ قَدْ زَالَ مُلْكُهُمْ فَإِنْ كُنْتُ لَمْ تَشْعُرْ بِذَلِكَ فَاشْعُرِ
فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ : مَا شَعَرْتُ بِذَلِكَ ، ثُمَّ أَنْشَدَهُ فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلَهُ :

فَمَتْ مَا جَدَأَ أَوْ عَشْ كَرِيماً فَإِنْ تَمْتُ وَسَيْفَكَ مَشْهُورٌ بِكَفِّكَ تُعْذِرُ
قال : هذا ما لا بدَّ منه .

قال العمري : وَحَدَّثَنِي الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ عَنْ ابْنِ عِيَّاشٍ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ إِذَا كَتَبَ
إِلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، فَوَقَعَ إِلَيْهِ تَحْتَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ : أُسْتَعِينُ بِاللَّهِ . وَتَحْتَ
الْبَيْتِ الثَّانِي : مَا شَعَرْتُ . وَتَحْتَ الْبَيْتِ الثَّلَاثِ : أَمَّا هَذِهِ فَنَعَمْ .
[مدح يزيد بن المهلب وهو في سجن الحجاج]

أخبرني محمد بن خلفٍ وَكَيْعٌ قَالَ حَدَّثَنِي الْغَلَابِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ عَائِشَةَ قَالَ : دَخَلَ
يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ عَلَى يَزِيدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ فِي سَجْنِ الْحَجَّاجِ وَهُوَ يَعْذِبُ ، وَقَدْ حُلَّ عَلَيْهِ نَجْمٌ كَانَ قَدْ
نُجِّمٌ² عَلَيْهِ ، وَكَانَتْ نَجُومُهُ فِي كُلِّ أَسْبُوعٍ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَقَالَ لَهُ :

أَصْبَحَ فِي قَيْدِكَ السَّمَاحَةُ وَالْجَوُ دُ وَفَضْلُ الصَّلَاحِ وَالْحَسَبِ³
لَا بَطَرٌ إِنْ تَتَابَعْتَ نَعَمْ وَصَابِرٌ فِي الْبَلَاءِ مُحْتَسِبٌ
بَزَزْتَ سَبْقَ الْجِيَادِ فِي مَهَلٍ وَقَصَّرْتَ دُونَ سَعْيِكَ الْعَرَبُ

قال : فَالْتَفَتَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى مَوْلَى لَهُ ، وَقَالَ : أَعْطِهِ نَجْمَ هَذَا الْأَسْبُوعِ ، وَنَصْبِرُ عَلَى
الْعَذَابِ إِلَى السَّبْتِ الْآخَرِ .

وقد رُوِيَ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ وَالْقِصَّةُ لِحُمَزَةَ بْنِ بَيْضٍ مَعَ يَزِيدٍ .

1 أَلْبٌ وَأَكَيْسٌ : أَكْثَرُ عَقْلاً وَحِزْماً .

2 تَنْجِيمُ الدِّينِ : أَنْ يَقْدِرَ دَفْعُهُ فِي أَوْقَاتٍ مَعْلُومَةٍ مُتَابَعَةً مُشَاهِرَةً أَوْ مَسَانَةً .

3 وَفَضْلُ الصَّلَاحِ فِي ل : وَحَمْلُ السَّلَاحِ .

[جرير يروي بعض شعره]

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني هارون بن مسلم قال حدثني عثمان بن حفص قال حدثني عبد الواحد عريف ثقيف بالبصرة : أن العباس بن يزيد بن الحكم الثقفي هرب من يوسف بن عمر إلى اليمامة ، قال : فجلست في مسجد لها وغشيتني قوم من أهلها ، قال : فوالله إني لكذلك إذا أنا بشيخ قد دخل يترجّع في مشيته ، فلما رأيته أقبل إلي ، فقال القوم : هذا جرير ، فأتاني حتى جلس إلى جنبي ، ثم قال لي : السّلام عليك ، ممن أنت ؟ قلت : [رجل من ثقيف . قال : أعرضت¹ الأديم ، ثم ممن ؟ قلت :] رجل من بني مالك ، فقال : لا إله إلا الله ! أمثلك يعرف بأهل بيته ! فقلت : أنا رجل من ولد أبي العاصي ، قال : ابن بشر ؟ قلت : نعم . قال : أيهم أبوك ؟ قلت : يزيد بن الحكم . قال : فمن الذي يقول :

فَنَيَّ الشَّبَابُ وَكُلُّ شَيْءٍ فَإِنْ
قلت : أبي ، قال . فمن الذي يقول :

أَلَا لَا مَرْجَبًا بِفِرَاقٍ لَيْلٍ
شَبَابٌ بَانَ مَحْمُودًا وَشَيْبٌ
فَمَا مِنْكَ الشَّبَابُ وَلَسْتَ مِنْهُ
قلت : أبي ، قال : فمن الذي يقول :

تَعَالَوْا فَعُدُّوا يَعْلَمُ النَّاسُ أَيُّنَا
تَزِيدُ يَرْبُوعٌ بِكُمْ فِي عِدَادِهَا
لصاحبه في أول الدهر تابع
كما زيد في عرض الأديم الأكارع²

قال : قلت : غفر الله لك ، كان أبي أصون لنفسه وعرضه من أن يدخل بينك وبين ابن عمك ، فقال : رحم الله أباك ، فقد مضى لسبيله ، ثم انصرف ، فنزلني بكبشين ، فقال لي أهل اليمامة : ما نزل أحداً قبلك قط .

[شعره في جارية مغنية كان يهواها]

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن إبراهيم الموصلي عن يزيد حوراء المغني قال : كان يزيد بن الحكم الثقفي يهوى جارية مغنية ، وكانت غير مطاوعة له ، فكان يهيم بها ، ثم قدم رجل من أهل الكوفة فاشتراها ، فمرت بيزيد بن

1 أعرض الشيء وعرضه : جعله عريضاً أي واسعه .

2 الأكارع : جمع كراع ، وهو من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس وهو مستدق الساق .

الحكم مع غلّمة لمولاها وهي راحلة ، فلمّا علِمَ بذلك رفع صوته فقال : [من مخلع البسيط]

يا أيّها النازحُ الشُّوعُ ودائعُ القلب لا تَضِيعُ¹
أُسودُعُ اللهَ مَنْ إليه قلبي على نأيه نَزُوعُ²
إذا تذكّرته استهلّت شوقاً إلى وجهه الدّموعُ

[الجارية تكتب إليه]

ومضت الجارية وغاب عنه خبرها مدّة ، فبينما هو جالسٌ ذات يوم إذ وقف عليه كهل فقال له : أنت يزيدُ بنُ الحكم ؟ قال : نعم ، فدفع إليه كتاباً مختوماً ، ففضّه فإذا كتابها إليه وفيه :

[من مخلع البسيط]

لئن كوى قلبك الشُّوعُ فالقلبُ مِنّي به صُدُوعُ
وبي وربُّ السماء فاعلم إليك يا سيّدي نَزُوعُ
أعزّزْ علينا بما تلاقي فينا وإن شَفَّنَا الولُوعُ
فالنفسُ حرّى عليك ولهى والعين عبّرى لها دموعُ
فموتنا في يدِ الثنائي وعيشنا القربُ والرجوعُ
وحيثما كنتَ يا منايا فالقلبُ مِنّي به خُشُوعُ
ثم عليك السلام مِنّي ما كان من شمسها طلُوعُ

قال : فيكى والله حتى رحمه من حضر ، وقال لنا الكهل : ما قصّته ؟ فأخبرناه بما بينهما ، فجعل يستغفر الله من حَمَلِهِ الكتاب إليه ، وأحسب أنّ هذا الخبر مصنوع ؛ ولكن هكذا أخبرنا به ابن أبي الأزر .

[شعر نسب إليه وإلى طرفة بن العبد وأبو الفرج يرى أنه ليس من نوع شعر طرفة]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسان دَمَازُ عن أبي عبيدة قال أنشدني أبو الزعراء ، رجلٌ من بني قيس بن ثعلبة ، لطرفة بن العبد :

[من الطويل]

تُكاشرني كرهأ كأنك ناصح وعينك تُبدي أن صدرك لي جوي

قال : فعجبت من ذلك وأنشدته أبا عمرو بن العلاء وقلت له : إني كنت أرويه ليزيد بن الحكم الثقفيّ فأنشدني أبو الزعراء لطرفة بن العبد ، فقال لي أبو عمرو : إنّ أبا الزعراء في سنّ يزيد بن الحكم ، ويزيد مولّد يعجد الشعر ، وقد يجوز أن يكون أبو الزعراء صادقاً .

1 الشُّوع : الشّاع البعيد .

2 النزوع : المشتاق .

قال مؤلف هذا الكتاب : ما أظنُّ أبا الزعراء صدق فيما حكاه ، لأنَّ العلماء من رواة الشعر رَوَوْها ليزيد بن الحكم ، وهذا أعرابيٌّ لا يحصِّل ما يقوله ، ولو كان هذا الشعر مشكوكاً فيه أنَّه ليزيد بن الحكم ، وليس كذلك ، لكان معلوماً أنَّه ليس لطرفة ، ولا موجوداً في شعره على سائر الروايات ، ولا هو أيضاً مشبهاً لمذهب طرفة ونمطه ، وهو يزيد أشبه ، وله في معناه عدَّة قصائد يعاتب فيها أخاه عبد ربَّه بن الحكم وابن عمِّه عبد الرحمن بن عثمان بن أبي العاصي . ومن قال إنَّه ليزيد بن الحكم بن عثمان قال إنَّ عمِّه عبد الرحمن هو الذي عاتبه ، وفيه يقول : [من الطويل]

وموئلي كذئبِ السَّوء لو يستطيعني
وأعْرضُ عَمَّا ساءه وكأنتما
مجاملةٌ منِّي وإكرامَ غيره
ولو شئت لولا الحلمُ جدعتُ أنفه
حفاظاً على أحلام قوم رزئتهم
أصاب دمي يوماً بغير قتيل
يقاد إلى ما ساءني بدليل
بلا حسنٍ منه ولا بجميل
بايعاب جَدْعٍ بادىءٍ وعليل¹
رِزانٍ يَزينون النَّدِيَّ كُهول

وقال في أخيه عبد ربَّه :

أخي يُسرُّ لي الشَّحناء يُضْمِرُها
حرَّانُ ذو غَصَّةٍ جرَّعتُ غَصَّتَه
حتى إذا ما أساغ الرِّيقَ أنزلني
أسعى فيكفرُ سعيي ما سعى له
وكم يدٍ ويدٍ لي عنده ويدٍ
حتى وري جَوْفه من غِمْرِه الداء²
وقد تعرَّض دون الغصَّةِ الماءُ
منه كما يُنزل الأعداءُ أعداءُ
إنِّي كذاك من الإخوان لَقَاءُ
يعدَّهنَّ تِراتٍ وهْيَ آلاءُ

فأمَّا تمام القصيدة التي نُسبت إلى طرفة فأنا أذكر منها مُختارها لِيُعْلَمَ أنَّ مردول كلام

طرفة فوقه :

تُصافِحُ من لا قيتَ لي ذا عداوةٍ
أراك إذا لم أهوْ أَمْراً هَوَيْتَه
أراك اجتويتَ الخيرَ منِّي واجتوي
فليت كَفافاً كان خيرُك كلَّه
صِفاحاً وعني بين عينيك مُنزوي
ولستَ لِمَا أهوى من الأمرِ بالهوي
أذاك ، فكلُّ يجتوي قُرْبَ مجتوي
وشركُ عني ما ارتوى الماءُ مرتوي

1 جدعت : قطعت . وأوعبه إيعاباً : استوعبه .

2 يقال : وري القيح جوفه : أفسده . الغمر : الحقد والغل .

عدوك يخشى صولتي إن لقيته وأنت عدوي ، ليس ذاك بمستوي
وكم موطنٍ لولاي طحت كما هوى بأجرامه من قلة النيقٍ منهوي¹
إذا ما ابتنى المجد ابنُ عمك لم تعن وقلت ألا يا ليت بنيانه خوي²
كأنك إن نال ابنُ عمك مغنماً شجٍ أو عميداً أو أخو غلةٍ لوي³
وما برحت نفسٌ حسودٌ حُشيتَها تُذريك حتى قيل هل أنت مكتوي
جمعت وفحشاً غيبةً ونميمةً ثلاث خصال لست عنهن ترعوي
ويدحو بك الداحي إلى كل سوءة فيا شرّ من يدحو إلى شرّ مُدحوي⁴
بدا منك غشٌ طالما قد كتمته كما كتمت داء ابنها أمّ مدوي⁵
وهذا شعرٌ إذا تأمله من له في العلم أدنى سَهْمٍ عَرَفَ أنه لا يدخل في مذهب طرفة ولا يقاربه .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

أبى القلب إلا أمّ عوفٍ وحبها عجوزاً ، ومن يعشقُ عجوزاً يُفندٍ
كثوب يمانٍ قد تقادمَ عهده ورُقعته ما شئت في العين واليد
الشعر لأبي الأسود الدؤلي والغناء لعلّويه ، ثقیل أول بالنصر عن عمرو بن بانه .

1 طاح يطيح ويطوح : هلك . أجرام : جمع جرم وهو الجسم . القلة : أعلى الجبل . النيق : أرفع موضع في الجبل .

2 نخوي المنزل : خلا من أهله .

3 شج : حزين . لوي : أصابه اللوى ؛ وهو وجع في الجوف .

4 ل :

ويدعو بك الداعي إلى كل سوءة فيا شرّ من يدعو إلى شرّ من دُعي

5 أدوى : أكل الدواية ، وهي جليلة رقيقة تعلقو اللبن والمرق .

[227] - أخبار أبي الأسود الدؤلي ونسبه

[نسبه]

اسمه ظالم بن عمرو بن سُفَيان بن جَنْدَل بن يَعْمُر بن حِلْس بن نُفَائَةَ بن عَدِيّ بن الدُّلّ بن بكر بن عبد مَنَاة بن كِنانة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكَة بن إلياس بن مضر بن نزار ، وهم إخوة قريش ، لأنّ قريشاً مختلَفٌ في الموضع الذي افترقت [فيه] مع بني أبيها ، فخصّت بهذا الاسم دونهم ، وأبعد مَنْ قال في ذلك مَدَى مَنْ زعم أن النضر بن كِنانة منتهى نسب قريش ؛ فأما النسابون منهم فيقولون إن من لم يُلِدْه فِهْر بن مالك بن النضر فليس قرشيّاً .

[كان من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدثيهم]

وكان أبو الأسود الدؤليّ من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدثيهم . وقد روى عن عمر بن الخطّاب وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما فأكثر ، وروى عن ابن عباس وغيره ، واستعمله عمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وكان من وجوه شيعة عليّ . وذكر أبو عبيدة أنّه أدرك أوّل الإسلام وشهد بدرّاً مع المسلمين . وما سمعتُ بذلك عن غيره .

[ولآه عليّ البصرة بعد ابن عباس]

وأخبرني عمّي عن ابن أبي سعد عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد السُّلَميّ عن أبي عبيدة مثله .

واستعمله عليّ رضي الله عنه على البصرة بعد ابن عباس ، وهو كان الأصل في بناء النحو وعقْدِ أصوله .

[كان أوّل مَنْ وضع النحو ورسم أصوله]

أخبرنا أبو جعفر بن رُسْتَم الطُّبريّ النحويّ بذلك عن أبي عثمان المازنيّ عن أبي عمر الجرميّ عن أبي الحسن الأخفش عن سيبويه عن الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله ابن أبي إسحاق الحضرميّ عن عَنَسَة الفيل وميمون الأقرن عن يحيى بن يَعْمُر الليثيّ .

أنّ أبا الأسود الدؤليّ دخل إلى ابنته بالبصرة فقالت له : يا أبت ما أشدّ الحرّ ! (رفعتْ أشدّ) فظنّها تسأله وتستفهم منه : أيّ زمان الحرّ أشدّ ؟ فقال لها : شهر ناجر ، [يريد شهر صفر . الجاهلية كانت تسمّي شهور السنة بهذه الأسماء] . فقالت : يا أبت إنّما أخبرتك ولم أسألك . فأتى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ، ذهبت لغة العرب لما خالطت العجم ، وأوشك إن تطاول عليها زمان أن تضمحلّ ، فقال له : وما

ذلك ؟ فأخبره خبر ابنته ، فأمره فاشترى صحفاً بدرهم ، وأملّ عليه : الكلام كلّ لا يخرج عن اسم وفعلٍ وحرفٍ جاء لمعنى ، وهذا القول أول كتاب سيبويه ، ثم رسم أصول النحو كلّها ، فنقلها النحويون وفرعوها . قال أبو الفرج الأصفهاني : هذا حفظته عن أبي جعفر وأنا حديث السنّ ، فكتبته من حفظي ، واللفظ يزيد وينقص وهذا معناه .
[أمره زياد أن ينقط المصاحف فنقطها]

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني قال : أمر زياد أبا الأسود الدؤلي أن ينقط المصاحف ، فنقطها ورسم من النحو رسوماً ، ثم جاء بعده ميمون الأقرن فزاد عليه في حدود العربية ، ثم زاد فيها بعده عنبسة بن معدان المهري ، ثم جاء عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء فزادا فيه ، ثم جاء الخليل بن أحمد الأزدي وكان صليبة فلحب الطريق¹ . ونجم علي بن حمزة الكسائي مولى بني كاهل من أسد فرسم للكوفيّين رسوماً هم الآن يعملون عليها .
[أخذ النحو عن علي]

أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال حدثنا التوزي والمهري قالوا حدثنا كيّسان بن المعروف الهجيمي أبو سليمان عن أبي سفيان بن العلاء عن جعفر بن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي عن أبيه قال : قيل لأبي الأسود : من أين لك هذا العلم ؟ ، يعنون به النحو ، فقال : أخذت حدوده عن علي بن أبي طالب عليه السلام .
[خبره مع زياد في سبب وضع النحو]

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثني عبيد الله بن محمد عن عبد الله بن شاعر العبيري عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود قال : أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي ، جاء إلى زياد بالبصرة فقال له : أصلح الله الأمير ، إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم ، وتغيّرت ألسنتهم ، أفأذن لي أن أضع لهم علماً يقيمون به كلامهم ؟ قال : لا . قال : ثم جاء زياداً رجل فقال : مات أبانا وخلف بنون ، فقال زياد : مات أبانا وخلف بنون ! ردّوا إليّ أبا الأسود الدؤلي ، فردّ إليه ، فقال : ضع للناس ما نهيتك عنه . فوضع لهم النحو . وقد روى هذا الحديث عن أبي بكر بن عياش يزيد بن مهران ، فذكر أن هذه القصة كانت بين أبي الأسود وبين عبيد الله بن زياد .

[أول باب وضعه في النحو باب التعجب]

أخبرني أحمد بن العباس قال حدثنا العنزي عن أبي عثمان المازني عن الأخفش عن

1 صليبة : عربي صليب : خالص النسب ، وامرأة صليبة : كريمة النسب عريقة . لحب الطريق : بيته .

الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله بن أبي إسحاق عن أبي حرب بن أبي الأسود قال : أول باب وضعه أبي من النحو باب التعجب .

[كان معدوداً في طبقات من الناس وهو في كلها مقدم]

وقال الجاحظ : أبو الأسود الدؤلي معدود في طبقات من الناس ، وهو في كلها مقدم ، ماثور عنه الفضل في جميعها ؛ كان معدوداً في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والأشراف والفرسان والأمراء والدعاة والنحويين والحاضري الجواب والشيعة والبخلاء والصلح الأشراف والبخر الأشراف .

[حديثه عن عمر بن الخطاب]

فمما رواه من الحديث عن عمر مسنداً عن النبي ﷺ ، حدثنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي قال حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب قال حدثنا يونس بن محمد قال حدثنا داود بن أبي الفرات عن عبد الله بن أبي بريدة عن أبي الأسود الدؤلي قال : أتيت المدينة فوافقتها وقد وقع فيها مرض فهم يموتون موتاً ذريعاً ، فجلست إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، فمرت به جنازة فأتني على صاحبها خير ، فقال عمر رضي الله عنه : وجبت ، ثم مر بأخرى فأتني على صاحبها بشر ، فقال عمر : وجبت ، فقال أبو الأسود : ما وجبت يا أمير المؤمنين ؟ فقال : قلت كما قال رسول الله ﷺ : «أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة» فقلنا : وثلاثة ؟ قال : «وثلاثة» ، فقلنا : واثنان ؟ قال : «اثنان» ، ثم لم نسأله عن الواحد .

حدثني حماد بن سعيد قال حدثنا أبو خيثمة قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي عن قتادة عن أبي الأسود الدؤلي قال : خطب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الناس يوم الجمعة فقال : إن نبي الله ﷺ قال : «لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصوره حتى يأتي أمر الله جل وعز» .

[حديثه عن علي]

ومما رواه عن علي بن أبي طالب عليه السلام أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي قال حدثنا هناد بن السري قال حدثنا عبدة بن سليمان عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي عن أبيه أبي الأسود الدؤلي عن علي كرم الله وجهه أنه قال في بول الجارية : يغسل ، وفي بول الغلام : يُنضح ما لم يأكلا الطعام .

[تابع ابن عباس حين خرج من البصرة إلى المدينة ليرده فابى]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا البغوي قال حدثنا علي بن الجعد قال حدثنا معلّى بن هلال عن الشعبي وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا المدائني جميعاً قالوا : لما خرج ابن عباس رضي الله عنهما إلى المدينة من البصرة تبعه أبو

الأسود في قومه ليردّه ، فاعتصم عبد الله بأخواله من بني هلال فمنعوه ، وكادت تكون بينهم حرب ، فقال لهم بنو هلال : نَنشُدُكم الله ألاَّ تَسْفِكُوا بيننا دماءَ تَبْقَى معها العداوة إلى آخر الأبد ، وأمير المؤمنين أولى بابن عمّه ، فلا تُدخلوا أنفسكم بينهما ، فرجعت كنانة عنه ، وكتب أبو الأسود إلى عليّ عليه السلام فأخبره بما جرى ، فولّاه البصرة .

[كان كاتباً لابن عباس على البصرة قبل أن يتولّاها]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ ووكيع وعمّي قالوا جميعاً حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عمران الضبيّ قال حدّثني خالد بن عبد الله قال حدّثني أبو عبيدة معمر بن المثنّى قال : كان أبو الأسود الدؤليّ كاتباً لابن عباس على البصرة ، وهو الذي يقول : [من الكامل]

وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْحَوَائِجِ حَاجَةً فَادْعُ إِلَاهَهُ وَأَحْسِنِ الْأَعْمَالَ
فَلْيُعْطِيَنَّكَ مَا أَرَادَ بِقُدْرَةٍ فَهُوَ اللَّطِيفُ لِمَا أَرَادَ فِعْلاً
إِنَّ الْعِبَادَ وَشَأْنَهُمْ وَأُمُورَهُمْ بِيَدِ إِلَهِهِ يَقْلُبُ الْأَحْوََالَ
فَدَعِ الْعِبَادَ وَلَا تَكُنْ بِطِلَابِهِمْ لَهْجاً تَضَعُضَعُ لِلْعِبَادِ سُؤَالَ¹

[كان يكثر الخروج والركوب في كبره وتعليله ذلك]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرّياشيّ عن محمد بن سلام قال : كان أبو الأسود الدؤليّ قد أَسَنَّ وكَبِرَ ، وكان مع ذلك يركب إلى المسجد والسُّوق ويزور أصدقاءه ، فقال له رجل : يا أبا الأسود ، أراك تُكثر الركوب وقد ضَعُفْتَ عن الحركة وكَبِرْتَ ، ولو لَزِمْتَ منزلك كان أَوْدَعَ لك . فقال له أبو الأسود : صدقت ولكن الركوب يُشَدُّ أَعْضَائِي ، وأَسْمَعُ من أخبار الناس ما لا أَسْمَعُهُ في بيتي ؛ وأَسْتَنْشِي الرِّيحَ ، وأَلْقَى إِخْوَانِي ، ولو جلست في بيتي لا غَنَمَ بي أَهْلِي ، وَأَنْسَ بي الصَّبِيَّ ، وَاجْتَرَأَ عَلَيَّ الْخَادِمَ ، وَكَلَّمَنِي مِنْ أَهْلِي مِنْ يَهَابِ كَلَامِي ، لِأَلْفِهِمْ إِيَّايَ ، وَجُلُوسِهِمْ عِنْدِي ؛ حَتَّى لَعَلَّ الْعَنْزَ أَنْ تَبُولَ عَلَيَّ فَلَا يَقُولُ لَهَا أَحَدٌ : هُـسُّ² .

[سأله بنو الدليل المعاونة في دية رجل فأبى وعَلَّ امتناعه]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أبي قال حدّثنا أبو عكرمة قال : كان بين بني الدليل وبين بني ليث منازعة ، فقتلت بنو الدليل منهم رجلاً ، ثم اصطَلَحُوا بعد ذلك على أن يُوَدُّوا دِيَتَهُ ، فَاجْتَمَعُوا إلى أبي الأسود يسألونه المعاونة على أدائها ، وألحَّ عليه غلام منهم ذو بيانٍ وعارِضة ، فقال له : يا أبا الأسود ، أنت شيخ العشيرة وسيدهم ، وما يمنعك من معاونتهم قَلَّةَ ذاتِ يَدٍ ولا سُودِدٍ ولا جود ، فلَمَّا أَكْثَرَ أَقْبَلَ عليه أبو الأسود ، ثم قال له : قد

1 تتضعض : تخضع وتذلّ .

2 هُـسُّ : زجر للغنم .

أكثر يا ابن أخي فاسمع مني : إن الرجل والله ما يعطي ماله إلا لإحدى خلال : إما رجل أعطى ماله رجاء مكافأة ممن يعطيه ، أو رجل خاف على نفسه فوقها بماله ، أو رجل أراد وجه الله وما عنده في الدار الآخرة ، أو رجل أحمق خدع عن ماله ، والله ما أنتم إحدى هذه الطبقات ، ولا جئتم في شيء من هذا ، ولا عمك الرجل العاجز فينخدع هؤلاء ، ولما أقدت إياه في عقلك خير لك من مال أبي الأسود لو وصل إلى بني الدليل ، قوموا إذا شئتم .
فقاموا يبادرون الباب .

[استهزأ به رجل فرد عليه فأفحمه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : كان طريق أبي الأسود الدؤلي إلى المسجد والسوق في بني تميم الله بن ثعلبة وكان فيهم رجل متفحش يكثر الاستهزاء بمن يمر به ، فمر به أبو الأسود الدؤلي يوماً فقال لقومه : كأن وجه أبي الأسود وجه عجوز راحت إلى أهلها بطلاق ، فضحك القوم ، وأعرض عنهم أبو الأسود . ثم مر به مرة أخرى ، فقال لهم : كأن غضون قفا أبي الأسود غضون الفجاج . فأقبل عليه أبو الأسود فقال له : هل تعرف فقة أمك فيهن ؟ فأفحمه ، وضحك القوم منه ، وقاموا إلى أبي الأسود ، فاعتذروا إليه مما كان ، ولم يعاوده الرجل بعد ذلك ، وقال فيه أبو الأسود بعد ذلك حين رجع إلى أهله :

[من الطويل]

وَأَهْوَجَ مِلْجَاجٍ تَصَامَمْتُ قَبْلَهُ	أَنْ أَسْمَعَهُ وَمَا بِسَمْعِي مِنْ بَاسٍ
وَلَوْ شِئْتُ قَدْ أَعْرَضْتُ حَتَّى أَصِيبَهُ	عَلَى أَنْفِهِ حَدْبَاءٌ تُغْضِلُ بِالْأَسِي ¹
فَإِنْ لِسَانِي لَيْسَ أَهْوَنَ وَقَعَةً	وَأَصْغَرَ آثَاراً مِنَ النَّحْتِ بِالْفَاسِ
وَذِي إِحْنَةٍ لَمْ يُبْدِهَا غَيْرَ أَنَّهُ	كَذِي الْخَبْلِ تَأْبَى نَفْسُهُ غَيْرَ وَسَاسِ
صَفَحْتُ لَهُ صَفْحاً جَمِيعاً كَصَفْحِهِ	وَعَيْنِي - وَمَا يَدْرِي - عَلَيْهِ وَأَحْرَاسِي
وَعِنْدِي لَهُ إِنْ فَارَ فَوَارُ صَدْرِهِ	فَحاً جَبَلِي لا يَعَاوِدُهُ الْحَاسِي ²
وَحَبُّ لَحْمٍ النَّاسِ أَكْثَرُ زَادِهِ	كَثِيرِ الْخَنَّا صَعْبِ الْمَحَالَةِ هَمَّاسِ
تَرَكْتُ لَهُ لَحْمِي وَأَبْقَيْتُ لَحْمَهُ	لَمْ نَابِهِ مِنْ حَاضِرِ الْجَنِّ وَالنَّاسِ
فَكَرَّ قَلِيلاً ثُمَّ صَدَّ كَأَنَّمَا	يَعْضُ بَصْمٌ مِنْ صَفَا جَبَلٍ رَاسِي

1 حدباء : صعبة شديدة . الآسي : المداوي . أغضل به الأمر : ضاقت عليه الحيل فيه .

2 الفحا : توابل القدور .

[حكايات في بخله]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا المدائني قال :
 خرج أبو الأسود الدؤليّ ومعه جماعة أصحاب له إلى الصيد ، فجاءه أعرابيّ فقال له : السلام
 عليك . فقال له أبو الأسود : كلمة مقولة . قال : أدخل ؟ قال : وراؤك أوسع لك . قال : إن
 الرّمضاء قد أحرقت رجلي ، قال : بلّ عليها أو ائت الجبل بقيّ عليك . قال : هل عندك شيء
 تطعمنيه ؟ قال : نأكل ونطعم العيال ، فإن فضل شيء فأت أحق به من الكلب ، فقال الأعرابيّ :
 ما رأيت قط ألام منك . قال أبو الأسود : بلى قد رايت ؛ ولكنك قد أنسيّت .

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن المدائنيّ بهذا الخبر
 فقال فيه : كان أبو الأسود جالساً في دهلّيزه وبين يديه رطب ، فجاز به رجل من الأعراب
 يقال له ابن أبي الحمامة ، فسلم ثم ذكر باقي الخبر ، مثل الذي تقدّمه ، وزاد عليه فقال : أنا
 ابن أبي الحمامة . قال : كن ابن أبي طاووسة ، وانصرف . قال : أسألك بالله إلا أطعمتني ممّا
 تأكل ، قال : فألقى إليه أبو الأسود ثلاث رطبّات ، فوقع إحداهنّ في التراب ، فأخذها
 يمسحها بثوبه ، فقال له أبو الأسود : دعها فإن الذي تمسحها منه أنظف من الذي تمسحها
 به ، فقال : إنّما كرهت أن أدعها للشيطان ، فقال له : لا والله ولا لجبريل وميكائيل تدعها .
 [أسرّ إلى صديقه أنّه يريد خطبة امرأة من عبد القيس فأفشى سرّه إلى ابن عمّها فزوّجت ابن عمّها]

أخبرني محمد بن عمران الضبيّ الصّيرفيّ قال حدثنا الحسن بن عليل قال حدثنا محمد بن
 معاوية الأسديّ قال ذكر الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش قال : خطب أبو الأسود الدؤليّ امرأة
 من عبد القيس يقال لها أسماء بنت زياد بن غنيم ، فأسرّ أمرها إلى صديق له من الأزد يقال له
 الهيثم بن زياد ، فحدّث به ابن عمّ لها كان يخطبها ، وكان لها مال عند أهلها ، فمشى ابن
 عمّها الخاطب لها إلى أهلها الذين مالها عندهم ، فأخبرهم خبر أبي الأسود ، وسألهم أن
 يمنعوها من نكاحه ، ومن مالها الذي في أيديهم ، ففعلوا ذلك ، وضاروها حتى تزوّجت لابن
 عمّها ، فقال أبو الأسود الدؤليّ في ذلك :

لعمري لقد أفشيتُ يوماً فخانني	إلى بعضٍ من لم أخشَ سراً مُمنعا
فمزقه مزقَ العمي وهو غافل	ونادى بما أخفيتُ منه فأسمعا
فقلت ولم أفحشَ لعمّ لك عاثراً	وقد يعثرُ الساعي إذا كان مسرعاً ¹
ولستُ بجازيك الملامّة إنني	أرى العفو أدنى للرشاد وأوسعاً

1 لعمّ لك : كلمة يدعى بها للعائر أن يتعش .

ولكن تعلّم أنّه عهدٌ بيننا
حديثاً أضعناه كلانا فلا أرى
وكنّت إذا ضيّعت سرّك لم تجد
سواك له إلّا أشتّ وأضيّعا

[وقال أيضاً في من أفضى سرّه]

قال : وقال فيه :

أمنتُ امرءاً في السرّ لم يك حازماً
أذاع به في الناس حتى كأنّه
وكنّت متى لم ترّع سرّك تلتبسُ
فما كلّ ذي نصح بمؤتيك نصحه
ولكن إذا ما استجمعا عند واحدٍ
ولكنّه في النصّح غيرُ مُربٍ
بعلياء نارٍ أوقدتُ بثقوبٍ²
قوارعه من مخطيء ومُصيبٍ
وما كلّ مؤتٍ نصحه بليبٍ
فحقّ له من طاعة بنصيبٍ

[اشترى جارية حولاء فعابها أهله فردّ عليهم]

أخبرني عمّي قال حدثني الكُرانيّ قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش
قال : اشترى أبو الأسود جارية ، فأعجبته ، وكانت حولاء ، فعابها أهله عنده بالحوّل ، فقال
في ذلك :

يَعْبُونَهَا عِنْدِي وَلَا عَيْبَ عِنْدَهَا
فَإِنْ يَكُ فِي الْعَيْنَيْنِ سُوءٌ فَإِنَّهَا
سوى أن في العينين بعضُ التّأخّرِ
مُهْفَهْفَةٌ الْأَعْلَى رَدَاخُ الْمُؤَخَّرِ³

[نحّاهم إليه ابنا عم وأحدهما صديق له فحكم على صديقه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد الأزديّ قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه
قال : كان لأبي الأسود الدؤليّ صديق من بني تميم ثم من بني سعد يقال له مالك بن أصرم ،
وكانت بينه وبين ابن عمّ له خصومة في دار له ، وأنهما اجتمعا عند أبي الأسود فحكّماه بينهما ،
فقال له خصم صديقه : إني بالذي بينك وبينه عارف ، فلا يحملنك ها ذاك على أن تحيف عليّ في
الحكم ، وكان صديق أبي الأسود ظالماً ، فقضى أبو الأسود على صديقه لخصمه بالحقّ ، فقال له
صديقه : والله ما بارك الله لي في صداقتك ، ولا نفعني بعلمك وفقهك ، ولقد قضيت عليّ بغير
الحقّ ، فقال أبو الأسود :

[من الطويل]

1 النجى : المسار .

2 الثقوب : ما أثقبت به النار أي أوقدتها به .

3 مهفهفة : ضامرة البطن . رداخ : ضخمة العجيزة ثقيلة الأوراك .

إذا كنتَ مظلوماً فلا تُلَفَ راضياً عن القوم حتى تأخذ النصفَ واغضب¹
 وإن كنتَ أنتَ الظالمَ القومَ فاطْرَحْ مقاتلهم واشغَبْ بهم كلَّ مَشْغَبِ
 وقاربْ بذِي جهلٍ وباعدْ بعالم جَلوبٍ عليك الحقَّ من كلِّ مَجْلَبِ
 فإن حذبوا فاقعَسْ وإن هم تقاعسوا ليستمكِنُوا ممَّا وراءك فاحذب²
 ولا تدعُنِي للجَوْرِ واصبرِ على التي بها كنتَ أقضي للبعيد على أبي
 فإنِّي امرؤٌ أخشى إلهي وأتقي معادي وقد جربتُ ما لم تجرِبِ

[كتب مستجدياً إلى نعيم بن مسعود فأجابه ، وإلى الحصين بن أبي الحر فرمى كتابه]

كتب إليَّ أبو خليفة يذكر أنَّ محمد بن سلام حدثه ، وأخبرني محمد بن يحيى الصولي عن أبي ذكوان عن محمد بن سلام قال : وجه أبو الأسود الدؤليَّ إلى الحصين بن أبي الحرِّ العنبريَّ جدَّ عبيد الله بن الحسن القاضي ، وهو يلي بعض أعمال الخراج لزياد ، وإلى نعيم بن مسعود النَّهشليَّ وكان يلي مثل ذلك برسول ، وكتب معه إليهما وأراد أن يَرَّاه ، ففعل ذلك نعيم بن مسعود ، ورمى الحصين بن أبي الحرِّ بكتاب أبي الأسود وراء ظهره ، فعاد الرجل فأخبره ، فقال أبو الأسود للحصين :

حسيت كتابي إذ أتاك تعرُّضاً لسبيك ، لم يذهب رجائي هنالكا
 وخبرني من كنتُ أرسلتُ أنما أخذتَ كتابي مُعرِضاً بشِمالكا
 نظرتَ إلى عنوانه فنبذته كنبدك نعلأً أخلقتُ من نِعالِكا
 نعيمُ بن مسعود أحقُّ بما أتى وأنتَ بما تأتي حقيق بذلكا
 يصيبُ وما يدري ويخطي وما درى وكيف يكون النُّوكُ إلَّا كذلكا ؟

قال محمد بن سلام : فتقدَّم رجل إلى عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن أبي الحرِّ ، وهو قاضي البصرة ، مع خصم له فخلط في قوله ، فتمثَّل عبيد الله بقول أبي الأسود :

يصيبُ وما يدري ويخطي وما درى وكيف يكون النُّوكُ إلَّا كذلكا
 فقال الرجل : إن رأى القاضي أن يُدنيني منه لأقول شيئاً فعل . فقال له : ادنْ ، فقال له :
 إن أحقَّ الناس بستر هذا الشعر أنت ، وقد علمتَ فيمن قيل ، فتبسم عبيد الله وقال له : إني
 أرى فيك مُصْطَنعاً³ فقم إلى منزلك ، وقال لخصمه : رح إليَّ ، فغرم له ما كان يطالب به .

1 النصف : الانتصاف .

2 قعس : نقيض الحذب .

3 المصطنع : أي عمل للصنعة والجميل .

[أراد السفر إلى فارس في الشتاء فأبت عليه ابنته]

أخبرني عمي قال حدثنا الكرائي عن ابن عائشة قال : أراد أبو الأسود الدؤلي الخروج إلى فارس ، فقالت له ابنته : يا أبت إنك قد كبرت ، وهذا صميم الشتاء ، فانتظر حتى ينصرم وتسلك الطريق آمناً ، فإني أخشى عليك ، فقال أبو الأسود : [من الطويل]

إذا كنت معيّباً بأمرٍ تريده	فما للمضاء والتوكل من مثل
توكل وحمل أمرك الله إن ما	ترادّ به آتيك فاقنع بذئ الفضل
ولا تحسبن السير أقرب للردى	من الخفض في دار المقامة والنمل ¹
ولا تحسبني يابتي عز مذهبي	بظنك ، إن الظن يكذب ذا العقل
وإنني ملاقي ما قضى الله فاصبري	ولا تجعل العِلْمَ المحقق كالجهل
وإنك لا تدريين : هل ما أخافه	أبعدي يأتي في رجلي أو قبلي
وكم قد رأيت حاذراً متحفظاً	أصيب وألفته المنية في الأهل

[خبره مع صديقه نسب بن حميد]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن إبراهيم العتكي قال حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال : كان لأبي الأسود صديق من بني سليم يقال له نسيب بن حميد ، وكان يغشاه في منزله ، ويتحدث إليه في المسجد ، وكان كثيراً ما يحلف له أنه ليس بالبصرة أحد من قومه ولا من غيرهم أثر عنده منه ؛ فرأى أبو الأسود يوماً معه مستقه² مخملة أصبھانية من صوف ، فقال له أبو الأسود : ما تصنع بهذه المستقة ؟ فقال : أريد بيعها ، فقال له أبو الأسود : انظر ما تبلغ فعرفنيه حتى أبعث به إليك ، فإنها من حاجتي ، قال : لا بل أكسوكها ، فأبى أبو الأسود أن يقبلها إلا بثمنها ، فبعث بها إلى السوق فقومت بمائتي درهم ، فبعث إليه أبو الأسود بالدرهم ، فردّها وقال : لست أبيعها إلا بمائتين وخمسين درهماً ، فقال أبو الأسود : [من الكامل]

بِعْنِي نَسِيبُ وَلَا تُثْنِي إِنِّي	لَا أُسْتَيْبُ وَلَا أُثِيبُ الْوَاهِبُ
إِن الْعَطِيَّةَ خَيْرٌ مَا وَجَّهْتَهَا	وَحَسِبْتُهَا حَمْدًا وَأَجْرًا وَاجِبًا
وَمِنَ الْعَطِيَّةِ مَا يَعُودُ غَرَامَةً	وَمَلَامَةً تَبْقَى وَمَنًّا كَاذِبًا
وَيَلُوتُ أَخْبَارَ الرِّجَالِ وَفَعْلَهُمْ	فَمُلُتُ عِلْمًا مِنْهُمْ وَتَجَارِبًا

1 الثمل : الإقامة والمكث .

2 المستقه : فروة طويلة الكم . وثوب مخمل : له خمل : أي هذب كهذب القטיפه .

فَأَخَذْتُ مِنْهُمْ مَا رَضِيتُ بِأَخْذِهِ وَتَرَكْتُ عَمْدًا مَا هُنَالِكَ جَانِبَا
فَإِذَا وَعَدْتُ الْوَعْدَ كُنْتُ كَغَارِمٍ دَيْنًا أَقْرَّ بِهِ وَأَحْضَرَ كَاتِبَا
حَتَّى أَنْفَذَهُ عَلَى مَا قُلْتُهُ وَكَفَى عَلَيَّ بِهِ لِنَفْسِي طَالِبَا
وَإِذَا فَعَلْتُ فَعَلْتُ غَيْرَ مُحَاسِبٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ جَازِيًا وَمَحَاسِبَا
وَإِذَا مَنَعْتُ مَنَعْتُ مَنَعًا بَيْنَا وَأَرْحْتُ مِنْ طَوْلِ الْعَنَاءِ الرَّاعِبَا
لَا أَشْتَرِي الْحَمْدَ الْقَلِيلَ بِقَاوِهِ يَوْمًا بِذِمِّ الدَّهْرِ أَجْمَعَ وَاصِبَا¹

[ضُرِطَ فِي مَجْلِسٍ مَعَاوِيَةَ فَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَسْتَرَهَا عَلَيْهِ ، فَوَعَدَهُ وَلَمْ يَفْعَلْ]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الرَّازِيِّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيِّ وَعَمِّي قَالُوا حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَرَّازُ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ : زَعَمَ أَبُو بَكْرٍ الْهَذَلِيُّ أَنَّ أَبَا الْأَسْوَدَ الدَّوْلِيَّ كَانَ يَحْدُثُ مَعَاوِيَةَ يَوْمًا فَتَحَرَّكَ فَضَرَطَ ، فَقَالَ لِمَعَاوِيَةَ : اسْتَرَهَا عَلَيَّ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، فَلَمَّا خَرَجَ حَدَّثَ بِهَا مَعَاوِيَةَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَمُرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ، فَلَمَّا غَدَا عَلَيْهِ أَبُو الْأَسْوَدِ قَالَ عَمْرُو : مَا فَعَلْتَ ضَرَطْتُكَ يَا أَبَا الْأَسْوَدِ بِالْأَمْسِ ؟ قَالَ : ذَهَبْتُ كَمَا تَذْهَبُ الرِّيحُ مَقْبَلَةً وَمُدْبِرَةً ، مِنْ شَيْخِ أَلَانَ الدَّهْرِ أَعْصَابِهِ وَلَحْمِهِ عَنْ إِمْسَاكِهَا ، وَكُلَّ أَجُوفٍ ضُرُوطَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ فَقَالَ : إِنْ امْرَأً ضَعَفَتْ أَمَانَتُهُ وَمَرُوءَتُهُ عَنْ كِتْمَانِ ضَرْطَةِ الْحَقِيقِ بِأَلَا يَوْمَنْ عَلَى أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ .

[تَزَوَّجَ امْرَأَةً بَرْزَةَ زَعَمَتْ أَنَّهَا مَدْبِرَةٌ صَنَاعَ فَوَجَدَهَا مَبْدِرَةً فَطَلَّقَهَا]

أَخْبَرَنِي عِيسَى بْنُ الْحُسَيْنِ الْوَرَّاقُ قَالَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْخٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ عَوَانَةَ قَالَ : كَانَ أَبُو الْأَسْوَدِ يَجْلِسُ إِلَى فَنَاءِ امْرَأَةٍ بِالْبَصْرَةِ فَيَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا ، وَكَانَتْ بَرْزَةً² جَمِيلَةً ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَبَا الْأَسْوَدِ ، هَلْ لَكَ فِي أَنْ أَتَزَوَّجَكَ ؟ فَإِنِّي صَنَاعٌ³ الْكَفِّ ، حَسَنَةُ التَّدْبِيرِ ، قَانِعَةٌ بِالْمَيْسُورِ ، قَالَ : نَعَمْ ، فَجَمَعْتُ أَهْلَهَا فَتَزَوَّجْتَهُ ، فَوَجَدْتُ عِنْدَهَا خِلَافَ مَا قَدَّرَهُ ، وَأَسْرَعَتْ فِي مَالِهِ ، وَمَدَّتْ يَدَهَا إِلَى خِيَانَتِهِ ، وَأَفْشَتْ سِرَّهُ ، فَعَدَا عَلَى مَنْ كَانَ حَاضِرَ تَزْوِيجِهِ إِبَّاءَهَا ، فَسَأَلُهُمْ أَنْ يَجْتَمِعُوا عِنْدَهُ فَفَعَلُوا ، فَقَالَ لَهُمْ :

أَرَيْتَ امْرَأَةً كُنْتُ لَمْ أَبْلُغْ أَتَانِي فَقَالَ اتَّخِذْنِي خَلِيلًا⁴

1 وَاصِبًا : دَائِمًا .

2 امْرَأَةٌ بَرْزَةٌ : كَهَلَةٌ جَلِيلَةٌ تَبْرُزُ لِلْقَوْمِ فَيَجْلِسُونَ إِلَيْهَا وَيَتَحَدَّثُونَ .

3 امْرَأَةٌ صَنَاعٌ الْيَدَيْنِ : حَاقِظَةٌ مَاهِرَةٌ بِعَمَلِ الْيَدَيْنِ .

4 أَرَيْتَ : أَصْلُهُ أَرَأَيْتَ ، يَقُولُونَ : أَرَأَيْتَكَ بِمَعْنَى أَخْبَرَنِي .

فخاللته ثم أكرمه فلم أستفد من لدنه فتिला
والفيتها حين جرته كذوب الحديث سروقاً بخيلا
فذكرته ثم عاتبته عتاباً رفيقاً وقولاً جميلاً
فالفيتها غير مستعيب ولا ذاكر الله إلا قليلاً¹
أست حقيقة بتوديعه وإتباع ذلك صرماً طويلاً ؟

فقالوا : بلى والله يا أبا الأسود ! قال : تلك صاحبكم ، وقد طلقته لكم ، وأنا أحب أن
أستر ما أنكرته من أمرها ، فانصرفت معهم .
[أنكر عليه معاوية بخره فرد عليه]

حدثنا اليزيدي قال حدثنا البغوي قال حدثنا العمري قال : كان أبو الأسود أبخر ، فسار
معاوية يوماً بشيء فأصغى إليه ممسكاً بكمه على أنفه ، فنحى أبو الأسود يده عن أنفه ، وقال :
لا والله لا تسود حتى تصبر على سرار المشايخ البخر .
[عابه زياد عند علي]

أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال حدثنا محمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا المدائني
عن أبي بكر الهذلي قال : كان علي بن أبي طالب عليه السلام يستعمل أبا الأسود على البصرة ،
واستكتب زياد بن أبيه على الديوان والخراج ، فجعل زياد يسبع² أبا الأسود عند علي ويقع
فيه ويغني عليه ، فلما بلغ ذلك أبا الأسود عنه قال فيه :
[من الطويل]

رأيت زياداً ينتحيني بشره وأعرض عنه وهو بادٍ مقاتلة
وكل امرئ ، والله بالناس عالم له عادة قامت عليها شمائله
تعودها فيما مضى من شبابه كذلك يدعو كل امرئ أوائله
ويعجبه صفحي له وتجملي وذو الجهل يحذو الجهل من لا يعاجله³
فقلت له دعني وشأني إننا كلانا عليه معمل هو عامله⁴
فلولا الذي قد يرتجى من رجائه لجرت أني أمنح الغي من غوى
لجرت أني وأجزى ما جزى وأطاوله علي

1 استعته : استرضاه .

2 سبعة : شتمه ووقع فيه .

3 حذاه : أعطاه .

4 معمل : عمل .

وقال لزياد أيضاً في ذلك :

وَالْقَوْلُ يُكْتَبُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْعَمَلُ
وَقَبْلَ ذَلِكَ مَا خَبَتْ بِهِ الرِّسْلُ¹
عِرْضِي ، وَأَنْتَ إِذَا مَا شِئْتَ مَنْتَفِلُ
فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ يُبْلَى بِهَا الرَّجُلُ
كُلِّ امْرِئٍ صَائِرٍ يَوْمًا لَشِيْمَتِهِ

قال : فلما ادّعى معاوية زياداً وولاه العراق كان أبو الأسود يأتيه فيسأله حوائجه ، فربّما قضاها وربّما منعها لما يعلمه من رأيه وهواه في عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وما كان بينهما في تلك الأيام وهما عاملان ، فكان أبو الأسود يترضاه ويداريه ما استطاع ويقول في ذلك :

رَأَيْتُ زِيَادًا صَدَّ عَنِّي وَجْهَهُ
يَنْفُذُ حَاجَاتِ الرِّجَالِ ، وَحَاجَتِي
فَلَا أَنَا نَاسٍ مَا نَسِيتُ فَايِسُ
وَفِي الْيَأْسِ حَزْمٌ لِلْبَيْبِ وَرَاحَةٌ
وَلَمْ يَكْ مُرْدُودًا عَنِ الْخَيْرِ سَائِلُهُ
كَدَاءِ الْجَوَى فِي جَوْفِهِ لَا يَزَايِلُهُ
وَلَا أَنَا رَأَى مَا رَأَيْتُ فِفَاعِلُهُ
مِنَ الْأَمْرِ لَا يُنْسَى وَلَا الْمَرْءِ نَائِلُهُ

[أكرمه عبد الرحمن بن أبي بكر]

وقال المدائني : نظر عبد الرحمن بن أبي بكر² إلى أبي الأسود في حال رثّة فبعث إليه بدنانير وثياب ، وسأله أن ينسبط إليه في حوائجه ويستمنحه إذا أضاق³ ، فقال أبو الأسود يمدحه :

أَبُو بَحْرِ أَمَّنُ النَّاسِ طُرًّا
لَقَدْ أَبْقَى لَنَا الْحَدَثَانُ مِنْهُ
قَرِيبَ الْخَيْرِ سَهْلًا غَيْرَ وَعِرٍ
بَصُرْتُ بَأَنَّا أَصْحَابُ حَقٍّ
عَلَيْنَا بَعْدَ حَيٍّ أَبِي الْمَغِيرَةِ
أَخَا ثَقِيَّةٍ مَنَافِعُهُ كَثِيرَةٌ
وَبَعْضُ الْخَيْرِ تَمْنَعُهُ الْوُعُورَةُ
نُدِلَ بِهِ وَإِخْوَانُ وَجِيرَةٍ
مِنَ الْخُلَآنِ فِينَا وَالْعَشِيرَةُ⁴
تُرَى صَفَحَاتُهَا وَلَهَا سَرِيرَةٌ

1 خبت : سارت .

2 أبو بكر : هو أخو زياد لأمه .

3 أضاق : ذهب ماله .

4 مضية : ضياح واطراح وهوان .

لذو قلبٍ بذِي القُرْبَى رَحِيمٌ وذو عَيْنٍ بِمَا بَلَغَتْ بَصِيرَةٌ
لِعَمْرِكَ مَا حَبَاكَ اللَّهُ نَفْسًا بِهَا جَشَعٌ وَلَا نَفْسًا شَرِيرَةً¹
وَلَكِنْ أَنْتَ لَا شَرِسٌ غَلِيظٌ وَلَا هَشَمٌ تُتَازِعُهُ خُوُورَةٌ²
كَأَنَّا إِذْ أَتَيْنَاهُ نَزَلْنَا بِجَانِبِ رَوْضَةٍ رَيًّا مَطِيرَةً

[كان عبيد الله بن زياد يماطله في قضاء حاجاته فعاتبه]

قال المدائني: وكان أبو الأسود يدخل على عبيد الله بن زياد، فيشكو إليه أن عليه ديناً لا يجد إلى قضاائه سبيلاً، فيقول له: إذا كان غد فارفع إليّ حاجتك فإنّي أحبّ قضاءها، فيدخل إليه من غد، فيذكر له أمره، ووَعْدَهُ فيتغافل عنه، ثم يعاوده فلا يصنع في أمره شيئاً، فقال فيه أبو الأسود:

[من الطويل]

دُعَانِي أُمِيرِي كَيْ أَفُوهُ بِحَاجَتِي فَقُلْتَ فَمَا رَدَّ الْجَوَابُ وَلَا اسْتَمَعُ
فَقَمْتُ وَلَمْ أَحْسُسْ بِشَيْءٍ وَلَمْ أَصْنُ كَلَامِي وَخَيْرَ الْقَوْلِ مَا صِينُ أَوْ نَفَعُ
وَأَجْمَعْتُ يَأْسًا لَا لُبَانَةَ بَعْدَهُ وَلِلْيَأْسِ أَدْنَى لِلْعَفَافِ مِنَ الطَّمَعِ

[سأله رجل فمنعه فأنكر عليه فاحتج بيت لحاتم]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال حدثني ابن عائشة قال: سأل رجل أبا الأسود شيئاً فمنعه، فقال له: يا أبا الأسود ما أصبحت حاتماً؟ قال: بلى قد أصبحت حاتماً من حيث لا تدري، أليس حاتم الذي يقول: [من الطويل]

أَمَاوِيٍّ إِمَّا مَانِعٌ فَمَبِينٌ وَإِمَّا عَطَاءٌ لَا يُنْهِنُهُ الزَّجْرُ³

[شعره في جاره له كان يحسده]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا ابن عائشة قال: كان لأبي الأسود جار يحسده وتبلغه عنه قوارص، فلما باع أبو الأسود داره في بني الدليل، وانتقل إلى هذيل، قال جار أبي الأسود لبعض جيرانه من هذيل: هل يسقيكم أبو الأسود من ألبان إلقاحه؟ وكانت لا تزال عنده لَقْحَةٌ⁴ أو لَقْحَتَانِ، وكان جاره هذا يصيب من الشراب، فبلغ أبا الأسود قوله، فقال فيه:

[من الطويل]

1 شريرة: ذات شر.

2 هَشَمٌ: هشيم رخو. خُوُورَةٌ: ضعف وفتر.

3 نهنه: كفه.

4 اللقحة: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن.

إِنَّ امْرَأً نُبِئْتُهُ مِنْ صَدِيقِنَا يسأَل هل أُسْقِي من اللبن الجارا ؟
وَأَنِّي لِأُسْقِي الجارَ فِي قَعْرِ بَيْتِهِ وأشرب ما لا إثمَ فيه ولا عارا
شِراباً حَلالاً يترك المرءُ صاحِباً ولا يتولَّى يَقْلِسُ الإثمَ والعاراً¹

[قصد صديقه حوثة بن سليم فأعرض عنه]

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا المدائني قال : كان لأبي الأسود صديق من بني قيس بن ثعلبة يقال له حوثة بن سليم ، فاستعمله عبيد الله بن زياد على جَيٍّ² وأصبهان ، وكان أبو الأسود بفارس ، فلما بلغه خبره أتاه فلم يجد عنده ما يقدر ، وجفاه حوثة ؛ فقال فيه أبو الأسود وفارقه : [من الطويل]

تروحتَ من رُستاق جَيٍّ عَشِيَّةً وخلفتَ في رستاق جَيٍّ أحملاً لكا
أخا لك إن طال التناهي وجدته نسيّاً وإن طال التعاشرُ مَلَكاً
ولو كنتَ سيفاً يُعجِبُ الناسَ حدُّه وكنتَ له يوماً من الدهر فلَكا³
ولو كنتَ أهدى الناسَ ثم صحبته وطاوعته ضلَّ الهوى وأضلَّكا
إذا جئته تبغي الهدى خالف الهدى وإن جُرتَ عن باب الغواية دلَّكا

[ساومه جاره له في شراء لقحة وعابها فأبى عليه]

قال المدائني : وكان لأبي الأسود جار ، يقال له وثاق من خزاعة ، وكان يحبّ اتّخاذ اللقاح ويغالي بها ويصفها ؛ فأتى أبا الأسود وعنده لقحة غزيرة يقال لها : الصّفوف فقال له : يا أبا الأسود ما بلقحتك بأسّ لولا عيب كذا وكذا ، فهل لك في بيعها ؟ فقال أبو الأسود : على ما تذكر فيها من العيب ؟ فقال : إنّي أغتفر ذلك لها لِمَا أرجوه من عزارتها ، فقال له أبو الأسود : بمست الخلتان فيك ؛ الحرص والخداع ، أنا لعيب مالي أشدّ اغتفاراً ؛ وقال أبو الأسود فيه : [من الطويل]

يريد وثاقُ ناقتي ويعيبها يخادعني عنها وثاقُ بن جابر
فقلت تعلّم يا وثاقُ بأنّها عليك جمى أخرى الليالي الغواير
بصرتَ بها كوماً حوساءَ جَلْدَةً من المولىاتِ الهامَ حدَّ الظواهر⁴

1 أصل يقلس من قلست الكأس : قذفت بالشراب لشدة الامتلاء ، وقلست النحل العسل : مجته .

2 جَيٍّ : مدينة ناحية أصفهان .

3 قل السيف : ثلمه .

4 الكوما : الناقة العظيمة السنام ، والهوساء : الشديدة النفس ، والجلدة : القوية .

فحاولتَ خَدْعِي والظنونُ كواذِبٌ وكم طامع في خَدْعَتِي غيرُ ظافِرٍ

[سارمه رجل من سدوس في لقحة له وعابها فأبى عليه بيها]

قال : وكانت له لقحة أخرى يقال لها الطِّيفاء ، وكان يقول : ما ملكت مالا قط أحبَّ إليَّ منها ، فأتاه فيها رجل من بني سدوس يقال له أوس بن عامر ، فجعل يماكر أبا الأسود وَيَعِيها ، فألفاه بها بصيراً وفيها منافساً ، فبذل له فيها ثمناً وافياً ، فأبى أن يبيعه وقال فيه : [من الطويل]

أتاني في الطيفاء أوسُ بن عامرٍ	ليخدعني عنها بجَنِّ ضراسِها ¹
فسام قليلاً ناسئاً غير ناجز	وأحصر نفساً وانتهى بمكاسها ²
فأقسم لو أعطيت ما سمت مثله	وضِعفاً له لما غَدوتَ برأسِها
أغرَّك منها أن نَحرتُ حُوارها	لجيرانِ أُم السَّكَنِ يوم نفاسِها
فولَّى ولم يطمع وفي النفس حاجة	يردِّدها مردودةً بإياسِها

[جوابه لسائل ملحف]

أخبرنا اليزيديّ قال حدَّثنا عيسى عن ابن عائشة والأصمعيّ : أن رجلاً سأل أبا الأسود الدؤليّ فردّه فألَحَّ عليه ، فقال له أبو الأسود : ليس للسائل الملحف مثل الردّ الجامس . قال : يعني بالجامس الجامد .

[خطب امرأة من بني حنيفة فعارضه ابن عم لها]

وقال المدائنيّ : خطب أبو الأسود امرأة من بني حنيفة ، وكان قد رآها فأعجبته ، فأجابته إلى ذلك وأذنت له في الدخول إليها ، فدخل دارها فخطبها بما أراد ، فلمّا خرج لقيه ابن عمّ لها قد كان خطبها على أخيه ، فقال له : ما تصنع هاهنا ؟ فأخبره بخطبته المرأة ، فنهاه عن التعرّض لها ، ووضع عليها أرساداً ، فكان أبو الأسود ربّما مرّ بهم واجتاز بقبيلتهم ، فدنّسوا إليه رجلاً يوبّخه في كلّ محفل يراه فيه ، ففعل ، وأتاه وهو في نادي قومه فقال له : يا أبا الأسود ، أنت رجل شريف ، ولك سنّ وخطَرٌ وعِرْضٌ ، وما أرضى لك أن تلمّ بفلانة ، وليست لك بزوجة ولا قرابة ، فإنّ أهلها قد أنكروا ذلك وتَشكَّوه ، فإمّا أن تتزوَّجها أو تُضرب عنها ، فقال له أبو الأسود :

[من الطويل]

1 يقولون في الناقة : «هي بجن ضراسها» ، أي بحدّثان نتاجها ، وإذا كانت كذلك حامت عن ولدها ، وعصّت حالياً .

2 أحصره العدد : ضيق عليه . والمماكسة والمكاس في البيع : انتقاص الثمن واستحطاطه .

لقد جدّ في سلمى الشكاة وللذي
يقولون لا تمذل بعرضك واصطنع
وإياك والقوم الغضاب فإنهم
تلام وتلحي كل يوم ولا ترى
أفادتكها العين الطموح وقد ترى
وقال أبو الأسود :

يقولون - لو يدو لك الرشد - أرشد
معاذك إن اليوم يتبعه غد¹
بكل طريق حولهم تترصد
على اللوم إلا حولها تردّد !
لك العين مالا تستطيع لك اليد
[من الطويل]

دعوا آل سلمى ظيتي وتعنتي
ولا تهلكوني بالملامة إنما
سأسكت حتى تحسبوني أنني
ألم يكفكم أن قد منعم بيوكم
تصيبون عرضي كل يوم كما علا

وما زلّ مني ، إن ما فات فائت²
نطقت قليلاً ثم إنني لسأكت
من الجهد في مرضاتكم متماوت
كما منع الغيل الأسود النواهت³ !
نشط بفأس معدن البرم ناحيت⁴

[جفاه ابن عامر لهواه في علي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدثنا عمر بن شبة قال ذكر الهيثم بن عدي عن
مجالد بن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال : كان ابن عباس يكرّم أبا الأسود الدؤليّ لما كان
عاملاً لعليّ بن أبي طالب عليه السلام على البصرة ويقضي حوائجه ، فلمّا ولي ابن عامر جفاه
وأبعده ومنعه جوائجه لما كان يعلمه من هواه في عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال فيه أبو
الأسود :

ذكرت ابن عباس يباب ابن عامر
أميرين كانا صاحبيّ كلاهما
فإن كان شراً كان شراً جزاؤه
وما مرّ من عيشي ذكرت وما فضل
فكلّ جزاه الله عني بما فعل
وإن كان خيراً كان خيراً إذا عدل

[كان لابنه صديق من باهلة فكره صداقته له]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدثنا عمر بن شبة قال ذكر الهيثم بن عدي عن
خالد بن سعيد أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثنا
إبراهيم بن المنذر الخزامي قال حدثنا محمد بن فليح بن سليمان عن موسى بن عقبة قال

1 مذلت نفسه بالشيء : سمحت .

2 الظنة : التهمة .

3 النواهت : جمع ناهت ، يقال : نهت الأسد نهيتاً ، وهو صوت الأسد دون الزئير .

4 البرم : جمع برمة ، وهي قدر من حجارة .

قال أبو الأسود الدؤلي لابنه أبي حرب ، وكان له صديق من باهلة يكثر زيارته ، فكان أبو الأسود يكرهه ويستريب منه :

[من الطويل]

أحبّ إذا أحببت حبّاً مقارباً فإنّك لا تدري متى أنت نازعُ
وأبغض إذا أبغضت بغضاً مقارباً فإنّك لا تدري متى أنت راجعُ
وكن معدّنا للحلم واصفح عن الخنا فإنّك راء ما عملت وسامعُ

[آذاه جار له فباع داره واشترى داراً في هذيل]

وقال المدائني حدثني أبو بكر الهذلي قال : كان لأبي الأسود جار من بني حُلَيْس بن بَعْمُر بن نَفَاة بن عديّ بن الدّيل ، من رهطه دينة ، ومنزل أبي الأسود يومئذ في بني الدّيل ، فأولع جاره برميّه بالحجارة كلّما أمسى ، فيؤذيه . فشكا أبو الأسود ذلك إلى قومه وغيرهم ، فكلّموه ولاموه ، فكان ما اعتذر به إليهم أن قال : لست أرميه ، وإنّما يرميه الله لقطعه للرحم وسرعته إلى الظلم وبخله بماله ، فقال أبو الأسود : والله ما أجاور رجلاً يقطع رحمي ويكذب على ربّي . فباع داره واشترى داراً في هذيل ، ف قيل له : يا أبا الأسود ، أبيع دارك ؟ قال : لم أبع داري ، ولكن بيعت جاري¹ ، فأرسلها مثلاً وقال في ذلك :

[من الطويل]

رمانِي جاري ظالماً برميّة فقلتُ له مهلاً فإنكّر ما أتى
وقال الذي يرميك ربُّك جازياً بذنبك ، والحوّات تُعقب ما ترى²
فقلت له لو أنّ ربّي برميّة رمانِي لما أخطأ إلهي ما رمى
جزى الله شراً كلّ من نال سوءة ويَنحلّ فيها ربّه الشرّ والأذى

وقال فيه أيضاً :

[من الطويل]

لحى الله مولى السّوء لا أنت راغب إليه ولا رامٍ به من تحاربه
وما قُرب مولى السّوء إلّا كبعده بل البعدُ خير من عدوّ تُصاقيه³

وقال فيه أيضاً :

[من الطويل]

وأتى لستينيني عن الشتم والخنا وعن سبّ ذي القربى خلائقُ أربعُ
حياء وإسلام ولطف وأنّني كريم ، ومثلي قد يضّر وينفعُ

1 ورد المثل في مجمع الأمثال للميداني 1 : 104 والمستقصى في الأمثال للزمخشري 2 : 10 وكتاب جمهرة الأمثال للعسكري 1 : 203 ، 219 ، وكتاب الأمثال للقاسم بن سلام : 278 .

2 الحوية : الإثم .

3 صاقبه : قاربه .

فإن أعف يوماً عن ذنوب أتيتها فإن العصا كانت ليثل¹ تُقرعُ
وشتان ما بيني وبينك إنني على كل حال أستقيم وتطلعُ

[قصته مع جاره آذاه]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثنا الرياشي عن العتبي قال : كان لأبي الأسود جار في ظهر داره له باب إلى قبيلة أخرى ، وكان بين دار أبي الأسود وبين داره باب مفتوح يخرج منه كل واحد منهما إلى قبيلة صاحبه إذا أرادها ، وكان الرجل ابن عم أبي الأسود دنية ، وكان شرساً سيء الخلق ، فأراد سد ذلك الباب ، فقال له قومه : لا تفعل فتضر بأبي الأسود وهو شيخ ، وليس عليك في هذا الباب ضرر ولا مؤنة ، فأبى إلا سده ، ثم ندم على ذلك لأنه أضرب به ، فكان إذا أراد سلوك الطريق التي كان يسلكها منه بعد عليه ، فعزم على فتحه ، وبلغ ذلك أبا الأسود فمنعه منه وقال فيه :

صوت

بليت بصاحب إن أدن شيرا يزدني في مباعدة ذراعاً
وإن أمدد له في الوصل دَرعي يزدني فوق قيس الذرع باعاً²
أبت نفسي له إلا أتباعاً وتأبى نفسه إلا امتناعاً
كلانا جاهد أدنو وينأى فذلك ما استطعت وما استطاعاً

الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم ثقل أول بالنصر ، وفيه لعرب خفيف رملي . ولعلوه
لحن غير منسوب . قال وقال أبو الأسود أيضاً في ذلك :

لنا جيرة سدوا المجازة بيننا فإن أذكروك السد فالسد أكيس³
ومن خير ما ألصقت بالجار حائط تزل به سفع الخطاطيف أملس³

وقال أيضاً في ذلك :

أعصيت أمر ذوي النهي وأطعت أمر ذوي الضلالة
أخطأت حين صرمتني والمرء يعجز لا محالة

[من مجزوء الكامل]

1 يشير إلى المثل : «إن العصا قرعت لذي الحلم» ، ومعناه أن الحكيم إذا نبه انتبه ، وأول من قرعت له العصا عامر بن الظرب لما طعن في السن أنكر من عقله شيئاً ، فقال لبنيه : إذا رأيتموني خرجت من كلامي وأخذت في غيره فاقرعوا لي المجن بالعصا .

2 قيس : قدر .

3 سفع : سود تضرب إلى الحمرة .

والعبد يُقرع بالعصا والحرّ تكفيه المقالة¹

[نزل في بني قشير فأذوه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدثني إسحاق بن محمد النخعيّ عن ابن عائشة عن أبيه وأخبرني به محمد بن جعفر النحويّ قال حدثنا أحمد بن القاسم اليزيديّ قال حدثني إسحاق بن محمد النخعيّ عن ابن عائشة ولم يقل عن أبيه قال : كان أبو الأسود الدؤليّ نازلاً في بني قشير ، وكانت بنو قشير عثمانية ، وكانت امرأته أمّ عوف منهم ، فكانوا يؤذونه ويسبّونه وينالون من عليّ عليه السلام بحضرته ليغيظوه به ، ويرمونه بالليل ، فإذا أصبح قال لهم : يا بني قشير ، أيّ جوارٍ هذا ؟ فيقولون له : لم نرمك ، إنّما رماك الله لسوء مذهبك وقبح دينك ، فقال في ذلك :

يقول الأذولون بنو قشير	طَوَالَ الدهر لا تنسى عليّاً !
فقلت لهم : وكيف يكون تركي	من الأعمال مفروضاً عليّاً ؟
أحبّ محمداً حبّاً شديداً	وعباساً وحمزةً والوصيّاً
بني عمّ الرسول وأقريبه	أحبّ الناس كلّهم إليّ
فإن يك حبّهم رشداً أصيبه	ولست بمخطيء إن كان غيّا
هم أهل النصيحة غير شكّ	وأهل مودّتي ما دمت حيّاً
هوى أعطيتُهُ لما استدارت	رحى الإسلام لم يُعدّل سويّاً
أحبّهم لحبّ الله حتّى	أجبيء إذا بُعثتُ على هويّاً ²
رأيت الله خالق كلّ شيء	هداهم واجتبي منهم نبيّاً
ولم يخصّص بها أحداً سواهم	هنيئاً ما اصطفاه لهم مريّاً

قال : فقالت له بنو قشير : شككت يا أبا الأسود في صاحبك حيث تقول :

فإن يك حبّهم رشداً أصيبه

فقال : أما سمعتم قول الله عزّ وجلّ : ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ . أفترى الله جلّ وعزّ شكّ في نبيّه ؟ وقد روي أنّ معاوية قال هذه المقالة ، فأجابه بهذا الجواب .

1 مثل : ورد في مجمع الأمثال للميداني 345/2 :

«العبد يُقرع بالعصا والحرّ تكفيه الإشارة»

يضرب في خسة العبيد .

2 على هويّاً : على هواي .

[تهكّم معاربه به فأجابه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو عثمان الأشناداني عن الأخفش عن أبي عمر الجرمي قال : دخل أبو الأسود الدؤلي على معاوية ، فقال له : لقد أصبحت جميلاً يا أبا الأسود ، فلو علقت تميمة تنفي عنك العين ؛ فقال أبو الأسود : [من البسيط]

أفنى الشباب الذي فارقت جدته كُرُّ الجديدين من آتٍ ومنطلقٍ
لم يتركا لي في طول اختلافهما شيئاً تُخاف عليه لَذْعَةُ الحَدَقِ

[خبره مع فتى دعاه أن يأكل معه فتى الفتى على طعامه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحارث بن محمد قال حدثنا المدائني عن علي بن سليمان قال : كان أبو الأسود له على باب داره دُكان يجلس عليه ، مرتفع عن الأرض إلى قدر صدر الرجل ، فكان يوضع بين يديه خِوان على قدر الدكان ، فإذا مرَّ به مارٌّ فدعاه إلى الأكل لم يجد موضعاً يجلس فيه ، فمرَّ به ذات يوم فتى فدعاه إلى الغداء ، فأقبل فتناول الخِوان فوضعه أسفل ، ثم قال له : يا أبا الأسود ، إن عزمت على الغداء فانزل ، وجعل يأكل وأبو الأسود ينظر ليه مغتاضاً حتى أتى على الطعام ، فقال له أبو الأسود : ما اسمك يا فتى ؟ قال : لقمان الحكيم ، قال : لقد أصاب أهلك حقيقة اسمك .

قال المدائني : وبلغني أن رجلاً دعاه أبو الأسود إلى طعامه وهو على هذا الدكان ، فمدَّ يده ليأكل ، فشبَّ به فرسه فسقط عنه فوقص¹ .

[كان أبو الجارود صديقاً له فلما ولي ولاية جفاه فقال فيه شعراً]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دَمَازُ عن أبي عبيدة قال : كان أبو الجارود سالم بن سلمة بن نوفل الهذلي صديقاً لأبي الأسود ، يهاديه الشعر ، ويحب كل واحد منهما صاحبه ، ويتعاشران ويتزاوران ، فولِّي أبو الجارود ولاية ، فجفا أبا الأسود وقطعه ، ولم يدهأه بالمكاتبة ولا أجابه عنها ، فقال فيه أبو الأسود :

[من الطويل]

أبلغ أبا الجارود عني رسالة يروح بها الغادي لرُبْعك أو يغدو
فيخيرنا ما بال صرمك بعد ما رضىت وما غيّرت من خلقٍ بعدُ
إن نلت خيراً سرّني أن تناله تنكرت حتى قلت ذو ليدٍ ورُدُّ ؟
فعيناك عيناه وصوتك صوته تمثله لي غير أنك لا تعدو

لئن كنت قد أزمعت بالصَّرم بيننا لقد جعلتُ أشرافُ أوله تبدو¹
فإني إذا ما صاحبُ رثٍّ وصله وأعرضَ عني قلَّ مني له الوجدُ

[خبره مع الحارث بن خليل وشعره فيه]

قال المدائني: كان لأبي الأسود صديق يقال له الحارث بن خليل، وكان في شرف من العطاء، فقال لأبي الأسود: ما يمنعك من طلب الديوان؟ فإن فيه غنى وخيراً، فقال له أبو الأسود: قد أغناني الله عنه بالقناعة والتجمل، فقال: كلا، ولكنك تتركه إقامةً على محبة ابن أبي طالب وبغض هؤلاء القوم. وزاد الكلام بينهما، حتى أغلظ له الحارث بن خليل، فهجره أبو الأسود، ونديم الحارث على ما فرط منه، فسأل عشيرته أن تصلح بينهما، فأتوا أبا الأسود في ذلك وقالوا له: قد اعتذر إليك الحارث مما فرط منه وهو رجل حديد²، فقال أبو الأسود في ذلك:

لنا صاحب لا كليلُ اللسان فصممتُ عنا ولا صارمُ
وشرُّ الرجال على أهله وأصحابه الحمقُ العارمُ

وقال فيه:

إذا كان شيء بيننا قيل إنه حديدٌ فخالِفْ جهله وترقُ
شئتُ من الأصحاب من لستُ بارحاً أدامله دملَ السقاء المخرق³

[كتب إلى الحصين كتاباً فتهاون به]

وقال المدائني: ولَّى عبید الله بن زياد الحصين بن أبي الحرّ العنبري ميسان، فدامت ولايته إياها خمس سنين، فكتب إليه أبو الأسود كتاباً يتصدى فيه لرفده، فتهاون به ولم ينظر فيه، فرجع إليه رسوله فأخبره بفعله، فقال فيه:

[من الطويل]

ألا أبلغا عني حصيناً رسالةً فإنك قد قطعتُ أخرى خِلالِكا
فلو كنت إذ أصبحت للخروج عاملاً بميسان تُعطي الناسَ من غير مالِكا⁴
سألتك أو عرّضتُ بالود بيننا لقد كان حقاً واجباً بعضُ ذلِكا

1 أشراف: جمع شرط، وهو العلامة.

2 حديد: حاد اللسان.

3 دامله: داراه ليصلح ما بينه وبينه.

4 الخرج: الخراج.

وخبّرني مَنْ كنت أرسلت أنما أخذتَ كتابي مُعْرِضاً بشمالِكا
نظرتَ إلى عنوانه ونَبَذته كنبذك نعلأ أَخْلَقْتَ من نعالِكا
حسيتَ كتابي إذ أتاك تعرّضاً لسيبك ، لم يذهب رجائي هنالِكا
يُصيب وما يدري ويُخطي وما درى وكيف يكون النُّوك إلاّ كذليكا

فبلغت أبيات أبي الأسود حصيناً ، فغضب وقال : ما ظننت منزلة أبي الأسود بلغت ما يتعاطاه من مساءتنا وتوعّدنا وتوبيخنا ، فبلغ ذلك أبا الأسود فقال فيه : [من المتقارب]

أبلغ حصيناً إذا جئته نصيحةً ذي الرأي للمجتنبيها
فلا تكُ مثل التي استخرجت بأظلافها مُدبةً أو بفيها¹
فقام إليها بها ذابح ومن تدعُ يوماً شعوبُ يجيها²
فظلّت بأوصالها قدرها تحشّ الوليدة أو تشتويها³
وإن تابَ نصحي ولا تنتهي ولم ترَ قولي بنصحٍ شبيها
أجرعك صاباً وكان المرأ ر والصاب قِدماً شراباً كريها

[خبره مع معاوية بن صعصعة]

وقال خالد بن كلثوم : كان معاوية بن صعصعة يلقي أبا الأسود كثيراً فيحادثه ويظهر له المودة ، وكانت تبخله عنه قوارص فيذكرها له فيجحدّها أو يحلف أنّه لم يفعل ، ثم يعاود ذلك ، فقال فيه أبو الأسود :

ولي صاحب قد رابني أو ظلّمته كذلك ما الخصمان برّ وفاجرُ
وإني امرؤ عندي وعمدا أقوله لآتي ما يأتي امرؤ وهو خابرُ
لسانان معسولٌ عليه حلاوة وآخر مسموم عليه الشرايرُ⁴
فقلّلت ولم أبخل عليه نصيحتي وللمرء ناهٍ لا يلام وزاجرُ
إذا أنت حاولت البراءة فاجتنب عواقبَ قول تعتريه المعاذرُ
فكم شاعرٍ أراده أن قال قائل له في اعتراض القول إنك شاعرُ

1 يشير إلى المثل «كباحثة عن حنفها بظلفها» ، وأصله أن رجلاً كان جائعاً بالفلاة الفقير ، فوجد شاة ولم يكن معه ما يذبحها به ، فجلّت الشاة الأرض بأظلافها فسقطت على شفرة فذبحها به .

2 شعوب : المنية .

3 حش النار : أوقدها .

4 شرشر السكين : أحدها .

عطفْتُ عليه عطفة فتركته لما كان يرضى قبلها وهو حافرٌ
بقافية حذاء سهلٍ روئها وللقول أبوابٌ تُرى ومحاضرٌ¹
تَعَزَّى بها من نومه وهو ناعس - إذ انتصف الليلُ - المكلُّ المسافرُ²
إذا ما قضاها عاد فيها كأنه للذَّته سكران أو متسكِرُ

[شعره في عبد الله بن عامر وكان مكرماً له ثم جفاه لتشييعه]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا الكرانيُّ قال حدَّثني العمريُّ عن العتبيِّ قال : كان عبد الله بن عامر مكرماً لأبي الأسود ثم جفاه لما كان عليه من التشييع فقال فيه أبو الأسود : [من الطويل]

ألم ترَ ما بيني وبين ابن عامر من الودِّ قد بالت عليه الثعالبُ
وأصبح باقي الودِّ بيني وبينه كأن لم يكن ، والدَّهرُ فيه عجائبُ
إذا المرء لم يُحبِّبك إلَّا تَكْرُهاً بدا لك من أخلاقه ما يغالبُ
فللنأي خير من مقامٍ على أذى ولا خيرَ فيما يستقلُّ المعائبُ

[قصته مع زوجته القشيرية والقيسية وشعره في ذلك]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدَّثنا عبيد الله بن محمد قال حدَّثنا ابن النطاح قال ذكر الحرِّمَازيَّ عن رجل من بني الدَّيْل قال : كانت لأبي الأسود الدؤلي امرأة من بني قشيرة وامرأة من عبد القيس ، فأسنَّ وضعفَ عمَّا يطيقه الشباب من أمر النساء ، فأما القشيرية فكانت أقدمهما عنده وأسَنهما ، فكانت موافقة له صابرة عليه ، وهي أمُّ عوف القشيرية التي يقول فيها :

أبى القلب إلَّا أمَّ عوف وجبها عجوزاً ومن يجب عجوزاً يفندُ
كسَحَقَ يمانٍ قد تقادم عهده ورُقعته ما شئت في العين واليدِ³
وأما الأخرى التي من عبد القيس فهي فاطمة بنت دُعَمي ، وكانت أشبَّهما وأجملهما ، فالتوت عليه لما أسنَّ ، وتنكرت له وساءت عشرتها ، فقال فيها أبو الأسود : [من الطويل]

تعاتبني عرسي على أن أطيعها لقد كذَّبَتْها نفسها ما تمنَّت
وظنَّت بآتي كلُّ ما رضىت به رضىتُ به ، يا جهلها كيف ظنَّت !

1 حذاء : سائرة أو منقحة لا عيب فيها .

2 أكله : أتعبه .

3 السحق : الثوب البالي .

وصاحبُها ما لو صحَّحتُ بمثله
وقد غرَّها منِّي على الشيبِ واليلي
يقال : جُنَّ وحنَّ ، وهو من الإلتباع كما يقال : حسنٌ بسَن .
على ذعرها أروية لاطمأنت¹
جنوني بها ، جُنَّتْ حِيالي وحنَّتْ

ولا ذنب لي قد قلتُ في بدء أمرنا
تشكَّي إلى جاراتها وبناتها
ألم تعلمي أنِّي إذا خِفت جفوة
وأنِّي إذا شقَّت عليَّ حليتي
وفيها يقول :

أفاظم مهلاً بعضَ هذا التعيس
تشتمُّ لي لما رأتني أحبَّها
فإن تنقضي العهد الذي كان بيننا
فإنِّي ، فلا يغرُّرك منِّي تجملي ،
وأعلم أنَّ الأرض فيها منادح
وكنت امرأة لا صحبة السوء أرتجي
[أرسل غلامه يشتري له جارية فأخذها لنفسه]

وقال المدائني : كان لأبي الأسود الدؤليّ مولى يقال له نافع ويكنى أبا الصباح ، فذكرت
لأبي الأسود جارية تباع ، فركب فنظر إليها فأعجبته ، فأرسل نافعاً يشتريها له فاشتراها
لنفسه وغدر بأبي الأسود ، فقال في ذلك :

إذا كنت تبغي للأمانة حاملاً
فإن الفتى خبٌّ كذوب وإنه
متى يخلُ يوماً وحده بأمانة
على أنه أبقى الرجال سمانة
فدع نافعاً وانظر لها من يطيقها
له نفس سوء يجتويها صديقها
تغلَّ جميعاً أو يُغلَّ فريقها
كما كلُّ مسمان الكلاب سروقها

1 الأروية : الأنثى من الوعول .

2 تعناه : عناه وأوقعه في العناء .

3 شقَّ عليه ، أوقعه في المشقة . ذهله وعنه : سلاه وطابت نفسه عن إلفه .

4 تخلص بالمكان : أقام به .

5 منادح : جمع مندوحة : وهي السعة .

6 المعرس : موضع التعريس ؛ وهو نزول القوم في السفر آخر الليل للاستراحة .

[خطبته حين نعي له عليّ]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا علي بن محمد المدائني عن أبي بكر الهذلي قال : أتى أبا الأسود الدؤلي نعي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبيعة الحسن عليه السلام ، فقام على المنبر فخطب الناس ونعى لهم علياً عليه السلام فقال في خطبته : «وإن رجلاً من أعداء الله المارقة عن دينه ، اغتال أمير المؤمنين علياً كرم الله وجهه ومثواه في مسجده وهو خارج لتَهجّده في ليلة يرجى فيها مصادفة ليلة القدر فقتله ، فيا لله هو من قتيل ! وأكرم به وبمقتله وروحه من روح عَرَجَتْ إلى الله تعالى بالبرِّ والتقى والإيمان والإحسان ؛ لقد أطفأ منه نور الله في أرضه لا يبين بعده أبداً ، وهدم ركناً من أركان الله تعالى لا يشاد مثله ؛ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، وعند الله نحتسب مصيبتنا بأمر المؤمنين ، وعليه السلام ورحمة الله يوم ولد ويوم قتل ويوم يبعث حيّاً» .

ثم بكى حتى اختلفت أضلاعه ، ثم قال : «وقد أوصى بالإمامة بعده إلى ابن رسول الله ﷺ وابنه وسليبه وشبيهه في خلقه وهديه ، وإنّي لأرجو أن يجبر الله عزّ وجلّ به ما وهى ، ويسدّ به ما انثلم ، ويجمع به الشمل ، ويطفىء به نيران الفتنة ، فبايعوه ترشدوا» .

[كتب إليه معاوية يدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة فرثى علي بن أبي طالب]

فبايعت الشيعة كلّها ، وتوقّف ناس من كان يرى رأى العثمانية ولم يظهروا وأنفسهم بذلك ، وهربوا إلى معاوية ، فكتب إليه معاوية ودسّ إليه رسولاً يُعلمه أنّ الحسن عليه السلام قد راسله في الصلح ، ويدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة ، ويعدّه ويؤمّنه ؛ فقال أبو الأسود :

ألا أبلغ معاوية بن حرب	فلا قرّت عيون الشامتين
أفي شهر الصيام فجعتمونا	بخير الناس طُوراً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا	وخيسها ومن ركب السفينا ¹
ومن ليس النعال ومن حذاها	ومن قرأ المثاني والمئينا ²
إذا استقبلت وجه أبي حسين	رأيت البدر راق الناظرينا
لقد علمت قریش حيث حلّت	بأنّك خيرها حسباً ودينا

[لزم ابنه المنزل فحثه على العمل والسعي في طلب الرزق]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدثنا الرياشي عن الهيثم بن عدي عن أبي عبيدة قال : كان

1 خيسها : ذلّها .

2 حذاه نعلأ : أعطاه إياها .

أبو حرب بن أبي الأسود قد لزم منزل أبيه بالبصرة لا ينتجع أرضاً ، ولا يطلب الرزق في تجارة ولا غيرها ، فعاتبه أبوه على ذلك ، فقال أبو حرب : إن كان لي رزق فسيأتي ، فقال له : [من الوافر]
وما طلب المعيشة بالتمني ولكن ألق دلوك في الدلاء
تجثك بمائها يوماً ويوماً تجثك بحمأة وقليل ماء¹
[مولاته لطيفة تبني ابن عبدها وتحبه كأنه حفيدها]

وقال المدائني : كانت لأبي الأسود مولاة يقال لها لطيفة ، وكان لها عبد تاجر يقال له مُلِم فابتاعت له أمة وأنكحته إياها ، فجاءت بغلام فسمته زيدا ، فكانت تؤثره على كل أحد ، وتجد به وجد الأم بولدها ، وجعلته على ضيعتها ، فقال فيه أبو الأسود ، وقد مرضت لطيفة :

وزيد هالكٌ هُلكَ الحُبَّارُ	إذا هلكت لطيفة أو مُلِم ²
تبنته فقال وأنتِ أُمِّي	فأنتي بعدها لكِ زيدٌ أُم !
ترُمُّ متاعه وتريد فيه	وصاحبها لما يحوي مِضم ³
ستلقى بعدها شراً وضراً	وتُقْصِي إن قُرِبت فلا تُضم
وتَلْقَاكَ الملامة كلَّ وجه	سلكتَ ويتحى حاليك ذم

قال : فماتت لطيفة من علتها تلك ، وورثها أبو الأسود ، فطرد زيدا عما كان يتولاه من ضيعتها ، وطالبه بما خانته من مالها فارتجعه ، فكان بعد ذلك ضائعاً مهاناً بالبصرة كما قال فيه وتوعده .
[اشترى جارية للخدمة فعرّضت له]

وقال المدائني أيضاً : اشترى أبو الأسود أمة للخدمة ، فجعلت تتعرّض منه للنكاح وتطيب وتشتمل بثوبها ، فدعاها أبو الأسود فقال لها : اشتريتك للعمل والخدمة ، ولم أشتريك للنكاح ، فأقبل على خدمتك ، وقال فيها :
أصلاحُ إني لا أريدك للصبا فدعي التشمّل حولنا وتبدلي⁴

1 الحمأة : الطين الأسود المتن .

2 الحبارى : طائر ، ومن أمثالهم فيه : «فلان ميت كَمَد الحبارى» ، وذلك أنها تحسر مع الطير أيام التحسير فتلقي الريش ثم يطيء نبات ريشها ، فإذا طار سائر الطير عجزت عن الطيران فتموت كمداً .

3 مضم : شديد الضم .

4 تبدل : لبس البذلة ، وهي ثوب الخدمة والاعتماد . تشمّل بالشملة : تغطى بها ، وهي كساء دون القטיפه يلتحف به .

إني أريدك للعجين وللرحى ولحمل قريتنا وغلي الرجل
وإذا تروّح ضيفُ أهلك أو غدا فخذني لآخر أهبة المستقبل

[أهدى إليه المنذر بن الجارود ثياباً فمدحه]

أخبرنا الحسن بن الطيب الشجاعيّ قال حدثنا أبو عُشانة عن ابن عباس قال : كان المنذر بن الجارود العبديّ صديقاً لأبي الأسود الدؤليّ تعجبه مجالسته وحديثه ، وكان كلّ واحد منهما يغشى صاحبه ؛ وكانت لأبي الأسود مَقْطَعَةٌ¹ من برود يكثر لبسها ، فقال له المنذر : لقد أدمنت لبس هذه المقطعة ، فقال له أبو الأسود : ربّ مملول لا يستطاع فراقه² ؛ فعلم المنذر أنّه قد احتاج إلى كسوة فأهدى له ثياباً ، فقال أبو الأسود يمدحه : [من الطويل]
كساك ولم تستكسه فحمدته أخ لك يعطيك الجزيل وناصر
وإنّ أحقّ الناس إن كنت حامداً بحمدك من أعطاك والعرض وافر

[أبيات أوصى فيها ابنه]

أنشدني محمد بن العباس اليزيديّ عن عمّه عبيد الله عن ابن حبيب لأبي الأسود يوصي ابنه ، وفي هذه الأبيات غناء :

صوت

لا ترسلن رسالة مشهورة لا تستطيع ، إذا مضت ، إدراكها
أكرم صديق أبليك حيث لقيته واحب الكرامة من بدا فحباكها
لا تبدين نيممة حدثتها وتحفظن من الذي أنباكها

[اعتذر لزياد في شيء جرى بينهما فلم يقبل عذره]

أخبرني محمد بن خلف بن مرزبان قال حدثنا أبو محمد المروزيّ عن القحذميّ عن بعض الرواة أن أبا الأسود الدؤليّ اعتذر إلى زياد في شيء جرى بينهما ، فكأنّه لم يقبل عذره فأنشأ يقول :

إنني مجرم وأنت أحقّ الداس أن تقبل الغداة اعتذاري
فاعف عني فقد سفيهت وأنت الحرء تعفو عن الهنات الكبار
فتبسّم زياد وقال : أمّا إذا كان هذا قولك فقد قبلت عذرك وعفوت عن ذنبك .

1 المقطعات من الثياب : شبه الجباب من الخبز وغيره .

2 مثل : يضرب في قضاء الحاجة قبل سؤالها ، يقال : دخل أبو الأسود على بعض إخوانه فرأى عليه ثوباً قد خلق ، فقال له : يا أبا الأسود : أما آن لهذا الثوب أن يدلّ ؟ فقال هذا المثل فبعث إليه صديقه بعدة أثواب . مجمع

الأمثال 2 : 58 فصل المقال 367 .

[استشير في رجل أن يولى ولاية فذمه]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن عيسى بن عمر قال : سئل أبو الأسود عن رجل ، واستشير في أن يولى ولاية ، فقال أبو الأسود : هو ما علمته : أهيسُ أليسُ ، ألدُّ ملْحَسُ¹ ، أن أعطى انتهر ، وإن سئل أزر² . قال الأصمعي : الأهيس : الحاد ، ويقال في المثل : [من الرجز]

إحدى لياليلك فهيسي هيسي³

قال : ويقال ناقة لئساء : إذا كانت لا تبرح من المبرك . قال : وهو مما يوصف به الشجاع ، وأنشد في صفة ثور :

أليسُ عن حَوَائِه سخي⁴

[ضمن له كاتب ابن عامر أن يقضى حاجة ثم نكت]

أخبرني أحمد بن محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني أحمد بن الأسود بن الهيثم الحنفي قال حدثنا أبو مُحَلَّم عن مؤرِّج السدوسي عن عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يسار قال ، وكان من أفصح أهل زمانه ، قال : أوصى أبو الأسود الدؤلي كاتباً لعبد الله بن عامر بحاجة له فضمن له قضاءها ثم لم يصنع فيها شيئاً ، فقال أبو الأسود :

لعمرى لقد أوصيتُ أمسٍ بحاجتي فتى غير ذي قصدٍ عليّ ولا رَوْفٍ⁵
ولا عارفٍ ما كان بيني وبينه ومن خير ما أدلى به المرء ما عُرِفَ
وما كان ما أمَلْتُ منه ففاتني بأوّل خيرٍ من أخي ثقةٍ صُرِفَ

[جفاه أبو الجارود فقال فيه شعراً]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني محمد بن القاسم مولى بني هاشم قال حدثني أبو زيد الأنصاري سعيد بن أوس قال حدثني بكر بن حبيب السهمي عن أبيه ، وكان من جلساء أبي الأسود الدؤلي قال : كان أبو الجارود سالم بن سلمة بن نوفل الهذلي شاعراً ، وكان صديقاً لأبي

1 ألدُّ : جدل شديد الخصومة . والملحس : الحريص ، والذي يأخذ كل شيء يقدر عليه ، والشجاع .

2 أزرَ : تضام وتقضى من بخله .

3 مثل : في حوول الدهر وتقلبه بأهله ، فهذا من أمثالهم في الذي ينزل به الأمر الشديد الذي يحتاج أن ينصب فيه ويتعنى ، قاله رجل من طسم حين أوقعت بها جديس يخاطب ناقته وهو فار ، فصل المقال 463/464 .

4 الأليس : الشجاع الذي لا يبالي الحرب . الحوواء : النفس .

5 رَوْف : رؤوف .

الأسود الدؤليّ ، فكان يهاديه الشعر ، ثم تعيّر ما بينهما ، فقال فيه أبو الأسود : [من الطويل]
أبلغ أبا الجارود عني رسالة يروح بها الماشي ليلفأك أو يغدو
فيخبرنا ما بال صرّمك بعد ما رضيت وما غيرت من خلق بعد
أن نلت خيراً سرّني حين نلته تنكّرت حتى قلت ذو لبدة ورد ؟
فعيناك عيناه وصوتك صوته تمثله لي غير أنك لا تعدو
فإن كنت قد أزمعت بالصرّم بيننا وقد جعلت أسباب أوله تبدو
فإنني إذا ما صاحب رث وصله وأعرض عني قلت بالأبعد الفقد
[وفاته]

وكانت وفاة أبي الأسود فيما ذكره المدائنيّ في الطاعون الجارف سنة تسع وستين وعمره
حيثئذ خمس وثمانون سنة . قال المدائنيّ : وقد قيل إنّه مات قبل ذلك ؛ وهو أشبه القولين
بالصواب ، لأنّا لم نسمع له في فتنة مسعود وأمر المختار¹ بذكر ، وذكر مثل هذا القول بعينه .
والشكّ فيه هل أدرك الطاعون الجارف أولاً ، عن يحيى بن معين . أخبرني به الحسن بن عليّ عن
أحمد بن زهير عن المدائنيّ ويحيى بن معين :

صوت

لعمرك أيّها الرجل لأبيّ الشكل تنتقل
أتهجر آل زينب أم تزورهم فتعطل ؟
هم ركب لقوا ركبا كما قد تجمع السبل
فذلك دأبنا وبذا ك تجري بيننا الرسل

الشعر لأبي نفيس بن يعلى بن منية ، والغناء لمبعد خفيف ثقل أول بالسبابة في مجرى
الوسطى ، وفيه لابن سريج رمل بالوسطى ، ولجميلة خفيف رمل بالبصرة .

1 هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفيّ ، كان قد خرج يطلب بدم الحسين رضي الله عنه ، ونشبت بينه وبين
مصعب بن الزبير وقائع انتهت بقتله سنة 67 هـ .

[228] - أخبار أبي نفيس ونسبه

[نسبه]

اسمه حُيَيَّ بن يحيى بن يعلى بن مُنية ، وقيل بل اسم أبي نفيس يحيى بن ثعلبة بن منية ، ومنية أمه ، ذكر ذلك الزبير بن بكار عن عمرو بن يحيى بن عبد الحميد عن جدّه . قال الزبير : وكان جدّي يقول : اسمه ميمون بن يعلى ؛ وأمّه منية بنت غزوان أخت عُتْبَة بن غزوان ، وأبوه أُمَيَّة بن عبدة بن همام بن جُثَم بن بكر بن زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وجدت ذلك بخطّ أبي محمّل النسابة . قال : ويقال لبني زيد بن مالك بنو العدوية ؛ وهي فُكَيْهَة بنت تميم بن الدئل بن حِسل بن عديّ بن عبد مناة بن تميم ، ولدت لمالك بن حنظلة زيدا وصديقا ويربوعا ، فهم يُدْعَوْنَ بني العدوية .

[بعض أخبار جدّه يعلى بن منية]

وكان يعلى بن مُنية حليفاً لبني أُمَيَّة وعديداً لهم ، وبينه وبينهم صهر ومناسبة ، وقد أدرك النبي ﷺ وسمع منه حديثاً كثيراً وروى عنه حديثاً كثيراً ، وعمر بعده ؛ وكان مع عائشة يوم الجمل على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

أخبرني عمّي قال حدثنا أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائنيّ عن أبي مخنف عن عبد الرحمن بن عبيد عن أبي الكنود قال : قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : مُنيت ، أو بليت ، بأطوع الناس في الناس عائشة ، وبأدهى الناس طلحة ، وبأشجع الناس الزبير ، وبأكثر الناس مالاً يعلى بن منية ، وبأجود قریش عبد الله بن عامر ؛ فقام إليه رجل من الأنصار فقال : والله يا أمير المؤمنين لأنّ أشجع من الزبير ، وأدهى من طلحة ، وأطوع فينا من عائشة ، وأجود من ابن عامر ، ولما لله أكثر من مال يعلى بن منية ، وليكوننّ كما قال الله جلّ وعزّ : ﴿ فَسَيُفْقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ . فسر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله : ثم قام إليه رجل آخر منهم فقال :

أما الزبير فأَكْفَيْكَه وطلحةُ يَكْفِيكَه وَخَوْحَهُ
ويعلى بن مُنية عند القتال شديد الثاؤبِ والنَحْنَحَةِ

وعائشُ يكفيكها وإعظ وعائش في الناس مستنصحة
فلا تجزعنَّ فإن الأمور إذا ما أتيناك مستنصحة
وما يصلح الأمر إلا بنا كما يصلح الجبن بالإنفحة¹

قال : فسرَّ عليّ عليه السلام بقوله ، ودعا له وقال : بارك الله فيك . قال : فأما الزبير فناشده عليّ عليه السلام فرجع فقتله بنو تميم ، وأما طلحة فناشده وحوحة ، وكان صديقه وكان من القراء ، فذهب لينصرف ، فرماه رجل من عسكرهم فقتله .
فأما ما رواه عن النبي ﷺ فكثير ، ولكنني أذكر منه طرفاً كما ذكرت لغيره .
[روى يعلى الحديث عن النبي ﷺ]

أخبرني أحمد بن الجعد قال حدثني محمد بن عباد المكيّ قال حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء بن أبي رباح عن صفوان بن يعلى بن منية عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ يقرأ على المنبر : ﴿وَنَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ﴾ . وقد روى يعلى عنه ﷺ حديثاً كثيراً اقتصرت منه على هذا لتعرف روايته عنه .

[أقرض يعلى الزبير بن العوام يوم الجمل مالا ، فقضاه عنه ابنه عبد الله بعد مقتله]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا محمد بن الحكم عن أبي مخنف قال : أقرض يعلى بن منية الزبير بن العوام حين خرج إلى البصرة في وقعة الجمل أربعين ألف دينار ، فقضاها ابن الزبير بعد ذلك لأن أباه قتل يومئذ ولم يقضه إياها .
قال : ولما صاروا إلى البصرة تنازع طلحة والزبير في الصلاة ، فاتفقا على أن يصلي ابن هذا يوماً وابن هذا يوماً ، وقال شاعرهم في ذلك :
[من المتقارب]

تبارى الغلامان إذ صلّيا وشحّ على الملك شيخاهما
ومالي وطلحة وابن الزبير وهذا بذى الجزع مولاها²
فأمّهما اليوم غرّتهما ويعلى بن منية دلاهما³

[رثى يعلى زوجه حين توفيت بهامة]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن يحيى عن جده عبد الحميد قال : كان يعلى بن منية - ويكنى أبا نفيس - وسمعت غير جدّي يقول اسمه يحيى

1 الإنفحة : شيء يستخرج من بطن الجدي الراضع أصفر فيعصر في صوفة مبتلة في اللبن فيغلظ كالجبين .

2 جزع الوادي : منعطفه .

3 أمّهما : يعني عائشة أم المؤمنين .

وهو من بني العدوية من بني تميم من بني حنظلة ، تزوّج امرأة من بني مالك بن كنانة يقال لها زينب ، ولهم حلف في بني غِفَارٍ ، وهي من بنات طارق اللاتي يقلن : [من مجزوء الرجز]

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

فتوفيت بتهامة فقال يرثيها : [من الرجز]

يا ربُّ ربِّ النَّاسِ لما نَحَبُوا وحين أَفَضُوا من مِني وَحَصَبُوا¹

لا يُسْقَيْنَ مَلَحٌ وَعُليْبٌ والمُستَرادُّ لا سقاه الكوكب²

من أَجل حُمَاهن ماتت زينبُ

قال الزُّبير : وأنشدنيها عمِّي مصعب لأبي نفيس بن يعلى بن منية ، قال : واسمه ميمون ، وكان عمِّي يقول : اسم أبي نفيس ميمون بن يعلى ، وقال في الأبيات : [من الرجز]

لا يسقين عُنبٌ وَعُليْبٌ³

أخبرني الحرْمِيّ قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني محمد بن يحيى عن جدّه غَسَّان بن عبد الحميد قال : رأيت عائشة زوج النبي ﷺ بنات طارق اللواتي يقلن : [من مجزوء الرجز]

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

فقال : أخطأ مَنْ يقول : الخيل أحسن من النساء .

قال : وقالت هند بنت عتبة لمشركي قريش يوم أُحُد : [من مجزوء الرجز]

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

الدُّرُّ في المَخَانِقِ والمسك في المَفَارِقِ⁴

إن تُقْبِلُوا نُعَانِقِ أو تُدْبِرُوا نَفَارِقِ

فِرَاقٌ غير واميّ

أخبرني الحرْمِيّ قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني محمد بن يحيى بن عبد الملك الهُدَيْرِيّ قال : جلست ليلة وراء الضحّاك بن عثمان الحِزَامِيّ في مسجد رسول الله ﷺ وأنا متقنّع ، فذكر

1 نجوا : ساروا سيراً سريعاً دائماً .

2 ملح : موضع من ديار بني جعدة باليمامة . وعليب : موضع بين الكوفة والبصرة . والمستراد : موضع في سواد العراق من منازل إياذ . والكوكب : الماء .

3 عنيب : اسم موضع .

4 المخنقة : موضع القلادة .

الضحّاك وأصحابه قولَ هند يوم أُحد : [من مجزوء الرجز]

نحن بنات طارق

فقال : وما طارق ؟ فقلت : النجم . فالتفت الضحّاك فقال : أبا زكريّا ، وكيف بذاك ؟
فقلت : قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النُّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ .
فقلت : إنّما نحن بنات النّجم ، فقال : أحسنت .

صوت

[من الطويل]

خَلِيلِي قوماً فِي عَطَالَةٍ فَانظُرُوا أَنَاراً أَرَى مِنْ نَحْوِ يَبْرِينَ أَمْ بَرَقاً¹
فَإِنْ يَكُ بَرَقاً فَهُوَ فِي مُشْمَخِرَةٍ تَغَادِرُ مَاءً لَا قَلِيلاً وَلَا طَرْقاً²
وَإِنْ تَكُ نَاراً فَهِيَ نَارٌ بَمَلْتَقَى مِنَ الرِّيحِ تَسْفِيهَا وَتَصْفِقُهَا صَفْقاً³
وَيُرَوَى : «تَرَهَاها⁴ وَتَعْفِقُهَا عَفْقاً» .

لَأُمِّ عَلِيٍّ أَوْقَدَتْهَا طَمَاعَةٌ لِأُوبَةِ سَفَرٍ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ وَقْفًا
الشعر لسويد بن كراع ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى عن يحيى المكي ،
وذكر غيره أنّه لابن مسجح .

1 عطالة : جبل منيف بديار بني سعد .

2 المشمخر : الجبال العالية . الطرق : الماء المجتمع الذي خيض فيه فكدر فهو مطروق وطرق .

3 صفقتة الريح : ضربته وحركته .

4 زهت الريح النبات : هزته غبّ الندى . وعفقتها : جمعها وضمّها .

[229] - أخبار سويد بن كراع¹ ونسبه

[نسبه]

سُويد بن كُراع² العُكَلِيّ ، أحد بني الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عُكْل . شاعر فارس مقدم من شعراء الدولة الأموية . وكان في آخر أيام جرير والفرزدق .

[كان شاعر محكماً وكان رجل بني عكل وذا الرأي والتقدم فيهم]

وذكر محمد بن سلام في كتاب الطبقات فيما أخبرنا عنه أبو خليفة قال : كان سويد بن كراع شاعراً مُحَكِّمًا³ ، وكان رجلَ بني عُكْل وذا الرأي والتقدم فيهم ، وعُكْل وضَبَّة وعديّ وتيمهم هم الرُّباب .

قال : وكان بعض بني عديّ بن التيم ضرب رجلاً من بني ضَبَّة ، ثم من بني السَّيد ، وهم قوم نُكْدٌ⁴ شُرْس ، وهم أحوال الفرزدق ؛ فاجتمعوا حتى أُلِّم أن يكون بينهم شرّ ، فجاء رجل من بني عديّ فأعطى يده رهينة⁵ لينظروا ما يصنع المضروب ، فقال خالد بن علقمة (ابن الطَّيفان)⁶ حليف بني عبد الله بن دارم : [من الطويل]

أَسْأَلُكُمْ إِنِّي لَا إِخَالَكَ سَالِماً	أَتَيْتَ بَنِي السَّيِّدِ الْغَوَاةَ الْأَشَائِمَا
أَسْأَلُكُمْ إِنْ أَفْلَسْتُ مِنْ شَرِّ هَذِهِ	فَوَائِلُ فِرَاراً إِنَّمَا كُنْتُ حَالِماً ⁷
أَسْأَلُكُمْ مَا أَعْطَى ابْنُ مَامَةَ مِثْلَهَا	وَلَا حَاتِمٌ فِيمَا بَلَا النَّاسُ حَاتِمَا

[قال شعراً يردّ به على خالد بن علقمة]

فقال سويد بن كراع يجيبه عن ذلك :
أَشَاعِرَ عَبْدِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَاثِمًا فَإِنِّي لَمَّا تَأْتِي مِنَ الْأَمْرِ لَاثِمٌ

1 انظر أخباره في الإصابة 3 : 173 ، والشعر والشعراء 2 : 635 .

2 كراع : اسم أمّه ، واسم أبيه عمرو ، وقيل : سلمة .

3 ل : محدثاً .

4 نكد : جمع أنكد ، وهو الرجل العسر الشديد الشرّ .

5 أعطى يده رهينة : أسلم نفسه للأسر .

6 الطيفان : أم خالد بن علقمة .

7 وائل : طلب النجاة .

تُحَضِّضُ أَفْنَاءَ الرَّيَّابِ سَفَاهَةً وَعِزُّكَ مَوْفُورٌ وَلَيْلَكَ نَائِمٌ¹
 وهل عَجَبٌ أَنْ تَدْرِكَ السَّيِّدُ وَتَرَهَا وَتَصْبِرَ لِلْحَقِّ السَّرَاةُ الْأَكَارِمُ²
 رَأَيْتَكَ لَمْ تَمْنَعِ طَهِيَّةً حَكَمَهَا وَأَعْطَيْتَ يَرْبُوعاً وَأَنْفَكَ رَاغِمٌ³
 وَأَنْتَ أَمْرٌ لَا تَقْبَلُ النَّصْحَ طَائِعاً وَلَكِنْ مَتَى تَقْهَرُ فَإِنَّكَ رَائِمٌ⁴

ووجدت هذا الخبر في رواية أبي عمرو الشيباني أتم منه هاهنا وأوضح فذكرته ؛ قال : كان بين بني السيد بن مالك ، من ضبّة ، وبين بني عديّ بن عبد مناة تَرامٍ على خَبْرَاءَ⁵ بالصَّمَّانِ يقال لها ذات الرُّجَاج ، فرُمي عمرو بن حَشَفَة أخو بني شَيْمٍ فمات ، ورمّت بنو السيد رجلاً منهم يقال له مُدْلِج بن صَخْر العدويّ فمكث أياماً لم يَمُتْ ، فمَرَّ رجلٌ من بني عديّ يقال له مُعَلَّل على بني السيد وهو لا يعلم الخبر ، فأخذه فشدّوه وَثاقاً فأفلت منهم ، ومشى بينهم عِصمة بن أُبَيْر التيميّ سفيراً ، فقال لسالم بن فلان العدويّ : لو رهنّتهم نفسك فإن مات مدليج كان رجل برجلٍ ، وإن لم يَمُتْ حملت دية صاحبهم ، ففعل ذلك سالم على أن يكون عند أخثم بن جَمِيرٍ أخِي بني شَيْمٍ من بني السيد ، فكان عنده . ثم إن بني السيد لما أبطأ عليهم موت مدليج أتوا أخثم ليتزّعوا منه سَالِماً ويقتلوه ، فقوَّض عليه أخثم بيته ثم قال : يا آل أمي ، وكانت أمّه من بني عبد مناة ابن بكر ، فمنعه عبد مناة . ثم إن بني السيد قالوا لأخثم : إلى متى تمنع هذا الرجل ! أمّا الدية فوالله لا نقبلها أبداً . فجعل لهم أجلاً إن لم يَمُتْ مدليج فيه دفع إليهم سَالِماً فقتلوه به . فلمّا كان قبل ذلك الأجل بيوم مات مدليج ، فقتلوا سَالِماً ، فقال في ذلك خالد بن علقمة أخو بني عبد الله بن دارم ، وهو ابن الطيّفان :

أَسَالِمُ مَا مَنَنْتَكَ نَفْسَكَ بَعْدَمَا أَتَيْتَ بَنِي السَّيِّدِ الْغَوَاةَ الْأَشَائِمَا ؟
 أَسَالِمُ قَدْ مَنَنْتَكَ نَفْسَكَ أُنْمَا تَكُونُ دِيَاتٌ ثُمَّ تَرْجَعُ سَالِماً
 كَذِبَتْ وَلَكِنْ ثَائِرٌ مَتَبَسِّلٌ يُلْقِيكَ مَصْقُولَ الْحَدِيدَةِ صَارِماً⁶

1 أَفْنَاءُ : أَخْلَاطُ .

2 يريد بالحق هنا القصاص .

3 طهية ، من بني حنظلة ، وبنو يربوع بن حنظلة أبناء عمومته .

4 رائم : محبّ ألف .

5 الخبراء : منبت الخبر ، وهو شجر السدر . والصَّمَّان : جبل في أرض تميم .

6 تَبَسَّل : عبس غضباً أو شجاعة .

أَسَالِمُ مَا أُعْطِيَ ابْنُ مَامَةَ مِثْلَهَا وَلَا حَاتِمٌ فِيمَا بَلََا النَّاسُ حَاتِمَا
 أَسَالِمُ إِنْ أَفْلَتْ مِنْ شَرِّ هَذِهِ فَوَائِلُ فِرَاراً إِنَّمَا كُنْتُ حَالِمَا
 وَقَدْ أَسْلَمْتُ تَيْمٌ عَدِيّاً فَأُرْبَعْتُ وَدَلْتُ لَأَسْبَابِ الْمَيْتَةِ سَالِمَا¹

فأجابه سويد بن كراع بالأبيات التي ذكرها ابن سلام ، وزاد فيها أبو عمرو : [من الطويل]
 دَعَوْتُمْ إِلَى أَمْرِ النَّوَاكَةِ دَارِمَا فَقَدْ تَرَكْتَكُمْ وَالنَّوَاكَةَ دَارِمُ
 وَكُنْتَ كَذَاتِ الْبَوِّ شَرَّمْتَ اسْتَهَا فَطَابَقَتْ لِمَا خَرَّمْتَكَ الْغَمَامُ²
 فَلَوْ كُنْتَ مَوْلَى مَسَلَتْ مَا تَجَلَّلَتْ بِهِ ضَبْعٌ فِي مَلْتَقَى الْقَوْمِ وَاحِمُ³
 وَلَمْ يَدْرِكِ الْمَقْتُولُ إِلَّا مَجْرَهُ وَمَا أُسَارَتْ مِنْهُ النَّسُورُ الْقَشَاعِمُ⁴
 عَلَيْكَ ابْنَ عَوْفٍ لَا تَدْعُهُ فَإِنَّمَا كِفَاكَ مَوَالِينَا الَّذِي جَرَّ سَالِمُ
 أَتَذْكُرُ أَقْوَاماً كَفُوكَ شُئُونَهُمْ وَشَأْنُكَ إِلَّا تَرَكَهُ مَتَفَاقِمُ
 قَالَ : وَقَالَ سَوِيدُ بْنُ كِرَاعٍ فِي ذَلِكَ : [من الطويل]
 أَرَى آلَ يَرْبُوعٍ وَأَفْنَاءَ مَالِكِ أَعْضُوكَ فِي الْحَرْبِ الْحَدِيدَ الْمُتَنْقَبَا⁵
 هُمْ رَفَعُوا فَأَسَ اللِّجَامِ فَأَدْرَكَتْ لَهَا تَكُ حَتَّى لَمْ تَدْعُ لَكَ مَشْرَبَا⁶
 فَإِنْ عُذْتُ عَادُوا بِالتِّي لَيْسَ فَوْقَهَا مِنْ الشَّرِّ إِلَّا أَنْ تَبَيْتَ مُحَجَّبَا
 وَتَصْبَحُ تُدْرَى الْكُعْكُيَّةَ قَاعِدَا وَيُنْتَفِ مِنْ لَيْتِيكَ مَا كَانَ أَرْغَبَا
 تَدْرِي : تَمْشِطُ بِالْمِدْرَى كَمَا يَفْعَلُ بِالسِّنَاءِ ، وَالْكُعْكُيَّةُ : مِشْطَةٌ مَعْرُوفَةٌ .
 فَهَلْ سَأَلُوا فِينَا سَوَاءَ الَّذِي لَهُمْ وَهَلْ نَحْنُ أُعْطِينَا سِوَاهُ فَتَعَجَّبَا⁷

- 1 أَسْلَمْتُ : خَذَلْتُ . أُرْبَعْتُ : اطمأنت ؛ من قولهم : أربع القوم إذا أقاموا في المربع . دلت : من التدلية . والأسباب : الجبال .
- 2 البو : جلد الحوار يحشى تبناً فيقرب من الناقة فتعطف عليه فتدري . وشرمت استها : شققت . وطابقت : أذعنت وبيعت . الغمامة : خرقه كالكرة تدخل في أنف الناقة لئلا تشم .
- 3 زعموا أن الرجل إذا ضربت عنقه سقط على وجهه فإذا انتفخ انتفخ غرموله وعظم ، فقلبه عند ذلك على القفا ، فإذا جاءت الضبع لتأكله ، فرأته على تلك الحال استدخلت غرموله وقضت وطرها منه ثم أكلته . تجلل الفحل الناقة : علاها . الواحم : المستهية للضراب .
- 4 أسارت : أبقّت . نسر قشعم : مسن .
- 5 المنقب : المنقب . أعضوك الحديد : جعلوك تعضه .
- 6 فأس اللجام : الحديد القائمة في الخنك .
- 7 سواء وسوى واحد .

ويروى :

فهل سألونا خصلة غير حقهم

وهو أجود .

[استعدت بنو عبد الله سعيد بن عثمان عليه]

قال : فاستعدت بنو عبد الله سعيد بن عثمان بن عفان على سويد بن كراع في هجائه إياهم ، فطلبه ليضربه ويحبسه ، فهرب منه ، ولم يزل متواريًا حتى كُلم فيه ، فأمنه على ألا يعاود ، فقال سويد بن كراع :

إلى ابن كراع لا يزال مُفَرَّعا
رُقادي وعَشْتَنِي بياضاً تفرَّعا
عليّ فجَهَزْتُ القصيدة المفرَّعا
بفاوِرةٍ إن همَّ أن يتشجَّعا¹
أصاِدي بها سرباً من الوحش نَزَّعا²
يكون سُحَيْرٌ أو بُعِيدٌ فاهجعا³
ورِعَيْتَها صيفاً جديداً ومَرَّعا
نوافِذُ لو تَرَدِّي الصفا لتصدعا⁴
ولا عظمَ لحم دون أن يتمزَّعا⁵
فأنكَرَ مظلوم بأن يؤخذ معا
قُرُوناً وأعطوا نائلاً غيرَ أقطعا⁶

تقول ابنة العوفي ليلى ألا ترى
مخافة هذين الأميرين سهَّدتْ
على غير ظلم غير أن جارَ ظالمٍ
وقد هابني الأقوام لما رميتهم
أبيتُ بأبواب القوافي كأنما
أكلتها حتى أعرَّسَ بعدما
فجشمتني خوفُ ابن عثمان رَدَّها
نهاني ابنُ عثمان الإمام وقد مضت
عوارقُ ما يتركنَ لحماً بعظمه
أحقاً هداك الله أن جارَ ظالمٍ
وأنت ابنُ حكام أقاموا وقوموا

[انتجع بقومه أرض بني تميم]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية قال : انتجع سويد بن كراع بقومه أرض بني تميم ، فجاور بني قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، فأنزله بغيض بن عامر بن شماس بن

1 فاقرة : داهية تكسر الفقار .

2 صاده : داراه وساتره .

3 أكلها : أراقبها وأراقبها . وسحير في الشعر والشعراء 1 : 635 : سحيراً .

4 رداه : رماه .

5 عوارق : جمع عارقة ، من عرق العظم : أكل ما عليه من اللحم .

6 الأقطع في الأصل : المقطوع اليد .

لأَيِّ بن أَنفِ الناقَةِ بن قُرَيْعٍ وأَرعاه ، ووصله وكساه . فَلَم يَزَلْ مَقِيماً فِيهِمْ حَتَّى أَحْيَا¹ ، ثُمَّ وَدَّعَهُمْ وَأَتَى بَغِيضاً وَهُوَ فِي نَادِي قَوْمِهِ وَقَدْ مَدَحَهُ فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ .

قال حماد : وَمَنْ لَا يَعْلَمُ يَرْوِي هَذِهِ الْقَصِيدَةَ لِلْحَظِيئَةِ لِكَثْرَةِ مَدَحِهِ بَغِيضاً ، وَهِيَ لِسُوَيْدِ بْنِ كِرَاعٍ :

[من البسيط]

وَلَمْ يَكُنْ دَانِياً مِنَّا وَلَا صَدَداً ²	ارْتَعْتُ لِلزُّورِ إِذْ حَيًّا وَأَرْقَنِي
حَتَّى تَرَى الْعَنْسَ تُلْقِي رَحْلَهَا الْأَجْداً	وَدُونَهُ سَيَسَّبُ تُنْضِي الْمَطِيَّ بِهِ
وَكَادَ مَكْتُومٌ قَلْبِي يَصْدَعُ الْكَبِداً ³	إِذَا ذَكَرْتُكَ فَاضْتَ عِبْرَتِي دِرْراً
قَلْبِي فَمَا أَزْدَادُ مِنْ نَقْصٍ وَلَا نَفْداً	وَذَاكَ مِنِّي هَوًى قَدْ كَانَ أَضْمَرَهُ
نَحْلُ مَرْبُوعَةٍ أَدْمَانَ أَوْ بَرْدَى ⁴	وَقَدْ أَرَانَا وَحَالَ النَّاسُ صَالِحَةً
فَلَمْ نَزَلْ كَالَّذِي كُنَّا بِهِ أَبَداً	لَيْتَ الشَّبَابَ وَذَاكَ الْعَيْشَ رَاجِعَنَا
مِنْ عِرْمَسٍ عَاقِدٍ لَمْ تَرَأِ الْوِلْدَانَ ⁵	أَيَّامَ أَعْلَمَ كَمْ أَعْمَلْتُ نَحْوَكُمْ
سَطْعَاءَ تَنْهَضُ فِي مِثَائِهَا صُعُداً ⁶	تُصِيخُ عِنْدَ السُّرَى فِي الْبَيْدِ سَامِيَةً
بِرْمَلٍ عِرْنَانَ أَمْسَى طَاوِيَا وَحِداً ⁷	كَأَنَّ رَحْلِي عَلَى حُمْشٍ قَوَائِمِهِ
وَطَفَاءَ تَحْمِلُ جَوْنًا مُرْدَقًا نَضْداً ⁸	هَاجَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجُوزَاءِ سَارِيَةً
فَيَحَاءُ يَنْهَالُ مِنْهَا تُرْبُ مَا أَلْتَبَدًا ⁹	فَالْجَأَتْهُ إِلَى أَرْطَاةٍ عَانِكَةٍ
مَنْظُماً بِيَدِي دَارِيَّةٍ فَرْدًا ¹⁰	تَخَالَ عِطْفِيهِ مِنْ جَوْلِ الرِّذَاذِ بِهِ

1 أحياء : حسنت حال مواشيه .

2 الزور : الطيف . الصدد : القصد والقرب .

3 عبرتي : في ل : أدمعي .

4 أدمان : شعبة بينها وبين بدر ثلاثة أيام . بردى : جبل الحجاز . مربوعة : أصابها مطر الربيع .

5 العرمس : الناقة الصلبة . ناقة عاقد : تعقد بذنبها عند اللقاح . رثمت الناقة ولدها : عطفت عليه ولزمته .

6 سطعاء : طويلة العنق . الميثاء : الطريق المسلك .

7 على حش قوائمه : أي على ثور وحشي قوائمه حمش أي دفاق . عرنان : اسم واد دون وادي القرى إلى فيد ، كثير الوحش . وحيداً : وحيداً منفرداً .

8 مردقاً : متتابعاً متوالياً . النضد : السحاب المترام .

9 الأرطاة : واحدة الأرطى وهو شجر ينبت بالرمل . وعنك الرمل : اتعقد وارتفع فلم يكن فيه طريق ، ورملة عانك ، فيها تعقد لا يقدر البعير على المشي فيها إلا أن يجو . فيحاء : واسعة . التبد : تلبّد بعضه على بعض .

10 العطف : الجانب ، جول : جولان . الدارئة : منسوبة إلى دارين . فرد : منقطع القرنين .

حتى إذا ما انجلت عنه دُجَّتْهُ
غدا كذي التاج حلَّتْهُ أساورُهُ
وكشَّفَ الصبحُ عنه الليلَ فاطرُدا
كأنما اجتاب في حرِّ الضحى سَدا¹

[من البسيط]

وهي طويلة اختصرتها ، يقول فيها :
لا يُبعد الله إذ ودَّعت أرضهم
لا يبعد الله من يعطي الجزيل ومن
ومن تلاقيه بالمعروف معترفاً
لاقيته مفضيلاً تَندى أنامله
تجيء عفواً إذا جاءت عطيته
أولاه بالمفخر الأعلى وأعظمه
إذا تكلف أقوام صنائعه
بحر إذا نكس الأقوام أو ضجروا
لا يحسب المدح خدعا حين تمدحه
إنِّي لرأفده وذِّي ومنصرتي
أخي بغيضاً ولكن غيره بعداً²
يجو الخليل وما أكدى وما صلداً³
إذا أجره صفا المذموم أو صلداً⁴
إن يعطك اليوم لا يمنعك ذاك غدا
ولا تخالطُ ترنيقاً ولا زهداً⁵
خلقاً وأوسع خيراً ومُتفداً⁶
لاقوا، ولم يظلموا، من دونها صعداً⁷
لاقيت خير يديه دائماً رعداً⁸
ولا يرى البخل منهاةً له أبداً
وحافظ غيبه إن غاب أو شهدا

صوت

[من الوافر]

حتنني حانيات الدهر حتى
قريب الخطو يحسب من رآني
كأنني خاتل يدنو لصيد
- ولست مقيداً - أني بقيد

1 السند : ضرب من البرود .

2 بعد : هلك .

3 أكدى : بخل وقل خير . صلد : بخل .

4 اجرهذت الأرض : لم يوجد فيها نبت ولا مرعى . صلد الزند : صوت ولم يور ، ويقال للبخل : صلدت زناده .

5 الترنيق : التكرير . والزهد : القلة .

6 يقال في ماله متفد ، أي سعة .

7 الصعد : المشقة .

8 الأقوام : في ل : الأنجاد .

عروضه من الوافر . الخاتل : الذي يَتَقَرَّرُ¹ للصيد وَيَنْحَنِي حَتَّى لَا يُرَى . ويقال لكلِّ مَنْ
أَرَادَ خِدَاعَ صَيْدٍ أَوْ إِنْسَانٍ : خَتَلَهُ ، وَرَى أَمْرَهُ فَلَمْ يُظْهِرْهُ . وَمَنْ رَوَاهُ : « كَأَنِّي حَابِلٌ » فَإِنَّهُ
يَعْنِي الَّذِي يَنْصَبُ حِبَالَهُ لِلصَيْدِ . الشعر لأبي الطَّمَحَانِ الْقَيْنِيِّ . والغناء لإبراهيم مَخْوَرِيٍّ
وهو خفيف الثَّقِيلِ الثَّانِي بِالْوَسْطَى . وذكر ابن حبيب أَنَّ هَذَا الشعرَ لِلْمِسْجَاحِ بْنِ سِيَّاحِ
الضَّبِّيِّ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى مَا قَالَ فَلَأَبِي الطَّمَحَانِ مِمَّا يُغْنَى فِيهِ مِنْ شِعْرِهِ وَلَا يُشَكُّ فِيهِ أَنَّهُ لَهُ
قوله :

صوت

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعُ ثَاقِبُهُ
الغناء لعريب ثاني ثَقِيلٍ وَخَفِيفٍ رَمَلٍ ، وذكر ابن المعتز أَنَّ خَفِيفَ الرَّمَلِ هَذَا ، وَأَنَّ الثَّقِيلَ
الثَّانِي لغيرها .

* * * *

1 يَتَقَرَّرُ : يَتَهَيَّأُ .

الفهرس

- [197] - أخبار الأعشى وبنو عبد المدان وأخبارهم مع غيره 5
- [198] - أخبار عبد الله بن الحشرج 17
- [199] - أخبار الطرمّاح ونسبه 25
- [200] - أخبار بيهس ونسبه 33
- [201] - أخبار محمد بن الحارث بن بسخر 34
- [202] - أخبار معن بن أوس ونسبه 38
- [203] - أخبار الحسين بن عبد الله 45
- [204] - أخبار فضالة بن شريك ونسبه 48
- [205] - أخبار مروان الأصغر 53
- [206] - أخبار إبراهيم بن سيابة ونسبه 59
- [207] - خبر مقتل الوليد بن طريف 64
- [208] - بعض أخبار عبد الله بن طاهر 68
- [209] - أخبار متفرقة 76
- [210] - أخبار أبي زيد ونسبه 86
- [211] - أخبار متفرقة عن الخطيئة وغيره 96
- [212] - أخبار محمد بن أمية وأخبار أخيه علي بن أمية وما يُعنى فيه من شعرهما 100
- [213] - بعض أخبار لابن أبي عتيق 109
- [214] - نسب المتوكل الليثي وأخباره 111
- [215] - نسب الأوفه الأودي وشيء من أخباره 119
- [216] - خبر النشماش اللص 121
- [217] - خبر كثير وخندق الأسدي الذي من أجله قال هذا الشعر 123
- [218] - أخبار منظور بن زيان 137
- [219] - خبر الجحّاف ونسبه وقصته يوم البشر 141
- [220] - قصة يوم الكلاب الأول 150
- [221] - خبر عبد الله بن معاوية ونسبه 154
- [222] - أخبار أبي وجزة ونسبه 172
- [223] - أخبار عقيل بن علفمة 183
- [224] - أخبار شبيب بن البرصاء ونسبه 195
- [225] - أخبار دقاق 203
- [226] - نسب يزيد بن الحكم وأخباره 207
- [227] - أخبار أبي الأسود الدؤلي ونسبه 215
- [228] - أخبار أبي نفيس ونسبه 244
- [229] - أخبار سويد بن كراع ونسبه 248